

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

أصول الإيمان ومسائله في كتب الزهد والورع المسندة إلى القرن السادس الهجري

دراسة عقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالب

أحمد بن صابر الغامدي

إشراف

أ.د. سيد عبد الستار ميهوب

الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي

١٤٣٤هـ – ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3] .

أما بعد :

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾[4] .

فلما كانت الحياة الدنيوية دار ابتلاء وامتحان للإنسان؛ اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يملأها بمغريات ومفاتن كثيرة وكثيرة، على اختلاف أنواعها وأشكالها، ويمهل الشيطان للتضليل

---

(١) آل عمران:١٠٢.

(٢) النساء:١.

(٣) الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) الملك:١-٢.

والتعمية على الخلق، وغرس في طبيعة النفوس البشرية غرائز حب الدنيا والاغترار بمفاتنها، من تكاثر في الأولاد والأموال، وتهافت على أنواع من الملذات، ثم أرسل الله الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، أرسلهم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾[2].

فقام الأنبياء والرسل عليهم السلام بإبلاغ الرسالات، وتزكية النفوس وتربيتها، وتعليم الكتاب والحكمة، هادفين في ذلك كله إرشاد الإنسانية إلى عبادة الله وحده على الوجه المشروع.

وسيد هؤلاء الأنبياء نبينا محمد ﷺ، فقد بلّغ دين الله حق البلاغ، وعلم أمته جميع ما يتعلق بأمور دينها ودنياها، وحثهم على التعلق بالآخرة، وعدم الانشغال بالدنيا وملذاتها، والزهد فيها، حيث نقل لنا صحابته الكرام أحاديثه ﷺ في الحث على الزهد في الدنيا، والترغيب فيها، والتعلق بالآخرة والرغبة إليها، فجاء هذا النقل منهم قولاً باللسان، وامتثالاً بالفِعال، ثم كان لهم رضوان الله عليهم أيضاً من الآثار المنقولة عنهم في هذا الجانب الشيء الكثير، فلما كانت هذه الأحاديث والآثار الواردة عن النبي المختار وصحابته الأبرار، ومن جاء بعدهم من التابعين، تمثّل كنزاً عظيماً في العلم والأخلاق والديانة، حرص جَمْع من علماء الأمة على جمع هذه الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، مع ما ورد عن الصحابة أيضاً والتابعين من آثار في هذا الباب، في مؤلفات مستقلة، وسموها بـ « كتب الزهد أو الورع ».

ونظراً لوجود هذه المؤلفات في هذا الباب، وتضمنها الكثير من مسائل الاعتقاد، ودخول الكثير من الأحاديث والآثار الضعيفة فيها، فكان لابد من إبراز هذه المسائل العقدية، ودراستها، ودراسة ما ورد فيها من أحاديث؛ فلأجل ذلك أحببت أن يكون موضوعي في

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) الجمعة: ٢.

مرحلة الماجستير بعنوان « أصول الإيمان ومسائله في كتب الزهد والورع المسندة إلى القرن السادس الهجري: دراسة عقدية » .

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره :

١- وجود الكثير من مؤلفات الزهد والورع لأئمة السلف، وورود الكثير من مسائل الإيمان وأصوله فيها، مما يحتاج إلى جمع هذه المسائل ودراستها.

٢- ورود الكثير من الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة مبثوثة في بعض كتب الزهد والورع، مما يحتاج إلى دراستها وتمحيصها .

٣- عدم وجود دراسة علمية في هذا الموضوع بعد البحث.

هدف البحث :

جمعُ المسائل العقدية في أصول الإيمان ومسائله، من كتب الزهد والورع المسندة المصنفة إلى القرن السادس الهجري، ودراسة هذه المسائل دراسة عقدية وفق منهج أهل السنة والجماعة.

الدراسات السابقة :

لم أقف على دراسة بنفس الموضوع الذي تقدمت به، ولكن هناك بعض الرسائل طرقت موضوع الزهد والورع من جوانب أخرى، وإليك تفصيل ذلك:

أولاً / الزهد والتصوف بين المؤيدين والمعارضين. للباحثة: زينب بنت محمد الحربي.

وهي رسالة دكتوراه من كلية التربية للبنات بمكة المكرمة ، عام١٤١٠هـ .

ثانياً / مكانة الزهد في التربية الإسلامية . للباحث: صالح محمود بابور.

وهي رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية بكلية التربية جامعة أم القرى ، عام ١٤١٦هـ.

وكلٌ من هاتين الدراستين لا تعلق لها بالموضوع المراد بحثه ، كما هو ظاهر من عناوينها.

ثالثاً / الأقوال المروية عن أئمة السلف في مسائل الاعتقاد من كتاب حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني جمعاً وتحقيقاً ودراسة . للباحث : محمد بن بو بكر بنعلي .

وهي رسالة دكتوراه مقدمة لقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية ، عام ١٤١٨هـ.

وهذه الدراسة كما هو ظاهر من عنوانها تختص بكتاب حلية الأولياء فقط . ودراستي في كتب الزهد والورع المسندة .

رابعا / الزهد والورع دراسة عقدية . للباحث : إبراهيم بن محمد السياري .

وهي رسالة مسجلة في مرحلة الدكتوراه ، في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ولا يزال الطالب في مرحلة البحث .

وقد قسّم الباحث خطة بحثه في هذا الموضوع إلى أربعة أبواب ، وهي كالتالي :

الباب الأول / خصصه الباحث للزهد والورع الشرعيان ، وجعل تحته فصلين :

الفصل الأول : الزهد الشرعي ، وقسمه إلى ثلاثة مباحث ، حيث جعل المبحث الأول في مشروعية الزهد ومقاصده في الإسلام ، والمبحث الثاني في أصول الزهد وضوابطه لدى السلف، والمبحث الثالث في أوجه الزهد الشرعي.

وأما الفصل الثاني: فقد جعله للورع الشرعي ، وجعل تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مشروعية الورع ومقاصده في الإسلام .

والمبحث الثاني : أصول الورع الشرعي وضوابطه لدى السلف .

وأما المبحث الثالث : ففيه أوجه الورع الشرعي .

وأما الباب الثاني / فقد خصصه للحديث عن الزهد والورع البدعيان ، وظمّنه فصلين :

فالفصل الأول : جعله للزهد البدعي ، وقسمه إلى ثلاثة مباحث ليبحث فيها عن نشأة الزهد البدعي وتطوره ، وأسباب الابتداع في الزهد ، ومظاهر الابتداع في الزهد .

وأما الفصل الثاني : فقد جعله للحديث عن الورع البدعي ، وقسمه إلى ثلاثة مباحث ليبحث فيها عن نشأة الورع البدعي وتطوره ، وأسباب الابتداع في الورع ، ومظاهر الابتداع في الورع .

وأما الباب الثالث / فجعل فيه دراسة مقارنة للزهد والورع الشرعيان ، ووضع تحته فصلين :

الفصل الأول : للحديث عن المقارنة بينهما في المقاصد والمصادر ، وفيه مبحثان أحدهما للمقارنة في المقاصد ، والآخر للمقارنة في المصادر .

والفصل الثاني : للحديث عن المقارنة بينهما في المظاهر والآثار ، وفيه مبحثان أحدهما للمقارنة في المظاهر ، والآخر للمقارنة في الآثار .

وأما الباب الرابع / فخصصه للبحث في الزهد والورع عند الفرق والملل الآخرى ، وموقف المستشرقين منهما ، وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فهو لبحث الزهد والورع عند الفرق ، وفيه خمسة مباحث حيث جعل لكل من الفرق التالية مبحث وهي : الخوارج ، والشيعة ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والصوفية، الباطنية .

وأما الفصل الثاني : فهو لبحث الزهد والورع عند الأمم الأخرى ، وفيه أربعة مباحث لكل أمة من الأمم التالية مبحث وهي : اليهودية ، والنصرانية ، وأديان الهند ، والمجوسية .

وأما الفصل الثالث : فهو لبحث موقف المستشرقين من الزهد والورع في الإسلام ، وقسمه إلى أربعة مباحث :

حيث جعل المبحث الأول : للبحث في دوافع المستشرقين للعناية بالزهد والورع الإسلامي ومظاهرها .

والمبحث الثاني: لبحث شبه المستشرقين حول الزهد والورع في الإسلام .

والمبحث الثالث: لبحث تأثير شبه المستشرقين في التيارات التغريبية في العالم الإسلامي.

والمبحث الرابع : للرد على دعاوى المستشرقين والتغريبيين حول الزهد والورع في الإسلام.

فهذا البحث كما هو ظاهر من خطته ليس له علاقة بموضوعي الذي أريد بحثه ، حيث إن موضوعي يتعلق بأصول الإيمان ومسائله في كتب الزهد والورع المسندة ، وهذه الدراسة لم تتعرض لشيء من هذا .

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة .

المقدمة :

وفيها أهمية الموضوع وأسباب الاختيار ، وهدف البحث ، والدراسات السابقة .

التمهيد : وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الزهد والورع والفرق بينهما، والفرق بين الزهد والتصوف، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول: تعريف الزهد والورع في اللغة وفي الاصطلاح ، والفرق بينهما .

المطلب الثاني: الفرق بين الزهد والتصوف.

المبحث الثاني: أهمية إدخال العلماء أصول الإيمان في مصنفات الزهد والورع، وأقسام المصنفات والمصنفين في الزهد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية إدخال العلماء أصول الإيمان في مصنفات الزهد والورع.

المطلب الثاني: أقسام المصنفات والمصنفين في كتب الزهد.

الفصل الأول : الإيمان بالله ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : فضائل التوحيد وما يترتب عليه : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فضل التوحيد وثمراته .

المطلب الثاني : فضل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) .

المبحث الثاني : توحيد الربوبية .

المبحث الثالث : توحيد الألوهية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وجوب إخلاص الأعمال لله ﷻ.

المطلب الثاني : قوادح التوحيد و مبطلاته .

المبحث الرابع : توحيد الأسماء والصفات ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أسماء الله الحسنى .

المطلب الثاني : صفات الله عز وجل . وفيه ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : الصفات الذاتيه .

المسألة الثانية : الصفات الفعلية .

المسألة الثالثة : الصفات الذاتية الفعلية .

الفصل الثاني : الإيمان بالملائكة ، والكتب ، والرسل ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الملائكة عليهم السلام ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عبادة الملائكة وطاعتهم لله عز وجل .

المطلب الثاني : بعض صفات الملائكة الخلقية .

المطلب الثالث : الأعمال الموكلة لبعض الملائكة .

المبحث الثاني : الكتب السماوية .

المبحث الثالث : الرسل عليهم السلام .

الفصل الثالث : الإيمان باليوم الآخر ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أشراط الساعة .

المبحث الثاني : الحياة البرزخية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : سؤال الملكين في القبر .

المطلب الثاني : نعيم القبر وعذابه .

المبحث الثالث : يوم القيامة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أحوال يوم القيامة ، وفيه عدة مسائل :

الأولى : النفخ في الصور ، وبعث الناس من القبور .

الثانية : الصراط .

الثالثة : عرض الأعمال على العبد وإقراره بها .

الرابعة : محاسبة العبد .

الخامسة : الميزان وما يوزن فيه .

السادسة : الحوض .

المطلب الثاني : الجنة والنار ، وفيه ثلاثة مسائل :

الأولى : وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان .

الثانية : وصف الجنة ، ونعيمها .

الثالثة : وصف النار ، وعذابها .

الفصل الرابع : الإيمان بالقضاء والقدر ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة القدر .

المبحث الثاني : مراتب القدر .

المبحث الثالث : الخصومة في القدر والتنازع فيه وذم القدرية .

المبحث الرابع : الهداية والضلال .

المبحث الخامس : الرضا بالقضاء والقدر والصبر عليه .

الفصل الخامس : الإسلام والإيمان ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مسمى الإيمان وحقيقة الإسلام .

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه .

المبحث الثالث : الاستثناء في الإيمان .

الخاتمة .

الفهارس العلمية .

منهج البحث :

سلكت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي وفق ما يلي:

١- قمت بجمع مسائل الإيمان وأصوله من خلال الأحاديث و الآثار الواردة في كتب الزهد والورع المسندة .

٢- رتبت هذه المسائل والأصول حسب خطة البحث .

٣- عند ورود شيء من مسائل الإيمان أو أصوله في حديث أو أثر ضعيف فإني أثبت هذه المسألة ، وأبين ضعف هذا الحديث أو الأثر ، وأذكر الأدلة الصحيحة الواردة في هذه المسألة.

٤- عزوت الآيات إلى مواضعها في المصحف بذكر السورة ورقم الآية في الحاشية.

٥- خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفيت بعزوه إليهما، وإذا كان في غير الصحيحين أخرجه من مظانه من كتب الحديث ، مع بيان درجته والحكم عليه من أقوال أهل العلم في ذلك، إن وجد .

٦- عرّفت بالفرق والأماكن بشكل مختصر .

٧- شرحت الألفاظ الغريبة شرحاً مختصراً .

٨- ذيّلت البحث بالفهارس العلمية اللازمة .

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾(١)، فإن أحمد الله ﷻ وأشكره، وأثني عليه الخير كله على فضائله العظام، وآلائه الجسام، ومنها امتنانه وتكرمه علي بإتمام هذا البحث ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾(٢)، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأشكر بعد شكر الله تعالى والدي الكريمين على حسن تربيتهما، وجميل رعايتهما لي، وعلى تشجيعهما على الجد في إتمام هذا البحث، فكم بذلا الغالي والنفيس لكي أواصل طلب العلم وتحصيله، فأسال الله ﷻ أن يرزقني برهما، وأن يطيل في أعمارهما على طاعته.

ثم لزوجتي المباركة التي طالما صبرت علي، وساعدتني على إتمام هذا البحث، فأسأله سبحانه أن يبارك فيها.

كما أتقدم بوافر الشكر والامتنان للمشرف على هذا البحث أستاذي القدير الأستاذ الدكتور سيد عبد الستار ميهوب، صاحب الخلق الرفيع، والتواضع الجم، الذي أفادني بخلقه قبل علمه، وكان لتوجيهاته سواء من خلال تدريسه لي في مرحلة الدراسة المنهجية (للماجستير)، أو من خلال متابعته لي في مسيرتي في البحث أثرٌ على هذا البحث، فجزاه الله خيراً على ما قدم، وأسأل الله أن ينير طريقه بالهدى، وأن يُعلي درجته في الدنيا والآخرة.

كما أشكر كل من أعانني على هذا البحث ولو بمشورة، من أساتذة وزملاء وإخوان، وأخص بالذكر منهم الدكتور عارف بن مزيد السحيمي.

(١) النمل: ٤٠.

(٢) النحل: ٥٣.

والشكر موصول لهذا الصرح العلمي الكبير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين، وبقسم (العقيدة والمذاهب المعاصرة) على وجه الخصوص، على الاهتمام بطلاب العلم، وتهيئة السبل لهم، وتشجيعهم على البحث والاستفادة.

وأسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعفو عما وقع فيه من التقصير والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد : وفيه مبحثان :-

المبحث الأول:تعريف الزهد والورع والفرق بينهما، والفرق بين الزهد والتصوف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الزهد والورع في اللغة وفي الاصطلاح ، والفرق بينهما .

المطلب الثاني: الفرق بين الزهد والتصوف.

المبحث الثاني: أهمية إدخال العلماء أصول الإيمان في مصنفات الزهد والورع، وأقسام المصنفات والمصنفين في الزهد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية إدخال العلماء أصول الإيمان في مصنفات الزهد والورع.

المطلب الثاني: أقسام المصنفات والمصنفين في كتب الزهد.

المبحث الأول

تعريف الزهد والورع والفرق بينهما، والفرق بين الزهد والتصوف.

المطلب الأول: تعريف الزهد والورع في اللغة وفي الاصطلاح، والفرق بينهما.

- **تعريف الزهد:**

تعريفه في اللغة: قال ابن فارس – رحمه الله – [(١)]: " (زهد) الزاء والهاء والدال: أصلٌ يدلُّ على قلّةِ الشيء، والزّهِيد: الشيء القليل، وهو مُزْهِد: قليل المال "[(٢)].

وقال الخليل – رحمه الله – [(٣)]:" الزهد في الدين خاصة، والزهادة في الأشياء كلها، ورجل زهيد، وامرأة زهيدة: وهما القليل طُعْمُهما "[(٤)].

وقال ابن منظور – رحمه الله – [(٥)]: " الزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأَشياء كلها ضد الرغبة...والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الترغيب فيه، وزَهَّدَه في الأَمر رَغَّبَه عنه "[(١)].

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي كان إماما في علوم شتى خصوصا اللغة فإنه أتقنها وألف كتابه المجمل في اللغة، توفي ٣٩٥ هـ. شذرات الذهب (٣ / ١٣٢)، وفيات الأعيان (١ / ١١٨)، سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧).

( ) مقاييس اللغة (٣ / ٣٠).

(٣) الإمام صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، وهو أستاذ سيبويه النحوي، وهو معدود في الزهاد، وكان كثيرا ما ينشد:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الأعمال. وكان مفرط الذكاء وفكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة، فدخل المسجد وهو يعمل فكره، فصدمته سارية وهو غافل، فكانت سبب موته، له كتاب العين في اللغة، وكتاب العروض، وغيرها، توفي سنة ١٧٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٢٩)، وفيات الأعيان (٢ / ٢٤٤)، الأعلام للزركلي (٢ / ٣١٤).

( ) العين (٤ / ١٢).

(٥) الإمام اللغوي الحجة محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، قال الصفدي:

مما تقدم يتبين أن معنى الزهد: هو التقليل من شأن الشيء، وتحقيره، وعدم الرغبة فيه.

وقد جاءت بعض هذه المعاني اللغوية في القرآن الكريم والسنة النبوية .

ففي القرآن الكريم : قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٢] .

والمعنى: " أنهم كانوا فيه من الراغبين عنه، الذين لا يبالون به، فلذلك باعوه بذلك الثمن البخس "[٣].

وفي السنة النبوية: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « لما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ ﴾[٤] ، قال لي النبي ﷺ: " ما ترى ديناراً؟ " قلت: لا يطيقونه، قال: " فنصف دينار؟ " قلت: لا يطيقونه، قال: " فكم؟ " قلت: شعيرة، قال: " إنك لزهيد "، قال: فنزلت ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[٥]، قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة »[٦].

لا أعرف في كتب الأدب شيئا إلا وقد اختصره. أشهر كتبه لسان العرب، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعا. ومنها مختار الأغاني، ونثار الأزهار في الليل والنهار، ٧١١ هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢ / ١٠٧) الأعلام للزركلي (٧ / ١٠٨).

(6) لسان العرب (٣ / ١٨٧٦).

( ) يوسف:٢٠.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣ / ١٩).

( ) المجادلة:١٢.

( ) المجادلة:١٣.

(٦) رواه الترمذي، أبواب: تفسير القرآن، باب "ومن سورة المجادلة"، برقم (٣٣٠٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب

(إنك) أي: يا علي (لزهيد) أي: قليل المال قدرت على حالك [١].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا أدى العبد حق الله وحق مواليه، كان له أجران "، قال: فحدثتها كعباً، فقال كعب: " ليس عليه حساب، ولا على مؤمن مزهد"[٢].

قال النووي[٣]: " المزِهد بضم الميم وإسكان الزاي ومعناه: قليل المال "[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال أبو القاسم ﷺ: " في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلي يسأل الله خيراً إلا أعطاه "، وقال بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر، قلنا: يزهدها [٥]. وفي رواية أخرى:"وأشار بيده يقللها"[٦].

قال ابن حجر[٧]: " يحتمل أن يكون قوله «يزهّدها» وقع تأكيداً لقوله «يقللها»، وإلى ذلك أشار الخطابي "[١].

إنما نعرفه من هذا الوجه، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ص (٣٥٧).

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٩ / ١٨٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الأيمان، باب "ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله"، برقم (٤٣٢٢).

(٣) محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي، الشافعي،: علامة بالفقه والحديث. من كتبه منهاج الطالبين، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين من كلام سيد، والتبيان في آداب حملة القرآن،وغيرها، توفي: ٦٧٦هـ. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨ / ٣٩٥)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ١٥٣).

(٤) شرح النووي على مسلم (٦ / ١٤٢).

(٥) رواه البخاري، كتاب: الطلاق، باب "الإشارة في الطلاق.."، برقم (٥٢٩٤).

(٦) وهي عند البخاري، كتاب: الجمعة، باب "الساعة التي في يوم الجمعة"، برقم (٩٣٥).

(٧) أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ، وتصانيفه كثيرة، قال السخاوي:"انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الاكابر"، منها فتح الباري في شرح صحيح البخاري، و لسان الميزان، وتقريب التهذيب، و الاصابة في تمييز أسماء الصحابة، وغيرها كثير، توفي ٨٥٢ هـ. انظر: البدر الطالع ص (١١٨)، الأعلام للزركلي (١/ ١٧٨)، وانظر كتاب الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا، أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم "، قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2] "[3].

فقوله « لئلا يزهدوا »: أي لئلا يغفلوا في الجهاد، ولا يرغبوا عنه علة لقوله من يبلغ عنا[4].

وهذه النصوص تدل على أن لمصطلح الزهد أصل في لغة العرب، كما هو ظاهر.

لتلميذه السخاوي .

(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ١٩٩).

( ) آل عمران:١٦٩.

(٣) رواه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب "في فضل الشهادة"، برقم (٢٥٢٠).

(٤) انظر: بذل المجهود في حل سنن أبي داود للسهارنفوري (٩/٨٠).

تعريفه في الاصطلاح:

تعددت أقوال أهل العلم في بيان حقيقة الزهد في الشرع، وكلها تدور حول معنى واحد، إلا أن بعضها أدقُّ من بعض.

قال يونس بن ميسره الجبلاني[(١)]: " ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله ﷻ أوثق منك بما في يدك، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء "[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض[(٣)]: " أصل الزهد الرضا "[(٤)].

وسئل الإمام أحمد[(٥)]: ما الزهد في الدنيا؟ قال: " قصر الأمل، والإياس مما في أيدي

(١) يونس بن ميسرة بن حلبس أبو عبيد وأبو حلبس الجبلاني، الأعمى عالم دمشق، قال الهيثم بن عمران: كنت جالسا عند ابن حلبس، وكان يدعو عند المغيب: اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك، فأقول: من أين يرزقها وهو أعمى ؟ فلما دخلت المسودة دمشق، قتل، فبلغني أن اللذين قتلاه، بكيا لما أخبرا بصلاحه، وذلك في سنة ١٣٢هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٦٦)، سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٣٠).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١٣/ ٢٥١).

(٣) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخراساني ، الزاهد المشهور ، كان في أول أمره يقطع الطريق، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]فقال: يارب قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا، يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لارتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام، قال العجلي عنه: "كوفي ثقة متعبد، رجل صالح سكن مكة" .توفي سنة ١٨٧هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٠٠)، سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٤)، وفيات الأعيان (٤ / ٤٧).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢ / ١٨١).

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام أهل السنة، وأحد الأئمة الأربعة، قال الشافعي:

الناس "[١].

ويرى الغزالي أن الزهد هو[٢]: " إيثار الآخرة على الدنيا "[٣].

وقال شيخ الإسلام[٤]: " الزهد المشروع ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة"[٥].

وقال ابن القيم[١]: " والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة "[٢].

أحمد إمام في ثمان خصال إمام في الحديث إمام في الفقه إمام في اللغة إمام في القرآن إمام في الفقر إمام في الزهد إمام في الورع إمام في السنة، وقد كان امتحن وضرب بالسياط على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول وقد كان حبس قبل ذلك فثبت على قوله ولم يجبهم، من أشهر كتبه، المسند، والرد على الجهمية والزنادقة، توفي٢٤١هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٣٥٨/٩)، سير أعلام النبلاء (١٧٧/١١)، طبقات الحنابلة (٣/١)، وفيات الأعيان (٦٣/١)، شذرات الذهب (١٨٥/٣).

(١) الآداب الشرعية (٢ / ٢٣٠).

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، منها إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمنقذ من الضلال، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٦ / ٢٢٠)، شذرات الذهب لابن العماد (٦ / ١٨).

(٣) إحياء علوم الدين (١ / ٧٧)

(٤) هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم سيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر شيخ الإسلام بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن تيمية نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها وأقبل على العلم وهو ابن بضع عشرة سنة فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه وله رحمه الله من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط ولا يعلم من متقدمي الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريبا، ومن مصنفاته الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بيان تلبيس الجهمية، درء تعارض النقل والعقل، ومنهاج السنة، الصارم المسلول على شاتم الرسول، القواعد النورانية، وغيرها كثير، ومات معتقلا بقلعة دمشق ٧٢٨هـ، فخرجت دمشق كلها في جنازته. وهذه الترجمة مقتبسة من مجموعة كتب أُلفت في ترجمة شيخ الإسلام وهي: العقود الدرية لابن عبد الهادي، والرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي، والكواكب الدرية لمرعي الكرمي، والقول الجلي لصفي الدين البخاري، والأعلام العلية للبزاز.

(٥) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢١).

قال الجرجاني[3]: " هو بغض الدنيا، والإعراض عنها...وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة...وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك "[4].

وقال السيوطي[5]: " الزهد: الاقتصار على القليل "[6].

وقال أيضا: الزهد : خلو القلب واليد عن الأملاك والتتبع.[7]

وهذه التعريفات السابق ذكرها للزهد تدور حول نبذ الدنيا وإخراجها من القلب، والإقبال على الحياة الآخرة، والرضا بأقدار الله.

ولعل تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية يعتبر من أجمعها وأدقها والله أعلم؛ وذلك لأنه لم يجعل الزهد هو نبذ الدنيا بأكملها دون أي تقييد لذلك فإن من الدنيا ما قد يعين على

---

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى.وأطلق بعد موت ابن تيمية.وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألف تصانيف كثيرة منها، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ومفتاح دار السعادة، وزاد المعاد الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، والكافية الشافية، مدارج السالكين، وغيرها، توفي ٧٥١هـ. ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٧)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣ / ٤٠٠)، الأعلام للزركلي (٦ / ٥٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ١٠).

(٣) علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفا منها: التعريفات، وشرح مواقف الإيجي، الكبرى والصغرى في المنطق، توفي ٨١٦هـ. الأعلام للزركلي (٥ / ٧).

(٤) التعريفات الجرجاني ص (٩٥).

( ) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيما، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، ومن هذه الكتب: الإتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر جمع الجوامع، ويعرف بالجامع الكبير، وغيها كثير، توفي سنة٩١١هـ. الأعلام للزركلي (٣ / ٣٠١).

(1) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (١ / ٢٠٥).

(1) المصدر السابق (١/٢١٦).

الفوز بالحياة الآخرة ، ولذلك يقول رحمه الله بعد أن عرف الزهد في موطن آخر : "وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع "[١].

وقد قال المناوي رحمه الله[٢]: " فالدنيا لا تذم لذاتها فإنها مزرعة الآخرة فمن أخذ منها مراعيا للقوانين الشرعية أعانته على آخرته ومن ثمة قيل : لا تركن إلى الدنيا فإنها لا تبقي على أحد ولا تتركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها "[٣].

ثم إن ابن تيمية نبّه في تعريفه إلى أن الزهد ليس هو ترك الدنيا مجرداً، وليس ترك مالا لا ينفع في الأخرة فقط، بل يضاف إلى ذلك عدم الرغبة فيه، وعليه فمن ترك ما لا ينفع في الآخرة من الدنيا مع رغبته فيها وتعلقه بها فهذا لا يعتبر زاهداً، وهذه مرتبة عالية ومنقبة سامية، نسأل الله أن نكون من أهلها.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٢٨-٢٩).

(٢) زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه، له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص، منها: التيسير في شرح الجامع الصغير، وفيض القدير، وكنوز الحقائق، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١هـ. انظر: الأعلام للزركلي(٦ / ٢٠٤).

(٣) فيض القدير (٣ / ٧٢٨).

- **تعريف الورع لغة:**

تعريفه في اللغة: قال ابن فارس: " الواو والراء والعين: أصل صحيح يدل على الكف والانقباض، منه الوَرَع: العفة، وهي الكف عما لا ينبغي...وورَّعته: كففته...وورَّعت الإبل عن الماء: رددتها "(١).

وقال ابن منظور: " الورع: التحرج، تورع عن كذا أي تحرج، والورع، بكسر الراء: الرجل التقي المتحرج، وهو ورع بيّن الورع...الورع في الأصل: الكف عن المحارم والتحرج منه..ثم استعير للكف عن المباح والحلال "(٢).

مما تقدم يتبين أن الورع في اللغة يراد به: الكف عن الشيء، والتحرج منه.

تعريفه في الاصطلاح:

تدور عبارات أهل العلم في تعريف الورع على معنى ترك المحرمات والشبهات، وذلك بخلاف ما ذكره بعض أهل التصوف من معنى باطل له، ظناً منهم أن ذلك هو حقيقة الورع المطلوب؛ وسأشير إلى شيء من ذلك بعد ذكر المعنى الصحيح للورع.

قال يونس بن عبيد(٣): " الورع الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس في كل طرفة عين"(٤).

---

(6) مقاييس اللغة (٦ / ١٠٠).

( ) لسان العرب (٨ / ٣٨٨).

(2) الإمام القدوة يونس بن عبيد بن دينار، أبو عبد الله البصري، مولى لعبد القيس العبدي،، من صغار التابعين وفضلائهم، رأى أنس بن مالك ﷺ، وكان ثقة كثير الحديث، له أقوال جليله، منها قوله: " أصبح من إذا عرف السنة عرفها غريبا، وأغرب منه الذي يعرّفها "، مات سنة ١٣٩هـ. انظر: الطبقات ابن سعد (٧ / ٢٦٠)، الطبقات لابن خياط ص (٢١٨)، سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٨٨).

( ) انظر: الزهد للبيهقي ص (٢٤٨)، مدارج السالكين (٢ / ١٧).

وقال إبراهيم بن أدهم[١]: " الورع ترك كل شبهة، وترك مالا يعنيك، هو ترك الفضلات، وفي الترمذي مرفوعا إلى النبي ﷺ:« يا أبا هريرة كن ورعا، تكن أعبد الناس»[٢]"[٣].

وقال يحيى بن معاذ[٤]: " الورع: اجتناب كل ريبة، وترك كل شبهة "[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الورع المشروع هو: ترك ما قد يضر فى الدار الآخرة"[٦].

وقال ابن القيم: " قيل: الورع: الخروج من الشهوات، وترك السيئات "[٧].

ثم نقل ابن القيم – رحمه الله – قول أبي إسماعيل الهروي[٨] في الورع، وعلّق عليه حيث قال: " قال صاحب المنازل: الورع توقٍ مستقصى على حذر، وتحرّج على تعظيم.

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور، العجلي وقيل التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل، توفي ١٦١هـ. انظر: طبقات الصوفية ص (٣٥)، السير للذهبي (٧ / ٣٨٧)، وفيات الأعيان (١ / ٣١)، الأعلام للزركلي (١ / ٣١).

(٢) لم أجده عند الترمذي، ولكنه عند ابن ماجه، أبواب: الزهد، باب "الورع والتقوى"، برقم (٤٢١٧)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣/٣٧٤).

(2) انظر: مدارج السالكين (٢ / ١٧).

(٤) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير في وقته. من أهل الري، ذكره أبو القاسم القشيري في " الرسالة " وعده من جملة المشايخ، وله كلمات سائرة، منها:" تورع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك"، مات في نيسابور ٢٥٨هـ. طبقات الصوفية ص (٩٨)، سير أعلام النبلاء (١٣ / ١٥)، وفيات الأعيان (٦ / ١٦٥)، الأعلام للزركلي (٨ / ١٧٢).

( ) الزهد للبيهقي ص (٢٤٨).

(٦) مجموع الفتاوى (١١ / ٢٨).

(1) مدارج السالكين (٢ / ١٧).

(٨) الفقيه المفسر الحافظ، الصوفي الواعظ، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الانصاري الهروي، شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيوب الانصاري. كان بارعا في اللغة، حافظا للحديث، عارفا بالتاريخ والأنساب. مظهرا للسنة داعياً إليها. امتحن وأوذي وسمع يقول: " عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت!" من كتبه: ذم الكلام وأهله، وكتاب الأربعين، ومنازل السائرين، توفي سنة ٤٨١هـ. ذيل طبقات الحنابلة (١ / ٥٠)، الأعلام للزركلي (٤ /

يعني أن يتوقى الحرام والشبه، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقي؛ لأن التوقي والحذر متقاربان. إلا أن التوقي فعل الجوارح، والحذر فعل القلب، فقد يتوقى العبد الشيء لا على وجه الحذر والخوف، ولكن لأمور أخرى من إظهار نزاهة، وعزة وتصوف، أو اعتراض آخر، كتوقي الذين لا يؤمنون بمعاد، ولا جنة ولا نار ما يتوقونه من الفواحش والدناءة، تصوّناً عنها، ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها، وطلباً للمحمدة، ونحو ذلك "[١].

قال الجرجاني : " الورع: هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات "[٢].

وقال السيوطي: " الورع: ترك الشبهات "[٣].

يظهر مما تقدم من التعريفات اتفاقها على أن الورع هو: الحذر من الوقوع في الشبهات، وقبلها وهي من باب أولى المحرمات.

إلا أن شيخ الإسلام اختصر هذا المعنى في تعريف جامع كما تقدم بقوله: « الورع: ترك ما قد يضر في الآخرة »، فهذا التعريف يشمل أيضاً ما نبّه عليه تلميذه ابن القيم، من أن هذا التَرك لابد أن يكون من أجل الله ﷻ، طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه؛ لأنه قيّده بما يضر في الآخرة.

وأما بعض مشايخ التصوف فقد عرفوا الورع بناء على بعض عقائدهم الباطلة، فمن ذلك: ما نقله البيهقي[٤] عن الشِّبْلِيِّ[١] وهو قوله: " الورع: أن يتورع عن كل ما سوى الله "[٢].

---

١٢٢).

(6) مدارج السالكين (٢ / ١٨).

(٢) التعريفات الجرجاني ص (٢٠٤).

(2) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (١ / ٢١٦).

( ) الحافظ العلامة، الثبت الفقيه أبو بكر أحمد ابن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، فقيه جليل

وهذا الكلام مبني على عقيدة باطلة، وهو ما يحصل لبعض السالكين مما يسمونه « الفناء عن شهود السوى »، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد؛ لا يخطر بقلوبهم غير الله، فإذا قوي على صاحب الفناء هذا، فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، حتى يفنى من لم يكن (وهي المخلوقات المعبدة ممن سواه)، ويبقى من لم يزل (وهو الرب تعالى)، والمراد فناؤها في شهود العبد، وذكرُه وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها، وإذا قوي هذا ضعف المحب حتى اضطرب في تمييزه، فقد يظن أنه هو محبوبه[٣].

قال شيخ الإسلام: " وهذا الفناء كله فيه نقص، وأكابر الأولياء كأبي بكر وعمر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار: لم يقعوا في هذا الفناء فضلا عمن هو فوقهم من الأنبياء، وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة، وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غَيبة العقل والتمييز لما يرد على القلب من أحوال الإيمان؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل وأقوى وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم، أو يحصل لهم غشي أو

حافظ كبير، من أئمة الحديث قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فان له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه. وقال الذهبي: "لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك؛ لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف". صنف زهاء ألف جزء منها: السنن الكبرى، والأسماء والصفات، الجامع المصنف في شعب الإيمان، توفي٤٢١هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٨)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣)، الأعلام للزركلي (١/١١٦).

(6) شيخ الطائفة، أبو بكر، الشبلي البغدادي، قيل: اسمه دُلَف بن جَحْدَر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دلف، اشتهر بكنيته، من الطبقة الرابعة من أئمة الصوفية، كان فقيها عارفا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، كان عفى الله عنه لهجا بالشعر الغزل والمحبة، وولي الحجابة للموفق العباسي، له شعر سلك به مسالك المتصوفة، توفي سنة ٣٣٤هـ، وللدكتور كامل مصطفى الشيبي (ديوان أبي بكر الشبلي) جمع فيه ما وجد من شعره. انظر: طبقات الصوفية ص (٢٥٧)، السير للذهبي (١٥/٣٦٧)، الأعلام للزركلي (٢/٣٤١).

(٢) في كتابه الزهد ص (٢٥٠).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (١٠ / ٢١٩).

صعق أو سكر أو فناء أو وَلَه أو جنون، وإنما كان مبادئ هذه الأمور في التابعين من عباد البصرة، فإنه كان فيهم من يُغشى عليه إذا سمع القرآن، ومنهم من يموت... وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تمييزه، حتى يقول في تلك الحال من الأقوال ما إذا صحا عرف أنه غالط فيه، كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبي يزيد وأبي الحسين النوري وأبي بكر الشبلي وأمثالهم"[١].

(6) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢١٩-٢٢١).

- **الفرق بين الزهد والورع:**

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فوارق دقيقة بين الزهد والورع في مواضع متفرقة من الفتاوى، وكذا ذكر غيره بعض الفوارق، التي بمعرفتها يتبين الفرق بين الزهد والورع، وبيانها فيما يلي:

لابد أن يُعلم أولاً قبل ذكر الفوارق أن هناك موطن اتفاق بين الورع المشروع، والزهد المشروع، وهو أن كليهما من التقوى الشرعية[١]، وأما الفوارق:

١- أن " الزهد " هو عما لا ينفع؛ إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحاً؛ لأنه مفوّت لما هو أنفع منه، أو محصّل لما يربو ضرره على نفعه، وأما المنافع الخالصة أو الراجحة: فالزهد فيها حمق.

وأما " الورع " فإنه الإمساك عما قد يضر، فتدخل فيه المحرمات والشبهات؛ لأنها قد تضر، فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يواقعه.

وأما " الورع " عما لا مضرة فيه أو فيه مضرة مرجوحة – لما تقترن به من جلب منفعة راجحة أو دفع مضرة أخرى راجحة – فجهل وظلم[٢].

٢- " الزهد " خلاف الرغبة، يقال: فلان زاهد في كذا، وفلان راغب فيه، و" الرغبة " من جنس الإرادة، فالزهد في الشيء انتفاء الإرادة له؛ إما مع وجود كراهته، وإما مع عدم الإرادة والكراهة، بحيث لا يكون لا مريداً له، ولا كارها له وكل من لم يرغب في الشيء ويريده فهو زاهد فيه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٣٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٠ / ٦١٥-٦١٦).

وأما " الورع " فهو اجتناب الفعل واتقاؤه، والكف والإمساك عنه، والحذر منه، وهو يعود إلى كراهة الأمر، والنفرة منه، والبغض له، فهو أمر وجودي.

فتلخص أن " الزهد " من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه – فهو أمر عدمي – ، و " الورع " من باب وجود النفرة والكراهة للمتورع عنه – فهو أمر وجودي – [١].

٣- " الزهد " لأنه من باب انتفاء الإرادة، فيصلح فيما ليس فيه منفعة خالصة، أو راجحة.

وأما " الورع " فلأنه من باب وجود الكراهة، فيصلح فيما فيه مضرة خالصة، أو راجحة[٢].

٤- أن ما لا منفعة فيه ولا مضرة، أو منفعته ومضرته سواء من كل وجه؛ فهذا لا يصلح أن يُراد، ولا يصلح أن يُكره، فيصلح فيه الزهد ولا يصلح فيه الورع[٣].

٥- أن الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع؛ وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع، وأما المباحات فيصلح فيها الزهد، دون الورع[٤].

٦- قال أبو سليمان الداراني: " الورع: أول الزهد، كما أن القناعة: طرف من الرضا "[٥].

٧- قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: " الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة"[٦].

٨- قال ابن القيم: " والورع يثمر الزهد أيضا "[١].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٠ / ٦١٦-٦١٧) بتصرف .
(٢) انظر: المصدر السابق (١٠ / ٦١٨) بتصرف .
(٣) انظر: المصدر السابق (١٠ / ٦١٨) بتصرف .
(٤) انظر: المصدر السابق (١٠ / ٦١٩).
(٥) الزهد الكبير للبيهقي ص (٢٤٤).
(٦) مدارج السالكين (٢/٨).

وعليه فلا يمكن أن يصل المسلم إلى مرتبة الزهد ما لم يكن وَرِعاً.

٩- يتضح مما سبق أن كل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، كما ذكر هذا شيخ الإسلام حيث قال : " فظهر بذلك أن كل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد من غير عكس، وهذا بيّن فإن ما صلح أن يُكره ويُنفر عنه، صلح ألا يراد، ولا يرغب فيه؛ فإن عدم الإرادة أولى من وجود الكراهة؛ ووجود الكراهة مستلزم عدم الإرادة من غير عكس، وليس كل ما صلح ألا يراد يصلح أن يكره؛ بل قد يعرض من الأمور ما لا تصلح إرادته ولا كراهته، ولا حبه ولا بغضه، ولا الأمر به ولا النهي عنه "[٢].

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٦١٨).

المطلب الثاني: الفرق بين الزهد والتصوف.

إن مُصْطَلَحَي الزهد والتصوف من المصطلحات التي حصل فيهما خلط كبير، من حيث المفهوم، ومن حيث الفارق بين اتجاه كلٍ منهما، وحقيقة نشأتهما؛ فلذلك كان بحث هذه المسألة، وإدراك الفارق بين المصطلحين من الأهمية بمكان.

ولتجلية هذا الموضوع لا بد من النظر إليه من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: أصل معنى هذين المصطلحين في اللغة.

فبالنظر إلى أصلهما واشتقاقهما في اللغة يُعرف منشأ كلٍ منهما.

وقد تقدم الكلام في معنى الزهد وأنه يرجع في أصله إلى: التقليل من شأن الشيء، وتحقيره، وعدم الرغبة فيه.

وأما التصوف فاختلفت الآراء في المعنى الذي أُضيف إليه لفظ الصوفي على أقوال عديدة، وسأذكر هنا قولين هما أقرب ما قيل في أصله من الأقوال:

القول الأول: أنهم سموا بذلك نسبة إلى لبس الصوف.

قال ابن تيمية عن هذا القول: " وهو المعروف "[١]، واختار هذا القول بعض أئمة الصوفية[٢].

القول الثاني: أنه ليس لهذا الاسم قياس ولا اشتقاق في لغة العرب، والذين ذهبوا لهذا القول منهم من جعل هذا المصطلح كاللقب على طائفة معيّنة، كما ذهب إلى هذا شيخ الصوفية

---

(6) مجموع الفتاوى (١١ / ٦).

( ) منهم أبو نصر السرّاج الطوسي في كتابه اللمع ص (٤٠)، واستظهر هذا القول ابن خلدون في مقدمتة ص (٤٦٧).

وإمامهم الكبير أبو القاسم القشيري[١]، بقوله: " وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس، ولا اشتقاق، والأظهر فيه: أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف؛ ولهذا يقال: تَصوَّف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمّص إذا لبس القميص، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف..."[٢].

ومنهم من ذهب إلى أبعد من هذا وهو أن التصوّف: كلمة أعجمية لا أصل لها في لغة العرب، وإنما ينتسبون إلى «السوفية» الحكماء، القائلين بوحدة الوجود، حيث أن الصوفية أول من قال بوحدة الوجود في الإسلام، وأدخلوه إليه، فسُمُّوا باسمهم، كما قرر ذلك المؤرخ البيروني[٣] في معرض كلامه عن معتقدات حكماء اليونان والهند التي تهدفُ إلى إثبات وحدة الوجود، بقوله: "السوفية وهم الحكماء، فإن «سُوف» باليونانية: الحكمة، وبها سمي الفيلسوف «بيلاسوبا»: أي محب الحكمة، ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سُمُّوا باسمهم، ولم يعرف اللقب بعضُهم فنسبهم للتوكل إلى «الصُفّة» وأنهم أصحابها في عصر النبي ﷺ، ثم صحّف بعد ذلك فصيّر من صوف التيوس.. "[٤].

---

(6) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي، وله من المصنفات: التيسير في علم التفسير، والرسالة في رجال الطريقة، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١ / ٨٣)، وفيات الأعيان (٣ / ٢٠٥)، سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٢٧).

( ) الرسالة القشيرية ص (١٨٣).

(2) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي منسوب إلى بيرون، وهي مدينة في السند، حكيم، رياضي، فلكي، طبيب، أديب، لغوي، مؤرخ، له مؤلفات عديدة، منها: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ومختار الأشعار والآثار، مقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسيط الكرة، ، والجماهر في معرفة الجواهر، الصيدلة في الطب (استقصى فيها معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين، وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه، وقد رتبه على حروف المعجم)، توفي سنة ٤٤٠هـ. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص (٤٥٩)، معجم المؤلفين لرضا كحالة (٥٣/٣).

( ) تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني ص (٢٤-٢٥).

وقال صاحب كشف الظنون عند كلامه عن علم التصوف: " واعلم: أن الإشراقيين من الحكماء الإلهيين: كالصوفيين في المشرب والاصطلاح، خصوصاً المتأخرين منهم، إلا ما يخالف مذهبهم مذهب أهل الإسلام، ولا يبعد أن يؤخذ هذا الاصطلاح من اصطلاحهم، كما لا يخفى على من تتبع كتب حكمة الإشراق"[١].

وعموماً فإنه على كلا القولين يظهر لك جلياً مفارقة هذا المصطلح لمصطلح الزهد، فإنه على القول الأول فالتصوف نسبة للبس الصوف، وأما على القول الثاني فالتصوف ليس له أصل في اللغة.

فبان بهذا تفارق هذين المصطلحين؛ إذ أن الزهد له أصل في اللغة يدل عليه هذا اللفظ، فإذا قيل مثلاً عن شخص أنه زاهد في أمر من الأمور، عُلم من جهة اللغة أن المقصود عدم رغبته فيه، وتقلله منه، وهذا بخلاف مصطلح التصوف؛ إذ لا يتأتّى إطلاقه على رجل رغب عن أمر من الأمور أنه تصوّف فيه، فليس لهذا معنى. والله أعلم.

الجهة الثانية: نشأة هذين المسلكين (مسلك الزهد – مسلك التصوف).

إن الناظر في نصوص الشرع، ونهج النبي ﷺ، وصحبه الكرام، وما ورد عن السلف من آثار وفِعال، ليدرك الفرق بين وقت ظهور هذين المسلكين ونشأتهما.

فأما الزهد فإن الشريعة قد جاءت بالنص عليه، إما تصريحاً، أو بالمعنى، وتواردت بالحث عليه آثار السلف، فمن النصوص التي حثت على التزهد في الدنيا، عدم التوسع في المباحات، قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٢].

---

(6)كشف الظنون (١ / ٤١٤).

( ) النساء:٧٧.

قرأ الحسن: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ قال: " رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك، ما الدنيا كلها من أولها إلى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب، ثم انتبه "[١].

وقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٢].

قال ابن سعدي: " وفي هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا، خصوصاً الزهد المتعين، وهو الزهد فيما يكون ضرراً على العبد، ويوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه، وتقديمه على حق الله "[٣]. وهنا الشيخ أطلق لفظ الزهد وعرفه بتعريف الورع؛ ولعله أراد معناهما.

ومن السنة قول النبي ﷺ كما في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس "[٤]. والأحاديث في الأمر بالزهد والحث كثيرة جداً يصعب حصرها.

وأما الآثار الواردة عن السلف في هذا الشأن فلا تخفى على من لديه أدنى اطلاع على موروثاتهم، ويكفي أن تعلم أنهم قد أفردوا هذا الموضوع بمصنفات، وسيأتي ذكر جملة منها بإذن الله تعالى، وبعضهم أفرد في هذا أبوابا ضمن بعض مصنفاته، كما صنع الترمذي – رحمه الله – في جامعه باسم «أبواب الزهد»، وكذلك ابن ماجه.

(6) تفسير ابن أبي حاتم (٣ / ١٠٠٦).

( ) النحل:٩٦.

(2) تفسير السعدي ص (٤٤٨).

( ) رواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب "الزهد في الدنيا"، برقم (٤١٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣ / ١١٦)، والحاكم في المستدرك، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٤/٤٥٥)، وحسنه الألباني في ا السلسلة الصحيحة (٦٢٤/٢).

أمّا التصوُّف فلم يرد لا في الكتاب ولا في السنّة ولا في كلام السلف الصالح، وإنّما هو مصطلح دخيلٌ على الإسلام والمسلمين، لم يظهر إلا بعد القرون المفضلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أما لفظ « الصوفية » فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك "[1].

وقال رحمه الله أيضاً في سرده تاريخ ظهور طوائف المبتدعة، وأنه كل ما ابتعد الناس عن عصر النبوة تزايد ظهور البدع: " وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية، وصار في ولاة الأمور كثير من الأعاجم، وخرج كثير من الأمر عن ولاية العرب، وعُرِّبت بعض الكتب العجمية من كتب الفرس والهند والروم، وظهر ما قاله النبي ﷺ: « ثم يفشو الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يستشهد، ويحلف ولا يستحلف »[2]، حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، وحدث التجهم "[3].

بل إن السلف ذمّوا التصوّف، فضلاً على أن يذكروه في مصنفاتهم حثاً عليه، أو يفردوه ويخصّوه بمصنفات مستقلة.

قال ابن الجوزي[4]: " فالتصوف مذهب معروف، يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما: أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف "[1].

---

(6) مجموع الفتاوى (١١ / ٥).

( ) قطعة من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، رواه الترمذي، أبواب: الفتن، باب "ما جاء في لزوم الجماعة"، برقم (٢١٦٥) وقال:حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه، أبواب: الشهادات، باب "كراهية الشهادة لمن لم يُستشهد"، برقم (٢٣٦٣)، وابن حبان في صحيحه (١٠ / ٤٣٦)، والحاكم في المستدرك (١ / ١٨٦) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، فإني لا أعلم خلافاً بين أصحاب عبد الله بن المبارك في إقامة هذا الإسناد عنه، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(2) المصدر السابق (١٠ / ٣٥٧).

( ) أبو الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، الحنبلي، نسبه يتصل بنسب الخليفة الراشد أبي بكر

وكل هذا يدل على الخطأ الذي وقع فيه بعض المؤلفين والباحثين من أن التصوف هو امتداد للزهد الذي جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتميز به الصحابة رضوان الله عليهم.

كما يقول ابن خلدون: " علم التصوف: هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة، **وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف،** فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس فيه إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفية"(٢).

ويؤكد هذا الفهم الخاطئ أيضاً الدكتور علي سامي النشار بقوله: " بدأ التصوف باستنباط حياة زهدية من القرآن والسنة، سنة الرسول ﷺ وسنة الصحابة، ثم كان تصوفاً.."(٣).

ويقول الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح أيضاً: " فكان ذلك بدء ظهور حركة الزهد المنظم الذي تطور بدوره – كما سنرى – إلى التصوف "، ثم قال: "قبل البحث في حركة الزهد التي مهدت لنشأة التصوف في الإسلام.."(٤).

الصديق ﷺ، كان حامل لواء الوعظ، متبحراً في الفنون، وله الكثير من المصنفات، فقد وجد بخطه قبل موته أن تواليفه بلغت مئتين وخمسين تأليفا، منها: زاد المسير في التفسير، والوجوه والنظائر، ومشكل الصحاح، والموضوعات، مناقب أحمد بن حنبل، وغيرها كثير، مات سنة ٥٩٧هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١ / ٣٦٦)، السير للذهبي (٢١ / ٣٦٥).

(6) تلبيس إبليس ص (١٤٩).

( ) مقدمة ابن خلدون ص (٤٦٧).

(2) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١١٦٥/٣).

( ) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص (٣٨-٣٩).

مع أن الدكتور عرفان فرّق بين زهد الصحابة، وزهد ما سمّاهم بالعباد والنسّاك، كما سيأتي قوله في الجهة الثالثة – بإذن الله – وقصده بالعباد والنساك هنا (المتصوفة) ويدل لذلك أنه أورد مقالات لكبارهم بعد كلامه في التفريق بينهم.

وهذا الرأي خطأ كما تقدم؛ ولأمور منها:

١- أن الزهد يختلف عن التصوف في الاتجاه والسلوك – كما سيأتي بيانه – بل إن الاختلاف أيضاً واقع في مصادرهما.

٢- أن السلف كما تقدم ذموا التصوف، وحثوا على الزهد، كما تقدم بيانه.

٣- أن الزهد الشرعي استمر وجوده حتى بعد ظهور التصوف، ولو كان امتداداً له، أو مرحلة من مراحله لاضمحل بوجوده، وقد كان من الأئمة كابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما، أئمة في الزهد، مع أنهم من أكثر الناس رداً على التصوف وبيان عواره(١).

وهنا لا بدّ من التفريق بين من يرى أن التصوف ما هو إلا امتداد للزهد، أو أن الزهد تطور فأصبح تصوفاً، وبين من يرى أن التصوف كان في بداياته يتخذ من الزهد منهجاً له، ثم انحرف عنه مسلك آخر مفارق للمعنى الحقيقي للزهد، كما ذهب إلى هذا ابن الجوزي بقوله: " والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام؛ لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا؛ لما يرون عندهم من الراحة واللعب"(٢).

فالرأي الأول تقدم بطلانه، وأما رأي ابن الجوزي فلا يشكل على ما ذُكر، من أنه لما ظهرت بدعة التصوف كان أهله يتخذون من الزهد منهجاً لهم، ثم بعد ذلك أصبح لهم مدرسة

---

(6) انظر: الزهد والورع دراسة عقدية. للباحث: إبراهيم بن محمد السياري ص (١/٢٢).

( ) تلبيس إبليس ص (١٤٥).

ومذهباً خاصاً عُرفوا به، أو يقال: أن التصوُّف لما ظهر في القرن الثالث الهجري، ظهر كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الذي حصل في تلك الفترة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة لها معتقدات مخالفه لأهل السنة معروفة باسم الصوفية. والله أعلم.

الجهة الثالثة: الاتجاه والسلوك.

من الأمور المهمة التي يُفرّق فيها بين الزهد والتصوف، مسألة الطريق التي يسلكها قاصد أحدهما، فلو نظرنا إلى حقيقة الزهد الذي جاء به الشرع، نعلم أنه ليس هو نبذ الدنيا بكل ما فيها، بل إن الشرع قد فضّل من نال بعض ملذات الدنيا على غيره ممن ترك ذلك تزهّداً فيها، ولم يكلفنا أيضاً ما لا تطيقه أبداننا، بل أمر بالاعتدال في كل شيء حتى في العبادة، ونهى عن التعدي فيها؛ ولهذا كله لما النبي ﷺ بالثلاثة الذين منهم رغب فيما أحله الله من ملذات الدنيا، قاصداً بذلك الزيادة في تقواه لله، والآخران قصدا الانقطاع للعبادة فوق ما جاء به الشرع، لما علم النبي ﷺ بذلك قال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني "(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما الامتناع من فعل المباحات مطلقاً، كالذي يمتنع من أكل اللحم، وأكل الخبز، أو شرب الماء، أو لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب، فهذا جاهل ضال من جنس زهاد النصارى؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا

(6) رواه البخاري واللفظ له، كتاب: النكاح، باب "الترغيب في النكاح"، برقم (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب: النكاح، باب "استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.."، برقم (٣٤٠٣).

تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[١]، نزلت هذه الآية بسبب أن جماعة من الصحابة كانوا قد عزموا على ترك أكل الطيبات "[٢].

ثم إن هناك من أمور الدنيا ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع، فالدنيا كما تقدم لا تذم لذَاتها؛ فإنها مزرعة الآخرة، فمن أخذ منها مراعياً للقوانين الشرعية، أعانته على آخرته، مع العلم أن ترك فضول ما لا يحتاج إليه العبد من المباحات يثاب عليه.

وأما الكلام عن سلوك المتصوفه، فينبغي لنا هنا أن نعلم أن المتصوفة طبقات مختلفة، بل بعضهم ربما نُسب إلى التصوف؛ وذلك قد يكون لاجتهاده في العبادة، واعتزاله الخلق، وإلا فهو ليس من التصوف في شيء، فليس كل من انتسب إلى التصوف على درجة واحدة، فمنهم القريب للحق، ومنهم التائه في الضلالة المنغمس في الخرافة.

فأوَّل ظهورٍ للمبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك كان بالبصرة، ولهذا غالب ما يُحكى من المبالغة في هذا الباب إنما هو عن عباد أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه عند سماع القرآن، فقد رُوي أن بعضهم ماتوا باستماع قراءته، وكان فيهم طوائف يُصعقون عند سماعه، ولم يكن في الصحابة من هذا حاله؛ فلما ظهر ذلك أنكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين: كأسماء بنت أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن سيرين ونحوهم[٣].

---

(6) المائدة:٨٧-٨٨.

( ) مجموع الفتاوى (٢٢ / ١٣٤).

(2) المصدر السابق (١١ / ٦-٧).

ثم بعد ذلك تطور التصوف في تلك المرحلة، ولكنه "لم يتجاوز نطاق الحركة داخل أخلاق الإسلام، وإن كان بعيداً عن معاني العبادة الحقة، وجوهر الالتزام الصحيح في الإسلام حول كتاب الله وسنة نبيه، غير أنه حتى هذا التاريخ – القرن الثاني للهجرة – لا تبدو على المتصوفة دلائل تأثيرات وافدة من خارج البيئة الإسلامية، ولم يكن لجهد مفكري الصوفية في تأويل المعاني وتخريج دلالات لها، لم يكن لهذا الجهد سلبية متصلة بما يسمى بأعمال القلوب، كما وقع الزعم ذلك قوياً أو واضحاً "[١].

فهذه الحالة إن اعتبرناها بدايات التصوف، أو الغلو في العبادة، فيكفي في بيان بعدها عن الحق، ومخالفتها للزهد، ما تقدم من بيان حقيقة الزهد، وأن الشرع أتى بالاعتدال في كل شيء حتى في العبادة، وعدم التعدي فيها.

ومن أمثلة ما نُقل من الغلو في هذا الجانب، ما نقله أبو طالب المكي[٢] عن أبي سليمان الداربي: " إذا طلب الرجل الحديث، أو تزوج، أو سافر في طلب المعاش، فقد ركن إلى الدنيا "[٣].

فما ذكره مخالف للشرع الذي حث على النكاح ورَغَّب فيه، وأمر بالسعي في الأرض لطلب الرزق.

بل إن أبا حامد الغزالي – وهو من المتصوفة – فرّق بين حقيقة ما جاء به الشرع من التزهد في الدنيا، والاشتغال بالعبادة، وبين من تسموا بالزهاد وهم بعيدون عن الزهد، فأنكر عليهم غرووهم وتعمقهم في العبادة، مما أدى بهم إلى التفريط في جوانب أخرى من الدين[١].

(6) الصوفية معتقداً ومسلكاً للدكتور صابر طعيمة ص (٣١-٣٢).

( ) شيخ الصوفية، أبو طالب المكي محمد بن علي بن عطية، الحارثي، صنف كتابا سماه قوت القلوب على لسان الصوفية ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه، مات سنة ٣٨٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٤ / ١٥١)، سير أعلام النبلاء (١٦ / ٥٣٦).

(2) انظر: قوت القلوب (١ / ٢٣٤)، إحياء علوم الدين (١ / ٦١).

وقد أكد هذا الفرق بعض الباحثين المتأخرين، ومنهم الدكتور عرفان عبد الحميد حيث قال: " وهكذا فرّق العلماء وميزوا بين زهد الصحابة، وزهد النُسَّاك والعباد، الأول: فيه معنى الإيثار والتوسط والاعتدال، والثاني: يدعو إلى الدنيا، والفرار من الناس، واعتزال الخلق، وقطع العلائق مع الخلائق، وممارسة الخلوة والصمت، وقطع الفيافي والقفار "[٢].

وأما ما يلي هذه المرحلة من مراحل التصوف، التي نشأة فيها المصطلحات والطرق الصوفية، وهي كثيرة جداً[٣]، ضلالها وعوارها ظاهر بيّن لمن اطلع على كتب القوم، بل إن بعض رواد هذه الطرق قد آل به الحال إلى الزندقة والعياذ بالله، كأصحاب وحدة الوجود، فلا ينبغي في الأصل أن نقارن بين هذا المراحل التي وصل إليها التصوف مع الزهد الشرعي؛ لأنها بعيدة كل البعد عنه، فضلاً عن أن تقاربه.

وأختم بكلام لأحد الباحثين في التصوف، وهو الدكتور صابر طعيمة، عند حديثة عن التطور التاريخي للتصوف، يقول: " وقد انتهت الدراسة إلى تقرير مؤداه: أن الممارسات الصوفية على اختلاف مشاربها، وطرائق شيوخها، قاعدة هرم، قمته الاعتقاد بعقائد وحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الشهود، تلك العقائد التي اقتبس فلسفتها ومقوماتها وشعائرها، واعتقدها ونقلها إلى بلاد المسلمين: أمثال الحلاج وابن عربي وابن الفارض، ومن

---

(6) انظر: إحياء علوم الدين (٣ / ٤٠٢-٤٠٣).

( ) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص (٦٤).

(2) انظر في مصطلحاتهم: معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني، ومعجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوي، ومعجم الصوفية لممدوح الزوبي، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي لرفيق العجم، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية للدكتور صادق سليم.

وانظر في الطرق الصوفية: الصوفية معتقداً ومسلكاً للدكتور صابر طعيمة، والطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها للدكتور عبد الله دجين السهلي.

ثم تصبح هذه العقائد هي الغاية العظمى والهدف البعيد لمعظم الذين قطعوا أشواطهم التاريخية في ساحات التصوف "[١].

(6) الصوفية معتقداً ومسلكاً ص (٩).

المبحث الثاني:

أهمية إدخال العلماء أصول الإيمان في مصنفات الزهد والورع، وأقسام المصنفات والمصنفين في الزهد.

المطلب الأول: أهمية إدخال العلماء أصول الإيمان في مصنفات الزهد والورع.

إن إدخال السلف - رحمهم الله – أصول الإيمان في مصنفات الزهد يدل على عظيم علمهم، وعميق فهمهم؛ فإنه لما كان طلب الآخرة والرغبة فيها لا يتم إلا بالزهد في الدنيا، حرص السلف على ذكر هذه الأصول في مصنفات الزهد الزهد والورع؛ ليبينوا بذلك أن تحقيق الإيمان بهذه الأصول على أكمل وجه مرتبط برغبة العبد عن الدنيا، بأن لا تكون هي مطلبه ومبتغاه الذي يسعى إليه، وتفصيل ذلك يطول، ولكن لو استعرضنا على عجالة أصول الإيمان؛ لتحقيق هذا الأمر عليها، لظهر لنا جلياً أهمية ربط الإيمان بهذه الأصول بالزهد والورع، كما يلي:

أولاً: الإيمان بالله ﷻ: فإن العبد إذا حقق إيمانه بربه ﷻ، وعلم أنه رب هذا الكون، الذي خلق الدنيا وزهَّد فيها، وخلق الآخرة ورغَّب إليها، وهو الإله المستحق لأن يَصرِف العبد همه وجُل وقته لعبادته، وأن لا ينشغل بملذات هذه الدنيا، وأنه سبحانه له من الأسماء والصفات ما يدل على أنه هو الرزاق المعطي، الذي ملك الدنيا وما فيها، يعطيها بفضله من يشاء، ويمنعها بعدله عن من يشاء، إذا تحقق ذلك عند العبد كان ذلك أدعى له في الزهد والورع، والإقبال على الله؛ لأنه خُلق لعبادة الله، ليس للإنغماس في الدنيا، كما قال سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]، وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها، يكون تثاقله عن طاعة الله، وطلب الآخرة.

ثانياً: الإيمان بالملائكة الكرام عليهم السلام: وذلك أن العبد إذا علم أن الله ﷻ خلق هؤلاء الملائكة لحكم عظيمة، ومن ذلك أنهم ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[2]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3]، وأنهم مع ذلك لا يرون أنهم عبدوا الله حق عبادته، وأنه سبحانه خلقهم على هيئات مختلفة، فيها من العظمة ما يدل على أن خلق هذه الدنيا لا شيء بالنسبة لخلقهم، كما جاء في وصف جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة، كل ذلك داعٍ للعبد أن يكون عبداً لله تعالى مطيعاً لأمره، مجتنباً لنهيه، زاهداً ورعاً في الدنيا وزخرفها.

ثالثاً: الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى: إذا تدبر العبد الآيات التي أنزلها الله تعالى، وجد أنها حاثة له على طلب الآخرة والإقبال عليها، وعدم الاغترار بزخرف الدنيا، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[4].

---

(6) الذاريات:٥٦.

( ) الأنبياء:٢٦.

(2) التحريم:٦.

( ) يونس:٢٥.

رابعاً: الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم: من نظر في سير أنبياء الله تعالى تبين له كيف كان عيشهم في هذه الدنيا، من زهد وورع فيها، ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، واطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجناً لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب؛ فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر، لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور، لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل[1]،وأبلغ وصفٍ لحالهم هو ما قاله النبي ﷺ: " مالي وللدنيا، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة، ثم راح وتركها "[2]، وقوله: " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر أحدكم بما ترجع "[3].

خامساً: الإيمان باليوم الآخر: فمن آمن بهذا اليوم الموعود، الذي وعد الله عباده أنهم مجموعون فيه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[4]، وآمن بما بعده من نعيم وسعادة لأهل الجنة، وعذاب وشقاء لأهل النار، علم أن الرغبة في الآخرة، لا تتم إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين، كما يقول ابن القيم:

" الأول: نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال

(6) انظر: الفوائد لابن القيم ص (١٣٧).

(٢) رواه الترمذي أبواب: الزهد باب : حديث "ما الدنيا الا كراكب استظل" برقم (٢٣٧٧)، وابن ماجه أبواب :باب الفتن : باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤١٠٩)، وغيرهما وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١/٨٠٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب "فناء الدنيا، وبيان الحشر"، برقم (٧١٩٧).

( ) هود:١٠٣.

والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها.

الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما هنا، فهي كما قال الله سبحانه:﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[1]، فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة.

فإذا تم له هذان النظران، آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه.

فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة، إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا آثر الفاني الناقص؛ كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، **وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان**، وضعف العقل والبصيرة. فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها: إما أن يصدِّق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدِّق. **فإن لم يصدِّق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً**، وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيء الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين، **فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان وإما من فساد في العقل وما أكثر ما يكون منهما** "[2].

سادساً: الإيمان بالقدر خيره وشره: وهذا الأصل إذا حققه العبد أكمل تحقيق- وما أكثر ما يقع النقص فيه – علم أن الله ﷻ قد كتب وقدَّر لكل مخلوق نصيبه من الدنيا، فاطمأنت

---

(6) الأعلى:١٧.

( ) الفوائد ص (١٣٦-١٣٧).

نفسه وارتاحت، ويرضى بما جاءه منها؛ لذلك قال أحد السلف: " علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فلست اهتم له، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به "[(١)].

وبعد هذا العرْض يعلم المرء أن تحققت أصول الإيمان وأركانه في قلبه، وعمل بمقتضاها، وأيقن بوعد ربه، وأنه سيفارق هذه الحياة لا محالة، وينتقل إلى حياة أخرى، تبدأ بالقبر وما فيه من عذاب ونعيم، وتنتهي إما بجنة أو بنار، من علم هذا كله، وآمن به إيماناً صادقاً، لا شك أنه سيكون زاهداً في هذه الدنيا، فارغاً قلبه منها، إلا فيما يعينه على ما يحقق به ذلك الإيمان المطلوب منه.

وبهذا يظهر سبب إدراج أهل العلم هذه الأصول ضمن مصنفات الزهد والورع.

(6) حلية الأولياء لأبي نعيم (٨ / ٧٣)، شعب الإيمان للبيهقي (٢ / ٤٥٦).

المطلب الثاني: أقسام المصنفين، والمصنفات في الزهد.

- **أقسام المصنفين في الزهد.**

قسَّم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – طرق المصنفين في الزهد إلى عدة طرق:

الطريقة الأولى: الاعتماد في التأليف على المأثور عن الأنبياء، صلوات اللّه عليهم من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، ثم المأثور من طريق الصحابة رضي الله عنه والتابعين رحمهم الله، ولم يذكر من بعدهم(١).

ومن الكتب التي صنفت على هذه الطريقة:

١- كتاب (الزهد) لابن المبارك(٢).

٢- كتاب (الزهد) للإمام أحمد.

٣- وكتاب (الزهد) لهناد بن السري(٣). رحمهم الله تعالى جميعاً.

الطريقة الثانية: طريقة من ذكر في تأليفه زهد المتقدمين، والمتأخرين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٤) بتصرف يسير .

( ) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي الحافظ، شيخ الإسلام، قدوة الزاهدين المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، له كتاب في الجهاد، وهو أول من صنف فيه، والرقائق، توفي بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم سنة ١٨١هـ. تاريخ دمشق (٣٢ / ٣٩٦)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١ / ٢٠٢)، وفيات الأعيان (٣ / ٣٢).

(2) هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي، محدث، زاهد، من حفاظ الحديث، كان شيخ الكوفة في عصره. ويقال له " راهب الكوفة "، سئل أحمد بن حنبل عمن نكتب بالكوفة؟ قال: عليكم بهناد، له كتاب الزهد، توفي سنة ٢٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٦٥).

ومن الكتب التي صنفت على هذه الطريقة:

١- كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني[١].

٢- وكتاب (صفوة الصفوة) لأبي الفرج بن الجوزي[٢].

الطريقة الثالثة : طريقة من اقتصر على ذكر المتأخرين، من حين حدث اسم الصوفية.

ومن الكتب التي صنفت على هذه الطريقة:

١- كتاب (طبقات الصوفية) لأبي عبد الرحمن السلمي.

٢- وكتاب (الرسالة القشيرية) لأبي القاسم القشيري[٣].

(6) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان، من تصانيفه، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ودلائل النبوة، وذكر أخبار أصبهان، توفي سنة ٤٣٠هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٨/٤)، طبقات المدلسين (١ / ١٨)، السير للذهبي (١٧ / ٤٥٤)، الأعلام للزركلي (١ / ١٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٨٥٠/١١) بتصرف .

(٣) مجموع الفتاوى (٨٥٠/١١) بتصرف .

- **أقسام المصنفات في الزهد.**

المصنفات في موضوع الزهد على نوعين:

النوع الأول : المصنفات المسندة.

صنف جمع كبير من أهل العلم مصنفات في الزهد والورع رووها بالأسانيد، أذكر منها هنا ما وقفت عليه، أو وقفت على من ذكره.

١- الزهد لعبد الله بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ)[١]. (مطبوع):

٢- الزهد: لأبي مسعود المعافى بن عمران الموصلي (ت ١٨٥هـ)[٢]. (مطبوع)

٣- الزهد: لوكيع بن الجراح الرؤاسي (ت ١٩٧هـ)[٣]. (مطبوع)

٤- الزهد: لأسد بن موسى الملقب بأسد السنة (ت ٢١٢هـ)[٤]. (مطبوع)

٥- الزهد: لأحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)[٥]. (مطبوع)

٦- الزهد: لهناد بن السري الكوفي (ت ٢٤٣هـ)[٦]. (مطبوع)

٧- الزهد: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٥٧هـ)[٧]. (مطبوع)

٨- الزهد: أبل حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٢٧٧هـ)[١]. (مطبوع)

---

(6) انظر: الفهرست لابن النديم (١ / ٣١٩)، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (١/١٧٥ الجزء الأول).

( ) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١ / ٢١٠).

(2) أفاض الحديث عنه محققه الدكتور عبد الرحمن الفريوائي.

( ) انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي ص (٢٣٧).

( ) المصدر السابق ص (٢٣٦).

(1) انظر: تاريخ التراث العربي (١/٢١١ الجزء الأول).

(1) انظر: كشف الظنون (٢/١٤٢٣).

٩- الزهد: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٢هـ)[٢]. (مطبوع)

١٠- الزهد: لأبي سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي (ت٣٤٠هـ)[٣]. (مطبوع)

١١- الفوائد والزهد والرقائق والمراثي:لأبي محمد جعفر بن محمد الخلدي (ت٣٤٨هـ)[٤]. (مطبوع)

١٢- الزهد الكبير: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)[٥]. (مطبوع)

١٣- الزهد: لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)[٦]. (المطبوع منه هو منتخب من الأصل)

١٤- زيادات على زهد ابن المبارك: لنعيم بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٨هـ)[٧]. (مطبوع)

١٥- زيادات على زهد ابن المبارك: لأبي عبد الله الحسين بن الحسن المورزي (ت ٢٤٦)[٨]. (مطبوع)

١٦- الزهد: لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)[٩]. (مطبوع)

---

(6) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٨/١ الجزء الأول).

( ) انظر: التحبير في المعجم الكبير (٢ / ٢٧٦).

(2) انظر: المعجم المفهرس لابن حجر ص (٩٠)

( ) انظر: تاريخ التراث العربي (١٥٧/١ الجزء الرابع).

( ) انظر: المصدر السابق ص (٩٠).

(1) انظر: المعجم المفهرس لابن حجر ص (٩٠)

(1) هذه الزيادات ملحقة في زهد ابن المبارك في دار الكتب العلمية بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

(1) وقد أدرج الشيخ الأعظمي هذه الزيادات مع الزهد لابن المبارك؛ لذلك عند نقلي لأثر من رواية أبي عبد الله الحسين، فإني أبين أنه من روايته عن شيوخه.

(1) قال ابن النديم في الفهرست: زهد مالك بن دينار ص (٢٦٢)، وقال محقق الكتاب: هو نفسه كتاب ذم الدنيا. مقدمة المحقق ص (١٣).

١٧- زهد الثمانية من التابعين لعلقمة بن مرثد: رواية ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)[١]. (مطبوع)

١٨- الورع: لأحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)[٢]. (مطبوع)

١٩- الورع: لأبي بكر أحمد بن علي المروذي أخذه عن الإمام أحمد (ت٢٧٥هـ)[٣]. (مطبوع)

٢٠- الورع: لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)[٤]. (مطبوع)

وسأذكر هنا ما لم أقف عليه من كتب الزهد أو الورع، وأغلبها في عداد المفقود، مستفيداً في ذلك من مقدمة كتابي الزهد لوكيع وهناد بتحقيق الدكتور عبد الرحمن الفريوائي [٥]، فقد اجتهد في حصر أسماء هذه الكتب، وما فاته منها فإني أحيل في الحاشية إلى من ذكره من أصحاب كتب الفهارس.

٢١- الزهد: لأبي الصلت زائدة بن قدامة الكوفي (ت ١٦٠هـ).

٢٢- زيادات على زهد ابن المبارك: ليحيى بن صاعد (ت ٣١٨هـ).

٢٣- الزهد: لمحمد بن فضيل بن غزوان (ت ١٩٥هـ).

٢٤- الزهد: لسيار بن حاتم (ت ٢٠٠هـ أو قبلها).

---

(6) انظر: المعجم المفهرس ص (١٨٤).

( ) انظر: المعجم المفهرس ص (٩١).

(2) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ١٧٣)، ونسبه خطأً في تاريخ التراث لأبي بكر المروزي أحمد بن علي (٣١٧/١ الجزء الأول) انظر: مقدمة محققه ص (هـ).

( ) انظر: الفهرست لابن النديم ص (٢٦٢)، فهرسة ابن خير ص (٢٤٨).

( ) انظر: مقدمة كتاب الزهد لوكيع (١/ ١٤٤-١٥٣)، مقدمة كتاب الزهد لهناد (١/٧-٨).

٢٥- الزهد: لأبي عثمان سعيد بن منصور المروزي (ت ٢٢٧هـ).

٢٦- الزهد: لأبي عبد الله أحمد بن حرب النيسابوري (ت ٢٣٤هـ).

٢٧- الزهد: لأبي بكر ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ).

٢٨- الزهد: لحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ).

٢٩- زهد ابن سيرين وأيوب ووهيب بن الورد وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص: لأحمد بن إبراهيم الدورقي (ت ٢٧٤هـ).

٣٠- الزهد: لأبي إسحاق بن إبراهيم الختلي (ت ٢٦٠هـ).

٣١- ذم الدنيا والزهد فيها: لأبي جعفر بن محمد بن المثنى السمار (ت ٢٦٠هـ).

٣٢- الزهد: لأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي (ت ٢٦٤هـ).

٣٣- الزهد: لجعفر بن شاكر الصائغ (ت ٢٧٩هـ).

٣٤- الروضة في الزهد: لمحمد بن أحمد العبدي (ت ٢٩٠هـ).

٣٥- الزهد لإبراهيم بن أدهم: لمحمد بن الحسن بن قتيبة (ت ٣١٠هـ).

٣٦- الزهد: لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).

٣٧- زهد الثمانية من التابعين لعلقمة بن مرثد: رواية ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ).

٣٨- الزهد: لمحمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ).

٣٩- الزهد: لأبي أحمد محمد الشعيبي من شيوخ الحاكم (ت ٣٥٧هـ).

٤٠- الزهد: لمحمد بن إسماعيل الشكلي.

٤١- الزهد: لابن شاهين أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان (ت ٣٨٥هـ).

٤٢- الزهد: لأبي القاسم خلف بن القاسم ابن الدباغ (ت ٣٩٣هـ).

٤٣- الزهد: لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ).

٤٤- ذم الدنيا والزهد فيها: لإسماعيل بن علي الأسترابادي (ت ٤٤٨هـ).

٤٥- رسالة في الزهد: لعتبة بن أبان البصري المعروف بعتبة الغلام.

٤٦- الزهد: لعبد الله بن وهب بن مسلم (ت ١٩٧هـ).

٤٧- الزهد والرقائق: لأبي جعفر محمد بن الحسين البرجلاني (ت ٢٣٨هـ).

٤٨- الزهد: لعبد العزيز بن يحيى الكناني (ت ٢٤٠هـ).

٤٩- شمائل الزهاد:لأبي عبد الله محمد بن عقيل البلخي (ت ٣١٦هـ).

٥٠- الحديث في الزهد: لأبي الحسن علي بن محمد المصري البغدادي (ت ٣٣٨هـ).

٥١- الزهد الكبير: لأبي الحسن علي بن محمد المصري البغدادي (ت ٣٣٨هـ).

٥٢- الزهد وأخبار الزهاد: لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ).

٥٣- حياة القلوب في الزهد والحكم: لأبي عبد الله محمد بن عبدون القرطبي المعروف بابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)[1].

٥٣- الزهد: لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان النيسابوري (ت ٤٠٧هـ).

٥٤- شفاء الصدور في الزهد والرقائق: لعبد الرحمن بن محمد القرطبي (ت ٥٢٠هـ).

---

(6) انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (١ / ٤٢٤).

٥٥- الزهد: لأبي محمد الحسين بن سعيد الأهوازي فقيه شيعي (كان على قيد الحياة نحو سنة٣٠٠هـ)[1].

٥٦- الورع: لمحمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ).

(6) انظر: تاريخ التراث (٢٨٨/١ الجزء الثالث)،وهذا الكتاب قد ذكره الفريوائي ووثقته لعدم ذكره سنة وفاته ومذهبه.

النوع الثاني : المصنفات غير المسندة .

إن الكتب غير المسندة التي صُنفت في موضوع الزهد والورع غالباً لم يسميها مصنفوها باسم: كتاب الزهد، أو الورع، وإنما قد تأخذ أسماء أخرى، ولكن فحواها اشتمل على مسائل في الزهد وما يتعلق به؛ ولذلك كان من الصعب الوقوف على كل ما أُلف بهذه الطريقة؛ لأن ذلك يحتاج جهداً في الاطلاع على محتويات كثير من الكتب، ليُعلم هل اشتملت على مسائل الزهد، ولكني أذكر هنا بعض الكتب التي اشتُهرت بالكلام عن أعمال القلوب والجوارح، والآداب التي لها صلة بالزهد؛ أو التخويف من النار، والترغيب في طلب الجنة؛ ولهذا سأكتفي باسم الكتاب واسم صاحبه دون الإشارة إلى من ذكره من أصحاب الفهارس؛ وذلك بسبب شهرتها وانتشارها بأيدي الناس وتعدد طبعاتها في المكتبات، فأحببت أن لا أثقل الحواشي بذكر المصادر التي تعرضت لها، إلا إن رأيت أن بعضها قد لا يكون مشتهراً مقارنة بغيره فسأذكر من نصَّ عليه، وإلا فكلها مطبوعة.

وأكثر من كان له باع في هذه المصنفات من أهل العلم المتأخرين: ابن الجوزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهم الله؛ ولذا سأبدأ بذكر كتبهم أولاً، ثم أعرّج على الآخرين:

١- مؤلفات ابن الجوزي، ومنها:

- تلبيس إبليس. - التذكرة في الوعظ. - صفة الصفوة[١].

- صيد الخاطر[٢]. - بستان الواعظين ورياض السامعين[٣].

---

(6) انظر: معجم الكتب لابن المبرد ص (٧٩).

( ) وهذا خصص فيه ابن الجوزي فصلين ذكر في أحدهما نصيحة للزهاد، وفي الآخر شبه في الزهد.

(2) انظر: كشف الظنون (١ / ٢٤٤).

٢- مؤلفات ابن تيمية، ومنها:

- التحفة العراقية في الأعمال القلبية. -كتاب الاستقامة.

- أمراض القلوب وشفاؤها. - الزهد والورع والعبادة.

- مجموع الفتاوى (المجلدان العاشر والحادي عشر). وهذه المؤلفات الآنفة الذكر بعضها أُفرد من مجموع فتاواه.

٣- مؤلفات ابن القيم، ومنها:

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. - روضة المحبين.

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. - طريق الهجرتين وباب السعادتين.

- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان[١].

٤- أدب الدنيا والدين. لأبي الحسن علي الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠هـ)[٢].

٥- الرقة والبكاء. لموفق الدين أبي محمد عبد الله ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)[٣].

٦- الأداب الشرعية. لابن مفلح عبد الله بن محمد المقدسي (ت ٧٦٣هـ).

٧- الاكتساب في الرزق المستطاب. لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)[٤].

---

(6) ذكر - رحمه الله - فيه أبوابا في ما يعرض للقلب من أمراض وذكر دوائها، ثم ذكر مكايد الشيطان للناس في أمور كثيرة منها: الزهد والتصوف وغير ذلك...

( ) انظر: المعجم المفهرس ص (٤٠١).

(2) انظر: معجم الكتب لابن المبرد ص (٩٦).

( ) انظر: هدية العارفين (٢/٨).

٨- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل. لأبي محمد علي ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)[١].

٩- قمع الحرص بالزهد والقناعة. لأبي عبد الله محمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)[٢].

١٠- مختصر منهاج القاصدين. ، لأبي العباس نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩هـ).

١١- أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم. لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)[٣].

١٢- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس. لأبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)[٤].

١٣- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار. لابن رجب[٥].

١٤- الزهر الفاتح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح. لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٨٣هـ)[٦].

فهذي بعض كتب أهل العلم التي تضمنت موضوع الزهد وما له صلة به، نسأل الله الذي له الدنيا والآخرة أن يرزقنا زهد الصالحين المتقين، وأن يورثنا جنات النعيم.

---

(6) انظر: كشف الظنون (٢ / ١٦٤١).

( ) انظر: هدية العارفين (١/١٢٩).

(2) انظر: كشف الظنون (١ / ٢٦٠).

( ) انظر: معجم الكتب ص (١١٢).

( ) انظر: هدية العارفين (١ / ٥٢٧).

(1) انظر: إيضاح المكنون (١ / ٦١٨)

الفصل الأول :

الإيمـان باللـه :

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : **فضائل التوحيد وما يترتب عليه**.

المبحث الثاني : **توحيد الربوبية**.

المبحث الثالث : **توحيد الألوهية**.

المبحث الرابع : **توحيد الأسماء والصفات**.

المبـحـث الأول :

فضائل التوحيد وما يترتب عليه :

وفيه تمهيد، ومطلبان :

المطلب الأول : **فضل التوحيد وثمراته** .

المطلب الثاني : **فضل كلمة التوحيد** (**لا إله إلا اللّٰه**).

تمهيد:

قبل الكلام فيما يتعلق بـ «فضل التوحيد وثمراته» يحسن التعريف بلفظ (التوحيد)، وذكر أقسامه:

التوحيد لفظ شرعي قد ورد في السنة النبوية في نصوص منها:

حديث معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن أنه قال له: " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه **يوحدوا الله تعالى** "(١)، وفي رواية: " **توحيد الله** "(٢).

وعن جابر ﷺ في وصف حجة النبي ﷺ أنه قال: "**فأهلَّ بالتوحيد**، لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك"(٣).

وعنه ﷺ في صفة قراءة النبي ﷺ في ركعتي المقام: " **فقرأ فيها بالتوحيد**، وقل يا أيها الكافرون"(٤).

وعنه أيضا ﷺ عن ﷺ أنه قال: "يُعذب ناس **من أهل التوحيد** في النار حتى يكونوا حمماً فيها، ثم تدركهم الرحمة، فيُخرجون، فيلقون على باب الجنة "(٥).

وجاء أيضا عن النبي ﷺ قوله في نذر والد هشام بن العاص: " أما أبوك فلو كان **أقر بالتوحيد** "(٦).

وقد قدمت هذه النصوص الدالة على لفظ التوحيد ، لكثرة المنكرين لهذا اللفظ الوارد في الشرع، فكان لزاما أن تُذكر هذه النصوص حتى يُعلم أن لفظ التوحيد ليس لفظا حادثا، بل

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى"، برقم (٧٣٧١).

(٢) وهي عند الدار قطني في سننه (٣/٥٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب"حجة النبي ﷺ"، برقم (٢٩٥٠).

(٤) رواه أحمد في المسند (٢٢ / ٣٢٦)، وهو قطعة من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ الذي أخرجه، وهذه الجملة جاءت عند أحمد وصححها شعيب الأرنؤوط.

(٥) مسند أحمد (٢٣ / ٣٧٤)، قال الألباني: "قال الترمذي : حديث حسن صحيح، قلت: وهو على شرط مسلم". السلسلة الصحيحة (٥/٥٨٠).

(٦) مسند أحمد (١١ / ٣٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٨٧٣).

هو لفظ شرعي.

تعريف التوحيد:

التوحيد في اللغة:

كلمة التوحيد في اللغة ترجع إلى لفظة "وَحَدَ"، وفروع هذه الكلمة تدور على معنى الانفراد وانقطاع المثل والنظير.

ففي معنى الانفراد يقول الخليل بن أحمد: " الوحد المنفرد، رجل وحد... والرجل الوحيد ذو الوحدة وهو المنفرد ... وقد وحد يوحد وحادة ووحدة ووحدا "(١).

وفي معنى الانقطاع وعدم المثيل يقول ابن فارس: "الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله"(٢).

ورجل واحد متقدم في بَأْس أو علم أو غير ذلك كأنه لا مثل له فهو وحده لذلك(٣).

فمعنى التوحيد في اللغة: جعل الشيء واحداً، أو الحكم على الشيء بأنه واحد، أو نسبة الشيء إلى الوحدانية.

وعليه فتوحيد الله معناه: أنْ تجعل الله واحداً، وتفرده بما يختص به.

وقد اعترض السفاريني – رحمه الله – على القول في التعريف " أن تجعل الله واحداً ".

وقال: " فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل"(٤).

ولكن هذا الاعتراض منه – رحمه الله – متعَقَّبٌ؛ وذلك لأن الجعل يأتي ويراد به تصيير الشئ على حالةٍ دون حالة، كما في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾(٥)،

---

(١) العين (٣ / ٢٨٠)، وانظر: تاج العروس للزبيدي (٩ / ٢٧٥).

(٢) مقاييس اللغة (٦/٩٠).

(٣) انظر: لسان العرب (٦ / ٤٧٧٩).

(٤) لوامع الأنوار (١ / ٥٧).

(٥) البقرة:٢٢.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾[١].

ويأتي بمعنى الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلا، فأما الحق فنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢]، وأما الباطل فنحو قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[٣]، فليس المقصود هنا أن المراد أنهم صيّروهم أو خلقوهم، وإنما المقصود أنهم حكموا على الملائكة بأنهم إناث، وكذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾[٤]،[٥]ونحو ذلك من الآيات.

تعريف التوحيد اصطلاحا:

تنوعت عبارات أهل العلم في تعريف التوحيد في الاصطلاح، ومن هذه التعاريف، تعريفه بأنه: إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات[٦].

وقد دلَّت النصوص على أنَّ الله واحدٌ في ربوبيته، واحدٌ في إلهيته، واحدٌ في أسمائه وصفاته.

فالتوحيد إذاً في الكتاب والسنة راجع إلى توحيد الربوبية، و توحيد الإلهية، و توحيد الأسماء والصفات[٧]، وهذا على التقسيم المشهور أنه ثلاثة أقسام. وهو باعتبار تعلقه بالله.

---

(١) الزُّخرُف:٣.

(٢) القصص:٧.

(٣) الزُّخرُف:١٩.

(٤) الأنعام:١٣٦.

(٥) انظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني (١ / ٩٤)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣ / ١٠٩٥).

(٦) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٢٣)، لوامع الأنوار للسفاريني (١ / ١٢٨) تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله ص (٤٤)، القول السديد للسعدي ص (١٠) ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، القول المفيد لابن عثيمين (١ / ٨).

(٧) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/٢٢٦)، مدارج السالكين (١ / ٢٣)، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (٢٧)، فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ص (١٤-١٥-١٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٣/٤٨٨-٤٩٠).

وقسّمه بعض أهل العلم إلى قسمين، ولكنهما يرجعان إلى الأقسام الثلاثة المذكورة آنفا:

الأول: التوحيد العلمي. وذلك لتعلقه بالأخبار والمعرفة.

الثاني: التوحيد القصدي الإرادي. وذلك لتعلقه بالقصد والإرادة.

وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية وتوحيد في الإلهية فهذه ثلاثة أنواع[١].

وهذا التقسيم هو باعتبار ما يجب على العبد.

يقول الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[٢] . فهذه الآية العظيمة اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة:

فقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾، اشتمل على توحيد الربوبية .

وقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، اشتمل على توحيد توحيد الألوهية.

وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، اشتمل على توحيد توحيد الأسماء والصفات.

يقول الشيخ ابن سعدي – رحمه الله – مبيناً دلالة الآية على ذلك: " اشتملت على أصول عظيمة: على توحيد الربوبية وأنَّه تعالى ربُّ كلِّ شيء وخالقُهُ ورازقُهُ ومدبِّرُه، وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنَّه تعالى الإله المعبود، وعلى أنَّ ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده؛ ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ الدالة على السبب، أي فكما أنَّه ربُّ كلِّ شيء فليكن هو المعبود حقّاً...واشتملت على أنَّ الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرَّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات "[٣].

إذاً فهذا التقسيم للتوحيد جاء عن طريق استقراء النصوص الشرعية، وليس تقسيما اصطلاحيا اصطلحه العلماء.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١ / ٢٣).

(٢) مريم:٦٥.

(٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية لابن سعدي ص (٦٠).

قال الشيخ الأمين رحمه الله: "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[١] ، وقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٢] ، وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] ، تجاهل من عارف أنه عبد مربوب. بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٥]، وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٦]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً.

الثاني: توحيده جلَّ وعلا في عبادته. وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلاَّ الله» وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت، في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت، ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جلَّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[٧] .

---

(١) الزُّخرُف:٨٧.

(٢) يونس:٣١.

(٣) الشعراء:٢٣.

(٤) الإسراء:١٠٢.

(٥) النمل:١٤.

(٦) يوسف:١٠٦.

(٧) ص:٥.

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[1] ، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2] ، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[4] ، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[5] ، فقد أمَر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إنما أوحي إليه محصور في هذا هذا النوع من التوحيد. لشمول كلمة «لا إله إلاَّ الله» لجميع ما جاء في الكُتب. لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده. فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتْبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث: توحيده جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته. وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:

الأول: تنزيه الله جلَّ وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[6].

والثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه. أو وصفه به رسول الله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[7]، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

---

(١) محمد:١٩.

(٢) النحل:٣٦.

(٣) الأنبياء:٢٥.

(٤) الزُّخرُف:٤٥.

(٥) الأنبياء:١٠٨.

(٦) الشورى:١١.

(٧) الشورى:١١.

﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾[(١)] "[(٢)].

فظهر بهذا النقل أن تقسيم التوحيد حقيقة شرعية مستمدة من أدلة الكتاب والسنة، وليس أمرا اصطلاحيا أحدثه بعض العلماء.

فهذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف: أشار إليه ابن منده[(٣)]، وابن جرير جرير الطبري[(٤)]، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم في كتبهما، وقرره الزبيدي[(٥)] في (تاج العروس)، والشنقيطي في (أضواء البيان) وآخرين [(٦)].

وقد تظهر فائدة هذا التقسيم في أمرين:

الأول: إيضاح معنى التوحيد.

الثاني: معرفة منشأ المخالفة عند المخالفين لأهل السنة في حقيقة التوحيد.

---

(١) طه: ١١٠.

(٢) أضواء البيان (٣ / ٤٨٨).

(٣) الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني، سمع من ألف وسبعمائة شيخ، كان من كبار حفاظ الحديث، الراحلين في طلبه، له مصنفات منها: التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ، وصفاته على الاتفاق والتفرد، وفتح الباب في الكنى والألقاب، مات سنة ٣٩٥هـ. انظر: العبر في خبر من غبر (٢ / ١٨٧)، شذرات الذهب (١٤٦/٣)، طبقات الحنابلة (٢ / ١٦٦).

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، طلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، صاحب التصانيف البديعة منها: أخبار الرسل والملوك، وجامع البيان في تفسير القرآن، توفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢٦٧) طبقات المفسرين للسيوطي (١ / ٨٢).

(٥) أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، له مصنفات كثيرة منها: تاج العروس في شرح القاموس، إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي، مات سنة ١٢٠٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧ / ٧٠).

(٦) وللاستزادة في موضوع تقسيم التوحيد ومن أشار إلى هذا التقسيم من المتقدمين. انظر: كتاب (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للدكتور عبد الرزاق البدر).

المطلب الأول : فضل التوحيد وثمراته .

١ – قال الحسين بن الحسن: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يقول الله: من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاء مثلها أو أغفر ومن عمل قراب[1] الأرض خطيئة، ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه ذراعا ومن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعاً[2]، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة "[3].

٢ – قال الحسين بن الحسن: أخبرنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:" لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة منهم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا "[4].

٣ – قال وكيع: حدثنا الأعمش[5]، عن أبي وائل[6]، عن عبد الله[7]، قال: قلنا يا رسول رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ فقال: " من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في

---

(١) (قراب الشيء بالكسر، وقرابه وقرابته) أي: ما يقارب ملأها. انظر: لسان العرب (٥ / ٣٥٦٧)، تاج العروس من جواهر القاموس (٤ / ١٥).

(٢) (الباع): مصدر باع يبوع، وهو بسط الباع، والإبل تبوع في سيرها... والرجل يبوع بماله، إذا بسط به باعه، وقيل: الباع قدر مد اليدين، وقيل: هو مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يمينا وشمالا. انظر: مقاييس اللغة (١ / ٣١٨)، لسان العرب (١ / ٣٨٧)، مختار الصحاح ص (٧٣)، المصباح المنير (١ / ٣٩).

(٣) رواه ابن المبارك الزهد ط. الأعظمي ص (٣٠٤)، وهو من زيادات تلميذه الحسين بن الحسن وستأتي ترجمته، وهو عند مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب "فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن به"، برقم (٦٨٣٣) .

(٤) رواه ابن المبارك الزهد ط. الأعظمي ص (٤٣٨)، وهو من زيادات تلميذه الحسين بن الحسن، ورواه البخاري بنحوه، كتاب: الدعوات، باب "لكل نبي دعوة مستجابة"، برقم (٦٣٠٤)، ورواه مسلم كتاب: الإيمان، باب "في قول النبيﷺ أنا أول من يشفع..."، برقم (٤٩١) .

(٥) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، ثقة لكنه يدلس مات سنة ١٤٧ أو ١٤٨هـ . التقريب لابن حجر (٢٦٣٠) .

(٦) شقيق بن سلمة الأسدي ، أبو وائل الكوفي، ثقة، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة. التقريب (٢٨٣٢).

(٧) عبد الله هو ابن مسعود الصحابي ﷺ.

الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر " [١].

٤ – قال نعيم بن حماد: أنا جعفر بن حيان[٢]، عن الحسن[٣]، قال: " لا يزال العبد إذا قال قال لله، وإذا عمل يعمل لله "[٤].

٥ – قال نعيم بن حماد: أنا أسامة بن زيد، عن عبد الرحمن بن جويرث، عن محمد بن جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال: " قال الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي إذا قبضت صفيه[٥] من أهل الدنيا، وأخذته منه، إلا الجنة "[٦].

٦ – قال ابن المبارك: أنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا "[٧].

٧ – قال وكيع: حدثنا الأعمش[٨]، عن زيد بن وهب الجهني[٩]، عن عبد الرحمن بن عبد

---

(١) رواه وكيع في الزهد (١ / ٣٢١)، ورواه البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب " إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة"، برقم (٦٩٢١)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب" هل يؤاخذ باعمال الجاهلية؟"، برقم (٣١٩) .

(٢) جعفر بن حيان السعدي أبو الأشهب العطاردي البصري مشهور بكنيته، ثقة، مات سنة١٦٥هـ. التقريب (٩٤٣) .

(٣) الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلس، مات سنة ١١٠هـ. ا التقريب (١٢٣٧) .

(٤) زيادات الزهد لنعيم بن حماد ص(٤٥٠) .

(٥) صفي الرجل: الذي يصافيه الود ويخلصه له. لسان العرب لابن منظور (٤ / ٢٤٦٩)، تاج العروس (٣٨ / ٤٢٨).

(٦) زيادات الزهد لنعيم بن حماد ص (٤٥٧) ، ورواه البخاري بزيادة "ثم احتسبه"، كتاب: الرقاق، باب "العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى فيه سَعْد"، برقم (٦٤٢٤) .

(٧) زيادات الزهد لنعيم بن حماد ص (٥٢٧) ، رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب "صفة الجنة والنار"، برقم (٦٥٤٩)، ومسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب "إحلال الرضوان على أهل الجنة.."، برقم (٧١٤٠) .

(٨) تقدم.

(٩) زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي، ثقة جليل، لم يصب من قال: في حديثه خلل، مات سنة بعد ٨٠هـ، وقيل ٩٦هـ. التقريب (٢١٧٢).

عبد رب الكعبة[١]، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: " من أحب أن يزحزح[٢] عن النار ويدخل الجنة، فلتدركه منيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه "[٣].

٨ – قال أسد بن موسى: نا ابن لهيعة[٤]، ثنا أبو الزبير[٥]، أنه سأل جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الورود، فقال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " نحن يوم القيامة على كوم[٦] فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد ، الأول فالأول، حتى يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل، فيقول: أنا ربكم، فيقولون:حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك " قال جابر: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: " ثم ينطلق ويتبعونه ".[٧]

٩ – قال عبد الله[٨]: حدثنا محمد بن عبد الرحمن العنبري أبو عبد الله[٩]، حدثنا يوسف

---

(١) عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة العائذي، أو الصائدي، الكوفي، ثقة، من الثانية. التقريب (٣٩٥٧).

(٢) الزاء والحاء يدل على البعد. يقال زحزح عن كذا، أي بوعد. وزُحْزِحَ أَي نُحِّي وبُعِّد وزَحَّ الشيء يَزُحُّه زَحّاً جذبه في عجلة قال ذو الرمة: يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا*وغافر الذنب زحزحني عن النار. انظر: مقاييس اللغة (٣ /٧)، لسان العرب (٣ / ١٨١٦).

(٣)رواه وكيع في الزهد (٢/ ٥٠٧)، ورواه مسلم بنحوه مطولاً، كتاب: الإمارة، باب "وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول"، برقم (٤٧٧٦).

(٤) عبد الله بن لهيعة ابن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري القاضي، صدوق، خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، مات سنة ١٧٤هـ. التقريب (٣٥٨٧) .

(٥) محمد بن مسلم بن تدرس القرشي الأسدي، أبو الزبير المكي، صدوق إلا أنه يدلس، مات سنة ١٢٦هـ. التقريب (٦٣٣١).

(٦) (كوم) الكاف والواو والميم: أصل صحيح يدل على تجمع في شيء مع ارتفاع فيه، من ذلك الكوماء: وهي الناقة الطويلة السنام. مقاييس اللغة (٥ / ١٤٨)، المصباح المنير (١ / ٢٨١).

(٧) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٥٤)، ورواه أحمد في المسند (٢٣ / ٦٤)، والدارمي في الرد على الجهمية (٩٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٨/٩)، وجاء بنحوه عند مسلم، كتاب: الإيمان، باب "أدنى أهل الجنة منزلة فيها"، برقم (٤٦٩)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة الحديث: حسن بهذا السند (٦ / ٥٧٣).

(٨) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الرحمن، ولد الإمام، ثقة، مات سنة ٢٩٠هـ. التقريب (٣٢٢٢).

(٩) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد العنبري، أبو عبد الله البصري، لقبه (زيتونة)، ثقة، من الحادية عشر. التقريب (٦١١٦).

يوسف بن كامل[1]، حدثنا بكير بن أبي السميط[2]، عن قتادة[3]، حدثنا أبو الحجاج[4] قال: قال: قال معاذ بن جبل ﷺ: " من علم أن الله ﷻ حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة "[5].

١٠ – قال هناد: حدثنا عبيدة بن حميد[6]، عن عطاء بن السائب[7]، عن مجاهد[8]، عن عن ابن عباس ﷺ قال: " ما يزال الله تبارك وتعالى يدخل الجنة، ويشفع حتى يقول: ومن كان مسلماً فليدخل الجنة، فذلك قوله:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[9].[10]

---

(١) يوسف بن كامل العطار. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩ / ٢٢٨)، وأورده ابن حبان في الثقات (٩ / ٢٨٠).

(٢) بكير بن أبي السميط بفتح المهملة، ويقال: بالضم، المِسمَعي المكفوف، بصري، صدوق، من السابعة. التقريب (٧٦٤).

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطاب البصري ، ثقة ثبت، مات سنة١٠٠ وبضع عشرة للهجرة. التقريب (٥٥٥٣).

(٤) لم أجده.

(٥) الزهد لأحمد بن حنبل ص (٢٦٤)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٨٨٨)، ، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٩/٢٠) من طريق ابن الديلمي عن معاذ ﷺ بلفظ مقارب، ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٢٥/١٠)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة ص (٣٨٧)، وجاء عند غيرهم بمعناه.

(٦) عبيدة بن حميد بن الكوفي، أبو عبد الرحمن، المعروف بالحذّاء التيمي، أو الليثي، أو الضبي، صدوق ربما أخطأ، مات سنة١٩٠هـ. التقريب (٤٤٤٠) .

(٧) عطاء بن السائب أبو محمد، ويقال أبو السائب الثقفي الكوفي، ، صدوق اختلط، مات سنة ١٣٦هـ. التقريب (٤٦٢٥).

(٨) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام في التفسير و في العلم، مات سنة ١٠١ أو ١٠٢ أو ١٠٣ أو ١٠٤هـ. التقريب (٦٥٢٣).

(٩) الحِجر:٢.

(١٠) رواه هناد في الزهد (١ / ١٤٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤ / ١٠)، والحاكم في مستدركه (٢ / ٤١٧) نحوه من رواية جرير عن عطاء، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في البعث والنشور ص (٨٩) نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨ / ٥٨٥) لسعيد بن منصور وهناد في الزهد وابن جرير وابن المنذر والحاكم في مستدركه والبيهقي في البعث والنشور كلهم عن ابن عباس ﷺ.

و فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، ورواية عبيدة بن حميد عنه لم تتميز. انظر:تحقيق : أحمد إبراهيم،لكتاب "البدور السافرة في أمور الآخرة" للسيوطي (٢ / ٢٥٨).

١١ – قال هناد: حدثنا ابن المبارك[١]، عن المسعودي[٢]، عن محمد بن عبد الرحمن[٣]، الرحمن[٣]، عن عيسى بن طلحة[٤]، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لا يلج[٥] النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع[٦]، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ونار جهنم "[٧].

١٣ – قال أبو حاتم: حدثنا الأويسي[٨]، حدثنا ابن أبي الزناد[٩]، عن موسى بن عقبة[١٠]، عن رجل من ولد عبادة بن الصامت[١١]، عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم ، المروزي، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جُمعت فيه خصال الخير، مات سنة ١٨١هـ. التقريب (٣٥٩٥) .

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي، المسعودي، صدوق اختلط قبل موته، وضابطه: أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط، مات سنة ١٦٠ وقيل: ١٦٥هـ. التقريب (٣٩٤٤).

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن عبيد القرشي الكوفى ، مولى آل طلحة ، ثقة، من السادسة. التقريب (٦١١٧).

(٤) عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، أبو محمد المدني، . ثقة، مات سنة ١٠٠هـ. التقريب (٥٣٣٥).

(٥) الواو واللام والجيم: كلمة تدل على دخول شيء، يقال ولج في منزله، وولج البيت يلج ولوجاً. مقاييس اللغة (١٤٢/٦)، مختار الصحاح (٦٣٠).

(٦) الضاد والراء والعين: أصل صحيح يدل على لين في الشيء. من ذلك ضرع الرجل ضراعة، إذا ذل. ورجل ضرع. ضعيف... ومن الباب ضرع الشاة وغيره، سمي بذلك لما فيه من لين، وأنشد لبيد: وخصم كبادي الجن أسقطت شأوهم * بمستحوذ ذي مرة وضروع. فسره ابن الأعرابي فقال: معناه واسع له مخارج كمخارج اللبن. مقاييس اللغة (٣ / ٣٩٥)، لسان العرب (٤ / ٢٥٨٠).

(٧) رواه هناد في الزهد (١ / ٢٦٨)، أحمد في المسند (١٦ /٣٣٠)، والترمذي، أبواب: الزهد، باب "ما جاء في فضل البكاء من خشية الله"، برقم (٢٣١١) وقال: حسن صحيح، والنسائي، كتاب: الجهاد، باب "فضل من عمل في سبيل الله على قدمه"، برقم (٣١١٠) عن هناد به.، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١ /٤٩٠) ، قال الألباني: صحيح لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٨٩).

(٨) عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى الأويسي العامري أبو القاسم المدني، ثقة، من كبار العاشرة. التقريب (٤١٣٤).

(٩) عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني القرشي مولاهم أبو محمد، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وكان فقيهاً، مات سنة ١٧٤هـ. التقريب (٣٨٨٦).

(١٠) موسى بن عقبة بن أبي عيّاش الأسدي ، مولى آل الزبير، ثقة إمام في المغازي، لم يصح أن ابن معين ليّنة، مات سنة ١٤١هـ، و قيل: بعد ذلك. التقريب (٧٠٤١).

(١١) مجهول .

أمر الله ﷻ بعبد إلى النار، فلما وقف على شفتها[١] التفت فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسن، قال الله ﷻ: ردوه، فأنا عند حسن ظن عبدي بي، فأدخل الجنة "[٢].

١٢ - قال أبو حاتم: حدثنا الأويسي[٣]، حدثنا سليمان بن بلال[٤]، عن محمد بن أبي حميد[٥]، عن عون بن عبد الله[٦]، عن أبيه[٧]، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من عبد مؤمن يخرج من عينه دموع من خشية الله، وإن كان مثل رأس الذباب، فتصيب شيئاً، إلا حرمه الله على النار "[٨].

---

(١) شفة الشيء حرفه يقال شفة الدلو وشفة الجبل وشفة الإنسان الجزء اللحمي الظاهر الذي يستر الأسنان. المعجم الوسيط (١/ ٤٨٨).

(٢) رواه أبو حاتم الرازي في الزهد (ص٤٣)، رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤ / ١٢٢٥)، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣ / ١٣٤) كلهم بدون زيادة " فأدخل الجنة ".
وهو ضعيف لجهالة الرجل العُبَادي الذي لم يسم. انظر السلسلة الضعيفة (١٣ / ٣٤٥) و ضعيف الجامع الصغير (١/ ١٠٢).

(٣) تقدم.

(٤) سليمان بن بلال التيمى مولاهم، أبو محمد، ويقال أبو أيوب المدني ، ثقة، مات سنة ١٧٧هـ. التقريب (٢٥٥٤).

(٥) محمد بن أبي حميد إبراهيم الأنصاري، الزرَقي، أبو إبراهيم المدني، لقّبه حماد، ضعيف، من السابعة. لتقريب (٥٨٧٣).

(٦) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، مات قبل سنة ١٢٠هـ. التقريب (٥٢٥٨).

(٧) عبد الله بن عتبه بن مسعود الهذلي، ابن أخي عبد الله بن مسعود، ولد في عهد النبي ﷺ، وثقه العجلي وجماعة، مات بعد سنة ٧٤هـ. التقريب (٣٤٨٤).

(٨) رواه أبو حاتم الرازي في الزهد ص(٤٣) ، رواه ابن ماجه، أبواب: الزهد، باب "الحزن والبكاء"، برقم (٤١٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٢٠)، والبيهقي شعب الإيمان (١/٤٩٠)، وإسناده ضعيف لضعف محمد بن أبى حميد. انظر السلسة الضعيفة (٤٧٢/٩).

التحليل والتعليق :

تضمنت الآثار السابقة بيان فضل التوحيد، وعظيم منزلته، فالتوحيد له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج جميلة، وهي كثيرة يصعب استقصاؤها، وإنما يشار إلى ما وردت به هذه الآثار، وإلا كما قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: "وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله "[١].

فالآثار السابقة تضمنت من فضائل التوحيد ما يلي:

الأولى: أن التوحيد سبب للمغفرة.

فهو من أعظم أسباب مغفرة الذنوب ومحوها، وهذا فيه سعة كرم الله وجوده، وكثرة ثواب التوحيد، فكلما زاد توحيد العبد كلما محا من الذنوب بمقدار عِظمه فيس قلب العبد، وفي هذا المعنى قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله –[٢]:" من أسباب المغفرة التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتي بأعظم أسباب المغفرة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[٣]، ...فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية ورجاء وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، **فإن هذا التوحيد هو الإكسيرُ[٤] الأعظمُ، فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها**

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١١) ضمن موجموعة مؤلفات الشيخ رحمه الله.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه، جامع العلوم والحكم، لطائف المعارف، فتح الباري شرح صحيح البخاري لم يتمه، وذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، مات عى شهر رجب سنة ٧٩٥هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٢ / ٣٢١)، البدر الطالع ص(٣٦٧)، الأعلام للزركلي (٣ / ٢٩٥).

(٣)النساء:٤٨.

(٤) الإكسير: مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب. انظر: المعجم الوسيط (٢٢/١).

حسنات "[1].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله –: " التوحيد أعظم الأعمال في تكفير الذنوب؛ لأنه أساس الأعمال وأصلها، والأعمال لا تصح إلا بعد وجوده "[2].

ومغفرة الذنوب هو سترها والتجاوز عنها، قال ابن عثيمين – رحمه الله –: " حسنة التوحيد عظيمة، تكفِّر الخطايا الكبيرة إذا لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً، والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه "[3].

وقد ترجم لهذه الفضيلة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[4] في كتاب التوحيد بقوله: " كتاب التوحيد وما يكفر من الذنوب ".

وهذه الخصيصة والفضيلة لا تتحقق للعبد الموحد إلا إذا لم يشب توحيده شيءٌ من الشرك.

قال ابن القيم – رحمه الله –:" ويعفي لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك مالا يعفى لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئاً البتة ربَه بقراب الأرض خطاياه، أتاه بقرابها مغفرة، **ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك**، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع لها قوي فلا تثبت معه "[5].

وقال الحافظ ابن رجب – رحمه الله –:" من جاء مع التوحيد بقراب الأرض (وهو

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤١٦-٤١٧).

(٢) شرح كتاب التوحيد ص (١٩).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١ / ٨٥).

(٤) شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النجدي، ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها، وكان ناهجا منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، ومن مؤلفاته رحمه الله: كتاب التوحيد، كشف الشبهات، مختصر سيرة الرسول ﷺ، وغيرها، توفي سنة ١٢٠٦هـ. انظر: تاريخ نجد لابن غنام (٨١-٩١).

(٥) إغاثة اللهفان (١ / ٦٧).

ملؤها، أو ما يقارب ملأها) خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة قال بعضهم الموحد لا يلقي في النار كما يلقي الكفار ولا يبقي فيها كما يبقي الكفار فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية "(١).

الثانية: أن التوحيد سبب لنيل شفاعة النبي ﷺ.

فقد وعد نبينا محمد ﷺ من مات على التوحيد أن يشفع له يوم القيامة، وهذا أعظم سبب تُنال به شفاعته ﷺ، ولذلك لما سأله أبو هريرة ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه أو نفسه "(٢).

قال ابن القيم: " تأمّل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين من أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد "(٣).

فعُلم أنما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعة الرسول ﷺ وغيرها، مالا يحصل بغيره من الأعمال وإن كان صالحا (٤).

الثالثة: أن التوحيد يجب ما كان قبله من الآثام.

فإذا دخل العبد في دين الله ﷻ، وأخلص له التوحيد، هُدم ما كان قد عمل من ذنوب وآثام في جاهليته.

كما جاء في قصة إسلام عمرو بن العاص ﷺ لما جاء للنبي ﷺ فقال له: ابسط يمينك

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢ / ٤١٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب "الحرص على الحديث"، برقم (٩٩).

(٣) مدارج السالكين (١ / ٢٥٦).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٢٢٥).

فَلِأُبايِعْك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال النبي ﷺ: " ما لك يا عمرو ؟ "، قال: قلت أردت أن أشترط. قال: " تشترط بماذا ؟". قلت: أن يُغفر لي. قال: " أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله "[1].

الرابعة: أهل التوحيد ينالهم خير الله ﷻ.

فصاحب التوحيد الملخص فيه لربه ﷻ يتقلب في الخيرية في أي زمان ومكان؛ وذلك حينما يسخر حركاته وسكناته لله ﷻ، كما في أثر الحسن البصري - رحمه الله - المتقدم؛ ولذلك قال النبي ﷺ:" من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله فقد استكمل إيمانه "[2].

وجاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنها أنه قال:" من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك"[3].

ولذلك قال الشيخ عبد الرحمن السعدي:"ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخير، وترك المنكرات، ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه...ويحصل لصاحبه الهدى الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة "[4].

الخامسة: التوحيد سلوة لصاحبه عند المصيبة.

فهذا التوحيد هو سلوة العبد عند حلول المصائب عليه، كما في الحديث القدسي السابق"ما لعبدي المؤمن عندي إذا قبضت صفيه..."، فصاحب التوحيد يكون في ذلك راضياً

---

(١) رواه مسلم، كتاب:الإيمان، باب " كون الإسلام يهدم ما كان قبله.. "، برقم (٣٢١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٤ / ٣٨٣)، والترمذي، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب "حديث اعقلها وتوكل.."، برقم (٢٥٢١)، وقال: هذا حديث حسن (وفي بعض النسخ: هذا حديث منكر) قال في تحفة الأحوذي: ولم يظهر لي وجه كون هذا الحديث منكراً (٢٦٧/٧)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢ / ١٩٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٤٠/١٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٤١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٦/١٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١ / ٤٠٦).

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١٢).

بقضاء الله وقدره، مسلِّما له، ومحتسبا في ذلك كله الأجر الجزيل عند الله ﷻ؛ لأنه يعلم أن كل ما يصيبه من أكدار وأحزان هو من عند ربه ومولاه ﷻ.

يقول السعدي:" إنه – أي التوحيد – يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام، وذلك بحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يكون تلقيه المكارهَ والآلام بقلب منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة "[١].

السادسة: أهل التوحيد جزاؤهم الجنة والزحزحة عن النار.

فالتوحيد أعظم عدة لأهله في زحزحتهم عن النار، ودخولهم الجنة، فقد وردت النصوص بأن التوحيد ينجي صاحبه من دخول النار، وإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، وقد تواترت النصوص بخروج أصحاب الكبائر من الموحدين من النار وعدم خلودهم فيها، فهم تحت مشيئة الله إن شاء غفر لهم من دون عذاب وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم يخرجهم بتوحيدهم، ويدخلهم الجنة، فالموحّدون مآلهم إلى الجنة، إما ابتداءً وإما انتهاءً، وقد جاء في الأحاديث أنه يُخرج من النار من في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، ويُخرج من النار أُناس كالفحم، قد امتحشوا[٢]، ثم يُنبت الله أجسامهم بأن يُلقوا في نهر على باب الجنة، يُقال له نهر الحياة، فتنبت أجسامهم، ثم يدخلون الجنة، ويُخَلَّدون فيها[٣]، فأهل التّوحيد مآلهم إلى الجنة حتى ولو عُذِبوا في النار، فإنهم لا يخلدون فيها وذلك بسبب التّوحيد.

قال الحافظ ابن رجب: " فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص "[٤].

وقال النووي – رحمه الله –:" مذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار، وإن كان مصراً على الكبائر "[٥].

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١٢) بتصرف.

(٢) المِحْشُ: إحراقُ النارِ الجلدَ. وقد مَحَشْتُ جلدَه، أي أحرقته. انظر: الصحاح للجوهري (٤ / ١٥٥).

(٣) كما جاء عند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ ، كتاب: الأذان، باب " فضل السجود "، برقم (٨٠٦).

(٤) كلمة الإخلاص ص (١٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (٣ / ٧٥) ط. إحياء التراث العربي.

السابعة: أنه سبب لحلول رضوان الله تعالى وعدم سخطه على أهله.

فأهل التوحيد يُحِلُّ الله ﷻ بمنه وكرمه رضوانه عليهم، كما جاء في الحديث السابق أن الله ﷻ يقول لأهل الجنة، وهم أهل التوحيد:" أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا"، فما أعظمها وأجلها من نعمة.

قال رسول الله ﷺ:" لنعيم أهل الجنة برضوان الله عنهم أفضل من نعيمهم بما في الجنان "(١).

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله -:" وكل من علم أن سيده راضٍ عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم "(٢).

ولا يشكل على هذا ما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة من أن أعظم نعيم لأهل الجنة هو النظر إلى وجه الله ﷻ، قال ابن حجر عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري المتقدم:" أشكل على بعضهم من أن ظاهر الحديث أن الرضا أفضل من اللقاء، وهو مشكل، وأجيب بأنه ليس في الخبر أن الرضا أفضل من كل شيء، وإنما فيه أن الرضا أفضل من العطاء، وعلى تقدير التسليم فاللقاء مستلزم للرضا فهو من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم..ويحتمل أن يقال: المراد حصول أنواع الرضوان ومن جملتها اللقاء فلا إشكال "(٣).

قال ابن القيم:"ومن أعظم نعيم الجنة : التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم"(٤).

هذه بعض فضائل التوحيد، وإلا فهي كثيرة كما قال الشيخ عبد الرحمن السعدي عند تعداده لفضائله: "وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة "(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٢٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ / ٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٣٨).

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٢٢).

(٣) فتح الباري (١٣ / ٤٨٨) بتصرف.

(٤) مدارج السالكين (٢ / ٦٠).

(٥) القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١٣).

المطلب الثاني : فضل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

١ - قال ابن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو[١]، قال: حدثني شريح بن عبيد الحضري[٢]، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ لكعب[٣]: " خوفنا يا كعب. فقال: والله إن لله لملائكة قياماً منذ خلقهم الله ما ثنوا أصلابهم[٤]، وآخرين ركوعاً ما رفعوا أصلابهم، وآخرين سجوداً ما رفعوا رؤوسهم، حتى يُنفخ في الصور النفخة الآخرة، فيقولون جميعاً: سبحانك وبحمدك، ما عبدناك ككنه ما ينبغي لك أن تعبد، ثم قال: والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبياً لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ، والله لو دُلّي من غسلين[٥] دلو واحد في مطلع الشمس لفلت منه جماجم قوم في مغربها، والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاذياً أو جاثياً على ركبتيه، يقول: نفسي نفسي، وحتى نبينا وإبراهيم وإسحاق، يقول: رب أنا خليلك إبراهيم. قال: فأبكى القوم حتى نشجوا، فلما رأى ذلك عمر قال : يا كعب بشرنا. فقال: أبشروا فإن لله تعالى ثلاثمائة وأربع عشرة شريعة لا يأتي أحد بواحدة منهن مع كلمة الإخلاص إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته، والله لو تعلمون كل رحمة الله تعالى لأبطأتم في العمل، والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا في ليلة ظلماء مغدرة[٦] لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضئ القمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع

---

(١) صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي، أبو عمرو الحمصي، ثقة، مات سنة ١٥٥هـ أو بعدها. االتقريب (٢٩٥٤).

(٢) شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي الحمصي، ثقة وكان يرسل كثيرا، مات بعد سنة ١٠٠هـ. التقريب (٢٧٩٠).

(٣)كعب بن ماتع الحميرى أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة، مخضرم (كان من أهل اليمن فسكن الشام)، مات في آخر خلافة عثمان وقد زاج على المائة. التقريب (٥٦٨٤) .

(٤) (صلب) الصلب والصلب عظم من لدن الكاهل إلى العجب والجمع أصلب وأصلاب وصلبة، أنشد ثعلب: أما تريني اليوم شيخا أشيبا * إذا نهضت أتشكى الأصلبا. لسان العرب لابن منظور (٤ / ٢٤٧٥) تاج العروس من جواهر القاموس (٣ / ٢٠١).

(٥) قال الليث: غسلين شديد الحر، وقال مجاهد: طعام من طعام أهل النار، وقال الكلبي: هو ما أنضجت النار من لحومهم وسقط أكلوه، وقال الضحاك: الغسلين والضريع شجر في النار. وكل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين فعلين من الغسل من الجرح والدبر. انظر: فتح الباري (١ / ١٦٢)، لسان العرب (٥ / ٣٢٥٧)، الكليات لأبي البقاء الكفوي ص (٦٦٣)، تاج العروس (٣٠ / ١٠٠).

(٦) أغدر أظلم، أو اشتد ظلامه ومغدرة، كمحسنة: شديدة الظلمة تحبس الناس في منازلهم، وقيل: إنما سميت مغدرة؛

جميع أهل الأرض، والله لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نُشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم "[١].

٢ – قال ابن المبارك: أخبرنا الأوزاعي[٢]، قال: حدثنا المطلب بن حنطب المخزومي[٣]، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري[٤]، قال: حدثنا أُبي ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فأصاب الناس مخمصة[٥]، فاستأذن الناس رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهرهم، وقالوا: لعل الله تعالى أن يبلغنا به، فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد هم أن يأذن لهم في نحر بعض ظهرهم، قال: يا رسول الله كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً رجالاً جياعاً، ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدعو ببقايا زادهم فتجمعها، ثم تدعو الله فيها بالبركة، فإن الله سيبلغنا بدعوتك، أو سيبارك في دعوتك، فدعا رسول الله ﷺ الناس ببقايا أزوادهم، فجعلوا يجيئون بالحفنة[٦]، من الطعام، وفوق ذلك، فكان أعلاهم من جاء بصاع[٧] من تمر، فجمعها رسول الله ﷺ، ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو به، ثم دعا الجيش بأوعيتهم، وأمرهم

لطرحها من يخرج فيها في الغدر، وهي الجرفة. انظر: لسان العرب (٥ / ٣٢١٧)، تاج العروس (١٣/ ٢٠٨).

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ص (١٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٣٦٨)، وهو موقوف على كعب وهو مشهور بالرواية عن أهل الكتاب، وإسناده إليه صحيح، ولبعضه شواهد مرفوعة.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن أبب عمرو الأوزاعي، ثقة جليل، مات سنة ١٥٧هـ التقريب (٣٩٩٢).

(٣) المطلب بن عبد الله بن حنطب بن الحارث المخزومي، صدوق كثير التدليس والإرسال،من الرابعة.التقريب (٦٧٥٦). ، ولكن هنا صرح بالسماع.

(٤) عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، النجاري، يقال : ولد فى عهد النبي ﷺ، و قال ابن أبي حاتم: ليست له صحبة ، وقال الذهبي: ثقة مشهور. الكاشف (١ / ٦٣٨)، التقريب (٣٩٩٤).

(٥) الخمصة بالفتح الجوعة يقال ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها و المخمصة المجاعة وهي مصدر كالمغضبة والمعتبة .مختار الصحاح ص(١٧٨-١٧٩)، المعجم الوسيط (١ / ٢٥٦).

(٦) (حفن) الحاء والفاء والنون :كلمة واحدة، منقاس، وهو جمع الشيء في كف أو غير ذلك. فالحفنة: ملء كفيك من الطعام. يقال حفنت الشيء حفنا بيدي، ويقال: حفن لفلان حفنة أعطاه قليلا. انظر: مقاييس اللغة (٨٢/٢)، لسان العرب (٢ / ٩٣٤)، تاج العروس (٣٤ / ٤٤٧)، المعجم الوسيط (١ / ١٨٦).

(٧) (صوع) الصاد والواو والعين: أصل صحيح، وله بابان: أحدهما يدل على تفرق وتصدع، والآخر إناء، فأما الإناء فالصاع والصواع، وهو إناء يشرب به، والصَّاعُ:مكيال. مقاييس اللغة لابن فارس (٣ / ٣٢١)، المصباح المنير (١٨٣/١).

أن يحتشوا[1]، فما بقي من الجيش وعاء إلا ملؤه، وبقي مثله، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله، لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة "[2].

٣ – قال ابن المبارك: أخبرنا معمر عن الزهري، قال: أخبرني محمود بن الربيع، وزعم أنه عقل رسول الله ﷺ وعقل مجّه[3] مجّها من دلو من بئر كانت في دارهم، قال: سمعت عتبان بن مالك الأنصاري، ثم أحد بني سالم يقول: كنت أصلي لقومي من بني سالم، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت له: إني أنكرت بصري، وإن السيول تحول بيني وبين مسجد قومي، فلوددتُ أنك جئت فصليت في بيتي مكاناً أتخذه مسجداً. فقال النبي ﷺ: " أفعل إن شاء الله ". فغدا علي رسول الله ﷺ، وأبو بكر ﷺ معه بعد ما اشتد النهار، فاستأذن النبي ﷺ، فأذنت له فلم يجلس حتى قال: " أين تحب أن أصلي في بيتك؟ " فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه، فقام رسول الله ﷺ وصففنا خلفه، ثم سلم وسلمنا حين سلم، فحبسناه على خزير[4] صُنع له، فسمع بأهل الدار وهم يدعون قراهم الدور، فثابوا حتى امتلأت البيت، فقال فقال رجل: أين مالك بن الدخش أو قال: الدخشن، قال ابن صاعد: هكذا قال، فقال رجل منا: ذاك رجل منافق لا يحب الله ورسوله، قال النبي ﷺ : " لا تقولونه، هو يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ﷻ ". قالوا أما نحن فنرى وجهه وحديثه إلى المنافقين فقال النبي ﷺ: " أيضاً لا تقولوه، إنه يقول: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله ". فقال النبي ﷺ: " لن يوافي[5]

---

(١) يقال حشه واحتشه وحش على دابته إذا قطع لها الحشيش، وحش الحشيش يحشه حشا: قطعه وجمَعه. انظر: لسان العرب (٢ / ٨٨٥)، مختار الصحاح ص(١٣٣)، تاج العروس (١٧ / ١٤٤).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٤٧١)، وأحمد في المسند (٢٤ / ١٨٤)، والنسائي في الكبرى (٦ / ٢٧٩)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط. مجمع الزوائد (١ / ١٦٥)، وهو عند مسلم بلفظ مقارب برقم (٤٥)، وفيه المطلب المخزومي وقد صرّح بالسماع، وقال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله: حديث صحيح ورجاله ثقات. مجموعة رسائل علمية للشيخ (١ / ١٥١) .

(٣) (مج) الميم والجيم :كلمتان إحداهما تخليط في شيء، والثانية رمي للشيء بسرعة. فالثانية: مج الشراب من فيه: رمى به. قال ربيعة بن الجحدر الهذلي: وطعنة خلس قد طعنت مرشة * يمج بها عرق من الجوف قالس. أراد يمج بدمها وخص بعضهم به الماء. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٢٦٨)، لسان العرب (٢ / ٣٦١).

(٤) الخَزِيرُ: وهو دقيق يُلْبَكُ بشَحْم. انظر: مقاييس اللغة (٢ / ١٨٠).

يوافي[١] عبد يوم القيامة وهو يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله إلا حرم الله عليه النار ". قال محمود: فحدثت قوماً منهم أبو أيوب صاحب النبي ﷺ في غزوته التي توفي فيها مع يزيد بن معاوية، فأنكر ذلك علي وقال: ما أظن رسول الله ﷺ قال ما قلت قط، فكَبُر ذلك علي، فجعلت لله علي إن سلمني الله تعالى حتى اقفل من غزوتي أن أسأل عنها عتبان بن مالك إن وجدته حياً، فأهللت من إيليا بحج أو عمرة حتى قدمت المدينة، فأتيت بني سالم، فإذا عتبان بن مالك شيخ كبير قد ذهب بصره، وهو إمام قومه فلما سلّم من صلاته جئته فسلمت عليه ثم أخبرته من أنا، فحدثني به كما حدثني به أول مرة "[٢].

٤ – قال ابن المبارك: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم[٣]، قال: حدثنا هشام الدستوائي[٤]، قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير[٥]، عن هلال بن أبي ميمونة[٦]، عن عطاء بن يسار[٧]، عن رفاعة الجهني رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال بقديد[٨] جعل رجال منا يستأذنون على أهليهم فيأذن لهم، وحمد الله وقال ابن صاعد في المرة الثانية: وأثنى عليه، وقال خيراً، وقال: " أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه، ثم سدد، إلا سلك به في الجنة، وقد وعدني ربي أن يُدخل الجنة من

---

(١) الوفاة: الموت، ووافى فلان أتى، وتوافى القوم تتاموا. انظر: مختار الصحاح ص(٦٢٧).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٤٧٣)، وهو عند البخاري، كتاب: التهجد، باب "صلاة النوافل جماعة"،برقم (١١٨٥-١١٨٦).

(٣) إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم الأسدي مولاهم، أبو بشر البصري، المعروف بابن عليّة، ثقة حافظ، مات سنة ١٩٣هـ. التقريب (٤٢٠).

(٤) هشام بن أبي عبد الله سنبر (على وزن جعفر) أبو بكر البصري، الدستوائي، ثقة ثبت، وقد رمى بالقدر، مات سنة ١٥٤هـ. التقريب (٧٣٤٩).

(٥) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة ثبت لكنه يدلس و يرسل، مات سنة ١٣٢هـ. وقيل: قبل ذلك. التقريب (٧٦٨٢).

(٦) هلال بن علي بن أسامة، و يقال (هلال بن أبي ميمونة، و هلال بن أبي هلال) العامري، المدني، يُنسب إلى جده، ثقة، مات سنة ١٠٠ و بضع عشرة هـ. التقريب (٧٣٩٤).

(٧) عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة فاضل، صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة ٩٤هـ، وقيل: بعد ذلك. التقريب (٤٦٣٨).

(٨) (قديد): اسم موضع قرب مكة. انظر: معجم البلدان (٤ / ٣١٣).

أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، وأني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤوا[١] أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة "[٢].

٥ – قال الحسين المروزي: قال أخبرنا المعتمر بن سليمان[٣]، قال: سمعت اسماعيل بن أبي أبي خالد[٤]، يحدث عن عون بن عبد الله[٥]، عن رجل[٦]، قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ﷺ: " من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، صعد بها ملك، أو قال عرج بها ملك، فلا يمر بها على ملأ من الملائكة إلا استغفروا له، حتى يحيى بها وجه رب العالمين" [٧][٨].

٦ – قال الحسين المروزي: أخبرنا المعتمر[٩]، قال: سمعت إسماعيل بن أبي خالد[١٠] يحدث يحدث عن عامر[١١]، قال: سمعت الربيع بن خُثيم[١٢] يقول: " من قال لا إله إلا الله وحده لا

---

(١) (بوأ) يقال: قد تبوؤوا، وبوأهم الله تعالى منزل صدق. وتبوأ المكان: نزله وأقام به. انظر: مقاييس اللغة (١ /٣١٢).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٦٠٦)، رواه أحمد في المسند (٢٦ / ١٥٢) بنحوه، وقال الهيثمي رواه أحمد – وعند ابن ماجة بعضه – ورجاله موثقون. مجمع الزوائد (١ / ١٦٦)، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين. السلسلة الصحيحة (٥ / ٢٣٠)، ولكن في إسناد ابن المبارك ضعف لعنعنة ابن أبي كثير وهو موصوف بالتدليس.

(٣) معتمر بن سليمان التيمي، أبو محمد البصري، يلقب الطفيل، ثقة، مات سنة ١٨٧هـ. التقريب (٦٨٣٣).

(٤) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم، البجلي، ثقة ثبت، مات سنة ١٤٦هـ. التقريب(٤٤٢).

(٥) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة عابد، مات قبل سنة ١٢٠هـ. التقريب (٥٢٥٨).

(٦) مجهول.

(٧) هذا الأثر من طريق الحسين بن الحسن المروزي عن شيوخه وليس عن طريق ابن المبارك، وهو من الزيادات على الزهد لابن المبارك.

(٨) الزهد لابن المبارك ص (٣٢٣)ط الأعظمي، ورواه الطبراني في الكبير (٩/٢٦٦)، والطبري في تفسيره (١٩/٣٣٨)، كلاهما بنحوه من طريق عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله المخارق عن أبيه المخارق بن سليم... الحديث، وليس عن عون بن عبد الله، ورواه ابن فضيل في الدعاء (١ / ٢٨٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٢٦٨)، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه المسعودي، وهو ثقة ولكنه اختلط. مجمع الزوائد (١٠ / ١٠٥). وفي إسناد أبي نعيم: عن عون بن عبد الله عن أبيه.

(٩) المعتمر بن سليمان تقدم.

(١٠) إسماعيل بن أبي خالد تقدم.

(١١) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، مات بعد سنة ١٠٠هـ. التقريب (٣١٠٩).

(١٢) الربيع بن خُثَيم بن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد، مخضرم، مات سنة ٦١هـ، وقيل: ٦٣هـ.

شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، فهو عدل[١] أربع رقاب، فقلت: عمن ترويه؟ فقال: عن عمرو بن ميمون الأودي[٢]، فلقيت عمرو بن ميمون، فقلت: عمن ترويه؟ فقال: عبد الرحمن بن أبي ليلى[٣]، فلقيت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فقلت: إن عمرو بن ميمون يروي عنك أنه من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات فهو عدل أربع رقاب، فقال: نعم أنا أخبرته إياه. فقلت: لعبد الرحمن عمن ترويه قال: عن أبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ "[٤]. [٥].

٧ – قال نعيم ابن حماد: أنا الليث بن سعد[٦]، قال: حدثني عامر بن يحيى[٧]، عن عبد الرحمن الحُبُلي[٨]، قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: " إن الله يستخص[٩] رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا[١٠]، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟

التقريب (١٨٩٨) .

(١) قال الفراء: العدل بالفتح ما عدل الشيء من غير جنسه، والعدل بالكسر المثل، تقول: عندي عدل غلامك، وعدل شاتك، إذا كان غلاما يعدل غلاما، أو شاة تعدل شاة فإن أردت قيمته من غير جنسه فتحت العين. انظر: مختار الصحاح ص(٣٦٨)، المصباح المنير (١ / ٢٠٦).

(٢) عمرو بن ميمون الأوْدي ، أبو عبد الله، و يقال: أبو يحيى، نزيل الكوفة، مخضرم مشهور، ثقة عابد، مات سنة ٧٤هـ، وقيل: بعدها. التقريب (٥١٥٧).

(٣) عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، المدني، ثم الكوفي، ثقة، اختلف في سماعه من عمر، مات سنة ٨٣هـ بموقعة الجماجم. التقريب (٤٠١٩).

(٤) هذا الأثر من طريق الحسين بن الحسن المروزي عن شيوخه وليس عن طريق ابن المبارك، وهو من الزيادات عليه.

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد ط.الأعظمي ص (٣٢٤)، وهو عند مسلم بلفظ"كمن أعتق أنفس من ولد إسماعيل"، كتاب، الذكر والدعاء، باب "فضل التهليل والتسبيح والدعاء"، برقم (٦٨٤٤-٦٨٤٥).

(٦) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفَهْمي، أبو الحارث المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، مات سنة ١٧٥هـ. التقريب (٥٧٢٠) .

(٧) عامر بن يحيى المعافري، أبو خُنَيْس المصري، ثقة، مات قبل سنة١٢٠هـ. التقريب (٣١٢٩) .

(٨) عبد الله بن يزيد المعافري، أبو عبد الرحمن الحُبُلي، ثقة، مات سنة ١٠٠هـ. التقريب (٣٧٣٦) .

(٩) (خصص) خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا وخصوصية وخصوصية، والفتح أفصح، واختصه: أفرده به دون غيره. انظر: لسان العرب (٢ / ١١٧٣).

(١٠) (السجل بالكسر): الكتاب، والسِّجِلُّ، والجمع سِجِلات. انظر: اللغة لابن فارس (١٣٦/٣)، المصباح المنير (١٤٠/١).

فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة ؟ فبُهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندي حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فنخرج له بطاقة فيها أشهد الله أنه لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفه[1]، والبطاقة في كفه، فطاشت[2] السجلات، وثقلت البطاقة، قال: فلا يثقل اسم الله شيء "[3].

٨ — قال أسد بن موسى: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا دراج[4]، عن أبي الهيثم[5]، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله "[6].

٩ – قال نعيم ابن حماد: أخبرنا سليمان بن المغيرة[7]، عن ثابت البناني[8] قال: أخبرنا رجل من الشام، وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص، فيسمع منه، قال: كنت معه فلقي

---

(١) (الكفة): قال الأصمعي:"وكل ما استدار فهو كفة". و"كِفَّةُ المِيزَانِ" بالكسر والضمّ لغة. انظر: مقاييس اللغة (١٣٠/٥)، المصباح المنير (١ / ٢٧٦).

(٢) (الطيش): الخفة. انظر: لسان العرب (٤ / ٢٧٣٨).

(٣) زيادات الزهد لنعيم بن حماد ص (٥١٣) ملحق بالزهد لابن المبارك تحقيق ط الأعظمي، ورواه الترمذي، أبواب الإيمان، باب "في من يموت وهو يشهد ألا إله إلا الله"، برقم (٢٦٣٩) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (٤٦١/١)، والحاكم في مستدركه (٤٤/١). كلهم بلفظ "إن الله سيخلص"، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين و هو صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، قال الألباني: وهو كما قالا. السلسلة الصحيحة (٢٦١/١).

(٤) درّاج بن سَمْعان، قيل: اسمه عبد الرحمن، ودرّاج لقب، السهمي مولاهم، المصري القاص، صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف، مات سنة ١٢٦هـ. التقريب (١٨٣٣).

(٥) سليمان بن عمرو بن عبد أو عبيد الليثي، العتواري ، أبو الهيثم المصري، ثقة، من الرابعة. التقريب (٢٦١٤).

(٦) رواه أسد بن موسى الزهد ص(٥٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٠٨/١)، وابن حبان في صحيحه (١٠٢/١٤)، والحاكم في مستدركه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٧١٨/١)، وقالوالهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف مجمع الزوائد (٨٨/١٠)، وضعفه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٤٦٠/١).

(٧) سليمان بن المغيرة القيسي مولاهم، البصري، أبو سعيد، ثقة ثقة قاله يحي بن معين، مات سنة ١٦٥هـ. التقريب (٢٦٢٧).

(٨) ثابت بن أسلم البُنَاني، أبو محمد البصري، ثقة عابد، مات سنة ١٠٠ وبضع و عشرون هـ. التقريب(٨١٨).

نوفا[١]، فقال نوف: ذُكر لنا أن الله قال لملائكته: " ادعوا لي عبادي. قالوا: يا رب كيف والسموات السبع دونهم، والعرش فوق ذلك ؟ فقال: إنهم إذا قالوا لا إله إلا الله استجابوا لي "، قال: يقول عبد الله بن عمرو: صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب، أو قال: غيرها – شك سليمان – فقعد رهط[٢] أنا فيهم ينتظرون الصلاة الأخرى، فأقبل النبي ﷺ يسرع المشي، كأني أنظر إلى رفعه إزاره، ليكون أحث له في المشي، فانتهى إلي فقال: ألا أبشروا هذا ربكم أمر بباب السماء الوسطى، أو قال: السماء ففُتح، ففاخر بكم الملائكة، قال: انظروا إلى عبادي أدوا حقاً من حقي، ثم انتظروا أداء حق آخر يؤدونه "[٣].

١٠– قال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبي، حدثنا أبو معاوية[٤]، حدثنا الأعمش[٥]، عن شمر بن عطية[٦]، عن أشياخه[٧]، عن أبي ذر ﷺ عنه قال: قلت : يا رسول الله أوصني. قال: قال: " إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها " قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: " هي أفضل الحسنات "[٨].

---

(١) نَوْف بن فَضالة البِكَالي بن امرأة كعب الأحبار، شامي مستور، وإنما كذّب بن عباس ما رواه عن أهل الكتاب، مات بعد سنة ٩٠هـ. التقريب (٧٢٦٢).

(٢) (رهط) الراء والهاء والطاء: أصل يدل على تجمع في الناس وغيرهم. فالرهط: العصابة من ثلاثة إلى عشرة. فالرهط معناه: الجمع. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٤٥٠)، تاج العروس (١٩ / ٣١٢).

(٣) زيادات الزهد لنعيم بن حماد ص(٤٤١)، ورواه أحمد في المسند (١١ / ٨٢)، ويظهر من إسناده أنه ضعيف لوجود رجل مبهم في الإسناد، ولكنه عُرف من روايتين بنحوه ذكرهما الإمام أحمد في المسند من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي أيوب: وهو يحيى بن مالك الأزدي المراغي، قال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: والراجح عندي أنه هو المراد هنا بالتابعي المبهم "رجل من أهل الشام، فإن لم يكنه فقد اتصل الحديث من وجه آخر عن رجل ثقة معروف، وكان إبهام التابعي غير ضار حينئذ، إذ التابعون على القبول والستر حتى يثبت غير ذلك.

(٤) محمد بن خازم، أبو معاوية الضرير الكوفي، ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش، و قد يهم في حديث غيره، و قد رمى بالإرجاء، مات سنة ١٩٥هـ. التقريب(٥٨٧٨).

(٥) سليمان بن مهران الأسدي، الكاهلي، أبو محمد الكوفي الأعمش، ثقة حافظ، عارف بالقراءة ورع، لكنه يدلس، مات سنة ١٤٨هـ. التقريب (٢٦٣٠).

(٦) شِمْر بن عطية الأسدي، الكاهلي الكوفي، صدوق، من السادسة. التقريب (٢٨٣٧).

(٧) أشياخ شمر(لم يُسَمَّوا).

(٨) الزهد لأحمد بن حنبل ص (٤٩)، ورواه أحمد في المسند (٣٥ / ٣٨٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٦٧)، (٢٦٧)، وهناد في الزهد (٥١٩/٢) من طريق الأعمش، وقال الألباني: و هذا إسناد حسن، رجاله ثقات غير

١١ – قال هناد: حدثنا وكيع[١]، عن سفيان[٢]، عن خصيف[٣]، عن مجاهد[٤]، في قوله ﷻ:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[٥]، قال: " إذا أخرج من النار من قال لا إله إلا الله فذلك قوله: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين "[٦].

١٢ – قال أبو حاتم: حدثنا الأويسي[٧]، قال: حدثنا ابن أبي الزناد[٨]، عن موسى بن عقبة[٩]، عن رجل من ولد عبادة بن الصامت[١٠]، عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: " حضر ملك الموت رجلاً يموت، فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيراً، ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيراً، ثم فك لحييه[١١] فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه، يقول: لا إله إلا الله. قال ﷺ: فغفر له بكلمة الإخلاص "[١٢].

أشياخ شمر، فلم يسموا، لكنهم جمع ينجبر الضعف بعددهم...ويشهد له حديث " اتق الله حيثما كنت ..." وهو عند أحمد والترمذي والدارمي بسند فيه ضعف، وجملة القول أن حديث الترجمة صحيح بمجموع طرقه و الله أعلم. السلسلة الصحيحة (٣/٣٦١-٣٦٢) بتصرف.

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرُؤَاسي، أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، مات أول سنة ١٩٧هـ. التقريب (٧٤٦٤).

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ، فقيه عابد، إمام حجة، وكان ربما دلس، مات سنة ١٦١هـ. التقريب (٢٤٥٨).

(٣) خُصَيف بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون صدوق سيء الحفظ، خلط بأخرة، ورمى بالإرجاء، مات سنة ١٣٧هـ، و قيل: غير ذلك. التقريب (١٧٢٨).

(٤) مجاهد بن جَبْر، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة، إمام في التفسير والعلم، مات سنة ١٠٤هـ. التقريب(٦٥٢٣) .

(٥) الحِجر:٢.

(٦) رواه هناد في الزهد (١ / ١٥٣)، وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور وهناد والبيهقي. الدر المنثور (٨ / ٥٨٦)، والأثر ضعيف؛ لتدليس الثوري، ولسوء حفظ خصيف، وقد ضعف أحمدُ حديث خُصَيف. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢/٣٨٥). والله أعلم.

(٧) ثقة تقدم.

(٨) صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، تقدم.

(٩) ثقة تقدم.

(١٠) مجهول .

(١١) (لحي) اللام والحاء والحرف: المعتل أصلان صحيحان، أحدهما: عضو من الأعضاء...فالأولى اللحي: العظم الذي تنبت عليه اللحية من الإنسان وغيره. انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٢٤٠).

(١٢) رواه أبو حاتم في الزهد ص (٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٩)، والطبراني في الدعاء (٢ / ١٤٨٦)،

١٣ – قال جعفر الخُلْدي[١]: حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني[٢] ، ثنا يحيى بن عبد الله البابلتي[٣] ، ثنا سلمة بن وردان[٤] ، قال : سمعت أنس بن مالك ، صاحب رسول الله ﷺ ، يقول : أتاني معاذ بن جبل من عند رسول الله ﷺ ، قلت : فما قال النبي ﷺ قال : قال : « من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة » قلت : أنت سمعت هذا ؟ قال نعم فاذهب ، فأسأله قال : فأتيت رسول الله ﷺ ، فسألته ، فقلت : يا رسول الله ، حدثني معاذ بن جبل أنك قلت : « من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة » قال : « صدق معاذ ، صدق معاذ »[٥].

والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠ / ١٨١)، والحديث ضعيف؛ لأن فيه من لم يُسم. قال الألباني: منكر. السلسلة الضعيفة (٩٩/٦).

فهذا الحديث لا يصح كما تقدم، ولكن على فرض صحته فيقال: إنه من نطق بالشهادة قبل الغرغرة فإنها تنفعه، ويحكم عليه بالإسلام، قال ابن تيمية: " من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً فصحيح؛ لأنه أتى بالإيمان الواجب عليه، والعمل لم يكن وجب عليه بعد ". مجموع الفتاوى (٧ / ١٩٧).

(١) أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم، البغدادي الخُلْدِيُّ، قال الخطيب: ثقة، مات سنة ٣٤٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٥٥٨).

(٢) أبو شعيب الحراني عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الأموي المؤدب نزيل بغداد، قال الدارقطني: ثقة مأمون، مات سنة ٢٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٣٧/١٣)، شذرات الذهب (٤٠١/٣).

(٣) يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلتي، أبو سعيد الحراني، ابن امرأة الأوزاعي، ضعيف، مات سنة ٢١٨هـ. التقريب (٧٦٣٥) .

(٤) سلمة بن وردان الليثى، أبو يعلى المدني، ضعيف، مات سنة ١٠٠وبضع وخمسون هـ. التقريب (٢٥٢٧).

(٥) رواه جعفر الخلدي في الفوائد والزهد ص (٢٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٤٨)، الدعاء (١ / ١٤٨٥)، وابن خزيمة، وقال: وروى سلمة بن وردان وأنا أبرأ من عهدة هذا الخبر عن أنس فأخطأ في هذا الإسناد فزعم أن أنسا سمع هذا الخبر من معاذ بن جبل، ثم سمعه من النبي ﷺ. التوحيد (١ / ٥٠٨)، فالحديث ضعيف بهذا الإسناد، وله شواهد. والله أعلم.

التحليل والتعليق :

لا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص وعنوان التوحيد، ولا يتم إسلام عبد دون تحقيق معناها والعمل بمدلولها، وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام باقية في عقبه لعلهم يرجعون.

قال سفيان بن عيينة: ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله و إن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا.[١]

وقبل الحديث عن فضائل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة وهي « **معنى لا إله إلا .** »:

حصل الخلاف بين أهل السنة والطوائف المخالفة لهم في معنى هذه الكلمة العظيمة، فتنوع كلام مخالفيهم في المراد بها، ولم يوفقوا لمعناها الصحيح، ولهذا كان لزاماً أن يشار إلى معناها عند أهل السنة والجماعة.

فلا إله إلا الله: تعني إفراد الله سبحانه وتعالى بجميع ما يستحقه من العبادة وحده لا شريك له، والكفر بكل معبود سواه، ومعناها الذي تواردت عليه أقوال علماء السلف رحمهم الله تعالى هو أنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى.[٢]

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله –: " وقال في معنى هذا التوحيد: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٣]، أي: أمر ووصى، وهذا معني: لا إله إلا الله؛ فقوله: (أن لا تعبدوا) هو معنى: لا إله، في كلمة الإخلاص، وقوله: (إلا إياه) هو معنى الاستثناء في لا إله إلا

---

(١)شعب الإيمان البيهقي (٤ / ١١٩)

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٥٧/٢٠)، فتح القدير (١ / ٤٦٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (١١٠)، أضواء البيان (٤ / ٦٣٢)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨ / ٣١٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠٢/٣)، تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص(٤٧)، معنى لا إله إلا الله للزركشي ص (٧٤–٧٥)، الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب ص(٧١)، فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ص(٣٥)، معارج القبول للحكمي (٨٦/١).

(٣)الإسراء:٢٣.

الله، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير "[١].

وهذا المعنى هو الذي اتفقت عليه دعوة المرسلين وشرائع النبيين، فما من رسول أرسله الله ﷻ إلا دعا قومه إليه، وحذرهم مخالفته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٣].

قال الصنعاني[٤]- رحمه الله -:" أن رُسل الله وأنبياءه – من أولهم إلى آخرهم – بُعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[٥]... وهذا الذي تضمنه قول "لا إله إلا الله"، فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان، ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يُعبد من دونه والبراءة منه، وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه "[٦].

قال ابن القيم – رحمه الله – عند قول الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[٧]، " قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله ،والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكي وإن كان أصله

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ / ٢٢٧).

(٢) النحل:٣٦.

(٣) الأنبياء:٢٥.

(٤) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه =بالأمير توفي بصنعاء ١١٨٢هـ، من مؤلفاته: سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، والرد على من قال بوحدة الوجود. البدر الطالع ص(٦٨٦)، الأعلام للزركلي (٦ / ٣٨).

(٥) هود:٢٦.

(٦) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد (١ / ٣)

(٧) فُصِّلَت:٦-٧.

النماء والزيادة والبركة، فإنه إنما يحصل بإزالة الشر فلهذا صار التزكي ينتظم الأمرين جميعاً، فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح: هو التوحيد والتزكية جعل الشيء زكياً إما في ذاته، وإما في الاعتقاد "(١).

وأما فضائل هذه الكلمة فهي كثيرة، وقد تضمنت الآثار السابقة شيئاً من هذه الفضائل، فمنها:

الأولى: أنها سبب دخول الجنة.

فمن أعظم فضائلها أنها من أعظم أسباب دخول الجنة لمن تلفظ وعمل بها، ففي حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ "من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء"(٢).

قال النووي – رحمه الله –:" مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح، وأهل الحديث، والفقهاء، والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين، أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وتشهَّد مخلصاً من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة "(٣).

الثانية: سبب للنجاة من النار.

فلا إله إلا الله سبب لنجاة صاحبها من النار، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول الله أكبر الله أكبر. فقال رسول الله ﷺ: " على الفطرة "، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: " خرجت من النار". فنظروا فإذا هو راعي معزى(٤).

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٥٣).

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء:١٧١]"، برقم (٣٤٣٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "الدليل على أن ممن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً"، برقم (١٤٠).

(٣) شرح صحيح مسلم (١ / ٢٢٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب "الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان"،برقم (٨٤٧).

الثالثة: أنها دليل إيمان العبد وبراءته من ضده.

فهذه الكلمة براءة لصاحبها من النفاق، إذا قالها مبتغياً بها وجه الله ﷻ، وذلك كما برَّء النبي ﷺ بها الصحابي مالك بن الدخش عندما اتهمه بعضهم بالنفاق، فقال ﷺ: " لا تقولونه، هو يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ﷻ ".

الرابعة: أن التلفظ بها يعدل عتق الرقاب.

فمن فضائلها أيضا أنها تعدل عتق الرقاب، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك "، وعند مسلم "إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه"(١).

وعن عمرو بن ميمون رضي الله عنه قال:" من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل "(٢).

الخامسة: أنها أعظم ما يُوزن للعبد يوم القيامة.

فهي أثقل شيء في الميزان،كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ:" أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع، والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله "(٣).

السادسة:أن حسنة لا إله إلا الله ترجح على جميع السيئات بمشيئة الله عدا الشرك.

فهي تطيش بسجلات الذنوب، وترجح بصحائفها، وتثقل الميزان، كما في حديث صاحب البطاقة المتقدم، فوالله لو لم يرد في فضل هذه الكلمة إلا هذا الحديث لكفى به فضلاً

---

(٨٤٧).

(١) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب "صفة إبليس وجنوده"، برقم (٣٢٩٣)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب "فضل التهليل والتسبيح والدعاء"، برقم (٦٨٤٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب "فضل التهليل والتسبيح والدعاء"، برقم (٦٨٤٤).

(٣) رواه أحمد (١١/١٥٠)، وسنده صحيح، قاله الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٢٥٩).

وغيمة لأهلها.

قال ابن تيمية: " وكذلك قد روي في بعض ثواب الطاعات المأمور بها ما يدفع ويرفع عقوبة المعاصي المنهي عنها، فإذا كان جنس ثواب الحسنات المأمور بها يدفع عقوبة كل معصية، وليس جنس عقوبات السيئات المنهي عنها يدفع ثواب كل حسنة، ثبت رجحان الحسنات المأمور بها على ترك السيئات المنهي عنها، وفي هذا المعنى ما ورد في فضل لا إله إلا الله، وأنها تطفئ نار السيئات، مثل حديث البطاقة وغيره "(١).

السابعة: أنها عنوان إجابة العبد لربه، وقرْبه منه.

فقائل كلمة التوحيد قد استجاب لله ﷻ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه المتقدم، فهي تقرب العبد لربه، وذلك أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، كما جاء في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ، أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدالله ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء "(٢).

الثامنة: أنها أعظم الذكر.

فهي أفضل الحسنات، وأزكى الأعمال والأذكار، وأكثرها تضعيفاً، وقد وصّى بها النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه كما في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الشكر الحمد لله"(٣).

التاسعة: أنها تنقذ صاحبها من الخلود في النار إذا دخلها.

فهي سبب مانع للخلود في النار لمن استحق دخولها؛ فأهل لا إله إلا الله وإن دخلوها بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها.

كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه يقول ﷺ عندما يريد أن يشفع لأهل هذه الكلمة:" يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٩٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الطهارة، باب "الذكر المستحب عقب الوضوء"، برقم (٥٥٣).

(٣) رواه الترمذي، أبواب: الدعوات، باب "ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة"، برقم (٣٣٨٣)، وابن حبان في صحيحه (٣ / ١٢٦)، والبيهقي شعب الإيمان (٤ / ٩٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣/٤٨٤).

وعظمتي لأُخرِجن منها من قال: لا إله إلا الله "[١].

وعن أنس أيضاً ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير "[٢].

وأخيراً لا بد من التنبيه إلى أن هذه الفضائل لا تنفع قائلها بمجرد النطق بها فقط، فلا تتحقق إلا لمن قالها مؤمناً بها، عاملاً بمقتضاها.

قال ابن رجب – رحمه الله –: " وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن «لا إله إلا الله» سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتض لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع "[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله –:" فدل ذلك على فضل لا إله إلا الله وعظَمها، لكن لابد من الإتيان بشروطها، أما مجرد أن يقولها القائل بلسانه؛ فكم من إنسان يقولها لكنها عنده كالريشة لا تساوي شيئاً؛ لأنّه لم يقلها على الوجه الذي تمت به الشروط، وانتفت به الموانع "[٤].

ولذلك لما قيل لوهب بن منبه – رحمه الله –: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك "[٥].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم"، برقم (٧٥١٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب "زيادة الإيمان ونقصانه"، برقم (٤٤).

(٣)كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ص (١٣).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١ / ٧٩) .

(٥) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز، باب"ومن كان آخر كلامه:لا إله إلا الله"، ووصله في تاريخه (١/٩٥).

المبحث الثاني :

توحيد الربوبية :

وفيه تمهيد، وأربعة مطالب:

المطلب الأول : **المعرفة بالله** ﷻ .

المطلب الثاني : **الفطرة والمراد بها** .

المطلب الثالث : **دلائل معرفة الله تعالى، و استلزام التفكر والمعرفة والعلم بالله للعبادة** .

المطلب الرابع : **التسلسل** .

تمهيد:

١- قال ابن المبارك: أخبرنا الفضيل بن مرزوق[١]، قال أخبرني عدي بن ثابت[٢]، عن أبي حازم[٣]، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾[٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[٥]، قال: وذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، فأنى يستجاب لذلك "[٦].

٢- قال وكيع: حدثنا إبراهيم بن يزيد المكي[٧]، عن عطاء بن أبي رباح[٨]، قال: قال رسول الله ﷺ: "من رزقه الله رزقا عن غير مسألة، ولا إشراف نفس[٩]، فليقبله، فإنما هو رزق ساقه الله إليه "[١٠].

---

(١) فضيل بن مرزوق الأغرّ بالمعجمة والراء، الرقاشي الكوفي أبو عبد الرحمن، صدوق يهم ورمي بالتشيع، مات حدود سنة ١٦٠هـ. التقريب (٥٤٧٢).

(٢) عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي، ، ثقة رمي بالتشيع، مات سنة ١١٦هـ. التقريب (٤٥٧١).

(٣) سلمان أبو حازم الأشجعي الكوفي، ثقة، مات على رأس سنة ١٠٠هـ. التقريب (٢٤٩٢).

(٤) المؤمنون:٥١.

(٥) البقرة:١٧٢.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد ط. الأعظمي ص(١٥٩)، ورواه مسلم في كتاب الزكاة، باب" قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها"، برقم (٢٣٤٦).

(٧) إبراهيم بن يزيد الخُوزي، أبو إسماعيل المكي، مولى بني أمية، متروك الحديث، مات سنة ١٥١هـ. التقريب (٢٧٤).

(٨) عطاء ابن أبي رَباَح، واسم أبي رباح أسلم، القرشي مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال، مات سنة ١١٤هـ على المشهور، وقيل إنه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه. التقريب (٤٦٢٣).

(٩) (إشراف النفس): تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه. انظر: شرح النووي على مسلم (٤ / ١٣٦).

(١٠) رواه وكيع في الزهد (١ / ٣٦٨)، وإسناده ضعيف جداً، لعلتين: فيه إبراهيم بن يزيد وهو متروك، وإرسال عطاء بن أبي رباح.

ولكن جاء عند البخاري بنحوه في كتاب الزكاة، باب "من أعطاه الله شيئا من غير مسألة ولا إشراف نفس" برقم (١٤٧٣)، وعند مسلم أيضا بنحوه في كتاب الزكاة، باب "جواز الأخذ بغير سؤال ولا تطلع" برقم (٢٤٠٥).

تعريف الربوبية :

تعريفه في اللغة: قال ابن فارس (رب): " الراء والباء يدل على أصول:

فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه. فالربُّ: المالكُ، والخالقُ، والصاحبُ.

والربُّ: المصلح للشيء، يقال: ربَّ فلانٌ ضَيْعَتَه، إذا قام على إصلاحها، والله جل ثناؤه الربُّ؛ لأنه مصلح أحوال خلقه.

والأصل الآخر: لزومُ الشيء والإقامةُ عليه. وهو مناسبٌ للأصل الأول. يقال أربَّت السحابةُ بهذه البَلْدة، إذا دامت. وأرضٌ مَرَبٌّ: لا يزال بها مطر؛ ولذلك سُمي السحاب رَبَاباً.

والأصل الثالث: ضمُّ الشيء للشيء. وهو أيضاً مناسبٌ لما قَبْلَه.

ومتى أُمعن النَّظرُ كان الباب كلُّه قياساً واحداً "(١).

والربُّ يُطلق في اللغة: على المالكِ والسيدِ والمدبرِ والمربِي والقيمِ والمنعمِ، ولا يُطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ، وإذا أُطلق على غيره أُضيفَ، فقيل: رب كذا.(٢)

وقال الزجاجي(٣): الربُّ: المصلحُ للشيء، يُقال: "ربَبَتُ الشيءَ أَرُبُّه رَبّاً ورَبَابَة"، إذا أصلحته وقمت عليه، ورب الشيء، مالكه....(٤)

ويمكن القول بأن ما سبق من معاني الربوبية ترجع إلى ثلاثة معانٍ وهي: المالك، والسيد، والمصلح.

قال ابن الأنباري(٥): " الرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٣٨١)مختصراً.

(٢) انظر: لسان العرب (٣ / ١٥٤٦)، تهذيب اللغة (١٥ / ١٢٨)، تاج العروس (٢ / ٤٥٩).

(٣) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، شيخ العربية في عصره، و كان إماماً في علم النحو، ولد في نهاوند، ونشأ في بغداد، وسكن دمشق وتوفي في طبرية (من بلاد الشام)، سنة ٣٣٧هـ، له مصنفات منها: كتاب الجمل الكبرى، الايضاح في علل النحو. سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٧٥)، وفيات الأعيان (٣ / ١٣٦)، الأعلام للزركلي (٣ / ٢٩٩).

(٤) اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي ص(٣٢).

(٥) الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي، له مصنفات منها :كتاب الوقف والابتداء، وكتاب الزاهر في اللغة، مات سنة ٣٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٧٤).

السيد المطاع.... ويكون الرب المصلح "[١].

وأما الربوبية في الاصطلاح الشرعي، فلا يختلف كثيراً عن معناها في اللغة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل "[٢].

وقال أيضاً: " توحيد الربوبية وأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه "[٣].

وقال في موضع آخر: " وأن الله هو رب كل شيء، وعالم بكل شيء ومليكه، لا يخلق ولا يرزق إلا هو، ولا يعطى ولا يمنع إلا هو "[٤].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "والرب هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح، والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها "[٥].

وقال في موضع آخر: " توحيد الربوبية المتضمن أنه وحده الرب الخالق الفاطر "[٦].

وقال ابن أبي العز الحنفي[٧] – رحمه الله –: "توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال"[٨].

ومما تقدم يتبين أن المراد بتوحيد الربوبية: إفراد الله ﷻ بالخلق، والملك، والتدبير.

وإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله. قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۝٥٤﴾[٩].

---

(١) انظر: لسان العرب (٣ / ١٥٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٩٢).

(٣) المصدر السابق (١٠ / ٤٩٧).

(٤) الاستقامة (٢ / ٣٢).

(٥) بدائع الفوائد (٤ / ١٥٤٣).

(٦) المصدر السابق (٤ / ١٥٤٢)

(٧) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، قاضي القضاة بدمشق، ولي قضاء مصر وامتُحن، له شرح الطحاوية المشهور، والمناقشات على الهداية، مات سنة ٧٩٢هـ. انظر: الدرر الكامنة (٤ / ١٠٣)، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للسخاوي (١/٢٩٥).

(٨) شرح الطحاوية ص (٢٨).

(٩) الأعراف:٥٤.

وإفراده بالملك: أن نعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم. كما قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

وأما إفراده بالتدبير: فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده. كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[2].[3].

(١) آل عمران:١٨٩.

(٢) يونس:٣١.

(٣) انظر القول المفيد لابن عثيمين (١/٩-١١).

المطلب الأول : المعرفة بالله ﷻ.

١ - قال ابن المبارك: أخبرنا سفيان[١]، قال: كتب إلي حجاج بن الفرافصة[٢]، قال: قال بديل[٣]: " من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، وإن تفكر حزن "[٤].

٢ – قال وكيع: حدثنا خالد بن أبي كريمة[٥]، عن عبد الله بن مسور أبي جعفر المدائني رجل من بني هاشم[٦]، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم، قال: " وما صنعت في رأس العلم، حتى تسأل عن غرائبه؟ قال: يا رسول الله وما رأس العلم؟ قال: هل عرفت الرب؟ قال نعم. قال: فماذا صنعت في حقه؟ قال: ما شاء الله. قال: هل عرفت الموت؟ قال: نعم. قال: فما أعددت له؟ فقال: ما شاء الله. قال: فانطلق؛ فأحكم رأس العلم، ثم تعال فتعلم غرائبه "[٧].

٣ - حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الرحمن العنبري أبو عبد الله، حدثنا يوسف بن

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ، فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس، مات سنة ١٦١هـ. التقريب (٢٤٥٨).

(٢) حجاج بن فُرافِصة الباهلي البصري، صدوق عابد يهم، من السادسة. التقريب (١١٤٢).

(٣) بُديل مصغر، العُقيلي، ابن ميسرة البصري، ثقة، مات سنة ١٢٥هـ أو١٣٠هـ. التقريب (٦٥٢).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد ص (١٦٨)، ورواه أحمد في الزهد ص (٣٩٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩٣/١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ١٠٨)، وابن أبي الدنيا في الهم والحزن (١/ ٦٩)، وإسناده حسن.

(٥) خالد ابن أبي كريمة الأصبهاني، أبو عبدالرحمن الإسكاف، نزيل الكوفة، ، صدوق يخطىء ويرسل، من السادسة. التقريب (١٦٨٠).

(٦) عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب مدائني يكنى أبا جعفر، تابعي صغير، يضع الحديث ويكذب، قال البخاري: "وعبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب كان جرير يقول: فيه، ويحيى يغمزه"، وقال النسائي: "عبد الله بن مسور المدائني متروك الحديث". الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٤ / ١٦٦)، الضعفاء للعقيلي (٢ / ٣٠٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨ / ٣٠٧).

(٧) رواه وكيع في الزهد (١ / ٢٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤/١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(١٣/٢)، وذكره ابن عرّاق في تنزيه الشريعة (٢٧٧/١)، والغزالي في إحياء علو الدين (١ / ١٠٩)، وقال العراقي في تخريج الإحياء: "رواه ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلاً وهو ضعيف جداً ".

كامل، حدثنا بكير بن أبي السميط، عن قتادة، حدثنا أبو الحجاج قال: قال معاذ بن جبل ﷺ: " من علم أن الله ﷻ حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة "[١].

٤ – قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي[٢]، أنبأنا أبو عمرو بن حمدان[٣]، ثنا مسدد بن قطن[٤]، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الدورقي[٥]، ثنا إسحاق[٦]، أنبأنا حجاج بن محمد[٧]، أنبأنا جرير بن حازم[٨]، عن وهيب المكي[٩]، قال: قال رسول الله ﷺ:" لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس معه جهل، ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت الجبال بدعائكم، وما أُتي أحد من اليقين شيئا إلا ما لم يؤت منه أكثر مما أُتي " قال معاذ بن جبل ﷺ: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: " ولا أنا "[١٠].

---

(١) تقدم تخريجه في فضل التوحيد.

(٢) ضعيف تقدم.

(٣) الإمام المحدث الثقة، النحوي البارع، الزاهد العابد، مسند خراسان، أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن سنان الحيري، مات سنة ٣٧٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٦ / ٣٥٦).

(٤) الإمام المحدث المأمون، القدوة العابد، أبو الحسن النيسابوري المزكي، قال الحاكم: كان مزكي عصره المقدم في الزهد، والورع، والتمكن في العقل، مات سنة ٣٠١هـ. سير أعلام النبلاء (١٤ / ١١٩).

(٥) أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي النُّكري البغدادي ثقة حافظ، مات سنة ٢٤٦هـ. التقريب (٣).

(٦) إسحاق بن يوسف بن مِرداس المخزومي الواسطي، المعروف بالأزرق، ثقة، مات سنة ١٩٥هـ. التقريب (٤٠٠).

(٧) حجاج بن محمد المِصِّيصي الأعور، أبو محمد، ترمذي الأصل، نزل بغداد ثم المصيصة، ثقة ثبت، لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته، مات سنة ٢٠٦هـ. التقريب (١١٤٤).

(٨) جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي، أبو النضر البصري، ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف، وله أوهام إذا حدث من حفظه، مات سنة ١٧٠هـ بعدما اختلط، لكن لم يحدث في حال اختلاطه. التقريب (٩١٩).

(٩) وهيب بن الورد بفتح الواو وسكون الراء، القرشي مولاهم، المكي، أبو عثمان، أو أبو أميّة، يقال اسمه عبد الوهاب، ثقة عابد الزاهد، مات سنة ١٥٣هـ. التقريب (٧٥٣٩).

(١٠) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص (٢٨٥)، ورواه أبو نعيم في الحلية (١٥٦/٨)، وقال الألباني: وهذا إسناد ضعيف لإعضاله؛ فإن وهيباً هذا هو ابن الورد المكي، وهو من كبار الطبقة السابعة عند بن حجر في"التقريب"، فبينه وبين النبي ﷺ مفاوز. السلسلة الضعيفة (٩ / ٣٤٧).

❖ مسألة : المعرفة بالله ﷻ.

معرفة الله ﷻ من المسائل التي حصل فيها نزاع بين أهل السنة ومخالفيهم، فمِن قائل: إن معرفة الله ﷻ فطرة فُطر الخلق عليها، ومِن قائل: هي أمر يكتسبه العبد بنفسه.

– ومذهب عامة السلف على أن: معرفة الله ﷻ فطرية ضرورية.

قال ابن تيمية رحمه الله:" إذ الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق، وأن المخلوق مع أنه دليل، وأنه يدل على الخالق، لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال؛ ومعرفته فطرية مغروزة في الفطرة ضرورية بديهية أولية "[(١)].

وقال أيضاً عندما نقل قول القائلين بأنها ضرورية:" وهذا قول جماهير الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والعامة وغيرهم، **بل قد اتفق سلف الأمة** وأئمتها على: أن معرفة الله والإقرار به لا تقف على هذه الطرق التي يذكرها أهل طريقة النظر...ولهذا يقر بالصانع جميع الأمم، مع عظيم شركهم وكفرهم، وأنهم لا يسلكون من هذه الطرق المشهورة عند النظار "[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: " فقد تبين دلالة الكتاب والسنة، والآثار، **واتفاق السلف**، على أن الخلق مفطورون على دين الله الذي هو معرفته، والإقرار به، ومحبته، والخضوع له، وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها يجب حصوله فيها "[(٣)].

وقال أيضاً: " فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية، ليس في العلوم أجلى منها، وكل ما استُدل به على الصانع فالعلم بوجوده أظهر من دلالته، ولهذا قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[(٤)]، فخاطبوهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شك ما في وجود الله سبحانه "[(٥)].

وقال ابن رجب رحمه الله: " إن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله "[(٦)].

– وأما أهل الكلام من المعتزلة [(١)(٢)]**، والأشاعرة**[(٣)] [(٤)]**، والماتريدية**[(٥)(٦)]**، فيرون أن:**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٢٤)، وانظر أيضا: درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٤٤،٤٤٩،٥٣٣).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٥٧٠-٥٧١).

(٣) شفاء العليل لابن القيم (٣ / ١٤٦٢).

(٤)إبراهيم:١٠.

(٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ٢٩١).

(٦) جامع العلوم والحكم (٢ / ٩٩).

معرفة الله ﷻ تأتي عن طريق النظر والاكتساب.

وقول عامة السلف هو أن معرفة الله فطرية ضرورية، ولكن قد يُحتاج إلى النظر؛ وذلك لما قد يطرأ على هذه الفطرة ما يفسدها، فتكون حينئذ محتاجة إلى النظر[7].

---

(١) المعتزلة فرقة من فرق المتكلمين، ويُسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وقد حصل هناك خلاف في سبب تسميتهم ب(المعتزلة)، ولعل الأقرب في تسميتهم بذلك: اعتزال رئيسهم واصل ابن عطاء حلقة الحسن البصري، ولهم أصول خمسة يدينون بها وهي: "التوحيد" ومقصودهم به نفي الصفات عن تعالى، والقول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا، وقولهم أيضا بخلق القرآن، و"العدل" ومقصودهم به القول بخلق الإنسان لأفعاله، و"المنزلة بين المنزلتين" ومقصودهم بها تكفير مرتكب الكبيرة، و"إنفاذ الوعد والوعيد" ومقصودهم به تخليد مرتكب الكبيرة في النار، و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ومقصودهم به وجوب الخروج على الإمام الجائر.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٤٢ – ٤٣)، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ص (٢١) وما بعدها، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان (١/٦٤-٦٨).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٦٥).

(٣) الأشاعرة هم طائفة من طوائف أهل الكلام، تنتسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، وأئمتهم المتقدمون يثبتون الصفات الخبرية في الجملة وأما المتأخرون فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية السبع وهي: السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة والحياة، وهم مرجئة في باب الإيمان، وجبرية في باب القدر.

انظر: الملل والنحل (١ / ٩٣)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣ /١٠٣ ، ٢٢٨).

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص (١١)، والكامل لابن الأمير في اختصار الشامل في أصول الدين للجويني (١/١٨٢)، والمواقف للإيجي ص (١/١١٦).

(٥) الماتريدية وهي أيضا من طوائف أهل الكلام، وهم أتباع أبي منصور محمد الماتريدي، وهي فرقة قريبة في أصولها الكلامية من مذهب الأشاعرة، ويزيدون على الصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة صفة ثامنة وهي: التكوين، ويقولون بالكلام النفسي، ويزعمون أن القرآن حكاية عن كلام الله تعالى، وقالوا إن الإيمان هو ما في القلب، وأن القول الظاهر شرط لثبوت أحكام الدنيا فهم مرجئة في باب الإيمان. انظر: مجموع الفتاوى (٧ / ٥١٠)، والماتريدية دراسة وتقويماً للشيخ أحمد الحربي.

(٦) انظر: كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي ص (١٦٨-١٦٩).

(٧) لا يُقصد بالنظر هنا ما يوجبه المتكلمون من أنه النظر العقلي، بل المقصود مطلق النظر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومع هذا فالطرق النظرية تفيد العلم والمعرفة، ولا منافاة بين كون الشيء يعلم بالبديهة والضرورة ويكون عليه أدلة، وهي نوعان:

أحدهما: الآيات كما يذكر الله ذلك في القرآن، والآية هي دليل عليه بعينه لا تدل على قدر مشترك بينه وبين غيره، فنفس الكائنات وما فيها وهو عين وجودها في الخارج مستلزم لوجود الرب، وهو آية له ودليل عليه وشاهد بوجوده

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطر السليمة فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال، ويحتاج إليه في يحال"[1].

وقال أيضاً: " وقد يعرض للفطرة ما يفسدها ويمرضها فترى الحق باطلاً، كما في البدن إذا فسد، أو مرض، فإنه يجد الحلو مراً، ويرى الواحد اثنين، فهذا يُعالج بما يزيل مرضه "[2].

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تعالى أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] .[4]

فالإنسان يولد على أنه متى سئل: من خلقك؟ فيقول: الله خلقني، وهو المعرفة التي تقع في أصل الخلقة[5].

والأدلة على هذا القول كثيرة، منها:

من الكتاب: ١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[6] .

بعينه، لا على قدر مشترك بينه وبين غيره.

الثاني: ضرب الأمثال والقياس، وهو نوعان:

أحدهما: قياس الأولى والأحرى فهذا أيضا مما يذكره الله في القرآن...

والثاني: الأقيسة المطلقة: أقيسة الشمول المنطقية، وأقيسة التمثيل...".

انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٥٧٢-٥٧٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/٣٠٣-٣٠٤).

(٢) المصدر السابق (٣ / ٣٠٦).

(٣) إبراهيم:١٠.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٨).

(٥) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٢ /٢١٠).

(٦) الأعراف:١٧٢.

فيخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه[(١)].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله:" أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم. قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن اللّه تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم، فكل أحد فهو مفطور على ذلك"[(٢)].

فالآية واضحة الدلالة في أن الإنسان مفطور على معرفة الله ﷻ، فالله ﷻ أشهد ذرية آدم على ربوبيته ﷻ، فأقرروا بربوبيته، وهذا الإقرار هو شهادة على أنفسهم، أي إنطاقهم بالإقرار بربوبيته، وجعلهم شهداء على أنفسهم بما أقروا به، إذاً فهذه الآية بينه في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم، وهذا الإقرار والمشاهدة فطرة فُطروا عليها، ليست بمكتسبة وهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[(٣)] . مطابقة لقول النبي ﷺ :" كل مولود يولد على الفطرة "[(٤)].

٢- وقوله ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(٥)].

قال ابن عبد البر[(٦)] رحمه الله لما ذكر النزاع في حديث "كل مولود يولد على الفطرة":

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٥٠٠).

(٢) تفسير السعدي ص (٣٠٨).

(٣) الأعراف:١٧٢.

(٤) انظر: درء التعارض (٨/٤٨٦-٤٨٧)، جامع الرسائل لابن تيمية (١ / ١١)، الروح لابن القيم (١ / ١٦٨).

(٥) الروم:٣٠.

(٦) الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الاسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الاندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، أدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، كان إماما دينا، ثقة، متقنا، قال ابن حزم: "لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه"، من تصانيفه: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، والاستذكار في شرح مذاهب علماء الامصار، الاستيعاب، وهو في تراجم الصحابة، مات سنة ٤٦٣هـ الله. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٥٣)،

" وقال آخرون الفطرة هاهنا الإسلام، قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل، قد أجمعوا في قول الله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[(١)] .على أن قالوا فطرة الله دين الله الإسلام. واحتجوا بقول أبي هريرة ﷺ في هذا الحديث اقرءوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قول الله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾، قالوا دين الله الإسلام، لا تبديل لخلق الله قالوا لدين الله "[(٢)].

فإذا كانت الفطرة هي الإسلام، فدين الإسلام متضمن لمعرفة الله تعالى والإقرار به.

٣- وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[(٣)].

فهذه الآية الكريمة تبين أن الرسل عليهم السلام ابتدءوا دعوتهم لأقوامهم بتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، ولو لم يكن الإقرار بالله تعالى وربوبيته فطرياً، لكان هو أول ما دعوا أقوامهم إليه.

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(٤)] "[(٥)].

وقال في موضع آخر:" ولو لم تكن المعرفة ثابتة في الفطرة لكان الرسول إذا قال لقومه: أدعوكم إلى الله، لقالوا: مثل ما قال فرعون: وما رب العالمين؟ إنكارا له وجحداً، كأن يكون قولهم متوجها، وفرعون لم يقل هذا لعدم معرفته في الباطن بالخالق لكن أظهر خلاف ما في

الأعلام للزركلي (٨ / ٢٤٠).

(١) الروم:٣٠.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨ / ٧٢).

(٣) النحل:٣٦.

(٤) محمد:١٩.

(٥) درء التعارض (٣ / ١٢٩-١٣٠).

نفسه كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾[1]، وكما قال له موسى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]."[3]

ومن السنة: ١- ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ:" ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟". ثم يقول أبو هريرة ﷺ: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾[4].[5]

فهذا الحديث نص في أن كل مولود يولد على الفطرة، والفطرة كما سبق من قول المفسرين أنها (الإسلام)، وكما سيأتي أيضاً من الإيضاح في هذه المسألة[6]، ولا ريب أن الإسلام متضمن لمعرفة الله والإقرار به.

قال ابن حجر رحمه الله:" المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة...فكل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خُلِّي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره"[7].

وقال النووي رحمه الله:" قيل معناه كل مولود يولد على معرفة الله تعالى، والإقرار به فليس أحد يولد إلا وهو يقر بأن له صانعاً "[8].

٢- قوله ﷺ في حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ:" ألا إن ربى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلْتُه عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم،

---

(١) النمل:١٤.

(٢) الإسراء:١٠٢.

(٣) درء التعارض (٨ /٤٤٠).

(٤) الروم:٣٠.

(٥) البخاري، كتاب الجنائز، باب" إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟" برقم (١٣٥٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب" معنى كل مولود يولد على الفطرة.." برقم (٦٧٥٥).

(٦) سيأتي الكلام عليها عند الحديث عن مسألة "الفطرة".

(٧) فتح الباري (٣ / ٢٤٩) بتصرف يسير.

(٨) شرح النووي على مسلم (٨ / ٢١٢).

وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً "[1].

ففي هذا الحديث دليل على أن الله ﷻ خلق الخليقة على هذه الحنيفية، وهي الإسلام، ومن كان خلق كذلك فهو مقر ومعترف لله ﷻ بالربوبية.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فأخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن معرفة الرب ومحبته وتوحيده، فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية "[3].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:" فأخبر سبحانه أنه إنما فطر عباده على الحنيفة المتضمنة لكمال حبه والخضوع له والذل له، وكمال طاعته وحده دون غيره"[4].

وأما الفطرة: فإن جميع الخلائق المؤمن والكافر، عند حصول الشدائد لهم يلجؤون إلى الله سبحانه وتعالى، كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[5] وما ذلك إلا دليل واضح على أنه مستقر في الأصل عندهم معرفة الله جل جلاله، وإلا لما لجئوا إليه وهم يشركون به.

وأما العقل: فالعقل السليم يقرر هذه المسألة من عدة أوجه، منها[6]:

الأول: من المعلوم أنه إذا عُرض على كل أحد أن يعتقد الحق ويصدق، وأن يريد ما ينفعه، وعُرض عليه أن يعتقد الباطل ويكذب، ويريد ما يضره، مال بفطرته إلى الأُولى، ونفر عن الثاني، فعُلم أن فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة الخير، وحينئذ الإقرار بوجود فاطره وخالقه ومعرفته ومحبته والإيمان به وتعظيمه والإخلاص له، إما أن يكون من النوع الأول، أو

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب" الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار"، برقم(٧٢٠٧).

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٧٥)، شرح النووي على مسلم (٩/٢٠٠)، درء التعارض (٣٦٩/٨)، جامع الرسائل لابن تيمية (٨٦/٢).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦ / ٣٤٥).

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢ / ٤٠٧).

(٥)العنكبوت:٦٥.

(٦) انظر: للاستزادة في الأدلة العقلية في درء التعارض (٨/٤٥٦-٤٦٨)، وشفاء العليل (٣/١٤٦٦-١٤٥٦).

الثاني، (وكونه من الثاني معلوم الفساد بالضرورة، فتعين أن يكون من الأول)[1]، وحينئذ فيجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي محبة الله ﷻ ومعرفته والإيمان به والتوسل إليه بمحابه.

الثاني: أن عبادته وحده بما يحبه إما أن يكون أكمل للناس علماً وقصداً، أو الإشراك به أكمل، والثاني معلوم الفساد بالضرورة، فتعين الأول، وهو أن يكون في الفطرة مقتضى يقتضي توحيده وتألُّهه وتعظيمه.

الثالث: أن الحنِيفية هي دين الله، ولا دين له غيرها، فإما أن تكون مع غيرها من الأديان متماثلة، أو الحنيفية أرجح، أو تكون مرجوحة، والأول والثالث باطلان قطعاً، فوجب أن يكون في الفطرة مرجح يرجح الحنيفية، وامتنع أن يكون نسبتها ونسبة غيرها من الأديان إلى الفطرة سواء.

والمقصود أنه إذا لم يكن في المعينات الخارجة عن الأذهان ما هو مراد لذاته، لم يكن فيها ما يستحق أن يألهه أحد، فضلاً أن يكون فيها ما يجب أن يألهه كل أحد، فتبين أنه لا بد من إله معيَّن هو المحبوب المراد لذاته، ومن الممتنع أن يكون هذا غير فاطر السموات والأرض، وتبين أنه لو كان في السموات والأرض إله غيره لفسدتا، وأن كل مولود يولد على محبته ومعرفته وإجلاله وتعظيمه، وهذا دليل مستقل كاف فيما نحن فيه، وبالله التوفيق[2].

---

(١) ما بين القوسين موجودة في طبعة دار المعرفة لكتاب "شفاء العليل".

(٢) انظر: شفاء العليل (١٤٧٦/٣).

المطلب الثاني : الفطرة والمراد بها .

قال وكيع: حدثنا سفيان[1]، عن حبيب بن أبي ثابت[2]، عن عمارة بن عمير التيمي[3]، قال: قال عبد الله[4]: "عليكم بالسمت الأول ، فإنَّا اليوم على الفطرة "[5].

---

(١) الثوري تقدم.

(٢) حبيب بن أبي ثابت قيس، ويقال: هند بن دينار الأسدي مولاهم، أبو يحيى الكوفي، ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، مات سنة ١١٩هـ. التقريب (١٠٩٢).

(٣) عمارة بن عُمير التيمي كوفي، ثقة ثبت، مات بعد ١٠٠هـ، و قيل ٩٨هـ. التقريب (٤٨٩٠).

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، مات بالمدينة سنة ٣٢هـ، وقيل مات سنة ٣٣هـ ﷺ. الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٣٧٣).

(٥) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٥٩١)، ورجاله ثقات، إلا أن الثوري عنعن وهو موصوف بالتدليس، وكذلك حبيب فهو مدلس وكثير الإرسال، وأيضا عمارة بن عمير لم يدرك بن مسعود ﷺ، وروى أحمد الشطر الأول منه في الزهد عن وكيع به ص (٢٣٧)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ" فالسمت الأول السمت الأول ، فإنا اليوم على الفطرة " (٥٩٦/١٩).

❖مسألة: الفطرة، والمراد بها.

أولاً: معنى الفطرة في اللغة:

الفَطْر: مصدر فَطَرَ يفطِره ويفطُره فَطْراً، إذا أنشأه(1).

قال ابن فارس: " الفاء والطاء والراء: أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه "(2).

و الفطرة بالكسر: الخلقة، والفَطْرُ: الشق، يقال فطَرَه فانفطر، و تفطَّر الشيء: تشقق، والفَطْرُ: أيضاً: الابتداء والاختراع(3).

إذاً فالفطر يطلق ويراد به عدة معان، وهي: الإنشاء، والخلق، والشق، والابتداء، والاختراع.

ثانياً: معنى الفطرة في الشرع:

اختلف أهل العلم في معنى الفطرة في الشرع والمراد بها على أقوال، وبيانها فيما يلي:

القول الأول: أن المراد بالفطرة: الإقرار بمعرفة الله تعالى، وهذا القول رواية عن أحمد(4).

والمعنى: أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها(5).

القول الثاني: أن المراد بها: ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخرج ذرية آدم من ظهره فخاطبهم ألست بربكم قالوا: بلى، فأقروا جميعا له بالربوبية عن معرفة منهم به، ثم أخرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة وذلك الإقرار(6)، وقال بهذا القول حماد بن سلمة(7).

وفي الحقيقة أن القول الأول والثاني لا اختلاف بينهما، ولذلك يقول ابن تيمية رحمه الله عند ذكر هذا القول: " فهذا القول يحقق القول الأول في أن كل مولود يولد على الفطرة التي

---

(1) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (٢ / ٧٥٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤ /٥١٠).

(٣) انظر:تاج العروس (١٣ / ٣٢٨)، مختار الصحاح ص (٤٤١).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٥٩/٨).

(٥) انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٣ / ١٢٧)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٤٥٧).

(٦) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٩٠).

(٧) انظر: المرجع السابق (١٨ / ٩٣).

هي المعرفة بالله والإقرار به، وفيه زيادة: أن ذلك كان قد حصل لهم قبل الولادة حين استُخرجوا من صلب آدم، وقد فُسر (فطرة الله) في الحديث بذلك "[١].

القول الثالث: أن الفطرة هنا: ابتداء خلقه في بطن أمه[٢]، وهي البدأة التي ابتدأهم عليها، أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنهم ابتدأهم للحياة والموت والشقاء والسعادة، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم، وذلك ما فطرهم الله عليه مما لا بد من مصيرهم إليه، قالوا: والفطرة في كلام العرب: البَدأة، والفاطر المبدئ والمبتدئ، فكأنه قال ﷺ: كل مولود يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء والسعادة مما يصير إليه.

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

١- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " لم أكن أدري ما (فاطر السماوات والأرض)، حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر، قال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها"[٣] قالوا: فالفطرة البدأة.

٢- قول الله ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[٤].

٣- ما يُروى عن علي بن أبي طالب ﷺ في بعض دعائه: " اللهم جبار القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها "[٥].

قال أبو عبد الله بن نصر المروزي[٦]: " وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد عن عبد الله بن المبارك أنه سُئل عن قول النبي ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة" فقال: يفسره الحديث الآخر

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٤٤٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٣٦٠).

(٣) رواه أبو عبيد بن سلام في غريب الحديث (٤ / ٣٧٣)، والطبري في تفسيره (١١ / ٢٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٢١٢)، وإسناده حسن.

(٤) الأعراف:٢٩-30.

(٥) رواه ابن أبي شيبة مصنفه (١٥ / ٢٦٧).

(٦) أبو عبد الله الحافظ محمد بن نصر بن الحجاج المروزي الإمام، شيخ الاسلام، إمام في الفقه والحديث. كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الإحكام، ذكره الحاكم فقال: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث. سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٣)، الأعلام للزركلي (٧ / ١٢٥).

حين سُئل عن أطفال المشركين فقال: " الله أعلم بما كانوا عاملين "(١).

وهذا القول هو الرواية الثانية عن الإمام أحمد(٢)، ولكنه تراجع عنه رحمه الله.

قال المروزي: ولقد كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه(٣).

ثم قال ابن عبد البر: " ما رسمه مالك في الموطأ، وذكره في أبواب القدر، فيه من الآثار ما يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا "(٤).

قال شيخ الإسلام عن هذا القول:" حقيقة هذا القول: أن كل مولود فإنه يولد على ما سبق في علم الله أنه صائر إليه، ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة، فجميع البهائم هي مولودة على ماسبق في علم الله لها، والأشجار مخلوقة على ما سبق في علم الله لها، وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقاً على الفطرة "(٥).

وأيضا فإنه لو كان هذا هو المراد، لم يكن لقوله ﷺ: " فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه " معنى، فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها على هذا القول، فلا فرق بين التهويد والتنصير حينئذ، وبين تلقين الإسلام وتعليمه، وبين تعليم سائر الصنائع، فإن ذلك كله داخل فيما سبق به العلم.

وأيضاً فتمثيله ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت، يبين أن أبويه غيَّرا ما وُلد عليه.

وأيضاً فقوله: " على هذه الملة " وقوله: "إني خلقت عبادي حنفاء " يخالف هذا.

وأيضاً فلا فرق بين حال الولادة وسائر أحوال الإنسان، فإنه من حين كان جنيناً إلى ما لا نهاية له من أحواله على ما سبق في علم الله، فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بغير مخصص.

وقد ثبت في الصحيح(٦) أنه: قبل نفخ الروح فيه يُكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد،

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٧٨-٧٩).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٣٦٠).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/٧٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) درء التعارض (٨ / ٣٨٧).

(٦) عند البخاري في كتاب: التوحيد، باب "قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾ [الصافات:١٧١]"

فلو قيل: كل مولود ينفخ فيه الروح على الفطرة لكان أشبه بهذا المعنى، مع أن النفخ هو بعد الكتابة "[1].

القول الرابع: أن الله قد فطرهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان.

وهو أنه ﷻ أخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم، فقال: ألست بربكم؟ قالوا جميعا: بلى. فأما أهل السعادة، فقالوا: بلى على معرفة له طوعا من قلوبهم، وأما أهل الشقاء فقالوا: بلى كرها لا طوعا، قالوا: وتصديق ذلك قولهﷻ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[2]، قالوا: وكذلك قولهﷻ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾[3].

قال المروزي: " وسمعت إسحاق بن إبراهيم يعني ابن راهويه يذهب إلى هذا المعنى "[4].

وقد أشار ابن عبد البر إلى تضعيف هذا القول حيث قال:" وقول إسحاق في هذا الباب لا يرضاه الحذَّاق الفقهة من أهل السنة، وإنما هو قول المجبرة "[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" مقصود حماد و إسحاق و مالك و ابن المبارك، ومن اتبعهم كابن قتيبة و ابن بطة و القاضي أبي يعلى وغيرهم، هو منع احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفي القدر، وهذا مقصود صحيح، ولكن سلكوا في حصوله طرقاً بعضها صحيح وبعضها ضعيف "[6].

القول الخامس: الفطرة ما يقلِّب الله قلوب الخلق إليه مما يريد ويشاء.

فقد يكفر العبد ثم يؤمن فيموت مؤمناً، وقد يؤمن ثم يكفر فيموت كافراً، وقد يكفر ثم لا يزال على كفره حتى يموت عليه، وقد يكون مؤمنا حتى يموت على الإيمان، وذلك كله تقدير الله

برقم (٧٤٥٤)، ومسلم في كتاب: القدر، باب "كيفية خلق الآدمي في بطن أمه...."، برقم (٦٧٢٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٣٨٧-٣٨٨).

(٢) آل عمران:٨٣.

(٣) الأعراف:٢٩-٣٠.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٨٣-٨٤).

(٥) المصدر السابق (١٨ / ٩٠).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٤١٧).

وفطرته لهم[1].

واحتج أصحاب هذا القول: من الأثر بحديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا إن بني آدم خُلقوا على طبقات، فمنهم من يولد مؤمناً ويحيى مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافرا ويموت كافراً ومنهم، من يولد مؤمناً ويحيى مؤمناً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافراً ويموت مؤمناً "[2].

والفطرة عند هؤلاء: ما قضاه الله وقدره لعباده من أول أحوالهم إلى آخرها، كل ذلك عندهم فطرة، وسواء كانت عندهم حالاً واحدة لا تنتقل، أو حالاً بعد حال، كقوله ﷻ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾[3] ، أي حالاً بعد حال على ما سبق لهم في علم الله[4].

وضعف هذا القول ابن عبد البر، حيث قال: "وهذا القول وإن كان صحيحاً في الأصل، فإنه أضعف الأقاويل من جهة اللغة في معنى الفطرة "[5].

القول السادس: أن المراد بالفطرة: الخِلْقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك [6].

واحتج أصحاب هذا القول على أن الفطرة الخلقة، والفاطر الخالق، بقول الله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[7]، يعني خالقهن[8]، وبقوله ﷻ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٨ / ٩٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٧ / ٢٢٧)، ورواه الترمذي في كتاب: الفتن، باب "ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن يوم القيامة"، برقم (٢١٩١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الانشقاق:١٩.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٩٤).

(٥) المرجع السابق (١٨ / ٩٤).

(٦) انظر: المرجع السابق (١٨ / ٦٨).

(٧) فاطر:١.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٥٣٢)، و تفسير السعدي (١ / ٦٨٤).

﴿فَطَرَنِي﴾[1]، يعني خلقني[2]، وبقوله ﷻ: ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾[3]، يعني خلقهن[4].
قالوا: فالفطرة الخلقة، والفاطر الخالق[5].

قال ابن تيمية رحمه الله: " صاحب هذا القول: إن أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها، فهذا ضعيف، فإن مجرد القدرة على ذلك لا يقتضي أن يكون حنيفاً، ولا أن يكون على الملة، ولا يحتاج أن يذكر تغيير أبوية لفطرته حتى يسأل عمن مات صغيراً، ولأن القدرة هي في الكبير أكمل منها في الصغير.

وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان فقالوا: إنهم أولاد المشركين قال: "أليس خياركم أولاد المشركين؟ ما من مولود إلا يولد على الفطرة"، ولو أريد القدرة لكان البالغون كذلك مع كونهم مشركين مستوجبين للقتل.

وإن أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع إرادتها، فالقدرة الكاملة مع الإرادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور، فدل على أنهم فطروا على القدرة – على المعرفة وإرادتها – وذلك مستلزم للإيمان"[6].

وعلى هذا الاحتمال الثاني فإنه يرجع إلى القول الأول والثاني.

القول السابع: أن معنى الفطرة: كل مولود يولد على السلامة خِلقة وطبعاً وبِنية، ليس معها كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا ميَّز[7].

واحتج أصحاب هذا القول بقوله ﷺ في الحديث: " كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء "، يعني سالمة: "هل تحسون فيها من جدعاء"، يعني مقطوعة الأذن، فمثّل قلوب بني آدم بالبهائم؛

(١) يس:٢٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٥٧١)، وتفسير السعدي (١ / ٦٩٣).

(٣) الأنبياء:٥٦.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٣٤٨)، و تفسير السعدي (١ / ٥٢٥).

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٦٨).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٣٨٥).

(٧) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٦٩).

لأنها تولد كاملة الخلق، لا يتبين فيها نقصان، ثم تُقطع آذانها بعدُ وأنوفها، فيقال: هذه بحاير[1] وهذه سوايب[2]. فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر حينئذ ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، كالبهائم السالمة، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين، فكفر أكثرهم، وعصم الله أقلهم، قالوا: ولو كان الأطفال قد فُطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية أمرهم، ما انتقلوا عنه أبدا، وقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون، ثم يؤمنون قالوا: ويستحيل في العقول أن يكون الطفل في حال ولادته يعقل كفرا أو إيمانا؛ لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون فيها شيئا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[3]، فمن لم يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار.

وقد اختار هذا ابن عبد البر، حيث قال: "هذا القول هو أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها "[4].

وهذا القول لا يخلو من حالين:

الأولى: إن أراد بهذا القول أنهم خُلقوا خالين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان، وكتابة الكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر، فهذا قول فاسد لأنه حينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار والتهويد والتنصير والإسلام، وإنما ذلك بحسب الأسباب، فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، فلما ذكر أن أبواه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام، عُلم أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل غير حكم الكفر.

ففي الجملة كل ما كان قابلاً للممدوح والمذموم على السواء، لم يستحق مدحاً ولا ذماً، والله

---

(١) بحيرة: هي الناقة التي إذا انتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جدعوا آذانها، هكذا في الجاهلية. انظر: الكليات للكفوي ص (٢٥٣).

(٢) السائبة: هي الناقة التي كان رجل من الجاهلية يقول: إن سُقيت فناقتي سائبة. انظر: الكليات للكفوي ص (٥٢٢).

(٣)النحل:٧٨.

(٤) التمهيد (١٨ / ٧٠).

تعالى يقول: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها، فكيف لا يكون فيها مدح ولا ذم ؟

وأيضاً فالنبي ﷺ شبّهها بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الأنف والأذن، ومعلوم أن كمالها محمود، ونقصها مذموم، فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة؟.

الثانية: وإن كان المراد بهذا القول: أنهم وُلدوا على الفطرة السليمة التي لو تُركت مع صحتها لاختارت المعرفة على الإنكار، والإيمان على الكفر، ولكن بما عرض من الفساد خرجت عن هذه الفطرة، فهذا القول قد يقال: إنه لا يرد عليه ما يرد على ما قبله[(٢)].

وفي الحقيقة أن هذه الحالة – أي الثانية – لا يمكن أن تحصل للإنسان إلا إذا كان قلبه مفطوراً على المعرفة والإقرار في الأصل،فنرجع حينئذ إلى القول بأن الإنسان مفطور على معرفة ربه ﷻ.

القول الثامن: أن المراد بالفطرة: الإسلام[(٣)]. وهذا القول هو الراجح، والأدلة عليه كثيرة متوافرة:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[(٤)].

فبإجماع أهل التأويل من السلف على أن المراد بالفطرة في الآية: الإسلام[(٥)].

ومن السنة: ١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟". ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٤٤٤-٤٤٥) باختصار.

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٧٢).

(٤) الروم: ٣٠.

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٧٢).

وفي رواية: " ما من مولود إلا وهو على الملة "، وفي رواية أخرى:" إلا على هذه الملة "[١].

ودلالة هذا الحديث على المراد من أوجه، منها:

١- تعدد ألفاظ الحديث التي تدل بمجموعها على أن المراد بالفطرة الإسلام.

٢- استدلال أبي هريرة ﷺ بالآية، وقد سبق إجماع أهل التأويل على أن المراد بالفطرة في الآية الإسلام.

٣- تِعداد النبي ﷺ لملل الكفر، وعدم ذكره لدين الإسلام، حيث قال: يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، ولم يقل يسلمانه، فدل على أن المراد بالفطرة هي الإسلام، وأنه ينتقل منه إلى غيره[٢].

٢- حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ:" ألا إن ربى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء [٣]كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[٤] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً .."[٥]. وفي لفظ عند الطبراني" حنفاء مسلمين "[٦].

والمراد بالحنيف في كلام العرب: المستقيم المخلص ولا استقامة أكثر من الإسلام[٧].

وقد اعترض على هذا القول ابن عبد البر فقال رحمه الله: " يستحيل أن تكون الفطرة المذكورة في قول النبي ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة الإسلام"؛ لأن الإسلام والإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وهذا معدوم في الطفل، لا يجهل بذلك ذو عقل "[٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٧١-٣٧٢).

(٣) الحنفاء جمع حنيف: وهو المائل إلى الإسلام، الثابت عليه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام. وأصل الحنف الميل. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١ / ٤٥١).

(٤) اجتالتهم: أي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١ / ٣١٧).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب" الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار"، برقم (٧٢٠٧).

(٦) المعجم الكبير (١٧ / ٣٦٣).

(٧) انظر: التمهيد (١٨/٧٥)، ودرء التعارض (٨/٣٦٩).

(٨) انظر: التمهيد (١٨ / ٧٧).

ولكن هذا الاعتراض قد يجاب عليه بما يلي:

١- ينبغي أن يُعلم أن تفسير الفطرة بالإسلام، لا يُقصد به أن الإنسان يخرج من بطن أمه يعلم دين الإسلام وتعاليمه.

فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[1]، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام: لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض.

٢- ليس المراد أيضاً مجرد قبول الفطرة للإسلام أكثر من غيره؛ لأن هذه الفطرة تتغير بتهويد الأبوين وتنصيرهما، مما يدل على أنه كان على الحنيفية.

٣- أن القبول ليس هو الإسلام، وليس هو هذه الملة، وليس هو الحنيفية، الواردة في الأحاديث المتقدمة.

٤- أن النبي ﷺ شبّه تغيير الفطرة بجدع البهيمة الجمعاء، ومعلوم أنهم لم يغيروا قبوله، ولو تغير القبول وزال لم تقم عليه الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، بل المراد أن كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره وإقراره له بربوبيته وإذعانه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعدِم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذِّيه، وهذا من قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[3]، فهو سبحانه خلق الحيوان مهتدياً إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئاً بحسب حاجته، ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد ما وُلد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة، فهكذا ما ولد عليه من الفطرة[4].

---

(١) النحل:٧٨.

(٢) طه: ٥٠.

(٣) الأعلى:٣-٤.

(٤) انظر في هذه الأجوبة: درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٣٨٣-٣٨٤)، وشفاء العليل (٣ / ١٤١٤-١٤١٦).

تنبيه:

يجدر التنبيه هنا على أن بعض العلماء رأى أن الأحاديث التي وردت في الفطرة بينها تعارض، فسلك فيها مسلك النسخ، كما ذهب إلى ذلك محمد بن الحسن[1]، حيث قال: كان هذا القول من النبي ﷺ، – وهو قوله: "كل مولود يولد على الفطرة" – كان قبل أن يؤمر الناس بالجهاد[2].

ويستدل رحمه الله على هذا: بأن المولود لو مات فإنه يموت على الإسلام، وعليه فلا إرث لأبويه، والواقع في الحكم أنهما يرثانه، فدل على تغير الحكم، وأن هذا الحديث كان قبل نزول الأحكام.

وهذا القول ضعيف، وقد تعقبه ابن عبد البر، وغيره قال ابن حجر رحمه الله: " والحق أنه — أي الحديث – إخبار من النبي ﷺ بما وقع في نفس الأمر، ولم يرد به إثبات أحكام الدنيا "[3].

ومما يدل على ضعف هذا القول أيضا ما جاء في حديث الأسود بن سريع ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث سرية يوم حنين فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فلما جاءوا قال رسول ﷺ: "ما حملكم على قتل الذرية". قالوا: يا رسول الله إنما كانوا أولاد المشركين. قال: "أوَ هل خياركم إلا أولاد المشركين؟ والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها"[4].

قال ابن عبد البر: "وأما ما ذُكر عن محمد بن الحسن فأظن محمد بن الحسن حاد عن الجواب فيه، إما لإشكاله عليه، أو لجهله به، أو لكراهية الخوض في ذلك، وأما قوله فيه: إن ذلك القول كان من النبي عليه السلام قبل أن يؤمر الناس بالجهاد فليس كما قال، لأن في حديث الأسود

---

(١) الإمام محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني، صاحب أبي حنيفة، أصله من دمشق، أخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف وصنف الكتب ونشر علم أبي حنيفة ويروي الحديث عن مالك ودون الموطأ وحدث به عن مالك، مات سنة ١٨٧هـ. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/١٢٢-١٢٧).

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٦٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٣ / ٢٤٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٤ / ٣٥٤)، والطبراني في الكبير (١/٢٨٤)، والحاكم في مستدركه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تعليقه على المستدرك (٢ / ١٤٨).

بن سريع ما يبين أن ذلك كان بعد الأمر بالجهاد "[1].

ثم إن هذا الحديث خبر محض، وليس حكما يدخل تحت الأمر والنهي فلا يدخله النسخ. والله أعلم.

---

(١) التمهيد (١٨ / ٦٧).

المطلب الثالث : دلائل معرفة الله ﷻ، و استلزام التفكر والمعرفة والعلم بالله للعبادة .

١ - قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن بشران[١]، أنبأنا أبو علي الحسين بن صفوان[٢]، حدثنا ابن أبي الدنيا[٣]، حدثني الحسين بن عبد الرحمن[٤]، عن محمد بن معاوية الأزرق[٥]، قال: كتب عمر بن عبد العزيز[٦]، إلى الحسن[٧] عظني وأوجز، فكتب إليه:" إن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يديك الزهد في الدنيا، وإنما الزهد باليقين، واليقين بالتفكر، والتفكر بالاعتبار، فإذا أنت فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تتبع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلا أن تكرمها بهوان الدنيا، فإن الدنيا دار بلاء، ومنزل قلعة "[٨].

٢- قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرحمن[٩]، قال سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن

---

(١) الشيخ العالم المعدل المسند، أبو الحسين، علي بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشر الأموي البغدادي، قال الخطيب: كان تام المروءة، ظاهر الديانة، صدوقا ثبتاً، توفي في شعبان سنة ٤١٥هـ. سير أعلام النبلاء (٣١١/١٧).

(٢) الشيخ المحدث الثقة، أبو علي الحسين بن صفوان بن إسحاق بن إبراهيم، البرذعي، صاحب أبي بكر بن أبي الدنيا وراوي كتبه، توفي في شعبان سنة ٣٤٠هـ ببغداد. سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٤٢)

(٣) عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولاهم أبو بكر ابن أبي الدنيا البغدادي، صدوق حافظ، صاحب تصانيف، مات سنة ٢٨١هـ. التقريب (٣٦١٦).

(٤) لم أجد له ترجمة، ويقول محقق الزهد للبيهقي: إنه مجهول.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده فعد مع الخلفاء الراشدين، مات في رجب سنة ١٠١هـ، وله أربعون سنة ومدة خلافته سنتان ونصف. التقريب (٤٩٧٤).

(٧) البصري تقدم.

(٨) رواه البيهقي في الزهد ص (٢٠)، ورواه ابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين برقم (٣)، وحكم عليه المحقق بالضعف لجهالة الحسين بن عبدالرحمن.

(٩) أبو عبد الرحمن السُّلَمي، قال عنه الذهبي: الحافظ العالم الزاهد شيخ المشايخ، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابوري الصوفي، الأزدي الأب السلمي الأم، ضعيف، قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان السلمي غير ثقة، وكان يضع للصوفية الأحاديث، مات في شعبان سنة ٤١٢هـ. تذكرة الحفاظ

شاذان[1]، يقول سمعت يوسف بن الحسين[2]، يقول سمعت ذا النون[3] يقول: " النفس صنم، والنظر إليها عبادة، لأنك لا ترى فيها إلا آثار الحق، قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[4]"[5].

٣ - قال[6]: وسمعت ذا النون[7] وقيل: فما بال الموقنين يذنبون؟ قال:" ليعرِّفهم الله تفضله عليهم وإحسانه إليهم عند إساءتهم إلى أنفسهم؛ ليجدد عندهم النعيم، ويستقبلوا بالشكر؛ ليرفعوا إلى أعلى درجاتهم، ثم قال: تحقيق اليقين في القلب يحققه صحة العقل، وثبات نور اليقين بحقيقة الفعل، فبالعقل أداء الفرائض واجتناب المحارم والفكر في أمر الله تبارك وتعالى

للذهبي (٣ / ١٦٦)، سير أعلام النبلاء (١٧ / ٢٤٧).

(١) المحدث الواعظ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن شاذان الرازي الصوفي والد المحدث أبي مسعود أحمد بن محمد البجلي، قال الحاكم: ورد نيسابور سنة أربعين وثلاث مئة، وكتبت عنه، ورأيته ببخارى، فلما قدمت الري سنة سبع وستين صادفته وقد انتسب وأملى عليهم أنه محمد بن عبد الله بن المحدث محمد بن أيوب بن يحيى ابن الضريس، فخلوت به وزجرته فانزجر، وترك الانتساب إليه، ولو اشتهر ذلك بالري لآذوه، فإن محمد بن أيوب لم يعقب ذكراً. يروي عنه أبو عبد الرحمن السلمي بلايا وحكايات منكرة، وما هو بمؤتمن، مات سنة ٣٧٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٦/٣٦٤).

(٢) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي، الإمام العارف، شيخ الصوفية المحدث، أكثر الترحال، وأخذ عن ذي النون المصري، مات سنة ٤٠٢هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٤١٧)، سير أعلام النبلاء (١٤/٢٤٨)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٣ / ٧١).

(٣) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم - وقيل: الفيض بن إبراهيم - المصري المعروف بذي النون، المشهور، أحد رجال الطريقة، قال السلمي: "ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، وهجره علماء مصر". واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. قلّ ما روى من الحديث، ولا كان يتقنه. وقال الدار قطني: روى عن مالك أحاديث فيها نظر. مات في ذي القعدة سنة ٢٤٦هـ. وفيات الأعيان (١ / ٣١٥)، سير أعلام النبلاء (١١ / ٥٣٢).

(٤) الذاريات: ٢١.

(٥) رواه البيهقي في الزهد ص (١٠١)، وإسناده ضعيف؛ لضعف السلمي، واتهام ابن شاذان بالكذب.

(٦) والقائل أبو عثمان الخياط، وهو سعيد بن عثمان بن عياش بن عثمان أبو عثمان الخياط وقيل الحناط ويعرف بالفندقي الدمشقي الحياك الصوفي حدث عن ذي النون المصري وغيره مات في سنة ٢٩٤هـ. تاريخ دمشق (٢١ / ٢٢٨).

(٧) تقدم.

والحزن الدائم في القلب، واليقين جعله الله في القلب ليبغي به لمشاهدته الآخرة وما فيها "[١].

٤ - قال البيهقي: أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الروذباري[٢]، حدثنا أبو بكر الإسماعيلي[٣]، أخبرني أبو بكر بن المرزبان[٤] قال: سمعت محمد بن هارون يعني أبا نشيط[٥] يقول: سمعت بشر بن الحارث[٦] يقول: قال الفضيل بن عياض[٧]: " رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهده في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة "[٨].

---

(١) رواه البيهقي في الزهد ص (٢٨٧)، وجاء عند أبي داود في الزهد قول سعيد بن المسيب: " إنما العبادة الورع عما حرم الله ، والفكر في أمر الله".

(٢) الإمام المسند، أبو علي، الحسين بن محمد بن محمد بن علي بن حاتم، الروذباري الطوسي. سير أعلام النبلاء (٢١٩/١٧)، تذكرة الحفاظ (٣ / ١٨٦).

(٣) الإمام الحافظ الرحال الثقة، أبو بكر، محمد بن إسماعيل بن مهران النيسابوري، المعروف بالإسماعيلي، قال الحاكم: هو أحد أركان الحديث بنيسابور، مات سنة ٢٩٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٤ / ١١٧)، تذكرة الحفاظ (١٨٤/٢).

(٤) الإمام العلامة أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحولي البغدادي الآجري، مؤرخ مترجم، صدوق، مات سنة ٣٠٩هـ. سير أعلام النبلاء (٢٦٤/١٤)، الأعلام للزركلي (٦ / ١١٥).

(٥) محمد ابن هارون أبو نشيط المقرىء صاحب قالون، صدوق، من الحادية عشرة، تمييز. التقريب (٦٤٠٠).

(٦) بشر ابن الحارث ابن عبدالرحمن ابن عطاء ابن هلال المروزي نزيل بغداد أبو نصر الحافي الزاهد الجليل المشهور، ثقة قدوة، مات سنة ٢٢٧هـ. التقريب(٨٦٨).

(٧) تقدم.

(٨) رواه البيهقي في الزهد ص(٢٦)، ورواه أيضا في شعب الإيمان من طريق محمد بن نصر قال: سمعت الفضيل.. (٢٦٧/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨ / ٨٩)، وإسناده حسن.

❖ مسألة : دلائل معرفة الله ﷻ.

تعريف الدليل في اللغة:

قال ابن فارس: " الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها...فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدَلالة والدِلالة "[١].

والدليل: ما يُستدل به، والدليل الدال، وقد دله على الطريق، يدله بالضم دلالة بفتح الدال وكسرها[٢].

فالدليل في اللغة هو المرشد إلى الشيء والأمارة عليه، والموضح له.

تعريف الدليل في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " الدليل هو المرشد إلى المطلوب، وهو الموصل إلى المقصود، وهو ما يكون العلم به مستلزماً للعلم بالمطلوب.

أو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلاً إلى المطلوب، وهو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم أو إلى اعتقاد راجح "[٣].

وأدلة توحيد الربوبية كثيرة متنوعة، تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين، فقد جعل الله لخلقه أموراً لو تأملوها حق التأمل وتفكروا بها لدلّتهم إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الكون.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والمعرفة بالله أعظم المعارف، وطرقها أوسع وأعظم من غيرها، فمن حصرها في طريق معين بغير دليل يوجب نفياً عاماً لما سوى تلك الطريق لم يقبل منه، فإن النافي عليه الدليل، كما أن المثبت عليه الدليل"[٤].

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) مقاييس اللغة (٢ / ٢٥٩).

(٢) انظر: لسان العرب (٢ / ١٤١٤)، مختار الصحاح (١٩٤).

(٣) انظر: الرد على المنطقيين (١ / ١٦٥)، مجموع الفتاوى (٩ / ١٥٦).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٤٦).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[(١)]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[(٣)] ، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[(٤)]، وقوله﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[(٥)].

ومن الدلائل على ربوبية الله على خلقه مايلي:

1- دلالة الفطرة: وذلك أن الله ﷻ فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت؛ فالإيمان بالربوبية أمر جبلي مركوز في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولما كان الإقرار بالصانع فطريا، كما قال ﷺ " كل مولود يولد على الفطرة"[(٦)] الحديث، فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه وهو معنى لا إله إلا الله ؛ فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد "[(٧)].

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية في الجملة مع شركهم بالألوهية.

---

(١) الفاتحة:٢.

(٢) البقرة:١٦٤.

(٣) الروم:٤٠.

(٤) يس:٨٢-٨٣

(٥) الذاريات:٥٨.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) مجموع الفتاوى (٢ / ٦).

ومما يدل على ذلك ما هو مبثوث في ثنايا أشعارهم، ومن ذلك قول عنترة[١]:

يا عبلُ أين من المنِيَّة مهْربي * إن كان ربي في السماء قضاها.

وقول زهير ابن أبي سلمى[٢]:

فلا تكتمنَّ الله ما في نفوسكم * ليَخفَى ومَهما يُكتَمِ اللَّهُ يعلَمِ

يُؤخَّرْ فَيُوضَعْ في كتابٍ فيُدّخرْ * ليومِ الحسابِ أوْ يُعَجَّلْ فيُنقَمِ

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك عنهم في القرآن كما في قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[٣].

2- دلالة الأنفس: فالنفس آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً.

قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤] .

قال الإمام ابن كثير:"يحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحِيَله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعداها، كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه "التفكر والاعتبار"، عن شيخه أبي جعفر القرشي:

وَإذَا نَـظَـرْتَ تُريـدُ مُـعْـتَبـرَا * فَانظرْ إليْـكَ فَفِيـكَ مُعْتَبَرُ "[٥].

وقال ابن سعدي: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ﴾[٦] مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله

(١) ديوان عنترة بن شداد ص (٩٢).

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص (٦٨).

(٣) العنكبوت: ٦١.

(٤) فُصِّلَت: ٥٣.

(٥) تفسير ابن كثير (٧ / ١٨٧).

(٦) الذاريات: ٢١.

وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [(١)]، وما اشتمل عليه حق "[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾[(٣)] ، قال قتادة: " من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خُلق ولينت مفاصله للعبادة "[(٤)].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عندما تكلم عن آلة اللسان، وأن الله جعله دليلا على ما في الجنان، قال:" جعل الله ﷻ ذلك من دلائل ربوبيته ووحدانيته، وكمال علمه وحكمته، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾[(٦)] "[(٧)].

والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات، فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه، حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئا، فلم يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم [(٨)].

٣- دلالة الآفاق: كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾[(٩)].

---

(١) فُصِّلَت:٥٣.

(٢) تفسير السعدي (١ / ٧٥٢).

(٣) الذاريات:٢١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٧ / ٤١٩).

(٥) الرحمن:١-4.

(٦) البلد:٨-10.

(٧) الصواعق المرسلة (١ / ٣٤٣) بتصرف.

(٨) انظر: معارج القبول (١ / ١٣٠).

(٩) فُصِّلَت:٥٣.

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية[١]:

فقيل: كانوا يسافرون فيرون آثار عاد وثمود، يقولون: والله لقد صدق محمد ﷺ.

وقيل: يعني ما يسر الله ﷻ لرسوله ﷺ، وللخلفاء من بعده، ونصّار دينه، في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً، وفي باحة العرب خصوصاً.

وقيل: أن اللّه سيقيم لهم، ويريهم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه اللّه تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

وقيل غير ذلك، ورجح الإمام الطبري[٢] بأن المقصود من الآية هو: إظهار النبي ﷺ على المشركين، ونصرة دينه.

قال رحمه الله: " إن الله ﷻ وعد نبيّه ﷺ أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم رأوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبيّ ﷺ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيراً قبل وبعد، ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك "[٣].

وهذا لا يعارض ما لو تأمل الإنسان في الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب، لأدرك أن هناك خالقاً لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم.

٤- دلالة الحس: لدلالة الحس على توحيد الربوبية وجهان:

الوجه الأول: هو ما نشهده ونسمعه من إجابة الداعين، وغوث المكروبين.

وأما الوجه الثاني: فهو ما أيد الله به رسله عليهم السلام من المعجزات التي تدل على ربوبية الله ، ونصرته لهم على أعدائهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٩٣/٢١)، زاد المسير (٧ /٢٦٧)، الدر المنثور (١٢٧/١٣)، تفسير السعدي (٧٥٢/١).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، طلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، صاحب التصانيف البديعة منها: أخبار الرسل والملوك، وجامع البيان في تفسير القرآن، توفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢٦٧) طبقات المفسرين للسيوطي ص (٨٢).

(٣) تفسير الطبري (٢١ / ٤٩٤).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" وهذه الطريق – الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة – مأخوذة من طرق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلاً في وجوب قبول ما دعا إليه النبي ﷺ، وهذا النوع مقنع في الاستدلال لمن لم يتسع فهمه لإدراك وجوه الأدلة، ولم يتبين معاني تعلق الأدلة بمدلولاتها، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها؛ فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانا عظيما يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول، وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا وكذلك اليد، وفلق البحر طرقا والماء قائم بينهما كالحيطان، ونتق الجبل من موضعه ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينا تكفي أمة عظيمة، وكذلك سائر آيات الأنبياء، فإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها، ثم انصدعت عنها والناس حولها ينظرون، وكذلك تصوير طائر من طين، ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائرا ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، وهذه من طرق القرآن التي أرشد إليها عباده، ودلهم بها، كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث، التي في الجو وفي الأرض، وأحوال المعلومات من السماء والشمس والقمر والنجوم، وأحوال النطفة، وتقلبها طبقا بعد طبق، حتى صارت إنسانا سميعا بصيرا حيا متكلما عالما قادرا يفعل الأفعال العجيبة ويعلم العلوم العظيمة "[1].

٥- **دلالة العقل**: ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم أدلة عقلية في مقام إثبات ربوبيته ﷻ على

---

(١) الصواعق المرسلة (٣ / ١١٩٦).

خلقه، منها قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[1] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من غير رَبٍّ، ومعناه: أَخُلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟ وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، أم هم الخالقون لأنفسهم، وذلك في البطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا فليؤمنوا به "[2].

وعن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) ﴾ كاد قلبي أن يطير "[3].

ومما يُذكر في مقام الاستدلال على ربوبية الله ﷻ دليل التمانع، قال ابن أبي العز رحمه تعالى:" والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع، وهو: أنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلها، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزا لا يصلح للإلهية "[4].

---

(١) الطور:٣٥.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٧ / ٣٩٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، برقم (٤٨٥٣).

(٤) شرح الطحاوية (٣٠).

❖مسألة: استلزام التفكر والمعرفة والعلم بالله للعبادة.

إن للتفكر والنظر والاعتبار أثر في عبادة الله ﷻ، فمعرفة الله ﷻ والعلم به والتفكر في ملكوته، يورث الخوف والرهبة منه، والحب له، والزهد في الدنيا، والإقبال على طاعته، والكف عن معصيته ﷻ.

ولهذا قال بعض السلف: " من كان بالله أعرف كان منه أخوف "(١).

ويدل على صحة هذا المعنى قول النبي ﷺ لأصحابه: " أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له"(٢).

وهذه هي حقيقة القاعدة التي يذكرها العلماء المستنبطة من كتاب الله ﷻ وهي: أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:" أما توحيد الربوبية فهو: الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه "(٣). وصدق رحمه الله.

فكلما قوي علم العبد بالله، كان ذلك سبباً لكمال تقواه وإخلاصه، ووقوفه عند الحدود، وحذره من المعاصي، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٤). فالعلماء بالله وبدينه هم أخشى الناس، وأتقاهم له.

قال ابن القيم رحمه الله:" ومن عرف الله لم يكن شيء أحب إليه منه، ولم تبق له رغبة فيما سواه، إلا فيما يقربه إليه ويعينه على سفره إليه.

ومن علامات المعرفة: الهيبة؛ فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾. أي العلماء به...ومن عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله، واستوحش من الناس، وأورثته المعرفة: الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال والمراقبة والمحبة

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥ / ٤٣٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب (الترغيب في النكاح) رقم (٥٠٦٣).

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ / ٦٤).

(٤) فاطر:٢٨.

والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به والتسليم لأمره "(1).

وقال رحمه الله عند كلامه عن منزلة التعظيم: " وهذه المنزلة تابعة للمعرفة؛ فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالا، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته "(2).

والمعرفة بالله عز وجل نوعان(3):

الأولى: معرفة إقرار، وهي: التي اشترك فيها الناس، البر والفاجر، والمطيع والعاصي.

والثانية: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيته والإنابة إليه، والأنس به والفرار من الخلق إليه.

وهذه -الثانية- هي المعرفة الخالصة الجارية على لُسُن القوم، وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم، وكل أشار إلى هذه المعرفة بحسب مقامه وما كشف له منها: وقد قال أعرف الخلق به: "لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن.

ولهذه المعرفة بابان واسعان: باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله ﷺ.

والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها، وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه، وجِماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها، وتفرده بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيها في أوامره ونواهيه، فقيها في قضائه وقدره، فقيها في أسمائه وصفاته، فقيها في الحكم الديني الشرعي، والحكم الكوني القدري، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومما يزيد من أهمية هذه العبادة هو معرفة منزلة ومكانة وسيلتها، وهو القلب، وقد بين ابن القيم رحمه الله ذلك بقوله:" وهذا لأن الفكرة عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح، فكان عمله أشرف من عمل الجوارح، وأيضا فالتفكر يوقع صاحبه من الإيمان

---

(1) روضة المحبين (٤٠٨).

(2) مدارج السالكين (٢ / ٣٦٦).

(3) انظر: الفوائد (٢٤٨).

على مالا يوقعه عليه العمل المجرد "[١].

ثم بين رحمه الله أن هذا التفكر هو من أفضل العبادات، وهو مفتاح الخيرات فقال:" فالخير والسعادة في خزانة، مفتاحها التفكر، فإنه لا بد من تفكر، وعلم يكون نتيجة للتفكر، وحال يحدث للقلب من ذلك العلم، فإن كل من عمل شيئا من المحبوب أو المكروه لا بد أن يبقى لقلبه حالة، وينصبغ بصبغة من علمه، وتلك الحال توجب له إرادة، وتلك الإرادة توجب وقوع العمل، فها هنا خمسة أمور: الفكر وثمرته العلم، وثمرتهما الحالة التي تحدث للقلب، وثمرة ذلك الإرادة، وثمرتها العمل، **فالفكر إذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات** كلها، وهذا يكشف لك عن فضل التفكر وشرفه، وأنه من أفضل أعمال القلب وانفعها له، حتى قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة فالفكر "[٢].

وقد أولى السلف رحمهم الله معرفة الله ﷻ عناية كبيرة ومن ذلك ما يروى عن علي ﷺ قوله:" ما يسرني لو مت طفلاً، وأدخلت الجنة، ولم أكبر فأعرف ربي ﷻ "[٣]، ومن طرق هذه المعرفة التفكر الذي يوصل إلى حقيقة معرفة الله ﷻ.

ومجرى الفكر ومتعلقه أربعة أمور[٤]:

أحدها: غايةٌ محبوبةٌ مرادةُ الحصول. الثاني: طريق موصلة إلى تلك الغاية. الثالث: مضرة مطلوبة الإعدام، مكروهة الحصول. الرابع: الطريق المفضي إليها الموقع عليها.

فلا تتجاوز أفكار العقلاء هذه الأمور الأربعة، وأي فكر تخطاها فهو من الأفكار الردية، والخيالات والأماني الباطلة.

وإذا كان الفكر النافع لا يخرج عن الأقسام الأربعة السابقة فله أيضا محلان ومنزلان:

أحدهما: هذه الدار. والآخر: دار القرار.

فأبناء الدنيا الذين ليس لهم في الآخرة من خلاق عمروا بيوت أفكارهم بتلك الأقسام الأربعة في هذه الدار.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (١ / ١٨٩).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١ / ٧٤).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٩-١٩١).

وأبناء الآخرة الذين خُلقوا لها عمروا بيوت أفكارهم على تلك الأقسام الأربعة.

وتفكر العبد في المحبوب لذاته وهو الله ﷻ لا يخرج عن حالتين:

أحداهما: التفكر في جماله وأوصافه.

والثانية: التفكر في أفعاله وإحسانه وبره ولطفه، الدالة على كمال صفاته.

وتعلق فكر العبد بنفسه لا يخرج أيضا عن حالتين: إما أن يفكر في أوصافه المسخوطة التي يبغضها محبوبه، ويمقته عليها، ويسقطه من عينه، فهو دائما يتوقع بفكره عليها ليتجنبها ويبعد منها.

والثانية: أن يفكر في الصفات والأخلاق والأفعال التي تقربه، منه وتحببه إليه حتى يتصف بها.

فالفكرتين الأولين توجب له زيادة محبته وقوتها وتضاعفها.

وأما الآخرتين فتوجب محبة محبوبه له، وإقباله عليه، وقربه منه، وعطفه عليه، وإيثاره على غيره.

فالمحبة التامة مستلزمة لهذه الأفكار الأربعة: فالفكرة الأولى والثانية: تتعلق بعلم التوحيد وصفات الإله المعبود سبحانه وأفعاله.

والثالثة والرابعة: تتعلق بالطريق الموصلة إليها، وقواطعها، وآفاتها، وما يمنع من السير فيها إليه.

المطلب الخامس : التسلسل .

قال وكيع: حدثنا هشام بن عروة[١]، عن أبيه[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ فيقول: الله، فيقول: ومن خلق الأرض؟ فيقول الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم من ذلك بشيء، فليقل: آمنت بالله وبرسوله "[٣].

---

(١)هشام ابن عروة ابن الزبير ابن العوام الأسدي، ثقة فقيه ربما دلس مات سنة ١٤٥هـ أو ١٤٦هـ، وله سبع وثمانون سنة. الكاشف (٢ / ٣٣٧)، التقريب (٧٣٥٢).

(٢)عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه مشهور، مات سنة ٩٤هـ على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان. الكاشف (٢ / ١٨)، التقريب (٣٥٩٣).

(٣)الزهد لوكيع (٢ / ٤٧٦)، رجاله ثقات، ولكن إسناده مرسل، وقد صح موصولا عن عروة بن الزبير عن أبي هريرة ﷺ عند أحمد في المسند (١١٠/١٤)، وجاء في الصحيحين نحوه، عند البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب"صفة لإبليس وجنوده" برقم (٣٢٧٦)، وعند مسلم في كتاب: الإيمان، باب"بيان الوسوسة في الإيمان وما يقول من وجدها" برقم (٣٤٧).

❖مسألة: التسلسل.

تعريف التسلسل في اللغة:

(تسلسل) تتابع. يقال: تسلسل الماء، جرى في حدور واتصال، وصار وجهه كالسلسلة، وماء سلسل وسلسال: سهل الدخول في الحلق، وقيل معنى يتسلسل: أنه إذا جرى أو ضربته الريح يصير كالسلسلة.

وقال بعض أهل اللغة: السلسلة اتصال الشيء بالشيء...سميت بذلك لأنها ممتدة في اتصال، وبذلك سميت سلسلة الحديد، وسلسلة البرق المستطيلة في عرض السحاب[1].

تعريف التسلسل في الاصطلاح:

التسلسل لفظ مجمل، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، إذ ورد فيهما لفظ السلسلة والسلاسل فقط، قال ﷻ: ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾[4]، ومن السنة قوله ﷺ: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"[5]، والسلاسل جمع سلسلة، والسلسة سبق بيان معناها في اللغة، وهو المراد في القرآن والسنة.[6]

فالتسلسل هو: مصطلح كلامي يراد به(ترتيب أمور غير متناهية).[7]

وإنما سمي تسلسلا أخذاً من السلسلة، وهي قابلة لزيادة الحِلَق إلى ما لا نهاية له، فالمناسبة بين المعنى اللغوي وبين المعنى الاصطلاحي هو: عدم التناهي بين طرفيهما، ففي السلسلة مبتدؤها

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦٠/٣)، لسان العرب (٢٠٦٤/٣)، تاج العروس (٢١٧/٢٩)، المعجم الوسيط (٤٤٢/٢).

(٢) غافر: ٧١.

(٣) الإنسان: ٤.

(٤) الحاقة: ٣٢.

(٥) رواه البخاري كتاب: الجهاد والسير، باب"الأسارى في السلاسل"، برقم (٣٠١٠).

(٦) انظر: درء التعارض (٣٦٣/١)، شرح الطحاوية (٨٥)، الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية ص (٣٤٤-٣٤٥).

(٧) انظر: التعريفات للجرجاني ص (٤٥)، التعاريف للمناوي ص (١٧٥)، العين والأثر لعبد الباقي الحنبلي ص (٥١).

ومنتهاها، وأما في التسلسل فطرفاه هما الزمن الماضي والمستقبل[1].

وقد اختلف أهل السنة وغيرهم من المتكلمين والفلاسفة[2]، في مفهوم التسلسل وما يجوز منه وما يمتنع.

فلفظ التسلسل ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التسلسل الممتنع، وهو التسلسل في المؤثرات، والفاعلين، والعلل، وهو"بأن يكون للفاعل فاعل، وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له"[3]، وهذا متفق على بطلانه بين العقلاء فهو باطل بصريح العقل، ومنه التسلسل في تمام كون المؤثر مؤثراً؛ كأن يقال الحادث لابد له من سبب حادث، وذلك السبب لابد له من سبب حادث.[4]

وهذا هو التسلسل الذي أمر النبي ﷺ بأن يستعاذ بالله منه، وأمر بالانتهاء عنه، وأن يقول العبد إذا طرأ عليه مثل هذا الأمر: آمنت بالله ورسله. كما جاء في الأثر السابق، وكما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، وكذا، حتى يقول: له من خلق ربك. فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته "[5].

---

(١) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف للبريكان ص (٢٠٨).

(٢) الفلسفة: كلمة يونانية أصلها " فيلا وسوفا " ومعناها محبة الحكمة، وقيل معرفة الإنسان نفسه ، وقيل : علم الأشياء الأبدية، والفلاسفة – كما يقول ابن القيم رحمه الله – في عرف كثير من الناس صار مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا لما يقتضيه العقل في زعمه، وهي في عرف المتأخرين: اسم لأتباع أرسطو وهم المشاؤون خاصة، الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها، ومن مقولاتهم القول بقدم العالم، والملائكة عندهم العقول، وأنكروا الكتب ... وخيار ما عند هؤلاء فالذي عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون منه ، وقد ذكر الغزالي أصناف الفلاسفة وهم الدهرية والطبيعيون والإلهيون، وقال عنهم: وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين ، وبين الأواخر منهم والأوائل ، تفاوت عظيم ، في البعد عن الحق والقرب منه.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢ / ٥٧، ١٤٨)، المنقذ من الضلال للغزالي (١ / ١٧– ١٨) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢ / ٢٠٨–٢٠٩، ٢١٢، ٢١٨)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي (١/ ١٣١).

(٣) انظر: درء التعارض (١/٣٢١–٣٦٣)، الصفدية (١ / ١١).

(٤) انظر: منهاج السنة (١/٤٣٦)، درء التعارض (١/٣٢١–٣٦٣)، الصفدية (١ / ٢٤)، بدائع الفوائد (١٥٣٤/٤)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص(٨٥–٨٦).

(٥) البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب"صفة لإبليس وجنوده" برقم (٣٢٧٦)، وعند مسلم في كتاب: الإيمان، باب"بيان

وعن أبي هريرة ﷺ أيضا قال: قال لي رسول الله ﷺ: "لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟" قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب فقالوا: يا أبا هريرة هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا، صدق خليلي ﷺ[1].

النوع الثاني: التسلسل الممكن وهو التسلسل في المفعولات والآثار(المخلوقات)، "بأن يكون الحادث الثاني موقوفاً على حادث قبله، وذلك الحادث موقوف على حادث قبل ذلك وهلم جرا"، فهو إذا وجود حادث بعد حادث[2].

وهذا النوع من أنواع التسلسل قد وقع فيه خلاف، والناس فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: منْعُه في الماضي والمستقبل، وهذا قول الجهم بن صفوان[3]، وأبي الهذيل العلاف[4]، حيث زعم الجهم أن الجنة والنار تفنيان، وزعم أبو الهذيل العلاف أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع ويبقون في سكون دائم.

وذلك أنهم لما اعتقدوا أن التسلسل في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل قالوا هذا القول[5].

الوسوسة في الإيمان وما يقول من وجدها" برقم (٣٤٧)، واللفظ لمسلم.

(١) رواه مسلم في كتاب:الإيمان، باب "بيان الوسوسة في الإيمان وما يقول من وجدها" برقم (٣٤٩).

(٢) انظر: درء التعارض (٣٢١/١)، منهاج السنة (٤٣٧/١).

(٣) جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن ويقول: إن الله في الأمكنة كلها، وأن الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر، قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم، لإنكاره أن الله كلم موسى، سنة ١٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٦)، الأعلام للزركلي (٢ / ١٤١).

(٤) أبو الهذيل محمد الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري العلاف شيخ الكلام، ورأس الاعتزال، وصاحب الذكاء البارع، كان شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، يقال: قارب مئة سنة، وخرف، وعمي لم يلق عمرو بن عبيد، بل لازم تلميذه عثمان بن خالد الطويل، قال الذهبي: وتصانيفه كثيرة، ولكنها لا توجد، مات سنة ٢٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١ / ١٧٣)، وفيات الأعيان (٤ / ٢٦٥)، الأعلام للزركلي (٧ / ١٣١).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية (١ / ١٤٦-١٤٧، ٤٣٥)، درء التعارض (٣٥٩/٢)، شرح الطحاوية ص (٨٧).

القول الثاني: جوازه في المستقبل دون الماضي، وهو قول أكثر أتباع جهم وأبي الهذيل، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والكرامية[1] ومن وافقهم، والذي أدى بهم إلى هذا القول: اعتقادهم بأن القول بجوازه يفضي إلى القول بقدم العالم، وقد اعترض عليهم الفلاسفة في قولهم: بجواز دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي، بأنه لا دليل لهم على التفريق بينهما[2].

القول الثالث: جوازه مطلقاً في الماضي والمستقبل، وهذا قول أئمة السنة والحديث، وأساطين الفلاسفة.

ولكن الفرق بين أهل السنة وبين الفلاسفة، هو أن أهل السنة يقولون أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن، بينما قالت الفلاسفة بقدم العالم، وهو باطل.

وقول أهل السنة دل عليه الشرع والعقل: فالفلاسفة لم يفرقوا بين الآحاد والنوع من المفعولات، فقالوا بقدم الآحاد، وهذا هو التسلسل الباطل الممتنع، أما السلف فيقولون بقدم النوع؛ لأن الله لم يزل مريدا خالقا، فاعلا، متكلما إذا شاء متى شاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن أسباب ذلك – أي ضلالهم في القول بقدم العالم – أنهم لم يعرفوا حقيقة السمع والعقل، فلم يعرفوا ما دل عليه الكتاب والسنة، ولم يميزوا في

---

(١) الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية، المتوفى سنة٢٥٥هـ، وهم يوافقون السلف في بعض عقائدهم فهم يثبتون الصفات بما فيها أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن، وأنه يصير موصوفاً بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك، قالوا: لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث. ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها، فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها، وقالوا إن القرآن كلام الله غير مخلوق وهو متكلم به بحرف وصوت، لكن ليس الصوت قديم، ويقرون بتحسين العقل وتقبيحه، فهم كما ذكر ابن تيمية: أن فيهم قرب إلى أهل السنة والحديث، وإن كان في مقالتهم من الأقوال ما يخالف أهل السنة والحديث. ومن عقائدهم الفاسدة أنهم يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا، وأيضا عندهم أن إيمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيمان، وكذلك عدم عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر حاشى الكذب في التبليغ فقط.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٢٠٢)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤ / ٢)، مجموع الفتاوى (٦/٥٥-٣٢٥-٥٢٤-٥٢٥)، (٧/١٤٠-١٤١-١٩٥-٥٤٨)، (٤٢٨/٨)، (١٢/١٥٠-١٧٧-٥٨٠)، سير أعلام النبلاء (١١ / ٥٢٣).

(٢) انظر: الصفدية (١١/١)، منهاج السنة النبوية (٤٣٧/١)، درء التعارض(٣٢٢/١، ١٨٦/٩)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٩٩٨/٣-٩٩٩).

المعقولات بين المشتبهات؛ وذلك أن العقل يفرق بين كون المتكلم متكلما بشيء بعد شيء دائما، وكون الفاعل يفعل شيئا بعد شيء دائما، وبين آحاد الفعل والكلام، فيقول: كل واحد من أفعاله لابد أن يكون مسبوقا بالفاعل، وأن يكون مسبوقا بالعدم، ويمتنع كون الفعل المعين مع الفاعل أزلا وأبدا -كما هو قول الفلاسفة -، وأما كون الفاعل لم يزل يفعل فعلا بعد فعل فهذا من كمال الفاعل، فإذا كان الفاعل حيا وقيل: إن الحياة مستلزمة الفعل والحركة، كما قال ذلك أئمة أهل الحديث كالبخاري والدارمي وغيرهما، وأنه لم يزل متكلما إذا شاء وبما شاء، ونحو ذلك كما قاله ابن المبارك وأحمد وغيرهما من أئمة أهل الحديث والسنة، كان كونه متكلما أو فاعلا من لوازم حياته، وحياته لازمة له، فلم يزل متكلما فعالا؛ مع العلم بأن الحي يتكلم ويفعل بمشيئته وقدرته، وأن ذلك يوجب وجود كلام بعد كلام، وفعل بعد فعل، فالفاعل يتقدم على كل فعل من أفعاله، وذلك يوجب أن كل ما سواه محدث مخلوق، ولا نقول: إنه كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز ولكن نقول: لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا شبه له ولا كيف. فليس مع الله شيء من مفعولاته قديم معه، لا بل هو خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له، وكل مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن وإن قدر إنه لم يزل خالقا فعالا. وإذا قيل: إن الخلق صفة كمال؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾[1] أمكن أن تكون خالقيته دائمة، وكل مخلوق له محدث مسبوق بالعدم، وليس مع الله شيء قديم. وهذا أبلغ في الكمال من أن يكون معطلا غير قادر على الفعل ثم يصير قادرا والفعل ممكنا له بلا سبب. وأما جعل المفعول المعين مقارنا له أزلا وأبدا فهذا في الحقيقة تعطيل لخلقه وفعله، فإن كون الفاعل مقارنا لمفعوله أزلا وأبدا مخالف لصريح المعقول .

فهؤلاء الفلاسفة الدهرية وإن ادعوا أنهم يثبتون دوام الفاعلية فهم في الحقيقة معطلون للفاعلية وهي الصفة التي هي أظهر صفات الرب تعالى "[2].

---

(١) النحل:١٧.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩)، وللاستزادة في جمع كلام شيخ الإسلام حول هذا الموضوع راجع موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١٠٠٣) وما بعدها.

إذاً فالله ﷻ لم يزل حيا، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلا لما يريد، كما وصف بذلك نفسه، حيث يقول ﷻ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [(١)].

والآية تدل على أمور:

أحدها: أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

الثاني: أنه لم يزل كذلك؛ لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، ولا يجوز أن يكون عادما لهذا الكمال في وقت من الأوقات، وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾[(٢)] ولما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله، لم يكن حادثا بعد أن لم يكن.

الثالث: أنه إذا أراد شيئا فعله، فإن"ما"موصولة عامة، أي: يفعل كل ما يريد أن يفعله.

الرابع: أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعل فعل، وما فعله فقد أراده. بخلاف المخلوق"فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريده. فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده.

الخامس: إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول في الفطر، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد.

السادس: أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته جاز فعله، فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وأن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، وأن يري عباده نفسه، وأن يتجلى لهم كيف شاء، ويخاطبهم، ويضحك إليهم، وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يمتنع عليه فعله، فإنه تعالى فعال لما يريد. وإنما يتوقف صحة ذلك على إخبار الصادق به.

والقول بأن الحوادث لها أول، يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله ﷻ لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلا، ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ما سوى الله محدَث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له ﷻ[(٣)].

---

(١)البروج: ١٥-١٦.

(٢) النحل:١٧.

(٣) انظر: شرح الطحاوية (٨٩).

النوع الثالث: التسلسل الواجب وهو " ما دل عليه العقل والشرع، من دوام أفعال الرب ﷻ في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته"(١).

فالله ﷻ ما زال ولا يزال موصوفا بالفعل، فلم تحدث له أفعال بعد أن لم يكن فاعلا، بل هو فاعل أبدا وأزلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا عرضنا على صريح العقل من يقدر على الأفعال المتعاقبة الدائمة، ويفعلها دائمة متعاقبة، ومن لا يقدر على الدائمة المتعاقبة كان الأول أكمل "(٢).

وهذا هو مذهب جمهور السنة، كما قال الإمام أحمد: لم يزل الله عالما متكلما غفورا، بل يقولون: لم يزل يفعل، إما بناء على أن الفعل قديم وإن كان المفعول محدثا، أو بناء على قيام الأفعال المتعاقبة بالفاعل(٣).

وأما أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة وغيرهم على أن أفعاله محدثة بعد أن لم تكن، والذي دفع المتكلمين إلى هذا القول؛ هو خشيتهم أن يفسد عليهم دليل حدوث العالم(٤)، وهو دليل الأعراض(٥) المشهور بين المتكلمين، ومبنى الدليل على منع التسلسل، قالوا: فلو كان الباري تعالى متكلما في الأزل بكلام لا أول له، وفاعلا لأفعال لا أول لها، لزمنا القول بالتسلسل، فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم(٦).

---

(١) انظر: شفاء العليل(٨٩٠/٢)، شرح الطحاوية ص (٨٦).

(٢) درء التعارض (٢ / ٢٢٠).

(٣) انظر: درء التعارض (٢ / ٢٦٨).

(٤) انظر: درء التعارض (١٨٥/٩)، توضيح المقاصد لابن عيسى (٢٩٩/١).

(٥) قال الرازي: "المسلك الرابع الاستدلال بحدوث الصفات والأعراض على وجود الصانع تعالى، مثل صيرورة النطفة المتشابهة الأجزاء إنسانا، فإذا كانت تلك التركيبات أعراضا حادثة، والعبد غير قادر عليها، فلا بد من فاعل آخر، ثم من ادعى العلم بأن حاجة المحدث إلى الفاعل ضروري ادعى الضرورة هنا، ومن استدل على ذلك بالإمكان أو بالقياس على حدوث الذوات فكذلك يقول أيضا في حدوث الصفات " انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨٢/٣).

(٦) انظر: توضيح المقاصد لابن عيسى (٢٩٩/١).

ويمكن الرد عليهم بأن يقال لهم: إن قدم أفعال الرب ﷻ لا تستلزم قدم شيء من مفعولاته، فليس مع الله شيء من مفعولاته قديم معه، بل هو خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له، وكل مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، وإن قدر إنه لم يزل خالقا فعالا.

وإذا قيل: إن الخلق صفة كمال؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾[1] أمكن أن تكون خالقيته دائمة، وكل مخلوق له محدث مسبوق بالعدم، وليس مع الله شيء قديم؟ وهذا أبلغ في الكمال من أن يكون معطلا غير قادر على الفعل ثم يصير قادرا، والفعل ممكنا له بلا سبب.

وأما جعل المفعول المعين مقارنا له أزلا وأبدا فهذا في الحقيقة تعطيل لخلقه وفعله، فإن كون الفاعل مقارنا لمفعوله أزلا وأبدا مخالف لصريح المعقول[2].

---

(١)النحل:١٧.

(٢) انظر هذا الرد في: مجموع الفتاوى (١٨ / ٢٢٨)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥ / ١٨٥).

المبحث الثالث :

توحيد الألوهية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وجوب إخلاص الأعمال للّه ﷿.

المطلب الثاني : قوادح التوحيد و مبطلاته .

المطلب الأول :

وجوب إخلاص الأعمال للّه ﷻ:

وفيه تمهيد، وأربع مسائل :

المسألة الأولى: حكم الإخلاص، واستحضاره في العبادة.

المسألة الثانية: قبول العمل متوقف على الإخلاص.

المسألة الثالثة: فرح العبد بالثناء عليه إذا عمل الطاعة.

المسألة الرابعة: اهتمام السلف بأمر الإخلاص.

تمهيد:

تعريف الإخلاص :

تعريفه في اللغة:

كلمة الإخلاص: مأخوذة من الفعل خَلُصَ.

قال ابن فارس: " الخاء واللام والصاد: أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه "[1].

وقال الخليل بن أحمد: " خلص الشيء خلوصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم...وهذا الشيء خالصة لك أي خالص لك خاصة.

والإخلاص التوحيد لله خالصا؛ ولذلك قيل لسورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2]، سورة الإخلاص...وأخلصت لله ديني أمحضته.. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[3]،المخلصون المختارون، والمخلصون الموحدون "[4].

وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص: الشيء اختاره، والإخلاص أيضا في الطاعة: ترك الرياء. وقد أخلصت لله الدين، وخالَصه في العشرة: أي صافاه [5].

مما تقدم يتبين أن كلمة (أخلص)في اللغة يراد بها عدة معاني متقاربة، وهي:

محض الشيء وتوحيده – التنقية والتهذيب – الاختيار – التصفية – التخصيص.

وقد جاءت بعض نصوص القرآن الكريم دالة على بعض هذه المعاني اللغوية منها:

١- قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ

---

(١) مقاييس اللغة (٢ / ٢٠٨).

(٢) الإخلاص:١.

(٣) يوسف:٢٤.

(٤) العين (٤ / ١٨٦-١٨٧).

(٥) انظر: لسان العرب (٢ / ١٢٢٧)، الصحاح للجوهري (٤ / ١٧٤).

عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ ﴾[(١)].

أي: خاصة للذكور لا يشاركهم فيها النساء[(٢)].

٢- ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴾[(٣)].

أي: انفردوا عن الناس، واجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم، وجعلوا يتناجون فيما بينهم[(٤)].

٣- ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾[(٥)].

أي: يتخلص الدمُ بياضُه وطعمُه وحلاوتُه من بين فرث ودم في باطن الحيوان... وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه[(٦)].

تعريفه في الشرع:

تواردت تعاريف أهل العلم للإخلاص، وتنوعت فيه عباراتهم، وكلها تؤول إلى معنى واحد، وهو: أن يكون مقصود العبد في جميع عباداته ربه عز وجل.

قال ابن حزم[(٧)] رحمه الله: " والإخلاص: هو أن يُخلص العمل المأمور به للوجه الذي أمره الله تعالى به فيه فقط "[(٨)].

---

(١) الأنعام:١٣٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٣٤٦)، تفسير السعدي (١ / ٢٧٥).

(٣) يوسف: ٨٠.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٤٠٣)، تفسير السعدي (١ / ٤٠٣).

(٥) النحل:٦٦.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٥٨١).

(٧) أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الاصل، ثم الاندلسي القرطبي، نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطا، وذهنا سيالا، وكتبا نفيسة كثيرة، قيل: إنه تفقه أولا للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، ومن أشهر مصنفاته: المحلى في الفقه، والفصل في الملل والنحل، وكتاب الإجماع، مات سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٤).

(٨) المحلى (٦ / ١٧٤).

وقال القرطبي[1] رحمه الله: " والإخلاص: النية في التقرب إلى الله تعالى، والقصد له بأداء ما افترض على عباده المؤمنين "[2].

وقال العز بن عبد السلام[3] رحمه الله: " الإخلاص: هو أن يقصد بطاعته وجه الله، ولا يريد بها سواه "[4].

وقال ابن تيمية رحمه الله: " تحقيق الإخلاص: خلو القلب مما سوى الله، وسكونه إلى الله، والتوحيد الذي من حققه كان أقرب الخلق إلى الله "[5].

وقال ابن القيم رحمه الله: " الإخلاص: قصد المعبود وحده بالتعبد "[6].

وقال ابن القيم أيضا: " والإخلاص: أن يخلص لله فى أفعاله وأقواله وإرادته ونيته "[7].

وقال الشوكاني رحمه الله: "والإخلاص أن يقصد العبد بعمله وجه الله "[8].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "والإخلاص: هو إفراد الله تعالى بالعبادة باطناً وظاهراً "[9].

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: " حقيقة الإخلاص: أن يكون قصد العبد وجه الله

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي، مصنف التفسير المشهور: الجامع لأحكام القرآن، وله أيضا التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، مات سنة ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ص (٢٤٦)، طبقات المفسرين ص (٧٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢١٣).

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، ولد ونشأ في دمشق، قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد، له تصانيف منها: الإلمام في أدلة الأحكام، و قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، وبداية السول في تفضيل الرسول، توفي سنة ٦٦٠هـ. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ١٠٩)، الأعلام للزركلي (٤ / ٢١).

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١ / ١٨٨).

(٥) الاستقامة (١ / ١٩٥) بتصرف.

(٦) مدارج السالكين (١ / ٥٢٧).

(٧) الداء والدواء ص (٣١٣).

(٨) فتح القدير (٤ / ٥٩٠).

(٩) تيسير العزيز الحميد ص (٣٩٧).

ﷻ والدار الآخرة "[1].

فهذه جملة من التعريفات الشرعية التي تبين حقيقة الإخلاص ومعناه.

ثم إنه بعد إيراد هذه التعريفات تظهر جليا العلاقة بين المعنى اللغوي للإخلاص والمعنى الشرعي، وهي:

تخليص النية لله ﷻ، وتصفيتها من الشوائب والقوادح، وتهذيب العمل وتوحيد الله به.

(١) معارج القبول (٢ / ٥٤٣).

المسألة الأولى: حكم الإخلاص، واستحضاره في العبادة.

١- قال وكيع: حدثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إنما الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[(١)].

٢- قال ابن المبارك: أخبرنا عبيد الله بن عمر، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم بن عمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل كأن قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله عز وجل، ورجل ذكر الله في الخلاء ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لم تعلم شماله بما صنعت يمينه "[(٢)].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٦٢٨)، والبخاري في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب "النية في الأيمان"، برقم (٦٦٨٩).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٥٥٠)، ورواه البخاري، كتاب: الزكاة، باب "الصدقة باليمين"،برقم (١٤٢٣)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب "فضل إخفاء الصدقة"، برقم (٢٣٨٠).

❖ مسألة: حكم الإخلاص، واستحضاره في العبادة.

وهذه المسألة متضمنة لأمرين:

- **الأمر الأول : حكم الإخلاص.**

الإخلاص واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾[3] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[4].

ومن السنة: قول النبي ﷺ :" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى "[5].

وحديث أبي هريرة ﷺ في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه "[6].

ومن الإجماع: قال ابن تيمية عندما ذكر بعض العبادات ومنها الإخلاص:" هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق - المأمورين في الأصل - باتفاق أئمة الدين "[7].

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) الزُمَر: ٢.

(٣) غافر: ١٤.

(٤) البيِّنة: ٥.

(٥) رواه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب "كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جل ذكره ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ النساء:١٦٣"، برقم (١)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب "قوله ﷺ« إنما الأعمال بالنية ». وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال"، برقم (٤٩٢٧).

(٦) رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب "تحريم الريا"، برقم (٧٤٧٥).

(٧) مجموع الفتاوى (١٠ / ٦).

فالإجماع قائم على فرضية الإخلاص على الأعيان، في سائر الأعمال المتعلقة بالله، قولية أو فعلية[1].

• الأمر الثاني : حكم استحضار الإخلاص في العبادة.

أي هل يجب على المسلم استحضار الإخلاص طيلة مدة العبادة، وهل من غفل عنه يؤاخذ على هذه الغفلة ؟

إن من المعلوم أن المسلم في حين عدم غفلته وسهوه في عبادته فإنه يكون مستحضِراً للإخلاص، ولكن قد يطرأ عليه ما يعتري البشر من الغفلة والسهو والنسيان، فهل يؤاخذ حينئذ؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن المسلم في حال الغفلة والسهو عن الإخلاص لا يؤاخذ، وإنما له حكم المستحضر له إذا كان حاله قبل هذا السهو والغفلة هو الإخلاص.

وأصحاب هذا القول جعلوا الإخلاص منقسما إلى قسمين:

القسم الأول: إخلاص حقيقي/ وهو الإخلاص الفعلي الذي يكون العبد مستحضرا له.

القسم الثاني: إخلاص حكمي / وهو إخلاص الغافل والساهي الذي غفل وسها عن إخلاصه، فهذا له حكم الأول ويسمى الإخلاص الحكمي، ولا يؤاخذ على هذه الغفلة؛ ما دامت حاله قبل الغفلة هي الإخلاص فكذلك تكون حاله بعد الغفلة.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله:" واعلم أن الإيمان والنيات والإخلاص ينقسم إلى حقيقي وحكمي، فالإيمان الحكمي شرط في العبادات من أولها إلى آخرها، والنية الحقيقية مشروطة في أول العبادات دون استمرارها، والحكمية كافية في استمرارها، وكذلك إخلاص العبادة شرط في أولها، والحكمي كافٍ في دوامها، ولو وجب الإيمان الحقيقي في جميع الأوقات،

---

(١) انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني للنفراوي (٢ / ٣٠٠).

والنية الحقيقية في استمرار العبادات لحصلت المشقة في استحضار الإيمان والنيات"[١].

وقال القرافي رحمه الله[٢] :" النية قسمان: فعليه موجودة، وحكمية معدومة.

فإذا نوى المكلف أول العبادة فهذه نية فعلية، ثم إذا ذهل عن النية، حَكَم صاحب الشرع بأنه ناو ومتقرب، فهذه هي النية الحكمية، أي حَكَم الشرع لصاحبها ببقاء حكمها، لا أنها موجودة، وكذلك الإخلاص والأيمان والكفر والنفاق والرياء، وجميع هذا النوع من أحوال القلوب، إذا شرع فيها واتصف القلب بها، كانت فعليه، وإذا ذهل عنها، حَكَمَ صاحب الشرع ببقاء أحكامها لمن كان اتصف بها قبل ذلك، حتى لو مات الإنسان مغموراً بالمرض، حكم صاحب الشرع له بالإسلام المتقدم "[٣].

وقال الحطاب رحمه الله[٤]:" النية حقيقة واحدة، لكنها تنقسم بحسب ما يعرض لها إلى قسمين: فعلية موجودة، وحكمية معدومة.

فإذا كان في أول العبادة فهذه نية فعلية، ثم إذا ذهل عنها فهي نية حكمية، بمعنى أن الشرع حكم باستصحابها، وكذلك الإخلاص.."[٥].

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١ / ١٧٥).

(٢) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، له مصنفات منها: أنوار البروق في أنواء الفروق، و الذخيرة في فقه المالكية، الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، قال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر علماً في ثمانية أشهر – أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهراً، توفي سنة ٦٨٤هـ. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (١ / ٢٣٨)، الأعلام للزركلي (١ / ٩٤).

(٣) الأمنية في إدراك النية (١ / ٢٣).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني، المعروف بالحطاب: فقيه مالكي، من علماء المتصوفين. أصله من المغرب. ولد واشتهر بمكة، ومات في طرابلس الغرب. له مصنفات منها: قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين في الاصول، وتحرير الكلام في مسائل الالتزام، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، وكان سيئ الخط، لا يستطيع قراءة ما يكتبه إلا أفراد قلائل، ولذا تفرقت مؤلفاته ومسوداته شذر مذر بعد موته، توفي سنة ٩٥٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧ / ٥٨).

(٥) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل (١ / ٣٣٦).

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[(١)].

والنسيان والسهو ليس في وسع المرء، فلا يؤاخذ به.

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إن الله وضع أمتي الخطأ، والنسيان، وما استُكرهوا عليه "[(٢)].

فهذا الحديث صريح في أن النسيان معفوٌ عنه.

٣- حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع الأذان، فإذا قضي الأذان أقبل، حتى إذا ثوب بها أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا وكذا، ما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى، فإذا لم يدر أحدكم كم صلى ثلاثاً أو أربعاً، فليسجد سجدتين وهو جالس"[(٣)].

ففي الحديث دلالة على أن العبد قد يقع في الغفلة والسهو في الصلاة، وهذا نقص ولكن الشرع لم يؤاخذه في هذه الحالة، وجعل له ما يسدُّ هذا النقص.

القول الثاني: أن العبد يؤاخذ على غفلته وسهوه.

قال ابن القيم: " وفي الترمذي وغيره مرفوعا إلى النبي ﷺ: "إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل "[(٤)]، وهذا إما خاص بدعاء العبادة، وإما عام له ولدعاء المسألة، وإما خاص بدعاء

---

(١) البقرة:٢٨٦.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب"الطلاق"، باب"طلاق المعتوه والصغير والنائم"برقم (٢٠٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٢/١٦)، والحاكم في مستدركه (٢٣٦/٢) وقال صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٣/١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: السهو، باب "إذا لم يدر صلى ثلاثا أو أربعا سجد سجدتين وهو جالس"، برقم (١٢٣١)، ومسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب "السهو في الصلاة والسجود له"، برقم (١٢٦٧)، واللفظ للبخاري.

(٤) رواه الترمذي، أبواب: الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب "في إيجاب الدعاء بتقديم الحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ .."، برقم (٣٤٧٩)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وحسنه الألباني في صحيح

المسألة الذي هو أبعد، فهو تنبيه على أنه لا يقبل دعاء العبادة الذي هو خاص حقه، من قلب غافل، قالوا: ولأن عبودية من غلبت عليه الغفلة والسهو في الغالب لا تكون مصاحبة للإخلاص؛ فإن الإخلاص قصْدُ المعبود وحده بالتعبد، والغافل لا قصْدَ له فلا عبودية له "[1].

من أدلة أصحاب هذا القول:

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[2].

قالوا : وليس السهو عنها تركها، وإلا لم يكونوا مصلين وإنما هو السهو عن واجبها:

إما عن الوقت كما قال ابن مسعود وغيره، وإما عن الحضور والخشوع.

والصواب : أنه يعم النوعين؛ فإنه سبحانه أثبت لهم صلاة ووصفهم بالسهو عنها، فهو السهو عن وقتها الواجب، أو عن إخلاصها وحضورها الواجب؛ ولذلك وصفهم بالرياء، ولو كان السهوُ سهوَ تركٍ لما كان هناك رياء.

قالوا: ولو قدَّرنا أنه السهو عن واجب فقط، فهو تنبيه على التوعد بالويل على سهو الإخلاص، والحضور بطريق الأولى لوجوه:

أحدها: أن الوقت يسقط في حال العذر، وينتقل إلى بدله، والإخلاص والحضور لا يسقط بحال ولا بدل له.

الثاني: أن واجب الوقت يسقط لتكميل مصلحة الحضور، فيجوز الجمع بين الصلاتين للشغل المانع من فعل إحداهما في وقتها بلا قلب ولا حضور، كالمسافر والمريض وذي الشغل الذي يحتاج معه إلى الجمع.

فمصلحة الإخلاص والحضور وجمعية القلب على الله في الصلاة أرجح في نظر الشارع من مصلحة سائر واجباتها، فكيف يُظنُ به أنه يبطلها بترك تكبيرة واحدة، أو اعتدال في ركن، أو ترك حرف أو شدة من القرآن، أو ترك تسبيحة، أو قول: سمع الله لمن حمده، أو قول ربنا ولك

الترمذي (٣/٤٣٤).

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٩٣).

(٢) الماعون:٤-٥.

الحمد، أو ذكر رسول الله بالصلاة عليه، ثم يصححها مع فوت لُبِّها، ومقصودها الأعظم، وروحها وسرها(١).

وخلاصة المطاف أن الناس في هذا الأمر لا يخرجون عن قسمين:

الأول: قليل الغفلة والسهو، لم تغلب على عمله.

فهذا القسم مُتفق عليه بين أصحاب القولين بأنه غير مؤاخذ؛ ولذا قال ابن القيم: " ولأن عبودية من غلبت عليه الغفلة والسهو في الغالب لا تكون مصاحبة للإخلاص "(٢).

الثاني: من غلب عليه الغفلة والسهو.

فأصحاب القول الثاني يرون أنه مؤاخذ؛ وذلك لأنه فقد الإخلاص، ودليل ذلك غلبة الغفلة عليه.

وأما أصحاب القول الأول فلم يفرقوا بين القسمين، وذلك لأن استصحاب الإخلاص دائما مما يشق على العبد.

وعند تدقيق النظر: يُعلم أن تقييد أصحاب القول الأول كلامهم بالمشقة يُخرج القسم الثاني من قولهم، وهذا يدل على أنه مؤاخذ، وذلك لأن الذي تحصل به المشقة هو الاستحضار الدائم، وأما غيره فلا تحصل به المشقة، وبهذا يجمتع القولان(٣).

---

(١) انظر أدلة هذا القول في: مدارج السالكين (١ / ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) المصدر السابق (١ / ٣٩٣).

(٣) انظر: الإخلاص حقيقته ونواقضه لعبد الله الأحمدي ص (٤٠).

المسألة الثانية: قبول العمل متوقف على الإخلاص.

قال وكيع: حدثنا سفيان[1]، عمن[2] سمع مجاهدا[3] يقول: قال رجل: " يا رسول الله ﷺ، أرأيت الرجل يتصدق بالصدقة، يلتمس بها وجه الله، ويحب أن يقال له خيراً، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[4] "[5].

(١) الثوري تقدم.

(٢) مبهم.

(٣) بن جبر تقدم.

(٤) الكهف: ١١٠.

(٥) رواه وكيع في الزهد (٥١١/٢)، وإسناده ضعيف لإبهام شيخ سفيان، وإرسال مجاهد، وأخرجه هناد في الزهد عن وكيع به (٤٣٥/٢)، قال السيوطي: " وأخرج عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص، وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم عن طاوس قال: قال رجل: يا نبي الله إني أقف مواقف أبتغي وجه الله، وأحب أن يُرى موطني، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وأخرجه الحاكم وصححه والبيهقي موصولاً عن طاوس عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٦٩٦/٩).

❖ مسألة : قبول العمل متوقف على الإخلاص:

مما تضافرت النصوص في تقريره أن الطاعة لا تقبل إلا إذا صاحبها الإخلاص لله ﷻ، وإلا كانت العبادة مردودة على صاحبها قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[١]، فأمر بالعبادة له مقيدةً بالإخلاص، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى "[٢].

فقبول العبادة مشروط بمصاحبتها للإخلاص، وهناك أيضاً شرط ثان وهو: المتابعة لسنة النبي ﷺ كما جاء في الحديث عنه ﷺ " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[٣].

وأحوال الناس مع هذين الشرطين على أضرب، ذكرها المقريزي[٤]، وبيانها فيما يلي:

الضرب الأول: أهل الإخلاص والمتابعة. فأعمالهم كلها لله وأقوالهم، ومنعهم، وإعطاؤهم، وحبهم، وبغضهم كل ذلك لله تعالى، لا يريدون من العباد جزاءً ولا شكواً، عدُّوا الناس كأصحاب القبور، لا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فإنه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق. والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عاملٍ عملاً صواباً عارياً منه، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت. قال الله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ

---

(١) الزُّمَر:٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الصلح، باب " إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود"، برقم (٢٦٩٧)، بلفظ "من أحدث..."، ورواه مسلم، كتاب: الأقضية، باب " نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور"، برقم (٤٤٩٣).

(٤) الشيخ تقي الدين المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر، حفظ كتابا في مذهب أبي حنيفة تبعا لجده لأمه الشيخ شمس الدين بن الصائغ الأديب المشهور، ثم لما ترعرع وجاوز العشرين ومات أبوه تحول شافعياً، وكان إماماً بارعاً مفننا متقنا ضابطا دينا خيرا، محبا لأهل السنة يميل إلى الحديث والعمل به حتى نسب إلى الظاهر، وله تصانيف كثيرة، حتى قال السخاوي: "قرأت بخطه أن تصانيفه زادت على مئتي"، منها: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، توفي سنة ٨٤٥هـ. انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لابن حجر (٩ / ١٧٠)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة للأتابكي (٨ / ١٧٢)، الأعلام للزركلي (١ / ١٧٧).

أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[(١)] وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[(٢)].

الضرب الثاني : من لا إخلاص له، ولا متابعة له، وهؤلاء شرار الخلق، وهم المتزيّنون بأعمال الخير يراءون بها الناس، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة، فإنهم يرتكبون البدع، والضلال، والرياء، والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾[(٣)].

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر. كجهال العباد، والمنتسبين إلى الزهد والفقر، وكل من عبد الله على غير مراده؛ والشأن ليس في عبادة الله فقط: بل في عبادة الله كما أراد الله. ومنهم من يمكث في خلواته تاركاً للجمعة، ويرى ذلك قربةً وأمثال ذلك.

الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم، ويحج ليقال، ويقرأ ليقال، ويُعَلِّم ويؤلف ليقال، فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[(٤)] فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها.

والقائم بهما هم أهل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[(٥)] "[(١)].

---

(١) الملك:٢.

(٢) الكهف:٧.

(٣) آل عمران:١٨٨.

(٤) البيِّنة:٥.

(٥) الفاتحة:٥.

المسألة الثالثة: فرح العبد بالثناء عليه إذا عمل الطاعة.

١- قال وكيع: حدثنا شعبة، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن الصامت ﷺ بن أخي أبي ذر ، عن أبي ذر ﷺ قال: يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل لله يحبه الناس عليه ؟ قال: " تلك عاجل بشرى المؤمن "(٢).

٢- قال وكيع: حدثنا سفيان(٣)، عن حبيب بن أبي ثابت(٤)، عن ذكوان أبي صالح(٥)، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أعمل العمل، فأستره، فيُطَّلع عليه، فيعجبني؟ قال: " لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية "(٦).

---

(١) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (٧٨-٨١) باختصار.

(٢) رواه وكيع في الزهد (٢/٥٠٩)، ورواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب "باب إذا أُثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره"، برقم (٦٧٢١).

(٣) الثوري تقدم.

(٤) تقدم.

(٥)ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت، مات بالمدينة سنة ١٠١هـ. الكاشف (٣٨٦/١)، التقريب (١٨٥٠).

(٦) رواه وكيع في الزهد (٥١٠/٢)، ورجاله ثقات، ولكن إسناده ضعيف لعنعنة حبيب وهو موصوف بالتدليس، وإرسال أبي صالح، ورواه هناد في الزهد (٤٤٤/٢)، وقد ورد موصولا عن أبي صالح عن أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما، فمن طريق أبي هريرة: رواه ابن حبان في صحيحه (٩٩/٢)، والترمذي في سننه: الزهد، باب "عمل السر"، برقم (٢٣٨٤)، وقال: حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ومن طريق ابن مسعود رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩ / ٢٣٩).

❖ مسألة: فرح العبد بثناء الناس عليه إذا فعل طاعة من غير أن يتطلع أو يطلب ذلك.

إن سرور العبد وفرحه بثناء الناس عليه، مما جاءت الشريعة بإباحته، بل هو من عاجل بشرى المؤمن في الدنيا، كما ذكر ذلك النبي ﷺ في الحديث المتقدم أن أبا ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل لله، ويحبه الناس، قال: " تلك عاجل بشرى المؤمن "[(١)].

لكن هذا الأمر جائز إذا لم يطلب العبد الثناء والمدح من الناس، ويتصنع إليهم بعمله؛ ليمدحوه ويثنوا عليه، وإلا كان مرائياً داخلاً في المحظور.

قال النووي رحمه الله عند تعليقه على الحديث المتقدم:" قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجَّلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه، ومحبته له، فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرِّض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم "[(٢)].

وقال الترمذي[(٣)] رحمه الله معلقاً على الحديث المذكور آنفاً: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أعمل العمل ، فأستره، فيُطلع عليه، فيعجبني؟ قال: " لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية"[(٤)].

قال: " وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقال: إذا اطُّلع عليه فأعجبه، فإنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير؛ لقول النبي ﷺ أنتم شهداء الله في الأرض، فيعجبه ثناء الناس

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح النووي على مسلم (٨ / ١٩٢).

(٣) الحافظ العلم الإمام البارع محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي الضرير، أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، قيل إنه كان أكمه طاف البلاد وسمع خلقا كثيرا، قيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كبره، بعد رحلته وكتابته العلم، وقال الحاكم: سمعت عمر بن علك يقول: مات البخاري، فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى، في العلم والحفظ، والورع والزهد، وقال ابن حبان: كان أبو عيسى ممن جمع، وصنف، وحفظ، وذاكر، ومن مصنفاته: جامع الترمذي، والشمائل النبوية، العلل، توفي سنة ٢٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢ / ١٥٤)، الأعلام للزركلي (٦ / ٣٢٢).

(٤) سبق تخريجه.

عليه؛ لهذا لما يرجو بثناء الناس عليه، فأما إذا أعجبه العلم؛ ليَعْلَم الناس منه الخير؛ ليُكرَّم على ذلك، ويُعظَّم عليه فهذا رياء.

وقال بعض أهل العلم: إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم فهذا له مذهب أيضاً "(١).

وقد نص على إباحة ذلك بعض أهل العلم، وذلك من خلال صنيعهم في منصنفاتهم، فبوَّب بعضهم في ذلك باباً في هذه المسألة فقال:" ذِكْرُ الخَبرِ المدْحِضِ قولَ من زعم أن مدح الناسِ المرءَ على الطاعة وسرورَه به ضربٌ من الرياء "(٢).

وقال البيهقي رحمه الله: " وهو أنه إذا عمل خيراً سره أن يذكر به، فيكون محموداً في الناس لا مذموماً، ولا حمد أبلغ من أن يقال: إنه قوَّامٌ بحق ربه، وليس هذا من المراءاة في شيء، إنما المراءاة أن يعمل الخير لا يريد به وجه الله تعالى، ولا يبتغي به مرضاته ولا ثوابه، إنما يريد به أن يقول الناس: هذا رجل خير"(٣).

ومما يُستدل به على جواز هذا الأمر قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾(٤).

لذلك قال البيهقي بعد قوله السابق:" ألا ترى أن الله تعالى ذم قوماً يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فدل ذلك على أن من أحب أن يحمد بما فعل فلا ذم "(٥).

---

(١) سنن الترمذي الزهد، باب "عمل السر"، عند ذكره للحديث السابق برقم (٢٣٨٤).

(٢) وهذا صنيع ابن حبان في صحيحه (١٣ / ٨٢).

(٣) شعب الإيمان (٩ / ٢٤٠)

(٤) آل عمران:١٨٨.

(٥) شعب الإيمان (٩ / ٢٤٠).

المسألة الرابعة: اهتمام السلف بأمر الإخلاص.

١- قال وكيع: حدثنا الأعمش[١]، عن عبد الله بن مرة[٢] قال: قال أبو الدرداء ﵁[٣]: "اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم في الموتى، واعلموا أن قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى "[٤].

٢- قال ابن المبارك: أخبرنا ابن عون[٥]، عن إبراهيم[٦] قال: " إن كانوا ليكرهون إذا اجتمعوا أن يُخرج الرجل أحسن حديثه، أو أحسن ما عنده "[٧].

٣- قال ابن المبارك: أخبرنا قيس بن الربيع، عن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق، عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: " إذا كان يوم صوم أحدكم فليصبح مترجلا "[٨].

٤- قال وكيع: حدثنا خالد بن دينار[٩]، قال: سمعت أبا العالية[١٠] يقول: " إذا تصدقت

---

(١) تقدم.

(٢) عبدالله بن مرة الهمداني الخارفي بمعجمة وراء وفاء الكوفي، ثقة، مات سنة ١٠٠هـ وقيل قبلها. التقريب (٣٦٣٢).

(٣) الصحابي الجليل عويمر بن عامر أبو الدرداء، مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ص (٥١٧-٥١٨).

(٤) رواه كيع في الزهد (١ / ٢٣٤)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩ / ١٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٩/١٣)، وفيه عنعنة الأعمش وقد وُصف بالتدليس، ولكن لجمله شوهد صحيحه إلا جملة " واعلموا أن البر ..ألخ".

(٥) عبد الله بن عون بن أرطبان أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، مات سنة ١٥٠هـ. التقريب (٣٥٤٣).

(٦) إبراهيم هو ابن سويد النخعي، ثقة. الكاشف (١ / ٢١٣)، التقريب (١٨٦).

(٧) رواه ابن المبارك في الزهد ص(١٣٧)، ورواه هناد في الزهد (٢ / ٤٤٥)، ووكيع في الزهد (٥٩٣/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٠٢/١٣).

(٨) رواه ابن المبارك في الزهد ص (١٤٢)، ورواه البخاري معلقا جازما به، كتاب: الصوم، باب"اغتسال الصائم".

(٩) خالد بن دينار التميمي السعدي أبو خلدة بفتح المعجمة وسكون اللام، مشهور بكنيته البصري الخياط، صدوق، من الخامسة. التقريب (١٦٣٧).

(١٠) رفيع بالتصغير بن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية، ثقة كثير الإرسال، مات سنة ٩٠هـ، وقيل ٩٣هـ، وقيل بعد ذلك. التقريب (١٩٦٤).

تصدقت بيمينك، فأخفه من شمالك "[١].

٥- قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ[٢]، ثنا الحسن بن محمد بن إسحاق[٣]، قال قال سمعت أبا عثمان الخياط[٤]، يقول سمعت ذا النون[٥] يقول: قال بعض العلماء: " ما أخلص العبد لله إلا أحب أن يكون في جُبٍّ[٦] لا يُعرَف "[٧].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢/٥١٣)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٢١٧) بلفظ "إن خير الصدقة أن تعطي بيمنك وتخفيها من شمالك"، وقد ثبت عند البخاري وغيره مرفوعا عن أبي هريرة، كتاب: الزكاة، باب"الصدقة باليمن"، برقم (١٤٢٣).

(٢) الإمام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الحاكم، مات سنة ٤٠٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٧ / ١٦٣)

(٣) الإمام الحافظ المجود أبو محمد الحسن بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأزهري الإسفراييني، مات ٣٤٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٥ / ٥٣٥).

(٤) تقدم.

(٥) تقدم.

(٦) (الجُبّ): البئر. ويقال جَبَّبَ تجبيباً إذا فرّ وذلك أنه يجمع نفسَه للفِرار ويتشمَّر. انظر: مقاييس اللغة (١ / ٤٢٤).

(٧) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص (٤٨)، وأبو نعيم في الحلية من طريق أبي عبدالله الواهبي يقول: "ما أخلص عبد قط إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف ومن أدخل فضولا من الطعام أخرج فضولا من الكلام" (١٠/١٨)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٩ / ١٩٧).

❖ مسألة: اهتمام السلف بأمر الإخلاص:

لقد عُني السلف ﷺ ورحمهم وحرصوا على تحقيق الإخلاص عناية عظيمة؛ لأنهم عرفوا عظيم منزلته وفضله، وأن الأعمال بدونه مردودة، فلذلك جاهدوا أنفسهم أيما مجاهدة في تحصيله، وتحقيقه؛ لتكون أعمالهم مقبولة، حائزين بها على الأجر والثواب من الله ﷻ.

والآثار عن السلف في هذا الأمر كثيرة جدا، أذكر طرفاً منها:

- ما جاء عن حصين بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير، فقال: " أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟ قلت: أنا. ثم قلت أما إني لم أكن فى صلاة، ولكنى لدغت "[١].

فانظر كيف نفى عن نفسه كونه كان ساهرا للبعادة أو الصلاة؛ خشية الرياء.

- وقال ابن أبي ملكية رحمه الله: " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه "[٢].
- نظر عمر بن الخطاب ﷺ إلى شاب قد نكَّس رأسه فقال له: " يا هذا ارفع رأسك؛ فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب، فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه؛ فإنما أظهر نفاقا على نفاق "[٣].
- بكى حذيفة ﷺ في صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه، فقال: " لا تعلمن بهذا أحدا "[٤].
- بكى أيوب السختياني مرة، فأخذ بأنفه وقال: " إن هذه الزكمة ربما عرضت، وبكى مرة أخرى، فاستكنى بكاءه، فقال: إن الشيخ إذا كبر (مج[٥])"[١].

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب "باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب"، برقم (٥٢٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب"خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لايشعر".

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٤ / ٤٧٤)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (١ / ٢٥٨).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص (١٣٤)، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/١٠٦).

(٥) مج الشراب من فيه: رمى به، والماج: من يسيل لعابه كبرا وهرما. انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٢٦٨)، مختار الصحاح ص (٥٣١)، القاموس المحيط ص (١٢٠٥).

وصف نفسه رحمه الله بالهرم مخافة الرياء.

- قال الحسن البصري: " إن كان الرجل ليجلس المجلس، فتجيئه عبرته، فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام "(٢).
- وما أحسن قول سهل بن عبد الله التستري: " ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب "(٣).

والآثار الواردة عن السلف التي تدل على شدة إخلاصهم في أعمالهم كثيرة يصعب حصرها، ومنها ما ذُكر في الآثار المستخرجة من كتب الزهد، ولذلك من طالع سير هؤلاء الصالحين عرف عظيم منزلة الإخلاص في قلوبهم، وحرصهم على إخفاء أعمالهم؛ لأن قلوبهم خلت من غير الله ﷻ، فهم يعلمون أن هذه الدار فانية فزهدوا فيه، ولم يجعلوا للمخلوقين حظاً في أعمالهم. فاللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٣)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص (١٣١).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ص (٣٧٣).

(٣)انظر: جامع العلوم والحكم (٨٤).

المطلب الثاني :

قوادح التوحيد :

وفيه توطئة، وسبع مسائل :

المسألة الأولى: الشرك.

المسألة الثانية: الرياء.

المسألة الثالثة: السمعة.

المسألة الرابعة: الذبح لغير الله ﷻ.

المسألة الخامسة: الاستغاثة بغير الله ﷻ.

المسألة السادسة: علم التنجيم.

المسألة السابعة: الاستسقاء بالأنواء.

توطئة:

معنى القادح :

قال ابن فارس: " القاف والدّال والحاء: أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدهما على شيءٍ كالهزْم في الشيء...فالأوَّل القَدْح: فِعْلُك إذا قَدَحْت الشيء.

والقَدْح: تأكُّلٌ يقع في الشَّجرِ والأسنان، والقادحة: الدُّودة تأكل الشَّجرة. ومنه قولهُم: قدَحَ في نَسَبه: طَعَن "[١].

ويقال: قدح في ساقه – نفسه – إذا ما عمل في شيء يكرهه، والقادح الصدع في العود[٢].

وعليه فقوادح التوحيد: الأمور التي تطعن فيه وتوهنه وتنقصه، أو تنقضه بالكلية.

---

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٦٧).

(٢) انظر: كتاب العين للفراهيدي (٣ / ٤٠)، تهذيب اللغة للأزهري (٤ / ٢٢).

المسألة الأولى : الشرك.

١- قال ابن أبي الدنيا: حدثنا عمار بن نصر[١]، قال أنبأنا بقية[٢]، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم[٣]، عن الهيثم بن مالك الطائي[٤]، قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا تحل له "[٥].

٢- قال وكيع: حدثنا سفيان[٦]، عن عاصم بن أبي النجود[٧]، عن أبي وائل[٨]: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[٩]. قال: الشرك[١٠].

٣- قال هناد: حدثنا ابن فضيل[١١]، عن ليث[١٢]، عن مجاهد[١٣]، قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) عمار بن نصر السعدي، أبو ياسر المروزي، نزيل بغداد، صدوق، مات سنة ٢٢٩هـ. التقريب (٤٨٦٨).

(٢) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي، أبو يحمد، بضم التحتانية وسكون المهملة وكسر الميم، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، مات سنة ١٩٧هـ، وله سبع وثمانون. التقريب (٧٤١).

(٣) أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي، وقد ينسب إلى جده، قيل: اسمه بكير، وقيل: عبد السلام، ضعيف، وكان قد سُرق بيته فاختلط، مات سنة ١٥٦هـ. التقريب (٨٠٣١).

(٤) الهيثم بن مالك الطائي، أبو محمد، الشامي الأعمى، من الخامسة، ثقة. التقريب (٧٤٢٦).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الورع ص (٩٤)، وإسناده ضعيف لإرسال بقية وهو موصوف بالتدليس، وضعف أبي بكر بن عبد الله، وإرسال الهيثم إلى النبي ﷺ. انظر: تهذيب الكمال ترجمة الهيثم الطائي، وقد ضعفه الألباني في الضعيفة (٤/ ٨٢).

(٦) الثوري تقدم.

(٧) عاصم بن بهدلة، وهو بن أبي النجود بنون وجيم، الأسدي، مولاهم الكوفي أبو بكر المقرىءو صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين مقرون، مات سنة ١٢٨هـ. التقريب (٣٠٧١).

(٨) الأسدي تقدم.

(٩) البقرة:٨٠

(١٠) رواه وكيع في الزهد (٢٨٢/١)، ورواه الطبري في تفسيره من طريقه عن مجاهد، وعن قتادة (٢ / ٢٨١)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه (١ / ١٥٧)، والأثر حسن.

(١١) محمد بن فضيل بن غزوان بفتح المعجمة وسكون الزاي الضبي مولاهم، أبو عبد الرحمن الكوفي، صدوق عارف رمي بالتشيع، مات سنة ١٩٥هـ. التقريب (٦٢٦٧).

(١٢) ليث بن أبي سليم بن زنيم بالزاي والنون مصغر، واسم أبيه أيمن، وقيل أنس، وقيل غير ذلك، صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك، مات سنة ١٤٨هـ. التقريب (٥٧٢١).

(١٣) تقدم.

لأبي بكر رضي الله عنه: " الشرك أخفى من دبيب النمل في أهل القبلة "، قال: يا رسول الله، كيف أقول؟ قال: " قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، أو أشرك بك وأنا لا أعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم "[(١)].

٤- قال وكيع: حدثنا سفيان[(٢)]، عن سليمان التيمي[(٣)]، عن كردوس[(٤)] قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " الشرك أخفى من دبيب النمل "[(٥)].

---

(١) رواه هناد في الزهد (٢ / ٤٣٤)، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٣٩/٢)، وإسناده ضعيف لضعف ليث، ولإرسال مجاهد، ولكن الحديث له شواهد تقويه.

(٢) هو الثوري.

(٣) سليمان بن طَرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، نزل في التيم فنسب إليهم ثقة عابد، مات سنة ١٤٣هـ. التقريب (٢٥٩٠).

(٤)كردوس الثعلبي، بالمثلثة، واختلف في اسم أبيه، فقيل: عباس، وقيل: عمرو، وقيل: هانئ، وهو مقبول، من الثالثة. التقريب (٥٦٧١).

(٥) رواه وكيع في الزهد (٥٧٧/٢)، وورد هذا الأثر مرفوعا بنحوه عن جمع من الصحابة منهم أبو موسى الأشعري كما عند أحمد في المسند (٣٢ / ٣٨٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٩/١٥)، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (٦٩٣/٢).

❖ مسألة : الشرك.

وهذه المسألة مشتملة على عدة أمور:

- **الأمر الأول : حقيقة الشرك.**

تعريفه لغة:

قال ابن فارس:" الشين والراء والكاف، أصلانِ:

أحدُهما: يدلُّ على مقارنَة وخِلاَفِ انفراد.

والآخر: يدلُّ على امتدادٍ واستقامة "(١).

فعلى الأصل الأول يُطلق الشرك ويراد به :

مطلق المشاركة، والمخالطة: قال ابن منظور:" (شَرَكَ) الشِّرْكَةُ والشَّرِكة سواء، الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر"(٢).

ويُطلق أيضا على: التسوية: وفي ذلك يقول ابن منظور أيضا:" طريق مشترك: يستوي فيه الناس، واسم مشترك: تشترك فيه معان كثيرة "(٣).

ويطلق أيضا على: النصيب، وجمعه أشراك كشبر وأشبار(٤).

وعلى الأصل الثاني:

يطلق ويراد به: حبائل الصيد: ومنه حديث: "أعوذ بك من شر الشيطان وشَرَكه"(٥)، فيمن رواه بالتحريك، أي حبائله ومصائده(٦).

ويطلق أيضا على: سير النعل الذي على ظهر القدم، ومنه حديث : "فصلى بي الظهر

---

(١) مقاييس اللغة (٣ / ٢٦٥) مادة (شرك).

(٢) لسان العرب (٤ / ٢٢٤٨) مادة (شرك).

(٣) لسان العرب (٤ / ٢٢٤٩).

(٤) انظر: تاج العروس (٢٧/٢٢٤).

(٥) رواه الترمذي، كتاب : الدعوات، باب "اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض"، برقم (٣٣٩٢)، وقال: حديث حسن صحيح، وراه أبو داود، كتاب: الآداب، باب "ما يقول إذا أصبح"، برقم (٥٠٦٧)، والحاكم في مستدركه (١ / ٧٠١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦) انظر: تاج العروس (٢٧/٢٢٥).

حين زالت الشمس فكانت بقدر الشراك"[1].

وعلى هذا الأصل فمرجع مادة الشرك هي: الخلط والضم.

فإذا كان بمعنى الحبالة؛ فإن ما يقع فيها من الحيوان يختلط بها، وينضم إلى ملك الصائد.

وإذا كان بمعنى سير النعل؛ فإن النعل تنضم به إلى الرجل فيخلط بينهما.

ثم اجتماع الشركاء في شيء لا يقتضي تساوي أنصبائهم منه، ولا يمنع زيادة قسط على آخر؛ فموسى يسأل ربه إشراك أخيه له في الرسالة، وقد أجيب سؤله؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[2]، مع أن حظ هارون من الرسالة دون حظ موسى، ولهذا تقول: فلان شريك لغيره في دار أو أرض أو بضاعة، ولو لم يكن له منها إلا معشار العشر[3].

مما تقدم يتبين أن مادة الشرك على كلا الأصلين تدل على: مشاركة شيء لشيء، واختلاط أمر بآخر.

تعريفه في الشرع:

جاء ذكر حقيقة الشرك في نصوص الكتاب الكريم، والسنة النبوية، وعبارات أهل العلم.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

قال أبو جعفر الطبري: " والأنداد جمع ند، والند: العدل والمثل "[5].

فنهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئا، وأن يعبدوا غيرَه، أو يتخذوا له ندّا وعدلا في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم؛ فكذلك فأفردوا لي الطاعة، وأخلصوا لي العبادة، ولا تجعلوا لي شريكا وندّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنّي.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الصغرى، انظر المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي (١/٣٥٩)، وحسن إسناده المحقق.

(٢) طه:٣٦.

(٣) انظر: رسالة الشرك ومظاهره للشيخ مبارك الميلي ص (١٠٢-١٠٣).

(٤)البقرة:٢٢.

(٥) تفسير الطبري (١ / ٣٦٨).

وعن ابن مسعود ﷺ في قوله:"فلا تجعلوا لله أندادًا" قال: أكفاءً من الرجال تطيعونهم في معصية الله[1].

وعن ابن عباس في قوله:"فلا تجعلوا لله أندادا" قال: أشباهًا[2].

وقيل:"فلا تجعلوا لله أندادًا"، الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له[3].

فهذه الآية بينت حقيقة الشرك بيانا واضحاً، وهو اتخاذ الند مع الله ﷻ، الذي هو الشبيه، أو الكفؤ، أو المثل، أو العدل، أو الآلهة الأخرى، وكل هذه المعاني تذل على الشرك بالله ﷻ.

وجاء أيضا هذا المعنى مبينا في سنة المصطفى ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: " أن تجعل لله ندا وهو خلقك "...الحديث[4].

وفي الحديث الآخر عن أبي بكرة عن أبيه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر"؟ . ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " الإشراك بالله..." الحديث[5].

ففي الحديث الأول ذكر أعظم ذنب عند الله ﷻ واستهلها بقوله: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك".

وفي الحديث الآخر ذكر أكبر الكبائر وبدأها بقوله:" الإشراك بالله ".

فقوله: الإشراك بالله، هو بمثابة التفسير للند المذكور في الحديث الأول.

وقد جاءت عبارات أهل العلم في تعريف الشرك مختلفة الألفاظ متقاربة المعنى، فبعضهم عرفة بذكر أمثلته وأقسامه، والبعض الآخر حاول حصر معناه في عبارة أو أكثر.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١ / ٣٦٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١ / ٣٦٩).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب "قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾ [الفرقان:٦٨]، برقم (٤٧٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده"، برقم (٢٥٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب "ما قيل في شهادة الزور..."، برقم (٢٦٥٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "الكبائر وأكبرها"، برقم (٢٥٩).

قال ابن تيمية رحمه الله: " الشرك عبادة غير الله، وإن اعترف المشرك بأنه مخلوق "[1].

وذكر أيضا أن حقيقة الشرك هي: تأليه غير الله بالخوف منه، والرجاء له، والتعظيم، والمحبة له، وسؤاله، والرغبة إليه[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: " هو أن يتخذ من دون الله ندا، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين "[3].

وقال أيضا: الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به[4].

وعرفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: " وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة، فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذه ربا وإلها، وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة "[5].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: " الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية من ملك الضر، والنفع، والعطاء، والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، وأنواع العبادة كلها بالله وحده"[6].

وقال الشوكاني: " هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشي مما لا يتقرب به إلا إليه "[7].

وقال الشيخ حافظ الحكمي: " هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله "[8].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: " وحقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٦٨٢).

(٢) انظر: جامع الرسائل (٢ / ١١١).

(٣) مدارج السالكين (١ / ٢٥٤).

(٤) الداء والدواء لابن القيم ص (٣١٣)

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١ / ١٥٧).

(٦) تيسير العزيز الحميد (١٠١).

(٧) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ص (٣٨).

(٨) معارج القبول (٢ / ٥٧٣) بتصرف يسير.

يُعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية "[1].

وقال أيضا: " هو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة "[2].

وعرفه الطاهر بن عاشور[3] بقوله: " إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلهية وفي العبادة "[4].

فهذه عبارات أهل العلم في ذكر معنى الشرك كما ترى أنه يكمل بعضها بعضا، وقد يُستنبط منها تعريف جامع مانع للشرك.

فيقال الشرك هو: جعل شيء من حقوق الله لغيره.

وذكر كلمة (جعل) بدل كلمة (صرف) لأنها هي الوادة في النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]، وقول النبي ﷺ: "أن تجعل لله ندا". فالالتزام بألفاظ النصوص الشرعية أولى من غيره.

وقول: (حقوق الله) يشمل ما يتعلق بالشرك في جميع أنواع التوحيد.

وقد أطلت بعض الشيء في تعريف الشرك ونقل أقوال بعض العلماء فيه؛ وذلك لأنه قد نتجت مفاسد عظيمة بسبب سوء فهم حقيقة الشرك، منها:

أنه قد ظن بعض أهل الضلال أن كل ما لا يؤدي إلى الشرك في الربوبية، والخلق والتدبير، والإحياء، والإماتة، وكل ما لا يؤدي إلى اعتقاد التأثير لغير الله بالاستقلال فيه بالنفع، والضر، ونفوذ المشيئة، وكل ما لا يصاحبه اعتقاد الألوهية واستحقاق العبودية لغير الله لا يكون شركاً عندهم، ولو كان سجوداً، أو استغاثة، أو نذراً، أو ذبحاً، أو غيرها[6].

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٢٧٩).

(٢)القول السديد شرح كتاب التوحيد ص (١٤/٣).

(٣) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، وهو أشعري المذهب كما صرح بذلك في تفسيره، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، توفي سنة ١٣٩٣هـ بتونس. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤)، والتحرير والتنوير (٤٤٣/١).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧ / ٣٣٢).

(٥) البقرة:٢٢.

(٦) وللاستزادة في معرفة الآثار المترتبة على الخطأ في معرفة حقيقة الشرك عند المتأخرين. ينظر: هذه مفاهيمنا للشيخ

- **الأمر الثاني: عظمة الشرك وخطورته.**

جاء القرآن العظيم يقص علينا في جلاء ووضوح أن أول دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هو توحيد الله عز وجل، وأول ما ينكرونه على أقوامهم هو الشرك ومظاهره، فلا تكاد تخلو سورة من ذكر هذين الأمرين، وما ذلك إلا لشدة الحاجة إلى معرفته والحذر منه.

وتتبين عظمة الشرك وخطورته من جهتين:

الجهة الأولى: أن الشرك أعظم الذنوب، ويظهر ذلك بعدة أمور:

الأول: أن الشرك أعظم تنقيص لله عز وجل، ويتضح هذا إذا علمت أن الشرك فيه تسوية غير بالله فيما هو من خصائص الله، وهذا أظلم الظلم، يقول الله سبحانه وتعالى **﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾**[1].

وقد بين الله عز وجل أن الشرك هو أعظم الظلم إذ يقول سبحانه وتعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾**[2].

قال ابن كثير رحمه الله: " أي: هو أعظم الظلم "[3].

وقال أيضا: "وهذا هو الشرك الأعظم الذي يعبد مع الله غيره، كما في الصحيحين[4]. عن ابن مسعود رضي الله عنه قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك""[5].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية **﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟**

صالح آل الشيخ ص (١١٦) وما بعدها، والشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (١/١٣٥-١٣٦-١٣٧).

(١) الشعراء: ٩٧-٩٨.

(٢) لقمان:١٣.

(٣) تفسير ابن كثير (٦ / ٣٣٦).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) المصدر السابق (٤ / ٤١٨).

﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[1] ، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ « ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[2].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "وأعظم أنواع الظلم الكفر بالله الذي هو وضع العبادة التي يتعين أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوق مثله، فلهذا قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3] وهذا من باب الحصر، أي: الذين ثبت لهم الظلم التام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[4]"[5].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾[6] .

قال الشيخ ابن سعدي – رحمه الله –: " أي افترى جرماً كبيراً، وأي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الفقير بذاته من كل وجه، الذي لا يملك لنفسه – فضلا عمن عبده – نفعًا، ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا، بالخالق لكل شيء، الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته، عن جميع مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟"[7].

الثاني: أن في الشرك جعل خالص حق الله لغيره، وقد جاءت النصوص الشرعية مصرِّحة ومبيِّنة بأن العبادة حق خالص لله ﷻ ولا يجوز جعله لغيره.

من ذلك حديث الحارث الأشعري أن نبي الله ﷺ قال: " إن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا

---

(١) الأنعام:٨٢.

(٢) لقمان:١٣.

(٣) البقرة:٢٥٤.

(٤) لقمان:١٣.

(٥) تفسير السعدي (١ / ١١٠).

(٦) النساء:٤٨.

(٧) تفسير السعدي (١ / ١٨١).

عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن يبطئ. فقال له عيسى: إنك قد أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب، أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن الله ﷻ أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: **أولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم سره أن يكون عبده كذلك وإن الله عز وجل خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا**»[(١)].

فانظر إلى هذا المثل البليغ الذي ضربه نبي الله يحيى عليه السلام لبني إسرائيل في بيان أن العبادة حق خالص لله ﷻ من جعلها لغيره فقد وقع في الشرك.

الثالث: أن الشرك غاية المعاندة لله جل جلاله؛ وذلك لأنه مخالف للغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[(٢)].

أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم[(٣)].

فهذه هي الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته وحده لا شريك له[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله: "أخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة، وكذلك إنما أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه؛ ليعبدوه، فالعبادة هي الغاية التي خُلقوا لها "[(٥)].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤٠٤/٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٥/٣)، وغيرهما، وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع ص (٣٥٦).

(٢) الذاريات:٥٦.

(٣) انظر: تفسير (٧ / ٤٢٥)،

(٤) انظر: تفسير السعدي (١ / ٨١٣).

(٥) الفوائد لابن القيم ص (١٧٦)، وانظر أيضا: طريق الهجرتين له أيضا (٥٢٢/١)، وعدة الصابرين له أيضا ص(٧٠).

وقال أيضا: " إن الله ﷻ أرسل رسله، وأنزل كتبه، وخلق السموات والأرض، ليُعرف، ويُوحَد، ويُعبد، ويكون الدين كله له"[١].

والشرك مخالف لهذه الغاية.

الرابع: أن الشرك خبث محض، وضلال محض؛ لأنه لا داعي إليه، وليس هناك شهوة تدعو إليه، فصار خبثاً محضاً.

فغالب الذنوب لها شهوة تدعو إليها، فمثلا: كبيرة الزنا شهوة الفرج تدعو إليها، والربا شهوة المال تدعو إليه، إلى غير ذلك من الذنوب والمعاصي؛ ولذلك جاء في الحديث: " وحُفَّت النَّارُ بالشهوات"[٢].

وأما أن يتعلق الإنسان بصنم مثلاً فينذر له، ويذبح عنده، أو يستغيث به، فأي شهوة تدعو لهذا وهو يعلم أنه جماد لا ينفع، ولا يضر.

الجهة الثانية: أن عقوبته أعظم العقوبات، ويتضح هذا بأمور:

الأول: أنه الذنب الذي لا يغفره الله ﷻ إذا لم يتب منه صاحبه.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[٣].

أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول ﷺ: " الدواوين عند الله ثلاثة، ديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله، فالشرك بالله، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) الداء والدواء ص (٢٩٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب"حجبت النار بالشهوات"، برقم (٦٤٨٧)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب"صفة الجنة" برقم (٧١٣٠)، واللفظ له.

(٣) النساء:٤٨.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢ / ٣٢٥).

﴿ٱلْجَنَّةَ﴾[1]...الحديث»[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الظلم ثلاثة، فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه الله: فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾... الحديث»[3][4].

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرا...الحديث»[5].

فالمشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً، وما لهم يوم القيامة ﴿مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [6] [7].

الثاني: أن الشرك محبط لجميع العمل، وذلك إذا مات عليه العبد.

قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[8].

ذكر الله تعالى أن هؤلاء الأنبياء المذكورين في هذه السورة الكريمة لو أشركوا بالله لحبط جميع

---

(١) المائدة:٧٢.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، وصححه (٣٩/٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٠/٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص (٤٤٣).

(٣) لقمان:١٣.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٨٣/١١)، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال (٣ / ٤٩٨)، وابن كثير في تفسيره (٢ / ٣٢٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٦٠/٤).

(٥) رواه أحمد (٢٨ / ١١٢)، وأبو داود في سننه حديث رقم (٤٢٧٠)، وابن حبان في صحيحه (٣١٨/١١)، والحاكم في مستدركه وصححه (٥٠١/٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٥/٤).

(٦) الشعراء:١٠٠- ١٠١.

(٧) انظر: تفسير السعدي (١ / ١٨١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠ / ٣١٦).

(٨) الأنعام:٨٨.

أعمالهم، وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع [١].

وهذا فيه تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه.

فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا - وحاشاهم ذلك - لحبطت أعمالهم فغيرهم من باب أولى؛ لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملا [٢].

ويقول الله تعالى أيضا مخاطباً نبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [٣].

قال الشيخ ابن سعدي: " هذا مفرد مضاف - أي عملك - يعم كل عمل "[٤].

فهذه الآية مثل سابقتها، يقول تعالى ذكره فيها: ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسلﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [٥]، يقول: لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد، ليبطلن عملك، ولا تنال به ثواباً، ولا تدرك جزاءً، إلا جزاء من أشرك بالله[٦].

الثالث: أن الشرك يوجب الخلود في النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [٧].

أي: فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة، وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه [٨].

فصاحب الشرك الأكبر، لا يدخل الجنة وإن كان أعبد الناس، وذلك لأنه سوّى الخلق

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١ / ٤٨٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١ / ٥١٤)، وتفسير السعدي (١ / ٢٦٣).

(٣) الزُّمر:٦٥.

(٤) تفسير السعدي (١ / ٧٢٩).

(٥) الزُّمر:٦٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢١ / ٣٢٢).

(٧) المائدة:٧٢.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ١٥٧).

بالخالق، وجعل ما خلقه الله له – وهو العبادة الخالصة – لغير من هي له، فاستحق أن يخلَّد في النار [1].

مما تقدم تتضح عظمة الشرك وخطورته على العبد؛ لذلك يجب على العبد أن يحذره، ويتجنب كل سبب يؤدي إليه، ويسأل ربه أن يعينه على تجنبه.

- **الأمر الثاني : خفاء الشرك.**

إن مسألة خفاء الشرك من المسائل المهمة التي يجهلها كثير من الناس؛ حيث يظن البعض أن أمر الشرك من الأمور الجلية التي لا يحتاج لها عناية كبيرة من دراستها وفهمها، وهذا فهم مغلوط، بل إن الشرك ومسائله من أهم المهمات التي ينبغي على المسلم تعلمها؛ ليُتجنب الشرك، ويُحذر من الوقوع فيه شَرَكه.

لذلك حرص النبي ﷺ كل الحرص في التحذير من هذا الداء، وحذر صحابته رضوان الله عليهم منه كما جاءت بذلك الآثار، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " الشرك أخفى من دبيب النمل" قال أبو بكر: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله أو ما دعي مع الله؟ قال: "ثكلتك أمك، الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل"[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

قال: « الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل »[4].

فمثَّل لخفائها بما هو أخفى شيء، وهو أثر النمل فإنه خفي، فكيف إذا كان على صفاة؟ فكيف إذا كانت سوداء؟ فكيف إذا كانت في ظلمة الليل؟ وهذا يدل على شدة خفائه

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١ / ١٢٦-١٢٧)، وتفسير السعدي (١ / ٢٣٩).

(٢) رواه أبو يعلى في المسند (١/٦٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٦٩٤).

(٣) البقرة:٢٢.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٦٢)، وإسناده حسن. انظر: الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد ص(١٣٥).

على من يدعي الإسلام وعسر التخلص منه[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: أما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه مثل أن يحب مع الله غيره[2].

ولهذا كان العبد مأموراً في كل صلاة أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[3] ، فالشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك، فلا تزال النفس تلتفت إلى غير اللّه؛ إما خوفًا منه، وإما رجاء له، فلا يزال العبد مفتقراً إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك.

إذاً فما الواجب على العبد أن يفعله ليتجنب الوقوع في حبائل الشرك الخفي، الذي بُيِّنت شدة خفائه سابقا؟

أولا: يجب على المسلم تعلَّم ما به يستطيع معرفة الشرك ليكون في مأمنٍ منه.

ثانياً: أن يردد ما وصى به النبي ﷺ أبا بكر ؓ حيث قال له: " ألا أخبرك بقول يُذهب صغاره وكباره – أو صغيره وكبيره؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله قال: "تقول كل يوم ثلاث مرات : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم"[4].

• الأمر الثالث: أقسام الشرك.

يمكن تقسيم الشرك من خلال نصوص الشرع، وكلام أهل العلم إلى قسمين:

القسم الأول: الشرك الأكبر: وهو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة: وهو جعل شيء من حقوق الله لغيره، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾[5] ..

وينقسم الشرك الأكبر باعتبار موضوعه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو نوعان:

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٤٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٩٣).

(٣) الفاتحة:٥.

(٤) وهذا جزء من الحديث المخرّج سابقا، ولفظة" ثلاث مرات " لم يصححها الألباني رحمه الله.

(٥) النساء:٤٨.

١- شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1] .

٢- شرك التمثيل، كشرك النصارى الذين جعلوا الله ثالث ثلاثة، وشرك القدرية الذين جعلوا العبد هو الذي يخلق فعل نفسه.

الثاني: الشرك في الإلهية، وهو ستة أنواع:

١- شرك الدعاء. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

٢- شرك الشفاعة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[4] .

٣- شرك النية والإرادة والقصد. قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[5] .

٤- شرك الطاعة. قال الله عز وجل: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ

(١) الشعراء:٢٣.

(٢) مريم:٤٨.

(٣) غافر:٦٠.

(٤) يونس:١٨.

(٥) هود:١٥-١٦.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾[1] .

٥- شرك المحبة. قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾[2] .

٦- شرك الخوف. قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾[3] ، وقال ﷻ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٦﴾[4] .

الثالث: الشرك في الأسماء والصفات، وهو نوعان:

١- شرك التشبيه. وهو الذي وقع فيه المشبه، كقول يد الله كيد المخلوقين.

٢- شرك الاشتقاق. كأن يشتق من أسمائه ﷻ أسماء للأصنام، كاشتقاق (اللّات) من الإله، و(العزّى) من العزيز.

حكم الشرك الأكبر.

الشرك الأكبر كما تقدم، خارج ملة الإسلام؛ لأنه الذنب الذي لا يغفره الله ما لم يتب من صحابه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾[5] .

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) البقرة: ١٦٥.

(٣) آل عمران: ١٧٣.

(٤) الزُّمر: ٣٦.

(٥) المائدة: ٧٢.

القسم الثاني: الشرك الأصغر. وللعلماء مسلكان في تعريفه:

(أ) بضرب المثال، كما هو صنيع ابن القيم كما في مدارج السالكين[1].

(ب) بالحد، فمن ذلك:

أن الشرك الأصغر هو: جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك الأكبر [2].

وقيل هو: كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه[3].

وينقسم الشرك الأصغر باعتبار مصدره إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قلبي. ومنه يسير الرياء.

الثاني: قولي. ومنه الحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت.

الثالث: عملي. كالتطير، وتعليق التمائم إذا اعتقد أنها سبب للنفع والضر.

- **تنبيه**[4]:

فالشرك الأصغر قد يكون في خصائص الربوبية، وقد يكون في الألوهية[5]، كما أن الشرك الأصغر قد ينقلب إلى شرك أكبر، وذلك من ثلاثة وجوه:

١- إذا صحبه اعتقاد قلبي، وهو تعظيم غير الله كتعظيم الله (كمن يحلف بغير الله مع تعظيم المحلوف به كتعظيم الله ﷻ).

٢- أن يكون في أصل الإيمان (كالمراءاة بأصل الإيمان).

٣- إذا كثر هذا الشرك حتى غلب على العمل - سائر العمل - فيدخل في الشرك الأكبر (كأن يقصد بالعمل الجزاء عليه في الدنيا ولا هم له ولا طلب للآخرة).

---

(١) (٢٥٨/١).

(٢) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (١٥/٣).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١ / ٧٤٨).

(٤) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص (١٦٤-١٦٥)، والشرك في القديم والحديث (١٧٣/١).

(٥)انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢ / ٣٨٧).

حكم الشرك الأصغر.

يُعدِّ الشرك الأصغر من أكبر الكبائر، ولكن لا يخرج فاعله من الإسلام(١).

وقد جاء التحذير منه في النصوص الشرعية.

قال ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

وهذا الآية وإن كانت في الشرك الأكبر، إلا أن السلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها حذيفة وابن عباس وغيرهما رضي الله عن الجميع(٣).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر "(٤).

وكون هذا الشرك أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر؛ لما ورد عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق "(٥).

ووجهُه أن ابن مسعود ﷺ قدّم الحلف بالله ﷻ كاذباً، مع أنه كبيرة من الكبائر، على الحلف بغير الله، وذلك لأن الحلف بغير شرك وإن كان أصغر، إلا إنه أكبر من الكبائر، وإلا لَما قدَّمه ابن مسعود ﷺ .

وأيضا لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك وإن قُدِّر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك(٦).

حكم مرتكب الشرك الأصغر.

لأهل العلم في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الشرك الأصغر لا يُغفر مطلقاً، وهذا أحد قولي شيخ الإسلام بن تيمية، قال – رحمه الله –: "وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١ / ٣٤١ و٧٦٢).

(٢) البقرة:٢٢.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٤٧).

(٤) مسند أحمد (٣٩ / ٣٩)، شعب الإيمان للبيهقي (٩ / ١٥٥)، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٧٤/١)، وصححه الألباني في تعليقه على الترغيب والترهيب، وفي الصحيحة (٦٣٤/٢).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٥٤٩/٧)، ومصنف عبد الرزاق (٤٦٩/٨)، والترغيب والترهيب للمنذري (١٠٨٦/٣) وصححه الألباني في تعليقه على الترغيب والترهيب.

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٣٨).

يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق ،وخفي وجلي "[(١)].

وقال أيضاً: " وقد يقال الشرك لا يُغفر منه شيء لا أكبر و لا أصغر على مقتضى عموم القرآن، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً، لكن شركه لا يُغفر له، بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة "[(٢)].

قال الشيخ عبد الله أبا بطين[(٣)] – رحمه الله –: "وأما الشرك فقد قال رحمه الله – أي ابن تيمية –: إن الشرك لا يغفر، وإن كان أصغر؛ نقل عنه ذلك تلميذه صاحب الفروع[(٤)]، وذلك – والله أعلم – لعموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾"[(٥)].

وقال به أيضاً الشيخ صديق حسن خان رحمه الله [(٦)].

ودليلهم: ١– قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[(٧)].

قالوا: و (أن)، والفعل المضارع (يشرك)، مأوَّلة بمصدر؛ أي (إن الله لا يغفر إشراكاً به)، وهذه نكرة في سياق النفي تفيد العموم الأكبر والأصغر.

٢– حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " من لقي الله وهو لا يشرك به

---

(١) قاعدة في المحبة ص (١٣٣).

(٢) تلخيص الاستغاثة في الرد على البكري (٣٠١/١).

(٣) هو الإمام العلامة، الفقيه البحر الفهامة عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين العائذي أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الله بن طراد الدوسري الحنبلي، وعن الشيخ أحمد بن حمزة بن رشيد الأحسائي ثم المدني، وعن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وغيرهم، فمهر في الفقه، وفاق أهل عصره في إبان نشاته، وولي القضاء زمن الإمام سعود في بلد الطائف، وله عدة مؤلفات منها: حاشية على شرح المنتهى، ورسالة في تجويد القرآن، وكتاب كشف تلبيس داود بن جرجيس، توفي رحمه الله تعالى في شقراء، سنة ١٢٨٢هـ. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦ / ٤٢٧–٤٢٨).

(٤) انظر: الفروع (٦ / ٦٦).

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤ / ٤٧٤).

(٦) انظر: الدين الخالص (٢٦٥/١).

(٧) النساء:٤٨.

شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"[١].

وقالوا: أن (شيئاً) هنا نكرة فتعم الأكبر والأصغر.

القول الثاني: أن الشرك الأصغر كسائر الكبائر داخل تحت المشيئة، إن شاء الله عذب صاحبه، وإن شاء غفر له.

وهو القول الآخر لابن تيمية، قال رحمه الله: " والشرك نوعان: أكبر، وأصغر. فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الشرك الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، فإن تلك الحسنات هي توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر، ومن خلص من الأكبر، ولكن كبر شركه الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار.

فالشرك يُؤاخذ به العبد إذا كان أكبر، أو كان كثيراً أصغر، فالأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يُؤاخذ به، والخلاص من الأكبر ومن أكثر الأصغر الذي يجعل السيئات راجحة على الحسنات فصاحبه ناجٍ، ومن نجا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ورجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة "[٢].

ومال إلى هذا القول ابن القيم، كما هو ظاهر قوله – رحمه الله –: " فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة.

فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ﷻ؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

والمخففة: الشرك الأصغر، كيسير الرياء والتصنع للمخلوق والحلف به وخوفه ورجائه"[٣].

وانتصر له الشيخ ابن سعدي رحمه الله[٤].

ويؤيد هذا أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥]، فأطلق لفظ

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٥٦٢)، ورواه مسلم بلفظ " ومن لقيه يشرك به دخل النار "، كتاب: الإيمان، باب "الدليل على من مات لا يشرك به شيئاً دخل الجنة.."، برقم (٢٧٠).

(٢) تفسير آيات أشكلت لابن تيمية (٣٦٤/١).

(٣) إغاثة اللهفان (١ / ٦٣)، وانظر: الداء والدواء (٣٠٤).

(٤) انظر: الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للدكتور: عبد الرزاق البدر. ص (١٩٤-١٩٥).

(٥) الأنعام:٨٨.

الشرك، ومع هذا فأصحاب القولين متفقون على أن الشرك الأصغر لا يحبط سائر الأعمال كحال الشرك الأكبر.

وأجابوا عن الاستدلال بالآية: أن المراد بها الشرك الأكبر وهي نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾[(١)]، وبالإجماع أن هذه الآية المراد بالشرك فيها الأكبر، فلتكن هذه الآية مثل نظيراتها.

ورجّح هذا القول عدد من أئمة الدعوة كالشيخ سليمان بن عبد الله[(٢)]، والشيخ عبد الرحمن بن حسن حيث قال – رحمه الله –: " وأما الأصغر كيسير الرياء، وقول الرجل ما شاء الله وشئت، وقوله: ما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك. فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات"[(٣)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم – رحمه الله –: " والأصغر: هو ما أتي في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وحكمه أنه لا يُغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[(٤)]، وأنه يحبط العمل الذي قارنه، ولا يوجب التخليد في النار، ولا ينقل عن الملة، **ويدخل تحت الموازنة**، إن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا دخل النار "[(٥)].

وعلى كلٍ فالشرك أمره خطير، فيجب على العبد أن يتقي الله سبحانه وتعالى، وينأى عنه، وأن يكثر من قول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم.

---

(١) المائدة:٧٢.

(٢) انظر: تيسر العزيز الحميد ص (٨١).

(٣) قرة عيون الموحدين (٥٨)، وانظر: فتح المجيد ص (٤٤).

(٤) النساء:٤٨.

(٥) حاشية كتاب التوحيد ص(٥٠-٥١).

المسألة الثانية : الرياء.

١- قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ[١]، ثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق[٢]، أنبأ علي بن عبد العزيز[٣]، ثنا شاذ بن فياض[٤]، ح وأخبرنا أبو طاهر الفقيه[٥]، ثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري[٦]، ثنا أبو أحمد الفراء[٧]، ثنا شاذ بن فياض أبو عبيدة، ثنا أبو قحذم النضر بن معبد[٨]، عن أبي قلابة[٩]، عن ابن عمر ﷺ قال: مر عمر بمعاذ رضي الله عنهم وهو يبكي، قال: يا معاذ ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي ﷺ يقول: " إن أدنى الرياء شرك وإن أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم"[١٠].

---

(١) تقدم.

(٢) الإمام العلامة المفتي المحدث، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد، النيسابوري الشافعي المعروف بالصبغي، مات سنة ٣٤٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٨٣).

(٣)علي بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور، الإمام، الحافظ، الصدوق، أبو الحسن البغوي، نزيل مكة، قال الدارقطني: ثقة مأمون .مات سنة ٢٨٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٤٨).

(٤) شاذ بن فياض أبو عبيدة اليشكري البصري، واسمه هلال، ثقة، مات ٢٢٥هـ. انظر: الكاشف (١ / ٤٧٧).

(٥) الفقيه العلامة القدوة، شيخ خراسان، مسند نيسابور، أبو طاهر، محمد بن محمد بن محمش الشافعي، كان إماما في المذهب، متبحرا في علم الشروط، مات سنة ٤١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧ / ٢٧٦-٣١٠).

وعلم الشروط: هو علم باحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال. انظر: كشف الظنون (٢ / ١٠٤٥).

(٦) الإمام القدوة الزاهد الصالح، أبو عثمان، عمرو بن عبد الله بن درهم، النيسابوري المطوعي الغازي، المعروف بالبصري، قال الحاكم: لم أرزق السماع منه على أنه كان يحضر منزلنا، وأنبسط إليه، مات سنة٣٣٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٣٦٤).

(٧) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي أبو أحمد الفراء النيسابوري ثقة عارف، مات سنة ٢٧٢هـ. انظر: التقريب (٦١٤٤).

(٨)النضر بن معبد ، أبو قحذم، قال أبو حاتم: يكتب حديثه. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤ / ٢٦٣).

(٩)عبد الله بن زيد بن عمرو، أو عامر الجرمي، أبو قلابة البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال، قال العجلي: فيه نصب يسير، مات سنة ١٠٤هـ، وقيل بعدها. التقريب (٣٣٥٣).

(١٠) رواه البيهقي في الزهد ص (٦٢)، ورواه المعافى الموصلي في الزهد ص (٢١٥)، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٤٢/١)، ولكن أبا قلابة لم يسمع من ابن عمرﷺ، وضعف هذا الحديث الشيخ مقبل الوادعي في تعليقه على المستدرك (٤٢/١)، والألباني في السلسة الضعيفة (٣٣١/٤)، وأورده ابن عدي في الكامل في

٢- قال وكيع: حدثنا الأوزاعي[(١)]، عن حسان بن عطية[(٢)]، عن عبد الله بن أبي زكريا[(٣)] قال: " بلغني أن الرجل إذا رايا بشيء من عمله أحبط ما قبل ذلك "[(٤)].

٣- قال نعيم بن حماد: أنا وهيب[(٥)] أنه بلغه أن مجاهداً[(٦)] كان يقول في هذه الآيه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾[(٧)] الآيه، قال: أهل الرياء أهل الرياء[(٨)].

٤- قال نعيم بن حماد: أنا أبو سنان الشيباني[(٩)]، أنه بلغه عن مجاهد[(١٠)] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[(١١)]، قال: الرياء [(١٢)].

٥- قال وكيع: حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل قال: سمعت جندبا العلقي رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: " من يسمع يسمع الله به، ومن يراء يراء الله به "[(١٣)].

ضعفاء الرجال (٢٤٩٠/٧).

(١) تقدم.

(٢) حسان بن عطية المحاربي، مولاهم أبو بكر الدمشقي، ثقة فقيه عابد، مات بعد ١٢٠هـ. التقريب (١٢١٤).

(٣) عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، أبو يحيى الشامي، واسم أبيه إياس، وقيل: زيد، ثقة فقيه عابد، مات سنة ١١٩هـ. التقريب (٣٣٤٤).

(٤) رواه وكيع في الزهد (٥٧٧/٢)، وإسناده صحيح، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٣/١٩).

(٥) وُهيب بالتصغير ابن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم، أبو بكر البصري، ثقة ثبت لكنه تغير قليلا بأخرة، مات سنة ١٦٥هـ، وقيل بعدها. التقريب (٧٥٣٧).

(٦) تقدم.

(٧) هود:١٦.

(٨) زيادات نعيم على ازهد ابن المبارك ص (٤٤٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٦٦).

(٩) سعيد بن سنان البرجمي، بضم الموحدة والجيم بينهما راء ساكنة، أبو سنان الشيباني الأصغر الكوفي، نزيل الري، صدوق له أوهام من السادسة. انظر: التقريب (٢٣٤٥).

(١٠) تقدم.

(١١) فاطر:١٠.

(١٢) زيادات نعيم على ازهد ابن المبارك ص (٤٥٠)، ورواه الطبري في تفسيره بسنده عن شهر بن حوشب (٤٤٦/٢٠)، والبيهقي في الشعب عن مجاهد (١٦٦/٩).

(١٣) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٥٨٢)، ورواه مسلم عن ابن عباس بلفظ" ومن رايا رايا الله به"، كتاب: الزهد، باب "تحريم الرياء"، برقم (٧٤٧٦).

٦- قال الحسين المروزي[١]:أخبرنا سفيان بن عيينة[٢]، عن الزهري[٣]، عن محمود بن الربيع[٤]، عن شداد بن أوس[٥]، أنه قال حين حضرته الوفاة: " يا نعايا[٦] العرب ثلاثاً، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية "[٧].

---

(١) الحسين بن الحسن بن حرب السلمي، أبو عبد الله المروزي، نزيل مكة، صدوق، أحد رواة زهد بن المبارك، مات سنة ٢٤٦هـ. التقريب (١٣٢٤).

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، مات في رجب سنة ١٩٨هـ. التقريب (٢٤٦٤).

(٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وثبته، مات سنة١٢٤هـ. التقريب (٦٣٣٦).

(٤)محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو الخزرجي، أبو نعيم، أو أبو محمد المدني، صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة، مات سنة ٩٩هـ. انظر: الكاشف (٢ / ٢٤٦).

(٥) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبو يعلي، صحابي، وهو بن أخ حسان بن ثابت مات بالشام سنة ٥٨هـ. التقريب (٢٧٦٧).

(٦) (النعايا): جمع النعي وهو الرجل الميت، وروي عن الأصمعي وغيره إنما هو في الإعراب يا نعاء العرب تأويله: يا هذا انع العرب، يأمر بنعيهم كأنه يقول: قد ذهبت العرب. انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٤٤٧)، لسان العرب (٤٤٨٦/٦)، المعجم الوسيط (٢ / ٩٣٦).

(٧) الزهد ط.الأعظمي ص (٣٢٣)، ورواه الطبري في تهذيب الآثار بسند صحيح (٣٥٠/١)، والبيهقي في شعب الإيمان مرفوعا إلى النبي ﷺ (١٥١/٩)، وحسنه الألباني في الصحيحية (٣٤/٢).

❖ مسألة: الرياء.

وهذه المسألة مشتملة على عدة أمور:

- **الأمر الأول : حقيقة الرياء.**

تعريفه في اللغة:

قال ابن فارس: " تراءى القوم، إذا رأى بعضهم بعضا. وراءى فلان يرائي. وفعل ذلك رئاء الناس، وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس.."[١].

وقال ابن منظور:" استرأى الشيء استدعى رؤيته وأريته إياه إراءة وإراء... وراءيت الرجل مراآة ورياء، أريته أني على خلاف ما أنا عليه، وفي التنزيل: ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ﴾[٢]، وفيه ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[٣]، يعني المنافقين، أي: إذا صلى المؤمنون صلوا معهم يراؤونهم أنهم على ما هم عليه. وفلان مراء، وقوم مراؤون، والاسم الرياء "[٤].

تعريفه في الشرع:

عرّف العز بن عبد السلام الرياء بقوله: "الرياء: إظهار عمل العبادة؛ لينال مُظهرها عرضاً دنيوياً، إما بجلب نفع دنيوي، أو لدفع ضرر دنيوي، أو تعظيم أو إجلال "[٥].

وعرّفه ابن تيمية بقوله: "هو إرادة أن يرى الناس عمله "[٦].

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي ظاهرة جلية، وهي أن المعنى اللغوي متوافق مع الشرعي في أن الرياء هو: إظهار العمل للناس، إلا أنه في الشرع مخصص بإظهاره ليحمده الناس عليه.

---

(١) مقاييس اللغة (٢ / ٤٧٣).

(٢) الأنفال:٤٧.

(٣) الماعون:٦.

(٤) لسان العرب (٣ / ١٥٤٠).

(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١ / ١٢٤).

(٦) شرح العمدة لابن تيمية (٤ / ٥٧٧).

- **الأمر الثاني : حكم الرياء.**

الرياء اليسير من الشرك الأصغر، وقد يصل إلى الشرك الأكبر كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وأما تحريمه فقد جاء في الكتاب والسنة وبإجماع أهل العلم.

فمن الكتاب :

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[١] .

قال ابن عبد البر عند تعليقه على هذه الآية:" قال أهل العلم بالتأويل إن قول الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، نزلت في الرياء "[٢].

وقال جماعة من أهل العلم في معنى هذه الآية: أي لا يرائى الناس في عمله، لأن العمل بعبادة الله لأجل رياء الناس من نوع الشرك، كما هو معروف عند العلماء أن الرياء من أنواع الشرك [٣].

ويدخل في هذه الآية الشرك الأكبر من باب أولى[٤].

ومن السنة:

قول النبي ﷺ:" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله ﷻ لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: (اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟) "[٥].

وقد انعقد الإجماع على تحريم الرياء[٦].

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) التمهيد (٢١ / ٢٧٢).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١٩ / ٣٢٨).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) انظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبوجيب (٢/٥٠٢).

- **الأمر الثالث: الأحوال التي يصل فيها الرياء إلى درجة الشرك الأكبر.**

١- أن تكون المراءاة بأصل الإيمان، وهذا كحال المنافقين حيث وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[(١)] .

٢- أن يغلب الرياء على العمل، فيكون غالب عمل الشخص ليس لله، وإنما هو مراءاة للناس، فهذا ليس كيسير الرياء الذي أطلق عليه أهل العلم شركاً أصغر، كما قال ابن القيم -رحمه الله -:" وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء "[(٢)].

وصرح بهذا المعنى المذكور غير واحد من أهل العلم، قال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- :" ففسر الشرك الأصغر باليسير من الرياء فدل على أن كثيرة أكبر"[(٣)].

٣- ذكر بعض أهل العلم أن من ضمن هذه الأحوال: المراءاة المحضة ببعض الأعمال بحيث لا يراد بها سوى المخلوقين، كالمراءاة بصلاة الفريضة قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾[(٤)] .

قال ابن رجب -ر حمه الله -:" وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام "[(٥)].

تنبيه:

لا يشكل كون الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر، مع حديث النبي ﷺ :" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء "، حيث إن الحديث مصرّح بأن الرياء شرك أصغر، والجواب هو:

إن أُريد بكلام أهل العلم السابق الكمية، فنعم يكون شركا أكبر، لأنه لو كان يرائي

---

(١)النساء:١٤٢.

(٢)مدارج السالكين (١ / ٢٥٨).

(٣)تيسير العزيز الحميد ص (٣٩٧).، وانظر: القول المفيد لابن عثيمين (١٢٤/٢).

(٤)الماعون:٤-٥-٦.

(٥)جامع العلوم والحكم (١ / ٧٩).

في كل عمل لكان مشركاً شركاً أكبر؛ لعدم وجود الإخلاص في عمل يعمله، أما إذا أُريد به الكيفية، فظاهر الحديث أنه أصغر مطلقاً [1].

- **الأمر الرابع : أحوال العمل مع الرياء (العمل إذا كان لله ﷻ ولغيره)**[2].

إن للعبادة إذا خالطها الرياء أحوالا، فقد تبطل العبادة كاملة بمخالطته، وقد يبطل بعضها، وقد ينجو منه العبد بمدافعته، وبيانها فيما يلي:

الحالة الأولى: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل مراءاة الناس ولم يقصد وجه الله ، فهذا شرك، والعبادة باطلة في هذه الحالة؛ لأنها ليست لله ﷻ، وكما في جاء الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عنه عن النبي ﷺ أنه قال:" قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"[3].

الحالة الثانية: أن يكون الباعث على العبادة هو الإخلاص لله وحده، ففي هذه الحال يكون الحكم بحسب كنه العبادة، وهي على قسمين:

القسم الأول: فإن كانت العبادة لا ينبني أخرها على أولها ، فأولها صحيح بكل حال ، والباطل هو آخرها .

ومثال ذلك كمن أعد مبلغا من المال للصدقة، فتصدق بنصف هذا المبلغ مخلصا لله ﷻ، وأما النصف الآخر من المبلغ فقد تصدق به مراءاة للناس، فيكون ما تصدق به أولا مقبول، وأما ما تصدق به مراءاة للناس فليس بمقبول عند الله ﷻ.

القسم الثاني: إذا كانت العبادة ينبني أخرها على أولها، فهي على حالين:

الأولى: أن يدافع العبد هذا الرياء الذي طرأ عليه ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه، فإنه عندئذ لا يضره ذلك شيئاً، لقول النبي ﷺ: "إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت

---

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/١٢٥).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٣/٤٣٥-٤٣٧)، وجامع العلوم والحكم (١/٨١-٨٤)، وتيسير العزيز الحميد ص (٣٩٣-٣٩٧)، والقول المفيد (٢/١٢٥-١٢٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الزهد، باب "تحريم الرياء"، برقم (٧٤٧٥).

به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم"[١]، بل إنه قد يؤجر على مجاهدته لهذا الشر.

الثانية: أن يطمئن إلى هذا الرياء ويستسلم له ولا يدافعه، فحينئذ تبطل جميع العبادة لأن آخرها مبني على أولها ومرتبط به.

الحالة الثالثة: أن يكون الباعث على العمل هو التعبد لله ﷻ، ويخالط هذه النية نيةٌ غير الرياء، وهو ما يُسمى بـ (قاعدة التشريك في العبادات)، وهذه الحالة لها صورتان:

الصورة الأولى: أن يفعل عبادة لله ﷻ ولأجل تحصيل عبادة أخرى، وهذه الصورة لا شيء فيها، ولهذه الصورة أمثلة من الشرع، منها ما جاء في حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء "[٢]. فهنا أمر بالصيام لأجل عبادة أخرى وهي حفظ النفس من المعاصي والحرام.

الصورة الثانية: أن يفعل العبادة لله ﷻ مخلصاً له فيها ولكنه يرجو أيضاً تحصيل منفعة دنيوية، ومنه قول الله ﷻ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾[٣] .

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٤].

ومما يدل على ذلك أيضاً ما جاء عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم "[٥]. وهذا يدل على عدم بطلان عملهم.

وأيضا ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "من سره أن يبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره فليصل

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الطلاق، باب "الطلاق في الإغلاق والكره...."، برقم (٥٢٦٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب: النكاح، باب "من لم يستطع الباءة فليصم"، برقم (٥٠٦٦)، ومسلم، كتاب: النكاح، باب "استحباب النكاح لمن تاقت نفسه..."، برقم (٣٣٩٨).

(٣) نوح:١٠-١١-١٢.

(٤) البقرة:١٩٨.

(٥) رواه مسلم، كتاب: الإمارة، باب "بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم"، برقم (٤٩٢٥).

رحمه"[١].

فشرّك بين العبادة وهي صلة الرحم، وأمر دنيوي وهو البسط في الرزق، وزيادة العمر.

نعم إذا تجردت العبادة عن هذه الأغراض زاد الأجر وعظم الثواب، وإذا لم تُجَرَّد العبادة عنها نقص الأجر، وإن كان لا سبيل إلى الإثم والبطلان.

قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله-: " فإن خالط نية الجهاد مثلاً نيةٌ غير الرياء، مثل أخذه أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكلية "[٢].

وقد نص أهل العلم على أنه يجوز أخذ الرَزق من بيت المال على ما يتعدى نفعه إلى جميع المسلمين من المصالح، كالقضاء والفتيا والأذان والإمامة وتعليم القرآن وتدريس العلم النافع من الحديث والفقه، وتحمّل الشهادة وأدائها، كما يدفع منه أرزاق المقاتلة وذراريهم لأن ذلك من المصالح العامة [٣].

قال ابن تيمية –رحمه الله-: " أما ما يؤخذ من بيت المال فليس عوضاً وأجرة، بل رَزق للإعانة على الطاعة، وأخذ الرزق على العمل لا يخرجه عن كونه قربة ولا يقدح في الإخلاص؛ لأنه لو قدح ما استحقت الغنائم وسَلَبُ القاتل "[٤].

الحالة الرابعة: ما يطرأ للعبد بعد انتهاء العبادة، فإنه لا يؤثر عليها شيئاً، لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، إلا أن يكون فيه عدوان، كالمن والأذى بالصدقة، فإن هذا العدوان يكون إثمه مقابلاً لأجر الصدقة فيبطلها، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[٥] .

تنبيه:-

---

(١) رواه البخاري، كتاب: البيوع، باب "من أحب البسط في الرزق"، برقم (٢٠٦٧)، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب "صلة الرحم وتحريم قطيعتها"، برقم (٦٥٢٣).

(٢) جامع العلوم والحكم ص (١/٨١-٨٢).

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٢ / ٢٠٢).

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٤٠٩)، و مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى للرحيباني (٣/٦٤١).

(٥) البقرة:٢٦٤.

هنا حالتان تقع عند كثير من الناس، وهي :

الأولى: فرح العبد بعمله الصالح، فهذا الأمر لا يقدح في عمله، وليس هو من الرياء، بل هو أمر محمود؛ وذلك لما جاء في حيث أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل ما الإيمان ؟ فقال: " من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن "(١).

الثانية: إذا عمل العبد العمل مخلصا لله، فألقى الله ﷻ الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح العبد بفضل الله عليه، واستبشر، فإن ذلك لا يضره؛ وذلك لما جاء في حديث أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه، قال: " تلك عاجل بشرى المؤمن "(٢).

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه باب الإيمان (١/٥٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه الترمذي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ، كتاب: الفتن، باب "ما جاء في لزوم الجماعة"، برقم (٢١٦٥) وقال: "حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ".

(٢) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب "إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره"، برقم (٦٧٢١). وقد تقدمت هذه المسألة بالتفصيل ص (١٦٣-١٦٤).

- **الأمر الخامس : خطر الرياء، وخوف السلف منه.**

إن ثوب الرياء يشفُّ ما تحته، فيفسد الطاعة، ويحبط الثواب، حيث إنه من قبائح صفات أهل النفاق يقول تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[(١)]، وهو داء خفي، وفي خفائه يكمن خطره على أعمال العبد، وصفه بن عباس رضي الله عنهما بقوله: "أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل"[(٢)].

قال الغزالي –رحمه الله –: " وهو من أضر غوائل النفس، وبواطن مكائدها، يُبتلى به العلماء والعباد، فيشمرون عن ساق الجد؛ لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات، وحملوها على العبادات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، وطلبت الاستراحة إلى إظهار العلم والعمل، فوجدت مَخلَصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تعتقد باطلاع الخالق، فأحبت مدح الخلق لهم، وإكرامهم وتقديمهم في المحافل، فأصابت النفس بذلك أعظم اللذات، وهو يظن أن حياته بالله وبعبادته، وإنما حياته الشهوة الخفية.. "[(٣)].

وهذا نبينا محمد ﷺ قد خاف هذا الداء على أمته أشد الخوف، وحذرهم منه، حيث قال عليه السلام: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه"[(٤)].

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: " الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال "[(٥)].

والمرائي مضطرب القلب، مزعزع الفكر، لا يُخلص في عبوديته ومعاملته، يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة عند الخلق تارةأخرى، ويأبى الله إلا أن يفضح

---

(١) النساء:١٤٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٦٢)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (١/٦٩٣)، برقم (٣٧٣٠).

(٣) انظر: فيض القدير للمناوي (٣/٢٥٦).

(٤) رواه أحمد (١٧ / ٣٥٥)، وابن ماجه في سننه، الزهد، بابا "الرياء والسمعة"، برقم (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير (١/٥٠٩).

(٥) تيسير العزيز الحميد ص (٣٩٨).

المرائي، ويهتك ستره، ويظهر خباياه، فقد ضاعت آماله، وخاب سعيه، وعومل بنقيض قصده، يقول النبي ﷺ في ذلك: " من يسمِّع يسمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به "[١].

وإن أخفى المرائي كوامن نفسه، وخفايا صدره أظهرها الله، يقول النبي ﷺ: " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور "[٢].

ومما يبين خطر الرياء أمور كثيرة، منها:

١- أن هذا الداء ألا وهو الرياء شرك بالله جل جلاله، وهو من الشرك الأصغر، وقد يصل بصاحبه للشرك الأكبر -كما سبق بيانه-، ومما لا يخفى أن الشرك بالله سبحانه وتعالى أعظم الظلم والفساد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:"والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح"[٤].

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-:" و إنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة؛ لأن الرياء هو الشرك الأصغر، و الذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره"[٥].

وقال أيضا:" أول من تسعَّر به النار من الموحدين العباد المراؤون بأعمالهم، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء؛ لأن يسير الرياء شرك"[٦].

٢- الرياء صفة للمنافقين، حيث وصفهم الله سبحانه وتعالى وذمهم به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾[٧].

---

(١) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب: النكاح، باب "المتشبع بما لم ينل، وما يُنهى من افتخار الضَّرَّة"، برقم (٥٢١٩)، ومسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب "النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما لم يعط"، برقم (٥٥٨٣).

(٣) لقمان:١٣.

(٤) مجموع الفتاوى (١٨ / ١٦٢).

(٥) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب ص (٢٨٣).

(٦) كلمة الإخلاص ص (٣٥).

(٧) النساء:١٤٢.

٣- الرياء مما يوقع صاحبة في ظلمات النفاق وبراثنة، حيث هو ساقية من سواقي النفاق، قال ابن القيم –رحمه الله-:"زرع النفاق ينبت على ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرياء"(١).

٤- ومما يزيد في خطر الرياء أن المرائي جهل قدر الله ﷻ الخالق له ولمن زين له العمل؛ ولهذا راءى بعمله.

قال ابن رجب –رحمه الله- :" ما نظر المرائي إلى الخلق بعلمه إلا لجهله بعظمة الخالق يزور التوقيع على اسم الملك؛ ليأخذ البراطيل لنفسه "(٢).

وهو في عمله هذا مستهين بقدر ربه ﷻ، ولو علم قدره وعظمته ما أقدم على الرياء، فقد جاء عن قتادة –رحمه الله- أنه قال:"إذا رايا العبد، يقول الله تبارك وتعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي يهزأ بي"(٣).

٥- أن الرياء مانع من موانع انعقاد العمل؛ وذلك لما قام في قلب صاحبه من القسوة والبعد عن تحقيق الإخلاص والإيمان بالله ﷻ، وإرادة غيره بعمله.

قال ابن القيم في هذا المقام:" فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلها من المن والأذى والرياء، فالرياء يمنع انعقادها سببا للثواب، والمن والأذى يبطل الثواب الذي كانت سببا له، فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل صفوان – وهو الحجر الأملس – عليه تراب فأصابه وابل – وهو المطر الشديد – فتركه صلدا لا شيء عليه، وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به ... فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي والمان والمؤذي؛ فقلبه في قسوته عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر، والعمل الذي عمله لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر، فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من النبات والثبات عند نزول الوابل؛ فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلأ، وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر، فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجرا صلدا لا نبات فيه، وهذا مثل ضربه

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٦٩).

(٢) كلمة الإخلاص (٣٥-٣٦).

(٣) رواه الضرَّاب في ذم الرياء ص (١٢٩).

الله سبحانه لعمل المرائي ونفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوَجَ ما كان إليه، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا به "[١].

وأما خوف السلف من هذا الداء العضال فقد تواردت به الأخبار والآثار من أقوالهم وأفعالهم، حيث كانوا هم من أشد الناس خوفاً على أنفسهم منه وينهون غيرهم من الوقوع فيه، ومن ذلك:

- قال ابن أبي ملكية[٢] – رحمه الله تعالى– :"أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل"[٣].
- عن حذيفة رضي الله عنه "قال: دُعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلقت به، فقلت: اجلس يا أمير المؤمنين فإنه من أولئك، فقال: نشدتك الله أنا منهم؟ قال: لا ولا أبرىء أحدا بعدك"[٤].
- بكى حذيفة في صلاته فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه، فقال: " لا تُعْلِمَنَّ بهذا أحدا "[٥].
- وعن سفيان بن عيينة – رحمه الله – قال: "الشهوة الخفية: الذي يحب أن يُحمد على البر"[٦].

---

(١) إعلام الموقعين (٣١٧-٣١٨).

(٢) الإمام الحجة الحافظ عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة بالتصغير، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه. انظر: سير أعلام النبلاء (٨٨/٥)، تقريب التهذيب (٣٤٧٧).

(٣) رواه البخاري معلقا، كتاب: الإيمان، باب "خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر"، ص (١١).

(٤) رواه وكيع في الزهد (٧٩١/٢) بنحوه، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٢/٢١)، والبزار في مسنده (١٩٣/٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه البزار ورجاله ثقات. (١٥٧/٣).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص (١٣٤)، برقم (١٦٣)، وابن الجوزي في صفوة الصفوة (٦١٤/١).

(٦) رواه الضرّاب في ذم الرياء ص (١١٧)، برقم (٢٣).

- وعظ الحسن – رحمه الله – يوماً، فانتحب رجل، فقال الحسن: " أما والله ليسألك الله ﷻ يوم القيامة ما أردت بهذا "[١].
- وجاء عن الحسن أيضاً أنه حدث يوما ، أو وعظ ، فنحب رجل في مجلسه ، فقال الحسن : " إن كان لله فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير الله هلكت "[٢].
- قال محمد بن واسع[٣] – رحمه الله –: " لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه ورأس امرأته على وساد واحد قد بل ما تحت خده من دموعه ، لا تشعر به امرأته. ولقد أدركت رجالا ، كان أحدهم يقوم في الصف فتسيل دموعه على خديه لا يشعر به الذي إلى جنبه "[٤].

هذه الأمثلة بعض ما جاء عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ورحمهم، في خوفهم من الرياء، والتحذير منه، ومن نظر في كتب السير والرقاق وجد العجب العجاب في هذا الباب، فاللهم اجعلنا ممن حقق لك التوحيد والإخلاص. اللهم آمين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد ص (٣٨٢)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص (١٣٣)، برقم (١٥٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص (١٣٣)، برقم (١٥٦)، وفي الإخلاص والنية له ص (٦٤) برقم (٤٤).

(٣) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس، الإمام الرباني، القدوة، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي، من أهل البصرة. قال أحمد العجلي:" ثقة، عابد، صالح"، كان من العباد المتقشفة والزهاد المتجردين للعبادة، مات سنة ١٢٣هـ، وقيل ١٢٧هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٧ / ٣٦٦)، تاريخ دمشق (٥٦ / ١٣٨)، سير أعلام النبلاء (٦ / ١١٩).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص (١٣٥)، برقم (١٦٥)، وفي الإخلاص والنية له ص (٦١) برقم (٣٦).

المسألة الثالثة : السمعة.

١- قال وكيع: حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل قال: سمعت جندبا العلقي ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: "من يسمع يسمع الله به ، ومن يراء يراء الله به"[١].

٢- قال وكيع: حدثنا الأعمش[٢]، عن مالك بن الحارث[٣]، وعمارة بن عمير[٤]، عن عبد الرحمن بن يزيد[٥]، قال: قال عبد الله[٦]: " إن الله لا يَسمع من مسمِّع ولا مراء ولا داع، إلا داع دعاء ثبتا من قلبه، ولا يقبل إلا الناخلة[٧] من الدعاء "[٨].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٥٨٢)، ورواه مسلم عن ابن عباس بلفظ" ومن رايا رايا الله به"، كتاب: الزهد، باب "تحريم الرياء"، برقم (٧٤٧٦).

(٢) تقدم.

(٣) مالك بن الحارث السلمي الرقي، ويقال الكوفي، ثقة، مات ١٩٤هـ. التقريب (٦٤٧٠).

(٤) تقدم.

(٥) عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي، أبو بكر الكوفي، ثقة، مات سنة ٨٣هـ. التقريب (٤٠٧٠).

(٦) ابن مسعود ﷺ.

(٧) (الناخلة): أي المنخولة الخالصة. انظر: النهاية لابن الأثير (٥ / ٣٣).

(٨) رواه وكيع في الزهد (٥٧٩/٢)، ورجاله ثقات، ورواه بنحوه في أثر طويل البخاري في الأدب المفرد ص(٢٠٧)، وصحح إسناده الألباني. انظر: صحيح الأدب المفرد ص(٢٢٧)، ورواه أيضا ابن أبي شيبة في المصنف (١٣٩/١٥)، والبيهقي في الشعب (٣٨١/٢).

❖ مسألة : السمعة.

وهذه المسألة مشتملة على عدة أمور:

- **الأمر الأول : حقيقة السمعة:**

تعريفها في اللغة:

قال الخليل بن أحمد:"والسمعة: ما سمّعت به من طعام على ختان وغيره من الأشياء كلها، تقول: فعل ذاك رياء وسمعة، أي كي يُرى ذلك ويُسمع، وسمَّع به تسميعاً إذا نوّه به في الناس "(١).

وقال ابن فارس: "يقال: سمّعت بالشيء، إذا أشعته ليُتكلم به "(٢).

إذاً فالسمعة لغة هي: طلب الصيت وإسماع الناس(٣).

وفي كلام الخليل ما يفيد أن بين السمعة والتسميع فرق، وهو أن السمعة: أن يُسمع الناس بفعله، والتسميع: أن ينوّه بعمله في الناس.

تعريفها في الشرع:

جاءت عبارات أهل العلم في تعريف السمعة متقاربة في المعنى والمبنى، إلا أن بعضهم جعل معنى السمعة ما يكون بعد العمل، وبعضهم جعله ما يكون قبل العمل:

قال العز بن عبد السلام – رحمه الله –: "والتسميع: أن يذكر ما عمله خالصا لله، ليحصل أغراض الرياء "(٤).

وقال ابن تيمية – رحمه الله – :"و ضد هذه النية الرياء و السمعة، و هو: إرادة أن يرى الناس عمله، وأن يسمعوا ذكره "(٥).

وقال ابن حجر– رحمه الله –:" والسمعة بضم المهملة وسكون الميم: مشتقة من سمّع،

---

(١) العين (١ / ٣٤٩).

(٢) مقاييس اللغة (٣ / ١٠٢).

(٣) انظر: لسان العرب (٣ / ٢٠٩٧)، الكليات للكفوي ص (٤٩٦)، المعجم الوسيط (١ / ٤٥٠).

(٤) القواعد الصغرى (١ / ١٢٦).

(٥) شرح العمدة لابن تيمية (٤ / ٥٧٧).

والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع "[١].

وقال العَيني[٢] – رحمه الله – :"ومعنى السمعة: التنويه بالعمل وتشهيره ليراه الناس ويسمعوا به"[٣].

وقال سليمان بن عبد الله – رحمه الله –:"والسمعة العمل لأجل سماعهم "[٤].

فمن التعريفات السابقة يُعلم أن السُمْعَة متعلقة بحاسة السمع، وأن بعض أهل العلم جعل معناها نحو ما يتعلق بالرياء، وأيضا إن من أهل العلم من جعل السمعة تقع بعد العمل، ومنهم من قال: إنها تكون مواقعة للعمل، وهذا له تعلق بحكمها عند بعضهم هل يبطل العمل الذي حصلت فيه السمعة.

- **الأمر الثاني: حكم السمعة.**

حكم السمعة يختلف باختلاف مقصد صاحبها؛ وذلك لأن السمعة مما له تعلق بالنيات، والنية منها حسنة ومنها سيئة، ومحمودة ومذمومة، فعلى هذا تكون السمعة على قسمين:

القسم الأول: السمعة المحمودة.

وهي تسميع العبد بعمله الذي عمله لوجه الله ﷻ مخلصا له فيه لمقصد حسن، وذلك كمن يرفع صوته بتلاوة القرآن وتحسينه لها ليُعلِّم غيره، أو ليتعظ به الغير، أو غير ذلك من المقاصد الحسنة.

فهذا جائز لا شيء فيه، وقد دل على ذلك:

١- ما جاء عن أبي موسى ؓ قال: قال لي ﷺ :"لو رأيتني و أنا أسمع قراءتك

---

(١) فتح الباري (١١ / ٣٣٦).

(٢) بدر الدين المحمود بن أحمد بن موسى الحنفى المعروف بالعينى، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب، حج، ودخل القاهرة واستقر بها، ودرس في مواطن منها، وتولى قضاء الحنفية بها في سنة ٨٢٩هـ، تقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. وتصانيفه كثيرة جدا انتفع به الناس منها: عمدة القاري في شرح البخاري، والبناية في شرح الهداية وغيرها، توفي ٨٥٥هـ.انظر البدر الطالع ص (٨٤٩)، الأعلام للزركلي (٧ / ١٦٣).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣١/٢٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٣٩١).

البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود" فقال: لو علمت لحبرته لك تحبيرا [(١)].

فلم ينكر عليه النبي ﷺ قوله هذا؛ لحسن نيته ومقصده.

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به "[(٢)].

وقد دل قوله "الجهر به" على جواز الجهر بالعمل الصالح لمصلحة شرعية[(٣)].

ونقل ابن حجر عن الطبري - رحمهما الله - قوله: " فمن كان إماما يُستن بعمله، عالما بما لله عليه، قاهرا لشيطانه، استوى ما ظهر من عمله وما خفي لصحة قصده، ومن كان بخلاف ذلك فالإخفاء في حقه أفضل، وعلى ذلك جرى عمل السلف "[(٤)].

قال أبو طالب المكي – عفى الله عنه -: " فأما من كانت له نية صالحة في أن يسمع أخاه كلام اللّه ليتعظ به، ويتدبره، أو ينتفع باستماعه، ويتذكر به، فليس داخلاً في السمعة؛ لوجود حسن النية وصحة القصد، ولفقد اقتران الآفة لإرادة طمع عاجل من مدح أو غرض دنيا "[(٥)].

القسم الثاني: السمعة المذمومة.

وهي تسميع الناس بعمله لأجل الدنيا.

وهذا النوع محرم لأدلة منها:

١- عموم قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا

---

(١) رواه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب "حسن الصوت بالقراءة للقرآن"، برقم (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب "استحباب تحسين الصوت بالقرآن"، برقم (١٨٥٢) واللفظ له، كلاهما مختصراً بدون قول أبي موسى الأخير، فقد رواه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب: الصلاة، باب "من جهر بها إذا كان من حوله لا يتأذى بقراءته"، برقم (٤٨٩٥)، وصحح هذه الزيادة الألباني في الصحيحة (١٤٨٣/٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب: فضائل القرآن،باب "من لم يتغن يالقرآن..."، برقم (٥٠٢٤)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب " استحباب تحسين الصوت بالقرآن "، برقم (١٨٤٥) واللفظ له.

(٣) انظر: الإخلاص حقيقته ونواقضه (٣٣٨/١).

(٤) انظر: فتح الباري (١١ / ٣٣٧).

(٥) قوت القلوب (١ / ١١٣).

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)﴾[(١)] .

قال بعض أهل العلم: إن حمل الآية على العموم أولى، فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته، والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة[(٢)].

٢- قال رسول الله ﷺ: "من يسمع يسمع الله به"[(٣)].

وأيضا فإن أدلة تحريم الشرك الأصغر والرياء تدل على تحريم السمعة؛ لأن العلة واحدة، وهي طلب غير الله بالعمل[(٤)].

هل تبطل العبادة بالسمعة؟

نص أهل العلم على أن السمعة تُبطل العبادة، حيث أنهم سووها بالرياء من حيث تأثيرها على العبادة.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: " كذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً "[(٥)].

وتقدم عن ابن حجر– رحمه الله – قوله عن السمعة: "والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع "[(٦)]. حيث سوّى بينها وبين الرياء.

وأما ما جاء عن بعض أهل العلم من أنها لا تبطل العبادة، وإن كانت محرمة وتُنقص أجر العبادة، فمرادهم بذلك هو التسميع، وهو ما يكون بعد العبادة كما تقدم بينانه من كلام الخليل عند تعريف السمعة[(٧)].

قال العز بن عبد السلام – رحمه الله –: " لا يكون التسميع إلا بعد انقضاء العمل على الإخلاص، فيسمّع العبد الناس بما فعله لأجل الله تعالى؛ ليحصل على الأغراض التي

---

(١) هود:١٥.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي (١٠٢/٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤)انظر: الإخلاص حقيقته ونواقضه (٣٣٩/١).

(٥) منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٥٤).

(٦) فتح الباري (١١ / ٣٣٦).

(٧) انظر: الفروق للقرافي (٤ / ٣٨٧).

ذكرناها في الرياء من التوقير والتعظيم والإكرام والاحترام والتصدر في المجالس والبداءة بالسلام"(١).

فالخلاصة أن السمعة تُبطل العبادة كالرياء؛ لأنها تكون مقارنة للعمل، كمن يقرأ القرآن سمعة للناس، ومما يدل على هذا وهو أن السمعة تكون مقارنة للعمل ما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: " أن عبد الله بن حُذافة السهمي قام يصلي فجهر بصلاته. فقال النبي ﷺ يا ابن حذافة لا تسمعني وأسمع ربك ﷻ"(٢). فهذا الحديث دلّ على أن السمعة قد تقارن العبادة؛ لهذا نهى النبي ﷺ الرجل عن رفع صوته.

- **الأمر الثالث: الفرق بين الرياء والسمعة.**

يمكن التفريق بين السمعة والرياء من عدة نواحي:

١- من حيث المتعلق: تقدم من تعريف السمعة أن السمعة تتعلق بحاسة السمع، وأما الرياء فيتعلق بحاسة البصر(٣).

قال صاحب التيسير:" والفرق بينه وبين السمعة: أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة بحاسة السمع ويدخل فيه أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس"(٤).

فتكون السمعة إذاً فيما يُسمع كقراءة القرآن وغيره، وأما ما يكون من الأقوال التي تدخل في الرياء هي التي بقصد بها صاحبها الدلالة على عمله، فقد يسمّع العبد الناس ليروا عمله.

فالرياء والسمعة يجتمعان في إظهار صاحبه العمل ليحمده الناس، ويفترقان في آلة اطّلاع الناس عليه، فما كانت آلته العين سُمِّي رياءً، وما كانت آلته السمع سُمَّي سمعةً.

٢- من حيث الوقوع: وذلك أن الرياء لا يكون وقوعه إلا على الأعمال الظاهرة التي

---

(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله ﷻ للعز بن عبد السلام ص (٧٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٤ / ٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢ / ١٦٢)، كتاب: الصلاة، باب "من قال لا يقرأ خلف الإمام على الإطلاق"، رقم (٣٠٢٥)، وحسنه إسناده ابن حجر. انظر: فتح الباري (١١ / ٣٣٧).

(٣) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣١/٢٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٣٩١).

تُرى، بخلاف السمعة (التسميع) فإنها تقع حتى في أعمال القلوب، ومثال ذلك: بأن يعمل العبد عملاً من أعمال القلوب ثم يحدث به .

٣- من حيث الحكم: فكما تقدم من حكمهما، فإن الرياء تبطلان العمل، وأما التسميع وهو ما يكون بعد العمل فمحرم ولكنه لا يبطل العمل؛ لأنه وقع بعده.

المسألة الرابعة: الذبح لغير الله ﷻ.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية[١]، حدثنا الأعمش[٢]، عن سليمان بن ميسرة[٣]، عن طارق بن شهاب[٤]، عن سلمان[٥] قال: "دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك؟ قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء، فقالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً فخلّوا سبيله، قال: فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب ولو ذباباً، قال: ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله ﷻ، قال: فضربوا عنقه، فدخل الجنة "[٦].

---

(١) الضرير ثقة تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) سليما بن ميسرة الأحمسي، يروي عن طارق بن شهاب، وثقه ابن معين والنسائي والعجلي وابن حبان. انظر: الجرح والتعديل (٤ / ١٤٤)، الثقات لابن حبان (٤ / ٣١٠)، تعجيل المنفعة (١ / ٦٢٠).

(٤) طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي، أبو عبد الله الكوفي، قال أبو داود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه، مات سنة ٨٢هـ أو ٨٣هـ. التقريب (٣٠١٧).

(٥) الفارسي ﷺ.

(٦) رواه أحمد في الزهد موقوفاً على سلمان ص (٣٢) وفيه عنعنة الأعمش، ورواه أبو نعيم في الحلية بسنده عن إسحاق بن راهويه أخبرنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان ﷺ (١ / ٢٠٣)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن وكيع قال: حدثنا سفيان عن مخارق بن خليفة عن طارق بن شهاب عن سلمان ﷺ (٥٣٧/١٧)، وصحح طرقه الألباني وقال: فالحديث صحيح موقوفا على سلمان الفارسي ﷺ. السلسلة الضعيفة (١٢ / ٧٢٢)، وقال الشيخ ابن باز: " حديث طارق بن شهاب رواه أحمد في الزهد، وذكره ابن القيم بسند جيد ". شرح كتاب التوحيد ص (٧٢).

❖ **مسألة : الذبح لغير الله ﷻ.**

وهذه المسألة مشتملة على عدة أمور:

- **الأمر الأول : حقيقة الذبح .**

تعريفه في اللغة: الذبح مصدر ذَبَحْتُ الشاة، يقال: ذبحه يَذبَحُه ذبحاً فهو مَذْبوح وذَبِيح، والذبح قطعُ الحلقوم من باطنٍ عند النَّصِيل، وهو موضع الذبح من الحلق، ويُطلق على: الشق وكل ما يُشق فقد ذُبح[١].

تعريفه في الشريعة: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص[٢].

- **الأمر الثاني: حكم الذبح لغير الله تعالى.**

الذبح عبادة من العبادات لا يجوز صرفه إلا لله ﷻ، كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]

والمراد بالنسك في الآية: الذبح[٤].

ففي هذه الآية: يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله، ونسكه على اسمه وحده لا شريك له[٥].

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[٦] . أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك[٧].

وجاء في السنة حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدِثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢ / ٣٦٩)، تهذيب اللغة (٤ / ٢٧٢)، اللسان (٣ / ١٤٨٥).

(٢) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين ص (٦٦)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧ / ٤٨٤)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٣ / ٦).

(٣) الأنعام:١٦٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢ / ٢٨٣)

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٣٨١).

(٦) الكوثر:٢.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٣٨١).

المنار"[١].

ومن صرف هذه العبادة لغير الله ﷻ فقد وقع في الشرك الأكبر الناقل عن الملّة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: " اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة: الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢] ؛ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن، أو القباب "[٣].

- **الأمر الثالث: حالات الذبح.**

الحالة الأولى: أن يقع عبادة. بأن يُقصد به تعظيم المذبوح له، أو التذلل له والتقرب إليه.

حكمها: كما تقدم أنه لا يجوز صرفها إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه، وصرفها لغير الله شرك أكبر، لقوله تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

ويدخل في هذه الحالة ما يُذبح عند قدوم السلطان، أو الأمير تعظيماً له وتقرباً إليه.

قال النووي – رحمه الله –: " وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بخارة بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله تعالى "[٥].

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله – عند سؤاله عن عقائر الإبل والغنم: " إن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق، والتقرب إليه بالعقيرة، وهذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء، وقد قال جماعة من العلماء: إن هذا يعتبر من الذبح لغير الله، وذلك لا يجوز، بل هو في الجملة من الشرك، كما قال الله سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

(١) رواه مسلم، في الأضاحي، باب "تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله"، برقم (٥١٢٥).

(٢)النساء:٤٨.

(٣)الدرر السنية (١٠ / ٩١).

(٤)الأنعام:١٦٢.

(٥) شرح النووي (١٥٢/٧).

﴿الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾[1] "[2].

وأما إذا كان الذبح له استبشاراً بقدومه وفرحاً بذلك فلا يدخل في هذا[3].

الحالة الثانية: أن يقع إكراماً لضيف، أو وليمة لعرس، أو نحو ذلك.

حكمها: هذه الحالة مأمور به إما وجوباً أو استحباباً، وهذه سنة الخليل إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[4].

ولقوله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[5].

وحديث أنس رضي الله عنه قال: لما قدم علينا عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع فقال النبي ﷺ: " أوْلم ولو بشاة "، وقالها أيضا ﷺ لعبد الرحمن بن عوف لما نكح[6].

الحالة الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك.

حكمها: أن هذه الحالة الأصل فيها الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[7]، وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسب ما يكون وسيلة له[8].

---

(١) الأنعام:١٦٢-١٦٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١ / ٤٤٢).

(٣)انظر: شرح النووي (١٥٢/٧)، وتيسير العزيز الحميد ص (١٥٥)، وبغية المسترشدين لعبد الرحمن باعلوي الشافعي ص (٥٤٤).

(٤) الذاريات:٢٦-٢٧.

(٥) رواه البخاري، في الأدب، باب "إكرام الضيف.."، برقم (٦١٣٦)، ومسلم، في اللقطة، باب "الضيافة ونحوها"، برقم (٤٥١٣).

(٦) رواه البخاري، في الأدب، باب "الإخاء والحِلف"، برقم (٦٠٨٢)، ومسلم، في النكاح، باب "الصداق.."، برقم (٣٤٩٠).

(٧) يس:٧١-٧٢.

(٨) انظر: شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين ص (٦٦-٦٧).

المسألة الخامسة: الاستغاثة بغير الله ﷻ.

قال المعافى الموصلي: حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد[1]، عن علي بن رباح[2]، أن رجلا، سمع عبادة بن الصامت رضي الله عنه، يقول: خرج علينا النبي ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: " لا يقام لي، إنما يقام لله "[3].

---

(١) الحارث بن يزيد الحضرمي، أبو عبد الكريم المصري، ثقة ثبت عابد، مات سنة ١٣٠هـ. التقريب (١٠٦٤).

(٢) علي بن رباح بن قصير ضد الطويل اللخمي، أبو عبد الله المصري، ثقة، والمشهور فيه علَيّ بالتصغير وكان يغضب منها، مات سنة ١١٤هـ بإفريقية. التقريب (٤٧٦٦).

(٣) الزهد للمعافي الموصلي ص (٢٣٥)، ورواه أحمد في مسنده (٣٧ / ٣٨٠)، والطبراني في الكبير، وقال أبو بكر الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث". مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٦)، وقال في موضع آخر: "رواه أحمد وفيه راو لم يسم وابن لهيعة" مجمع الزوائد (٨ / ٨١).

❖ مسألة : الاستغاثة بغير الله ﷻ.

وهذه المسألة مشتملة على عدة أمور:

- **الأمر الأول : حقيقة الاستغاثة.**

تعريفها في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: " الغين والواو والثاء :كلمة واحدة، وهي الغوث من الإغاثة، وهي الإغاثة والنصرة عند الشدة. وغوث: قبيلة "(١).

فالاستغاثة : طلب الغوث، وهو التخليص من الشدة والنقمة، والعون على الفكاك من الشدائد. يقال: استغثته فأغاثني إغاثة ومغوثة، والاسم: الغياث (٢).

تعريفها في الشرع:

لا يختلف معنى الاستغاثة في الاصطلاح عن معناها في اللغة، فقد عرفها أهل العلم بأنها:

طلب الإغاثة والتخليص من الكربة والشدة، كالاستنصار وهو طلب النصر(٣).

وقال ابن تيمية – رحمه الله –: " والاستغاثة طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون "(٤).

- **الأمر الثاني : الفرق بين الاستغاثة والدعاء.**

الدعاء أعم من الاستغاثة؛ وذلك أن الاستغاثة من أنواع الدعاء ولا تكون إلا من الكروب والشدائد، أما الدعاء فهو عام في كل شيء.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: " فالاستعاذة، والاستجارة، والاستغاثة، كلها من نوع

---

(١) مقاييس اللغة (٤ / ٤٠٠).

(٢) انظر: القاموس المحيط (١ / ٢٢٢)، تاج العروس (٥ / ٣١٤)، كتاب الكليات (١ / ١١٤).

(٣) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة الرد على البكري (١ / ١٩٦)، والدر النضيد للشوكاني ص (٧١)، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي (٤٩٦/١)، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص (٦٥)، والتعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف ص (٣٣-٣٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٣).

الدعاء، أو الطلب، وهي ألفاظ متقاربة"[١].

قال صاحب التيسير: "فعلى هذا تكون الاستغاثة هي الاستعانة، ولا ريب أن من استغاثك فأغثته فقد أعنته، إلا أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة بخلاف الاستعانة"[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله –: " فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب، أو السؤال من غير المستغيث "[٣].

فالدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد[٤]، ولا تكون إلا بعد وقوع الشيء.

- **الأمر الثالث: حكم الاستغاثة.**

الاستغاثة يختلف حكمها من نوع لآخر، فمنها ما هو محظور، ومنها ما ليس كذلك، ولمعرفة هذه الأحكام لابدّ من ذكر هذه الأقسام:

أولاً: الاستغاثة بالله سبحانه وتعالى.

حكمه: الاستغاثة بالله عز وجل عبادة من العبادات وهي من أفضل الأعمال، وأكملها، وهو دأب الرسل وأتباعهم، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾[٥].

قال ابن تيمية – رحمه الله –: "ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله، وأن كل غوث فمن

---

(١) المصدر السابق (١٥ / ٢٢٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص (١٧٢).

(٣) قرة عيون الموحدين ص (١٣٢).

(٤) انظر: القول السديد لابن سعدي (٣/٢٢).

(٥) الأنفال:٩.

عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له ﷻ ولغيره مجاز"[١].

ثانياً: الاستغاثة بالأموات، أو بالغائبين.

حكمه: هذا النوع من الاستغاثة شرك أكبر باتفاق أئمة المسلمين؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[٢].

ولهذا استسقى أصحاب النبي ﷺ بعمه العباس بن عبد المطلب بعد موته عليه السلام، وسألوه أن يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط[٣]، ولم يطلبوا ذلك من النبي ﷺ لعلمهم أن الميت لا يملك من الأمر شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين؛ لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين.

وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة، أو عرضت له حاجة لميت: يا سيدي فلان أنا في حسبك، أو اقض حاجتي. كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى و الغائبين.

ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال و يشتد البأس بهم و يظنون الظنون ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين.. "[٤].

وقال أيضاً: "ومن الشرك أن يدعو العبد غير الله كمن يستغيث في المخاوف والأمراض

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / -١١٠-١١١).

(٢) النمل:٦٢.

(٣) البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب" ذكر العباس بن عبد المطلب ﷺ "، رقم (٣٧١٠).

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري (١ / ٤٤٨).

والفاقات بالأموات والغائبين...فإن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله باتفاق المسلمين"(١).

وقال ابن القيم – رحمه الله –: " طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته...وما نجا مِن شَرَك هذا الشِرْك الأكبر إلا من جرد توحيده لله... "(٢).

ثالثاً: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ.

والفرق بين هذا النوع وبين سابقه: أن هذا النوع هو طلب الإغاثة من مخلوق حي حاضر، فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وتقييد هذا النوع بقول (فيما لا يقدر عليه إلا الله)، أصح وأضبط من قول (الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه)

فهاتان العبارتان مختلفتان، والأصح منهما الأولى؛ لأن المرء إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ وهو يعلم أن هذا لا يقدر عليه إلا الله: فهذا شرك أكبر بالله ﷻ؛ لأن حقيقة الأمر: أنه لا يقدر عليه إلا الله .

أما قول من قال من أهل العلم: إن الاستغاثة شرك أكبر إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه، فإن هذا يَرِد عليه: أن ثمت أشياء غير مقدورة لبعض الخلق، ومقدورة لغيرهم.

ومثال ذلك: أن من وقع في شدة – كغرق مثلاً – وتوجه لرجل يراه بأن يغيثه فقال له: أغثني، وذاك لا يحسن السباحة، ولا يحسن الإنجاء من الغرق، فهذا يكون قد استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه ذلك المخلوق وليس كل الخلق، فلا يكون هذا من الشرك؛ لأن الإغاثة من الغرق ونحوه يصلح – في الغالب – أن يكون المخلوق قادرا عليها.

فتبين أن هذا الضابط غير منضبط، فيكون الضابط الأول هو الصحيح، وهو أن يقال: الاستغاثة بغير الله شرك أكبر إذا كان قد استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٦٦٣).

(٢) مدارج السالكين (١ / ٢٥٩-٢٦٠).

(٣) انظر في بيان هذا الضابط التمهيد شرح كتاب التوحيد لآل الشيخ ص (١٧٨-١٧٩).

حكمه: كما تقدم أن هذا النوع من الاستغاثة من الشرك الأكبر بالإجماع.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: "وأن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله لا تطلب إلا منه، مثل غفران الذنوب، وهداية القلوب، وإنزال المطر وإنبات النبات، ونحو ذلك: فهذا مصيب في ذلك، بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين "(١).

وقال أيضاً: "فليس في علماء المسلمين من يقول: إنه يستغاث بالمخلوق في كل ما يستغاث الله فيه، ولا من يقول: إن الميت يستغاث به في كل ما يستغاث بالله فيه، بل قول القائل: إن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى لا تطلب إلا منه متفق عليه بين علماء المسلمين"(٢).

وقال أيضاً: "فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسدّ الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين"(٣).

رابعاً: الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه.

حكمه: هذا جائز بلا خلاف كما حكاه الصنعاني(٤)، والشوكاني(٥)، واستدل بعض أهل العلم عليه بقول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾(٦).

ومن ذلك طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض، كما طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من العباس رضي الله عنه أن يستسقي لهم.

ومنه أيضاً الاستغاثة الواردة في حديث المحشر(٧)، فإن الأنبياء الذين يستغيث العباد بهم

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٩).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري (٢ / ٥٩٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ١٢٤).

(٤) انظر: تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص (١٥).

(٥) انظر: الدر النضيد ص(٧١).

(٦) القصص:١٥.

(٧) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم"، برقم (٧٥١٠)، ورواه

يوم القيامة يكونون أحياء، وهذه الاستغاثة إنما تكون بأن يأتي أهلُ المحشر هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله ﷻ، ويدعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف، ولا ريب أن الأنبياء قادرون على الدعاء، فهذه الاستغاثة تكون بالمخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه(١).

قال شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – بعد ذكره الاستغاثة الشركية: "ولكن إذا كان حياً حاضراً، وطُلب منه ما يقدر عليه من الدعاء ونحو ذلك، جاز، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يطلبون منه في حياته، وكما يُطلب منه الخير يوم القيامة. وهذا هو التوسل به والاستغاثة التي جاءت به الشريعة "(٢).

وأما ما جاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: "، إنما يستغاث بالله ﷻ"(٣).

أجاب عنه بعض أهل العلم بأن النبي ﷺ أراد بقوله " إنه لا يستغاث بي " حماية جناب التوحيد.

قال الشيخ عبد الله أبا بطين – حمه الله –: "وأما قوله في الحديث الآخر: "إنه لا يستغاث بي" الحديث، فإن كان(٤) النبي ﷺ أراد بهذا الحماية لجانب التوحيد، وإن كانت الاستغاثة بالمخلوق – فيما يقدر عليه – جائزة كقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾(٥)، وإذا أقبل عليك عدو ونخيت على ربعك يعاونونك، فهذا استغاثة بهم، والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة "(٦).

مسلم، كتاب: الإيمان، باب "أدنى أهل الجنة منزلة فيها"، برقم (٤٧٩).

(١) انظر: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني (٢٢٦-٢٢٧).

(٢) جامع المسائل (١٤٦/٣).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث (٢٤٦/١٠)، وضعفه ابن تيمية كما هو ظاهر كلامه. انظر تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري (١ / ٣٠٨)، وانظر تخريج الحديث وذكر طرقه الدر النضيد في تخريج أحاديث كتاب التوحيد للعصيمي ص (٥٥).

(٤) هكذا في الأصل.

(٥)القصص:١٥.

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤٩٩/٤-٥٠٠).

وذكر الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – نوعاً من أنواع الاستغاثة وهي من لغو الكلام حيث قال: " الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية، مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول، فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به، فيمنع منه لهذه العلة؛ ولعلة أخرى وهي ربما أغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة "[1].

(١) شرح ثلاثة الأصول ص (٦٦).

المسألة السادسة: علم التنجيم.

قال المعافى الموصلي: حدثنا مسعر بن كدام[1]، قال: حدثنا أبو عون[2]، أن عمر ﷺ، قال: " تعلّموا من الأنساب ما تعلمون به ما أحل الله لكم مما حرم عليكم، وتعلّموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق، ثم أمسكوا "[3].

(١) مسعر بن كدام، بكسر أوله وتخفيف ثانيه، بن ظُهَير الهلالي، أبو سلمة الكوفي، ثقة ثبت فاضل، مات سنة ١٥٣هـ أو ١٥٥هـ. التقريب (٦٦٤٩).

(٢) محمد بن عبيد الله بن سعيد، أبو عون الثقفي الكوفي الأعور، ثقة، من الرابعة. التقريب (٦١٤٧).

(٣) رواه أبو مسعود المعافى الموصلي في الزهد ص (٢٦٥)، رجاله ثقات إلا أن الأعور لم يسمع من عمر، ورواه البيهقي في شعب الإيمان بنحوه (٢٣٨/٣).

❖ مسألة : علم التنجيم.

وهذه المسألة مشتملة على عدة أمور:

- **الأمر الأول: أن الله تعالى هو المتفرد بالخلق، والمتصرف في الكون والمدبر له، وأن غيره عاجز عن ذلك.**

فقد بين الله ذلك في كتابه الكريم أيّما بيان، فقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾[1] .

فهو خالقهما ومالكهما، والمدبر لهما ولمن فيهما[2].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾[3] .

قال الطبري – رحمه الله -: "أخبر أنه المنفرد بخلق السماوات والأرض دون كل ما سواه، معرفا من أشرك به من خلقه جهله في عبادة الأوثان والأصنام"[4].

وفي بيان أنه سبحانه المدبر لهذا الكون والمتصرف فيه: قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾[5] .

وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض، ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن، وغير

---

(١) البقرة:٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨١).

(٣) الأنعام:٧٣.

(٤) تفسير الطبري (١١ / ٤٦١).

(٥) الجاثية:١٣.

ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته[١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[٢].

في بداية الآية يخبر سبحانه بأنه الخالق لهذا العالم سماواته وأرضه، وفي نهايتها أخبر أن الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته؛ ولهذا قال منبهاً: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ أي: له الملك والتصرف[٣].

وبين الله ﷻ أيضاً أن غيره عن عاجز عن هذا كله، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[٤].

ففي هذه الآية يقرر ﷻ أنه لا إله إلا هو؛ لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ﴾ أي: لا تحصل منفعة، ولا تدفع مضرة[٥].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٧٧٦).

(٢) الأعراف:٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٤٢٧).

(٤) الرعد:١٦.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٤٤٦).

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾[١] . والاستفهام في هذه الآية إنكاري، فهو مضمن معنى النفي، والمعنى: لا خالق إلا اللّه وحده[٢].

- **الأمر الثاني: أن الله ﷻ هو المتفرد بعلم الغيب وحده.**

وهذه المسألة أيضاً قد أوضحها الله ﷻ في كتابه وبينها أجلّ توضيح وبيان، حيث لم يدع لأحد أن يعتقد، بل أن يظن أن هناك من يعلم الغيب مع الله ﷻ، إلا من شاء أن يطلعه الله ﷻ من خلقه على بعض علم الغيب كما بين ذلك في كتابه الكريم.

فقال الرب تبارك وتعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[٤] .

وجاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قوله: " مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدرى نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"[٥].

وقال الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

---

(١) فاطر:٣.

(٢) انظر: أضواء البيان (٦ / ٦٩٦).

(٣) الأنعام:٥٩.

(٤) لقمان:٣٤.

(٥) رواه البخاري، كتاب: التفسير، "سورة الرعد"، برقم (٤٦٩٧).

يُبْعَثُونَ ﴾[1].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "وقوله:﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله"[2]، وهو من أقوى أنواع الحصر، لأنه أيضاً جاء بالنفي والإثبات[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها: "من زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول:﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾"[4].

- **الأمر الثالث: حقيقة التنجيم.**

تعريفه في اللغة:

التنجيم مصدر نَجَّمَ يُنَجِّمُ تَنْجِيمًا، من باب فَعَّلَ يُفَعِّلُ تَفْعِيلاً، كَلَّمَ يُكَلِّمُ تَكْلِيمًا، وهو مأخوذ من النجم.

قال الجوهري: "والنجْم: الوقت المضروب، ومنه سُمِّي المنَجِّمُ"[5].

ويكون المعنى حينئذٍ فيه نسبة الشيء إلى النّجم، نَجَّمَ أي نسب الحكم إلى النجم.

جاء في (المفردات): " التَّنْجِيم: الحكم بالنجوم "[6].

والمنجم والمتنجم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها[7].

---

(١) النمل:٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير(٦ / ٢٠٧).

(٣) انظر: القول المفيد (٥/٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: "معنى قول الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[النجم:١٣]..."، برقم (٤٣٩).

(٥) الصحاح (٥/٢٠٣٩).

(٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص (٤٨٣).

(٧) انظر: لسان العرب (٦ / ٤٣٥٨).

تعريفه في الاصطلاح:

عرّف أهل العلم **التنجيم** بتعريفات متقاربة إلا أن بعضها فيه شيء من التفصيل، فمن هذه العريفات:

قال الخطابي[1] – رحمه الله –: "علم النجوم المنهي عنه هو: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، ويدعون لها تأثيراً في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها"[2].

وعرفه شيخ الإسلام بتعريفين أحدهما عام يشمل التنجيم وغيره من أنواع الكذب في الحوادث الكونية، والآخر تعريف خاص بالتنجيم.

فالأول قوله: " كل ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام؛ ليستخرج به علم ما يستقبله"[3].

والآخر قوله: " الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية"[4].

وعرفه ابن خلدون[5] – رحمه الله – بقوله: "ما يزعمه أصحاب هذه الصنعة أنهم يعرفون بها

---

(١) الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي من نسل زيد بن الخطاب، وكان قد رحل في الحديث وقراءة العلوم، وطوّف، ثم ألف في فنون من العلم، ومن مؤلفاته معالم السنن وهو شرح لسنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن، توفي الخطابي ببست سنة ٣٨٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧)، الأعلام للزركلي (٢٧٣/٢).

(٢) معالم السنن للخطابي (٢٢٩/٤-٢٣٠)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١٢ / ١٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٨٠/٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٩٢).

(٥) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، الاشبيلي الأصل المالكي، المعروف بابن خلدون، الفيلسوف المؤرخ، أديب، اجتماعي، حكيم، سمع الحديث وقرأ في كثير من الفنون، ومهر في جميع ذلك لاسيما الأدب وفن الكتابة، ولي قضاء المالكية بالقاهرة مراراً، وأثنى عليه المقريزي وكان الحافظ أبو الحسن الهيثمي يبالغ في الغض منه قال الحافظ بن حجر: "فلما سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنه بلغه أنه قال في الحسين السبط ﷺ أنه قتل بسيف جده ثم أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبه وهو يبكى، قال ابن حجر لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن"، وكأنه كان ذكرها في

الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قِبَل معرفة قوى الكواكب، وتأثيرها في المولدات[١] العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية "[٢].

وخلاصة هذه التعريفات أن التنجيم هو علم يُعرف به الحوادث التي وقعت أو ستقع في الكون من خلال الاستدلال عليها بالأفلاك.

- **الأمر الرابع: أنواع علم التنجيم**[٣]:

قبل ذكر هذه الأنواع ينبغي أن يعلم أن علم التنجيم من السحر كما بين ذلك النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: " **من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**"[٤].

قال شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله –:" والسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، وذلك أن النجوم التي من السحر نوعان:

أحدهما: علمي وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث، من جنس الاستقسام بالأزلام.

الثاني: عملي وهو الذي يقولون إنه القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية، كطلاسم ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السحر"[٥]. فعلم النجوم الذي من السحر محرم كما تقدم.

أما أنواع علم التنجيم فهي:

النوع الأول: ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتا

النسخة التي رجع عنها، له مصنفات من أشهرها: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، وأول هذا التاريخ مقدمته المشهورة وهي تعد من أصول علم الاجتماع، وكتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل، توفي سنة ٨٠٨هـ. انظر: البدر الطالع (٣٣٧/١)، معجم المؤلفين (١١٩/٢)، الأعلام للزركلي (٣٣٠/٣).

(١) مولّد: أي مفتعل، والمولّد المحدث من كل شيء. انظر: لسان العرب (٦ / ٤٩١٦).

(٢) مقدمة ابن خلدون (١ / ٥١٩) بتصرف يسير.

(٣) معارج القبول (٧٠١/٢-٧٠٢).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣ / ٤٥٤)، وأبو داود في سننه، كتاب: الطب، باب "في النجوم"، برقم (٣٩٠٥)، ورواه غيرهما، وصححه العراقي في تخريج الإحياء (١٠٢٩/٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٧١).

لأجلها، وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباسا خاصا، وحلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناسا خاصة لكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون، وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل.

النوع الثاني: ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد، ويجعل لكل حرف منها قدراً من العدد معلوماً، ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعاً معروفاً عنده، ويطرح منها طرحاً خاصاً، ويثبت إثباتاً خاصاً، وينسبه إلى الأبراج الإثني عشر المعروفة عند آهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها.

النوع الثالث: النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها، معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفرداً، وله تأثيرات أُخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخصها، وهبوب الرياح وسكونها، ووقوع الكوائن والحوادث، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقا، ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله، **وهذا النوع ينقسم إلى قسمين، وهي**(١):

القسم الأول: علم التأثير.

وهذا القسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يعتقد أن النجوم مؤثرةٌ فاعلة بنفسها، أي خالقة لما يحدث في هذا الكون من الحوادث والشرور، فهذا شركٌ أكبر؛ لأنه ادّعى أن مع الله خالقًا، وتقدم أن الله ﷻ هو المتفرد بالخلق وحده سبحانه لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(٢)، وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾(٣)، وادّعاء أن مع الله ﷻ خالقاً كفر بالإجماع كما حكاه ابن مفلح(١).

---

(١) انظر: كتاب القول في علم النجوم للخطيب البغدادي، وشرح السنة للبغوي (١٢ / ١٨٢-١٨٤)، وفضل علم السلف على علم الخلف ص (٢٠-٢٣)، تيسير العزيز الحميد ص (٣٣٢)، والقول المفيد (٢/٥-٧)، ومنحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد ص (٤٣٢-٤٣٣).

(٢)الأعراف:٥٤.

(٣)فاطر:٣.

الثاني: أن يجعلها سبباً يدعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا، لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاء؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة، لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[(٢)]، وكما تقدم أن هذا من أقوى أنواع الحصر، لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادعى أحد علم الغيب، فقد كذب القرآن.

الثالث: أن يعتقدها سببًا لحدوث الخير والشر، وأن الفاعل هو الله ﷻ، أي أنه إذا وقع شيءٌ نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئًا إلا بعد وقوعه؛ وهذا شركٌ أصغر، وذلك لأنه جعل سبباً لم يجعله الله ﷻ قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –: " كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره؛ فهو مشرك شركاً أصغر"[(٣)].

إذًا الفرق الذي ينبغي أن يُعلم بين هذه الأنواع الثلاثة هو: أن **النوع الأول** واضح أن صاحبه يَدَّعِي في النجوم أنها مؤثرة فاعلة بذاتها، **النوع الثاني** يجعلها سببًا لادِّعَاء علم الغيب في الحوادث التي لم تقع وهذا كفرٌ أكبر، **النوع الثالث** أن يجعلها سببًا، في شيء قد وُجِدَ ووَقَعَ حينئذٍ يكون من باب السببية، وهذا شرك أصغر.

فهذه الأنواع الثلاثة يصدق عليها أنها من علم التأثير، أي أن هناك تأثير من النجم في الحوادث الأرضية، إما على جهة الإيجاد، وإما على جهة السببية، ثم السببية نوعان:

١– إما أنه يبني عليه ادعاء علم الغيب فهذا كفرٌ أكبر.

٢– وإما أنه يجعله سببًا في حصول الخير والشر. أي فيما وقع وحصل فيكون شركًا أصغر.

---

(١) انظر: الفروع لابن مفلح (٣ / ٢٣٤)، وتيسير العزيز الحميد ص (٣٣٢).

(٢) النمل:٦٥.

(٣) القول المفيد (١٩/٢).

تنبيه:

قال شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله –: " كثير من الناس ذم الأحكام النجومية، ولا ريب أنها مذمومة بالشرع مع العقل، وأن الخطأ فيها أضعاف الصواب، وأن من اعتمد عليها في تصرفاته وأعرض عما أمر الله به ورسوله خسر الدنيا والآخرة.

لكن قد يردونها على طريقة الجهمية ونحوهم، بأن يدعوا أنه لا أثر لشيء من العلويات في السفليات أصلا.-إلى أن قال- وكذلك كون كسوف الشمس وغيره سببا لبعض الحوادث هو مما دلت عليه النصوص الصحيحة، ففي الصحاح من غير وجه عن ﷺ أنه قال: "إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله ﷻ يخوف الله بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة" وقد ثبت عنه في الصحاح أنه صلى صلاة الكسوف بركوع زائد في كل ركعة، وأنه طوّلها تطويلا لم يطوله في شيء من صلوات الجماعات، وأمر عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء والعتاقة والصدقة والاستغفار، وقوله: "يخوف الله بهما عباده" كقوله تعالى:﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[1] . ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموما مثل: تناثر الكواكب والزلزلة وغير ذلك، والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف، كالزلزلة والريح العاصف، وإلا فما وجوده كعدمه لا يحصل به تخويف، فعُلم أن الكسوف سبب للشر، ثم قد يكون عنه شر، ثم القول فيه كالقول في سائر الأسباب، هل هو سبب؟ كما عليه جمهور الأمة، أو هو مجرد اقتران عادة كما يقوله الجهمية، وهو ﷺ أخبر عند أسباب الشر بما يدفعها من العبادات التي تقوي ما انعقد سببه من الخير وتدفع أو تضعف ما انعقد سببه من الشر"[2].

---

(١) الإسراء:٥٩.

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/٤٤٢-٤٤٤).

القسم الثاني: علم التسيير.

وهذا القسم ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب، وتعلمها مباح وفضيلة، كالاستدلال بها على جهة القبلة(١).

قال ابن رجب – رحمه الله –: "وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة والطرق، كان جائزاً عند الجمهور"(٢).

الثاني: أن يستدل بها على المصالح الدنيوية ، فهذا لا بأس به ، وهو نوعان:

١– أن يستدل به على الجهات فهذا جائزٌ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾(٣) .

قال قتادة: "والعلامات: النجوم، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك، فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به"(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧﴾(٥) .

قال الطبري – رحمه الله –: "والله الذي جعل لكم أيها الناس، النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتم الطريق، أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك، كما قال جل ثناؤه:﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾(٦) ، أي: من ضلال الطريق في البر والبحر، وعنى بالظلمات،

---

(١) انظر: القول في علم النجوم ص (١٢٦).

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف ص (٢٠).

(٣) النحل:١٦.

(٤) تفسير الطبري (١٧ / ١٨٥).

(٥) الأنعام:٩٧.

(٦) النحل:١٦.

ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال، وظلمة الأرض أو الماء"[1].

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[2] . أي: بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية[3].

قال الألوسي[4] – رحمه الله – عند كلامه عن بعض العلوم التي أقرتها الشريعة: "فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل قبيح، وبينت منافع ما ينفع من ذلك، ومضار ما يضر منه . فكان من علومها ' علم النجوم ' وما يختص بها من الاهتداء في البر والبحر، واختلاف الأزمان باختلاف سيرها، وتعرف منازل سير النيرين وما يتعلق بهذا المعنى. وهو معنى مقرر في أثناء القرآن"[5].

٢– أن يُستدل بها على الفصول. وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر هذا فيه خلاف، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

فائدة:

قال الشيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله -: "ومما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح – مع غفلة الناس عنه – ما يكثر في المجلات مما يسمونه البروج، فيخصصون صفحة أو أقل منها في الجرائد، ويجعلون عليها رسم بروج السنة برج الأسد، والعقرب، والثور، إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان الرجل أو المرأة مولوداً في ذلك البرج يقول: سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا وكذا، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير، والاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض وعلى ما سيحصل في الأرض، وهو نوع

---

(١) تفسير الطبري (١١ / ٥٦١).

(٢) النمل:٦٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٢٠٦).

(٤) أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الالوسى الحسينى، مؤرخ عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح، ولد في رصافة بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، وتصدر للتدريس في داره وفى بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام، برسائل، فعاداه كثيرون وسعوا به لدى والي بغداد (عبد الوهاب باشا)، له ٥٢ مصنفا، بين كتاب ورسالة، منها بلوغ الأرب في أحوال العرب، و غاية الأماني في الرد على النبهاني، وتاريخ نجد، توفي سنة ١٣٤٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧ / ١٧٢).

(٥) ما دل عليه القرآن (١ / ١٢).

من الكهانة، ووجوده في المجلات والجرائد على ذلك النحو وجود للكهانة فيها، فهذا يجب إنكاره إنكاراً للشركيّات، ولدِّعَاء معرفة الغيب وللسحر وللتنجيم؛ لأن التنجيم من السحر كما ذكرنا، ويجب إنكاره على كل صعيد، ويجب أيضا على كل مسلم أن لا يُدخله بيته، وأن لا يقرأه، ولا يطلع عليه؛ لأن الاطلاع على تلك البروج وما فيها – ولو لمجرد المعرفة – يدخل في النهي من جهة أنه أتى الكاهن غير منكر عليه.

وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم برجه الذي ولد فيه، أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه، فكأنه سأل كاهناً، فلا تقبل له صلاة أربعين يوماً، فإن صدق بما في تلك البروج فقد كفر بما أنزل على محمد، وهذا يدلك على غربة التوحيد بين أهله..."[1].

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص (٣٤٨-٣٤٩).

المسألة السابعة : الاستسقاء بالأنواء.

١- قال المعافى الموصلي: حدثنا موسى بن خلف، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطور، عن أبي مالك الأشعري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: " أربع بقين في أمتي من الجاهلية ليسوا بتاركيهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة". قال: قال عمر: تركنا النياحة حين تركنا اللات والعزى "[١].

٢- قال المعافى الموصلي: حدثنا مبارك[٢]، عن الحسن[٣]، أن النبي ﷺ قال: " ثلاث لن يذرهن الناس: النياحة، والأنواء، والفخر "[٤].

---

(١) رواه أبو مسعود المعافى الموصلي في الزهد ص (٢٦٢)، ورواه مسلم، كتاب: الجنائز، باب "التشديد في النياحة"، برقم (٢١٦٠).

ومقولة عمر ﷺ ليست عند مسلم، وهي عند الطبراني في الكبير (٣٢٣/٣).

(٢) مبارك بن فضالة بفتح الفاء، وتخفيف المعجمة، أبو فضالة البصري، صدوق يدلس ويسوي، مات سنة ١٦٦هـ على الصحيح. التقريب (٦٥٠٦).

(٣) هو البصري تقدم.

(٤) رواه أبو مسعود المعافى الموصلي في الزهد ص (٢٦٣)، وإسناده مرسل فهو ضعيف، ولكنه ثبت من حديث أنس ﷺ عند أبي يعلى في مسنده (١٧/٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨/٣)، وقال: رواه أبو يعلي ورجاله ثقات.

❖مسألة : الاستسقاء بالأنواء.

وهذه المسألة مشتملة على عدة أمور:

- **الأمر الأول : حقيقة الاستسقاء.**

تعريفه في اللغة:

قال ابن فارس: " السين والقاف والحرف المعتل: أصلٌ واحدٌ، وهو إشراب الشيء الماء وما أشبَهَه. تقول: سقيته بيدي أَسقيهِ سَقيا، وأَسْقيته، إذا جعلتَ له سِقياً"(١).

والسين والتاء للطلب، فالاستسقاء طلب السقيا، قال ابن منظور: " استسقاه: طلب منه السقي... وهو استفعال من طلب السقيا "(٢).

تعريفه في الشرع:

الاستسقاء في استعمال الشرع يُقصد به: طلب السقيا، أي إنزال الغيث (٣).

- **الأمر الثاني : حقيقة الأنواء .**

تعريفها في اللغة:

الأنواء جمع نوء، قال ابن منظور: "ناء بحمله ينوء نوءاً، وتنواء: نهض بجهد ومشقة، وقيل: أثقل فسقط "(٤).

والنوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما (٥).

قال الشيخ ابن قاسم: "مصدر ناء ينوء نوءا نهض وطلع، فالنوء هو الطالع سمي نوءا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء مقابله الطالع بالمشرق، وقيل: ناء سقط وغاب، ولا تخالف بين القولين"(٦).

---

(١) مقاييس اللغة (٣ / ٨٤).

(٢) لسان العرب (٣ / ٢٠٤٤)، وانظر: تاج العروس (٣٨ / ٢٩١/٢٩٥).

(٣) انظر: لسان العرب (٣ / ٢٠٤٤)، ومنحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد ص (٤٣٧).

(٤) لسان العرب (٦ / ٤٥٦٦).

(٥) انظر: الصحاح للجوهري (٢ / ٩١).

(٦) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص (٢٢٩)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ / ١٢٢).

تعريفها في الاصطلاح:

الأنواء: واحدها نوء وهي ثمانية وعشرون نجما[١]، معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[٢]، ينزل كل ليلة منزلة منها، تسقط كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت من المشرق، تنقضي جميعها مع انقضاء السنة[٣].

وكانت العرب تزعم أنه عند سقوط المنزلة وطلوع رقيبها فما يحصل عند ذلك من مطر، أو بردٍّ، أو حرٍّ، فإنهم ينسبونه إليها، فيقولون: مطرنا بنوء كذا...[٤]

فمعنى الاستسقاء بالأنواء: نسبة السقيا (المطر) إلى النوء الذي نزل فيه ذلك الغيث[٥].

- **الأمر الثالث : حكم قول: " مُطرنا بنوء كذا وكذا".**

يختلف حكم قول هذه المقولة باختلاف مقصد قائلها ومراده منها، وذلك على الأحوال التالية:

الحالة الأولى: أن يقول: " مُطرنا بنوء كذا وكذا "، ويكون مقصده منها واعتقاده فيها أن النوء هو الموجد للمطر.

حكمها: كفر أكبر بالإجماع[٦]، وذلك لأنه نسب فعلاً من أفعال الرب ﷻ الخاصة به

---

(١) وهي: الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والمقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرفة، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرع المقدم، والفرع المؤخر، والحوت.

انظر: الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة ص (١٧-٨٤).

(٢) يس:٣٩.

(٣) انظر: الأنواء في مواسم العرب ص (٦-٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ / ١٢٢)، وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص (٢٢٩).

(٤) انظر: الأنواء في مواسم العرب ص (٧)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٣٦٥)،وتيسير العزيز الحميد (٣٣٩).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٣٩).

(٦) كما حكاه ابن مفلح في الفروع (٣ / ٢٣٤)، وانظر: الروض المربع مع حاشيته (٢/٥٦٣).

وهو الخلق إلى غيره والله ﷻ يقول: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1] ، ويقول ﷻ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[2] ، وكما تقدم أن الاستفهام في هذه الآية إنكاري، فهو مضمن معنى النفي، والمعنى: لا خالق إلا اللَّه وحده[3].

الحالة الثانية: أن يقول: " مُطرنا بنوء كذا وكذا "، ويكون مقصده منها واعتقاده فيها أن النوء سبب لوجود المطر، مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل.

حكمها: كفر أصغر وهو من " كفر النعمة "، وذلك لأنه جعل سبباً للمطر لم يجعله الله ﷻ، وكما تقدم قول الشيخ ابن عثيمين: " كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره؛ فهو مشرك شركاً أصغر"[4].

قال الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[5] . وقد أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر الذي ينزله الله للعباد: هذا بنوء كذا وكذا[6].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله –: " وهذا أولى ما فُسرت به الآية، وروي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين "[7].

وعن زيد بن خالد الجهني ؓ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم ". قالوا الله ورسوله أعلم. قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي

---

(١) الأعراف:٥٤.

(٢) فاطر:٣.

(٣) انظر: أضواء البيان (٦ / ٦٩٦).

(٤) القول المفيد (١٩/٢).

(٥) الواقعة:٨٢.

(٦) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٥ / ٢٥٢).

(٧) تيسير العزيز الحميد (٣٣٩).

ومؤمن بالكوكب "[1].

قال الحافظ بن رجب – رحمه الله –: " من أضاف شيئا من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة و مع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي "[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله –: " فلو كان المراد هو الأكبر – أي الكفر الأكبر – لقال: أنزل علينا المطر نوء كذا، فأتى بباء السببية ليدل على أنهم نسبوا وجود المطر إلى ما اعتقدوه سببا "[3].

الحالة الثالثة: أن يقول: " مُطرنا بنوء كذا وكذا "، ويكون مقصده منها واعتقاده فيها الوقت، أي مُطرنا في وقت كذا وكذا، أي أن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات.

والفرق بين كون الشيء سبباً لوجود المسبب، وبين كون الشيء وقتاً لوجود المسبب[4]: أن السبب يكون له تأثير في وجود المسبب، وهو أيضا جزء من المسبب؛ كوجود المطر بسبب تجمع السحب، وكوجود الولد بسبب الجماع.

أما كون الشيء وقتاً للمسبب فلا يكون له تأثير في وجود المسبب؛ وإنما وقتاً يكثر فيه وجود الشيء، فظهور النوء مثلاً ليس له تأثير في وجود المطر، لكنه وقتاً لنزول المطر، ومع ذلك قد يوجد المطر عند ظهوره وقد لا يوجد.

اختلف أهل العلم في هذه الحالة على أقوال:

القول الأول: جواز ذلك، وبه قال بعض أهل العلم كمالك[5]، وابن قتيبة[6]، وابن

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأذان، باب "يستقبل الإمام الناس إذا سلم"، برقم (٨٤٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان كفر من قال مطرنا بالنوء"، برقم (٢٣١).

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب (١ / ٧٥).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٣٤٤).

(٤) انظر: منحة الحميد للدبيخي (٤٤٥).

(٥) انظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي (١/٣٨٨)، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/٥٥٠).

(٦) انظر: الأنواء في مواسم العرب ص (١٣).

عبد البر[١]، وأبو السعادات بن الأثير[٢]، وغيرهم، ورجحه الشيخ بكر أبوزيد رحمه الله[٣].

واستدلوا بأدلة منها: ١- أن النوء يأتي بمعنى (الوقت) في لسان العرب.

٢- ما جاء عن سعيد بن المسيب قال: حدثني من لا أتهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقى بالناس عام الرمادة، قال: فدعا والناس طويلاً، واستسقى طويلاً، وقال: "يا عباس - للعباس بن عبد المطلب - كم بقى من نوء الثريا؟ فقال له العباس رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إن أهل العلم بها يزعمون أنها تعترض بالأفق بعد وقوعها سبعا قال: فوالله ما مضت تلك السبع حتى أغيث الناس" [٤].

قال الشافعي - رحمه الله -: أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: كم بقي من وقت الثريا؟ ليعرفهم بأن الله عز وجل قدَّر الأمطار في أوقات فيما جربوا، كما علموا أنه قدر الحر والبرد بما جربوا في أوقات[٥].

٣- ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في رجل قال لامرأته: أمرك بيدك، فقالت: أنت طالق ثلاثاً، فقال ابن عباس: "خطأ الله نوءها، لو قالت: أنا طالق ثلاثا، لكان كما قالت"[٦]. قال ابن عبد البر: " أي أخلى الله نوءها من المطر، والمعنى: حرمها الله الخير كما حرم من لم يمطر وقت المطر"[٧].

ونُوقش: بأن ما جاء عن عمر وابن عباس رضي الله عنهما ليس فيهما قول: "مطرنا بنوء كذا وكذا" المنهي عنه؛ وإنما فيه تحرٍّ ونسبة المطر لوقت نزوله[٨].

القول الثاني: كراهة ذلك واستحباب تركه، وبه قال الشافعي وأصحابه[٩]، وغيرهم

---

(١) انظر: التمهيد (٢٤/٣٨٠).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/١٢٢).

(٣) انظر: معجم المناهي اللفظية ص (٥١٤).

(٤) رواه الحميدي في مسنده (٢ /٤٣٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (٣ /٣٥٩)، والطبري في تفسيره (٢٣ /١٥٥).

(٥) انظر: كتاب الأم للشافعي (٢/٥٥٢) بتصرف يسير.

(٦) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦/٥٢١)، وابن أبي شيبة مصنفه (٩/٥٨٢).

(٧) التمهيد (١٦ / ٢٩١).

(٨) انظر: منحة الحميد للدبيخي (٤٤٣).

(٩) انظر: فتح الباري لابن رجب (٦ / ٣٤٠).

كالعجيلي[١].

قال الشافعي – رحمه الله –: " فأما من قال: «مطرنا بنوء كذا» على معنى مطرنا بوقت كذا، فإنما ذلك كقوله: «مطرنا في شهر كذا»، ولا يكون هذا كفراً، وغيره من الكلام أحب إلي منه"[٢].

وقال النووي – رحمه الله –: " لو قال : مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر. واختلفوا في كراهته والأظهر كراهته "[٣].

وقال العجيلي – رحمه الله –: " وإن قال مريداً أنه علامة لنزول المطر فينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله تعالى وخلقه لم يكفر، والمختار أنه مكروه "[٤].

واستدلوا: بأن هذه المقولة من ألفاظ الكفار، ومن شعار الجاهلية، ومن سلك مسلكهم.

وأيضاً: أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها.

القول الثالث: تحريم ذلك، وعلى هذا القول أكثر الحنابلة، قال في الإنصاف: " يحرم أن يقول مطرنا بنوء كذا "[٥]، واختار هذا القول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[٦].

قال ابن رجب – رحمه الله –: "والنصوص تدل عليه"[٧]، وأيضاً: لأن الباء كونها للسببية أظهر منها للظرفية[٨].

---

(١) هو عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي البكري العجيلي، من بلاد عسير، وهو من عائلة مشهورة بالعلم في منطقة رجال ألمع، توفي ١٢٦٢هـ تقريبا. انظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتاب (تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد) للدكتور. حسن العواجي. ولعدم وجود مصادر لترجمة المؤلف إلا بعض المخطوطات كما ذكر المحقق أحلت إلى مقدمته.

(٢) كتاب الأم للشافعي (٥٥١/٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (١ / ٦٢)، وانظر: المجموع شرح المهذب للنووي (٥ / ٩١).

(٤) تحقيق التجريد لعبد الهادي العجيلي ص (٣٢٩).

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل للمرداوي (٢ / ٣٢٣).

(٦) انظر: القول المفيد (٣١/٢).

(٧) فتح الباري (٦ / ٣٣٩).

(٨) انظر: القول المفيد (٣١/٢).

قال الشيخ بن عثيمين: "والحاصل أن الأقرب المنع ولو قُصد الظرفية "[١].

القول الرابع: أن هذه المقولة من الشرك الأصغر، وإلى ذهب بعض أئمة الدعوة النجدية. كسليمان بن عبد الله[٢]، وعبد الرحمن بن حسن[٣]، وابن قاسم[٤].

قال سليمان بن عبد الله: " أن معنى الحديث هو نسبة السقيا إلى الأنواء لفظاً، وإن كان القائل لذلك يعتقد أن الله هو المنزل للمطر، فهذا من باب الشرك الخفي في الألفاظ "[٥].

ولعل الأقرب والله أعلم: القول الثالث وهو القول بالتحريم؛ وذلك سداً لذريعة الشرك، وعدم التشبه بأهل الجاهلية، ولا تصل إلى درجة الشرك الأصغر؛ لأن القائل لها لم يقصد نسبة المطر للنوء، وإنما لما جرى من العادة أن الغيث ينزل في هذا الوقت قال هذه المقولة.

- **الأمر الرابع: حكم قول: " مُطرنا في نوء كذا وكذا".**

اختلف أهل العلم من الحنابلة في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: جواز ذلك، وبه قال القاضي أبو يعلى وغيره[٦].

ومن أدلة هذا القول ما تقدم عن عمر بن الخطاب ﷺ عندما قال للعباس بن عبد المطلب ﷺ:" كم بقى من نوء الثريا؟...".

وبما جاء عند مالك في الموطأ عن النبي ﷺ أنه كان يقول: " إذا أَنشأت بحريَّة ثم تَشَاءَمت فتلك عينٌ غُدَيْقَةٌ "[٧].ومعناه: إذا طلعت سحابة من ناحية البحر، وناحية البحر

---

(١) القول المفيد (٢/٣٢).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٣٤٥).

(٣) انظر: فتح المجيد ص (٢٩٨).

(٤) انظر: حاشية كتاب التوحيد ص (٢٣١).

(٥) تيسير العزيز الحميد ص (٣٤٥).

(٦) انظر: فتح الباري لابن رجب (٦/٣٤٠).

(٧) الموطأ (٢/٢٦٩)، وهذا الحديث من بلاغات الإمام مالك التي قيل: إنه لا يعرف إسنادها، قال ابن عبد البر:" هذا حديث لا أعرفه بوجه من الوجوه في غير الموطأ إلا ما ذكره الشافعي في كتاب الاستسقاء عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن إسحاق بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «إذا نشأت بحرية ثم استحالت شامية فهو أمطر لها».وابن أبي يحيى مطعون عليه متروك، وإن كان فيه نبل ويقظة اتهم بالقدر والرفض، وبلاغ مالك خير من حديثه". التمهيد (٢٤ / ٣٧٧).

بالمدينة (الغرب)، ثم تشاءمت أي: أخذت نحو الشام، والشام من المدينة في ناحية (الشمال) كأنه يقول إذا مالت السحابة الظاهرة من جهة الغرب إلى جهة الشمال فتلك عين غديقة أي: ماء معين، والعين مطر أيام لا يقلع ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[1] [2].

القول الثاني: كراهية هذه المقولة، إلا أن يقول مع ذلك : " برحمة الله ﷻ "، وهو قول أبي الحسن الآمدي الحنبلي[3].

والله أعلم

فائدة:

قال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –:" وفي عصرنا الحاضر يُعلَّق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهذا وإن كان قد يكون سبباً حقيقياً، ولكن لا يُفتح هذا الباب للناس، بل الواجب أن يقال: هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[4] ، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[5] .

قال ابن الصلاح – رحمه الله –:" وحديث «إذا أنشأت بحرية» لا يصح لا بلفظه المذكور ولا بمعناه، ونقل عن الحافظ حمزة الكناني أنه قال: (كل شيء رواه مالك ﷺ مسنداً أو مرسلاً فقد رُوي عن رسول الله ﷺ من غير جهته، إلا حديثين:... والآخر: «إذا أنشأت بحرية..»..) ". انظر: جزء في الكلام على البلاغات الأربع التي لم يصلها ابن عبد البر في تمهيده لابن الصلاح ص (١٤١-١٤٢).

(١) الجن:١٦.

(٢) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤ / ٣٧٨)، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٥٥٠/١).

(٣) انظر: فتح الباري لابن رجب (٦ / ٣٤٠).

(٤) النور:٤٣.

(٥) الروم:٤٨.

فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه. فذهبت أنواء الجاهلية، وجاءت المنخفضات الجوية، وما أشبه ذلك من الأقوال التي تصرف الإنسان عن ربه ﷻ، نعم، المنخفضات الجوية قد تكون سبباً لنزول المطر، لكن ليست هي المؤثر بنفسها، فتنبه"[١].

(١) القول المفيد (١ / ٥٦٩).

المبحث الرابع :

توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : **أسماء اللّه الحسنى** .

المطلب الثاني : **صفات اللّه** عَزَّ وَجَلَّ.

المطلب الأول :

أسماء الله الحسنى :

وفيه تمهيد، وخمس مسائل :

المسألة الأولى: هل أسماء الله ﷻ محصورة بعدد معين .

المسألة الثانية: المراد بإحصاء أسماء الله تعالى .

المسألة الثالثة: هل وردت أسماء الله تعالى مسرودة في حديث صحيح .

المسألة الرابعة: تفاضل أسماء الله الحسنى .

المسألة الخامسة: شرح أسماء الله الحسنى.

تمهيد:

❖ تعريف الاسم.

الاسم في اللغة: من السمو، وهو العلو والارتفاع.

فهو: مشتق من السمو، والسمو الرفعة، فقيل: اسم؛ لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به، والأصل فيه سَمَوٌ – بالواو – على وزن جَمَل، وجمعه أسماء، مثل قِنو وأَقْناء، وحَنو وأحْنَاء[1].

أما في الاصطلاح: فالاسم ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[2].

فأسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها[3].

وأما في الشرع: ما دلَّ على ذات الله ﷻ مع كمال متعلقٍ بها [4].

❖ منزلة العلم بأسماء الله تعالى، وفضله.

إن منزلة العلم بأسماء الله الحسنى، والفقه فيها باب شريف عظيم القدر، بل هو الفقه الأكبر، وعماد السير إلى الله ﷻ.

وكما أن لكل بناءٍ أساساً، فإن أساس بناء الدِّين الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وكلما كان هذا الأساس راسخاً حمل البنيان بقوة وثبات، وسَلِم من السقوط.

وقد بيَّن ابن القيم – رحمه الله - هذا الأمر بياناً جلياً حيث قال: " من أراد علوَّ بيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه.

فالأعمال والدرجات بينانٌ، وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدَّم شيءٌ من البنيان سَهُل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيقٍ لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدَّم شيءٌ من الأساس سقط البنيان أو كاد.

فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس، فلا يلبث

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج(١/٤٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١ / ٥١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/٧٩)، ولسان العرب (٣ / ٢١٠٩).

(٢)انظر: التعريفات للجرجاني ص (٢٠)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١ / ٦٣)، والكليات للكفوي (٨٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦ / ١٩٥).

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١ / ٢٨٥)، القواعد المثلى لابن عثيمين ص (٩).

بنيانه أن يسقط، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾(١) .

فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان؛ فإذا كانت القوة قوية، حملت البدَن ودفعت عنه كثيراً من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفةً ضعُف حملُها للبدن وكانت الآفات إليه أسرع شيءٍ.

فاحملْ بنيانك على قوّة أساس الإيمان؛ فإذا تشعَّث شيءٌ من أعالي البناء وسطحه كان تداركه أسهل عليك من خراب الأساس.

وهذا الأساس أمران: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته.

والثاني: تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه.

فهذا أوثق أساس أسَّس العبدُ عليه بنيانه، وبحسبه يعتلي البناء ما شاء "(٢).

وقد تواردت آيات القرآن الكريم مرسِّخة لهذا الأساس ومثبتة له، فلا تكاد تخلو آية إلا وفيها ذكر لبعض أسماء الله الحسنى، أو صفاته العلى فلا يقارن به ذكره سبحانه لأي أمر آخر.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: « والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدراً من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك.

كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لأُبَيِّ بن كعب: "أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟" قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾(٣)، فضرب بيده في صدره، وقال: "ليهنك العلم أبا المنذر"(٤).

وأفضل سورة أم القرآن كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيح قال له النبي ﷺ: "إنه لم ينزل في التوراة ولا الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"، وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد.

---

(١) التوبة:١٠٩.

(٢) الفوائد ص (٢٢٨-٢٢٩).

(٣) البقرة:٢٥٥.

(٤) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب "فضل سورة الكهف وآية الكرسي"، برقم (١٨٨٥).

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ من غير وجه أن﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] تعدل ثلثي القرآن.

وثبت في الصحيح أنه بشر الذي كان يقرأها ويقول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن، بأن الله يحبه. فبين أن الله يحب من يحب ذكر صفاته ﷻ، وهذا باب واسع »[2].

فهذا العلم هو أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب.

فمعرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله، إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.

والله خلق الخلق ليعبدوه ويعرفوه، فهذه هي الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وقبيح بعبدٍ، لم تزل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيم من كل وجه، أن يكون جاهلاً بربه معرضا عن معرفته.

وأحد أركان الإيمان، بل أفضلها وأصلها الإيمان بالله، وليس الإيمان بمجرد قوله: "آمنت بالله" من غير معرفة بربه، بل حقيقة الإيمان، أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن، والطريق في ذلك، إذا مر به اسم من أسماء الله، أثبت له ذلك المعنى وكماله وعمومه، ونزهه عما يضاد ذلك.

فالعلم به تعالى أصل الأشياء كلها، حتى إن العارف به حقيقة المعرفة، يستدل بما عَرَف من صفاته وأفعاله على ما يفعله، وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة، بين العدل والفضل والحكمة.

وكذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام، إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله، فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة[3].

---

(١) الإخلاص:١.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٣١٠-٣١٢).

(٣) انظر: تفسير السعدي (١ / ٣٥).

ومما تقدم تتبين أهمية هذا النوع من التوحيد وعظيم منزلته وفضله، فهو الطريق لعبادة الله ﷻ على الوجه المطلوب.

قال الشيخ ابن عثيمين: "فمنزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾(١)، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة"(٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾(٣)، أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر(٤).

وأخيراً فإن من كان في قلبه أدنى حياة، ورغبة في بلوغ منازل الأتقياء العارفين بربهم، ينبغي أن يكون أعظم مقاصده، معرفة أسماء ربه الحسنى، وصفاته العليا، فهو كما تقدم أشرف العلوم؛ لأنه متعلق بأشرف معلوم ﷻ.

قال ابن القيم: " فمن في قلبه أدنى حياة، أو محبة لربه، وإرادة لوجهه، وشوق إلى لقائه؛ فطلبه لهذا الباب، وحرصه على معرفته، وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، وأجل غاياته، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق "(٥).

فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الأسماء والصفات اضمحل عندها كل نور، ووراء هذا

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص (٥).

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير (٦ / ٥٤٤).

(٥) الصواعق المرسلة (١ / ١٦١).

ما لا يخطر بالبال، ولا تناله عبارة[1].

❖ قواعد في أسماء الله ﷻ الحسنى.

ذكر بعض أهل العلم قواعد في أسماء الله وصفاته، وممن سطر هذه القواعد الإمام ابن القيم – رحمه الله – فمن القواعد التي ذكرها فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى[2]:

١- أن أسماء الله تعالى كلها حسنى: أي بالغة في الحسن غايته، قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[4]، فمن أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل: نحو الخالق والرازق والمحيي والمميت، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها؛ لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، وهذا باطل فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته، ولا يلحق ذاته، لا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلاً، ولا وصفاً وإنما يدخل في مفعولاته.

وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له لا بفعله الذي هو فعله.

والحسن في أسماء الله تعالى أيضاً يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

٢- أن أسمائه ﷻ الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى.

٣- أن أسمائه الحسنى لها اعتباران، اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

"فالحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى

---

(١) انظر: الوابل الصيب لابن القيم ص (١٥٤).

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١ / ٢٨٤-٢٩٧)، والقواعد المثلى لابن عثيمين ص (٧-٢٠).

(٣) الأعراف: ١٨٠.

(٤) الإسراء: ١١٠.

واحد وهو الله ﷻ، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

٤- أن الاسم من أسمائه له دلالات، دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم.

مثال ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

٥- أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفا كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه.

٦- أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٧- أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[1].

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسما لله ﷻ، وإثبات الحياة صفة له.

٨- أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد، والفاعل، والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في

(١) المجادلة: ١.

أسمائه؛ ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق بل هو الفعال لما يريد.

٩- أنه لا يلزم من الإخبار عن الله ﷻ بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين، فجعل من أسمائه الحسنى، المضل، الفاتن، الماكر، تعالى الله عن ذلك، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها.

١٠- الأسماء التي تطلق على الله، وعلى العباد كالحي، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والملك، ونحوها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة، وهو الصواب واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به.

١١- أن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره، وهو غالب الأسماء، فالقدير، والسميع والبصير، والعزيز، والحكيم، وهذا يسوغ أن يدعى به مفرداً، ومقترنا بغيره، فتقول: يا عزيز يا حليم يا غفور يا رحيم، ويصح أن يفرد كل اسم لوحده.

١٢- أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تُحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة إن شاء الله تعالى.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل لا بدَّ أن يكون مقروناً بمقابله، كالمعطي المانع، والنفاع الضار، والمعز المذل فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله، وأما أن يُثنى عليه بمجرد المنع والإنتقام والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة.

١٣- الإلحاد في أسماء الله تعالى، وهو: الميل بها عما يجب فيها. وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا منها، أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحادا لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك

لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1]، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله ﷻ ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله تعالى هدد الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

المسائل

حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: " يقولون من تعلمون يشفع لنا إلى ربنا، فينجينا من شدة هذا اليوم وكربه وغمه؟ فيقولون: ما نعلم خليقة أكرم على الله من آدم، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له. فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون: يا آدم اشفع لنا إلى ربك ﷻ ينجينا من شدة هذا اليوم وكربه وغمه، فيقول: لست هناك ويذكر خطيئته، ولكن ائتوا نوحاً عليه السلام، وهو أول النبيين، فيأتون نوحاً عليه السلام فيقول: لست هناك، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقول: لست هناك، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى، فيقول: لست هناك، ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناك، فيرجعون إلى آدم فيقولون: يا أبانا ما وجدنا أحدا يشفع لنا إلى ربنا ﷻ. فيقول: يا بني أرأيتم لو أن أحدكم أخذ وعاء فجعل فيه بضاعته، ثم ختم عليها حتى كان لا يخلص إلى ما في الوعاء أحد حتى يفض الخاتم ؟ فيقولون: لا. فيقول: إن محمدا خاتم النبيين، فأتوه يشفع لكم إلى ربكم ﷻ". قال رسول الله ﷺ: " فيأتيني الناس فيقولون: يا محمد هذا المقام المحمود، اشفع لنا إلى ربك ينجينا من طول هذا اليوم وغمه وكربه، قال: فيقول: أنا لها. قال: فأنطلق حتى آتي باب الجنة، فآخذ بحلق الباب فأستفتح ". قال الحسن: وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما يوافي بذنب. فيقول ربي: افتحوا لعبدي أحمد ﷺ، فيفتح لي الباب، فأدخل الجنة فأجد ربي جالساً على كرسيه في جنته، فأخر لربي ساجداً. قال: **فيعلمني ربي محامد لم يحمده بها أحد قبلي** فيقول لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه ، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أي رب أمتي. فيحد لي ربي حدا، ثم أخر ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أي رب أمتي أمتي، قال : فيحد لي حداً، ثم يؤذن لي في الشفاعة"(١).

---

(١) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٤٨)، ورواه البخاري بلفظ " ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن"، كتاب: الإيمان، باب "أدنى أهل الجنة منزلة"، برقم (٤٧٩).

المسألة الأولى: هل أسماء الله ﷻ محصورة بعدد معين؟

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة "(١).

فقد يُفهم من هذا الحديث أنه يدل على حصر أسماء ﷻ في تسعة وتسعين اسماً، والصحيح أن هذا الحديث لا يدل على حصر الأسماء الحسنى؛ ولذا نص أهل العلم على أن أسماء الله عز وجل ليست محصورة في عدد معين معلوم للخلق، بل إن بعضهم حكى الاتفاق على هذا، وكأنهم عدُّوا قول من خالف في هذه المسألة كابن حزم – رحمه الله – شاذاً(٢).

قال النووي – رحمه الله –: "واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه ﷻ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الاخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الاخبار بحصر الأسماء "(٣).

قال ابن بطّال – رحمه الله –: " فكان ذكر هذا العدد إنما هو لشرع الدعاء به، وهذا القول أميلُ إلى النفوس؛ لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يبلغ كنهه الواصفون ولا ينتهي إلى صفاته المقرظون دليل لازم أن له أسماء غير هذه وصفات، وإلا فقد تناهت صفاته تعالى عن ذلك، وهذا قول أبي الحسن الأشعري، وابن الطيب وجماعة من أهل العلم، قال ابن الطيب: وليس في الحديث دليل على أن ليس لله تعالى أكثر من تسعة وتسعين اسمًا، لكن ظاهر الحديث يقتضى من أحصى تلك التسعة وتسعين اسمًا على وجه التعظيم لله دخل الجنة ، وإن كان له أسماء أخر "(٤).

---

(١) البخاري، كتاب: التوحيد، باب "إن لله مائة اسم إلا واحد"، برقم (٧٣٩٢)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب "في أسماء الله وفضل من أحصاها"، برقم (٦٨٠٩).

(٢) قال ابن حزم: " وأن له عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد، وهي أسماؤه الحسنى، من زاد شيئا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة". المحلى (١ / ٣٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا القول وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبي محمد بن حزم وغيره؛ فإن جمهور العلماء على خلافه، وعلى ذلك مضى سلف الأمة، وأئمتها، وهو الصواب". مجموع الفتاوى (٢٢ / ٤٨٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (٩ / ٦).

(٤) شرح صحيح البخارى (١٠ / ١٤١).

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"ما أصاب أحداً قط هم، ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، **أو استأثرت به في علم الغيب عندك**، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً"، قال: فقيل يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: "بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها"[(١)].

فدلَّ هذا الحديث على أن الله استأثر ببعض أسمائه عن خلقه، ولم يطلعهم عليها.

قال ابن تيمية: "فهذا يدل على أن لله أسماء فوق تسعة وتسعين"[(٢)].

فالحديث يدل بكل وضوح على أن أسماء الله كثيرة ومتنوعة حسب توزيع الحديث المذكور وهو أمر واضح؛ لأن كمالات الله لا تتناهى، بل هو موصوف بكل كمال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[(٣)،(٤)]

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –: "وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يعلم به، وما ليس معلوماً ليس محصوراً "[(٥)].

وجاء أيضا في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: " اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك "[(١)].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦ / ٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٣ / ٢٥٣)، وأبو يعلى في مسنده (٩ / ١٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٢٨)، والحاكم في المستدرك (١ / ٦٩٦)، وقال:"هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه"، وقال الهيثمي: "ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان". مجمع الزوائد (١٠ / ٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٣٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٨١).

(٣) الكهف:١٠٩.

(٤) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية للدكتور محمد أمان الجامي رحمه الله ص (١٨٣).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١ / ١٢٢).

قال ابن تيمية: "فأخبر أنه ﷺ لا يحصى ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يُعبَّر عنها بأسمائه "[٢].

ومثله حديث الشفاعة الطويل عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: " فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويُلهمني محامدَ أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد"[٣].

ومن أعظم ما يُحمد الله به، ويُثنى عليه به هو أسمائه وصفاته.

قال ابن القيم :" فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

- قسم: سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته، أو غيرهم. ولم ينزل به كتابه.
- وقسم: أنزل به كتابه فتعرَّف به إلى عباده.
- وقسم: استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، ولهذا قال: "استأثرت به" أي: انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه، ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة "فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن" وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته - تبارك وتعالى - ومنه قوله "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك".

وأما قوله: "إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة"، فالكلام جملة واحدة، وقوله: "من أحصاها دخل الجنة " صفة، لا خبر مستقبل.

والمعنى: له أسماء متعددة، من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك، وقد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه "[٤].

ومما تقدم يتبين أن أسماء الله الحسنى ليست محصورة في عدد معين، بل إن أسماء الله عز وجل المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية ليست محصورة في هذا العدد المذكور في الحديث، بل إنها تزيد على هذا العدد، كما قرر ذلك أهل العلم.

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب "ما يقال في الركوع والسجود"،برقم (١٠٩٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٣٣٢-٣٣٣)

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) بدائع الفوائد (١ / ٢٩٣-٢٩٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " وإن قيل: لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة. قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين "(١).

وعلى هذا، فإن من جمع من أهل العلم تسعة وتسعين اسما من أسماء الله، وجمع غيره أسماء أخرى، فتوافقا في بعضها واختلفا في بعض، فإن هذا لا يعني أن ما اختلفا فيه بعضه ليس من أسماء الله؛ لتجاوز ذلك التسعة والتسعين، فالعبرة في صحة ذلك الاسم وثبوته، وقيام الدليل عليه من الكتاب أوالسنة (٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢ / ٤٨٢).

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى للدكتور: عبد الرزاق البدر ص (٦٠).

إشكال والجواب عنه:

قوله ﷺ: "أسألك بكل اسم هو لك، سميت له نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثر به في علم الغيب عندك".

في هذا الحديث ذكر ﷺ أن ما أنزله الله ﷻ من الأسماء في كتابه أو علّمه أحداً من خلقه، أو استأثر به في علم الغيب عنده، قسيماً لما سمى به نفسه، ومعلوم أن هذا التقسيم تفصيل لما سمى به نفسه، فوجه الكلام أن يقال: سميت به نفسك، فأنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك. فإن هذه الأقسام الثلاثة تفصيل لما سمى به نفسه.

الجواب عن هذا الإشكال:

أن يقال: إن العطف بين هذه الجمل من باب عطف الخاص على العام؛ لأن كل جملة أخص من التي قبلها، والمعهود في باب عطف الخاص على العام أن يكون بـ"الواو" دون سائر حروف العطف، إلا أن العطف بـ"أو" على العام له فائدة أخرى غير الفائدة التي في العطف بـ"الواو":

وهي بناء الكلام على التقسيم والتنويع كما بُني عليه تاماً، فيقال: سميتَ به نفسك، فإما أنزلتَه في كتابك، وإما علمتَه أحداً من خلقك.

وقد يُقال: إن "أو" هنا بمعنى الـ"واو"، وهو أسلوب متبع معروف عند أهل اللغة[1].

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١٣٥٣/٣-١٣٥٤)، والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان ص (١٨٦-١٨٧).

المسألة الثانية: المراد بإحصاء أسماء الله تعالى الحسنى.

جاء ذكر إحصاء الأسماء الحسنى في حديث أبي هريرة ﷺ المتقدم عن النبي ﷺ قوله: " إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة"[١].

وإحصاء أسماء الله الحسنى من أجلّ القُرُبات وأعظمها، كيف لا وهو سبب لدخول الجنة، ودالٌ للعبد على كل خير، وصارف له عن كل شرٍ.

فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب، وفتحه عجب، فإحصاء الأسماء الحسنى، والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم؛ فإن المعلومات سواه: إما أن تكون خلقاً له تعالى، أو أمراً، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى[٢].

والإحصاء في اللغة يأتي على وجهين:

أحدهما بمعنى: الإحاطة بعلم عدد الشيء وقدره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٣].

والثاني بمعنى: الإطاقة له، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾[٤]، أي لن تطيقوه[٥].

وقد بيَّن أهل العلم المراد بإحصاء أسماء الله ﷻ الوارد في الحديث، فمنهم من قَصَره على شيء واحدٍ، ومنهم جعله شاملاً لعدة معانٍ:

– فبعض أهل العلم ذهب إلى أن المراد بالإحصاء هو: حفظها. منهم البخاري[٦]، والقرطبي[٧]، وابن الجوزي[٨]، والنووي وقال: " هو قول البخاري وغيره من المحققين، وهو

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: طريق الهجرتين (١/٤٧٠)، بدائع الفوائد (١ / ٢٨٦-٢٨٧).

(٣) الجن:٢٨.

(٤) المزّمل:٢٠.

(٥) انظر: شرح البخاري لابن بطال (١٠ / ٤١٩)، ومقاييس اللغة (٢ / ٧٠).

(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب "إن لله مائة اسم إلا واحد"، برقم (٧٣٩٢).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٣٢٥).

(٨) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/٤٣٦).

الأظهر[١]، وقال في الأذكار: وهو قول الأكثرين[٢].

جاء في رواية لحديث أبي هريرة ﷺ"من حفظها"[٣].

قال ابن الجوزي: "فلما رأينا في بعض طرق الصحيح أن معنى الإحصاء: الحفظ اخترنا ذلك الوجه، وآثرنا ذكر هذه الأسماء لتحفظ "[٤].

قال ابن حجر – رحمه الله – تعليقاً على كلام ابن الجوزي:" قلت: وفيه نظر؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ حفظها تعين السرد عن ظهر قلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي"[٥].

– وذهب آخرون إلى أن المراد بالإحصاء هو: العمل بمقتضى هذه الأسماء، ومعنى ذلك: أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها فإذا قال: "الرزاق" وثق بالرزق منه ﷻ ، "الحكيم" فالعمل بذلك العلم بأن كل أفعال الله ﷻصادرة عن حكمته فلا يوجد من العبد اعتراض على أفعاله، ومنها "السميع" والعمل بذلك الحياء منه، وكف اللسان عن القبيح؛ لأنه يسمع وكذا سائر الأسماء[٦]، وبهذا قال الأصيلي[٧]، وأبو نعيم الأصبهاني، وابن بطال[٨]، وأبو الوفاء بن عقيل[٩][١].

---

(١) انظر: شرح النووي (٦/٩).

(٢) انظر: الأذكار للنووي ص (١٩٤).

(٣) رواه مسلم في الصحيح، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب "في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها"، برقم (٦٨٠٩).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٣٦/٣).

(٥) فتح الباري (١١ / ٢٢٦).

(٦) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٣٥/٣)، وفتح الباري (١١ / ٢٢٥).

(٧) هو شيخ المالكية، عالم الأندلس، أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأموي المعروف بالأصيلي، كان من حفاظ مذهب مالك، ومن العالمين بالحديث وعلله ورجاله، من أهل أصيلة (في المغرب)، له كتاب " الدلائل على أمهات المسائل " في اختلاف مالك والشافعي و أبي حنيفة، مات سنة ٣٩٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٥٦٠)، والأعلام للزركلي (٤ / ٦٣).

(٨) هو العلامة أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، ، ويعرف بابن اللجام، كان من كبار المالكية، عالم بالحديث، له شرح صحيح البخاري، مات سنة ٤٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ٤٧)، والأعلام للزركلي (٤ / ٢٨٥).

(٩) هو عالم العراق شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل الظفري البغدادي، يُعرف: بابن عقيل، اشتهر بذكائه، أخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبو الحسين البصري، فانحرف

قال ابن بطال – رحمه الله –: "طريق العمل بها: أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإن الله يحب أن يرى حلاها على عبده، فليمرِّن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله تعالى كالجبار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة، فهذا معنى أحصاها وحفظها، ويؤيده أن من حفظها عداً وأحصاها سرداً ولم يعمل بها، يكون كمن حفظ القرآن ولم يعمل بما فيه.."[٢].

وقال ابن حجر – رحمه الله – تعليقاً على كلام ابن بطال:" قلت: والذي ذكره مقام الكمال، ولا يلزم من ذلك أن لا يرد الثواب لمن حفظها، وتعبَّد بتلاوتها والدعاء بها، وإن كان متلبسا بالمعاصي، كما يقع مثل ذلك في قارئ القرآن سواء، فإن القارئ ولو كان متلبسا بمعصية غير ما يتعلق بالقراءة يثاب على تلاوته عند أهل السنة، فليس ما بحثه ابن بطال بدافع لقول من قال إن المراد حفظها سردا والله أعلم"[٣].

وقيل غير هذين القولين، ولكنهما أشهر ما قيل.

وقد حقق الإمام ابن القيم معنى الإحصاء لأسماء الله الحسنى، وجعل ذلك على مراتب، فقال: "مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٤]، وهو مرتبتان:

عن السنة، له تصانيف أعظمها: كتاب الفنون وهو يزيد على أربعمائة جزء، مات سنة ٥١٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩ / ٤٤٣)، والأعلام للزركلي (٤ / ٣١٣).

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/٤٣٥)، وفتح الباري (١١ / ٢٢٦).

(٢) فتح الباري (١١ / ٢٢٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الأعراف:١٨٠.

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثانية: دعاء طلب ومسألة.

فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم "[١].

فمن حفظها ودعا الله بها كل دعاءٍ بما يناسبه من الأسماء كما هي طريقة النبي ﷺ في أدعيته كان له من الثواب بحسب ذلك، ومن استكمل جميع مراتب الإحصاء كان له عظيم الثواب والأجر وتمامه.

---

(١) بدائع الفوائد (١ / ٢٨٨)، وأشار إلى قريباً من هذا المعنى ابن عطية رحمه الله في تفسيره (٢ / ٥٥٢)، والخطابي رحمه الله. انظر: فتح الباري (١١ / ٢٢٥).

المسألة الثالثة: هل وردت الأسماء الحسنى مسرودة في حديث صحيح؟

لم يثبت عن النبي ﷺ حديث فيه سرد الأسماء الحسنى لله ﷻ، والحديث الوارد في ذلك ضعيف لا يصلح الاحتجاج به، كما بيّن ذلك أهل المعرفة بحديث النبي ﷺ.

فقد ورد سرد أسماء الله الحسنى في حديث أبي هريرة ﷺ من ثلاثة روايات، وجميع هذه الروايات لا تثبت، كما سيأتي بيان ذلك من كلام أئمة هذا الشأن:

الرواية الأولى: من طريق الوليد بن مسلم حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ " إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة... ". وذكر الحديث بسرد الأسماء. جاءت هذه الرواية عند الترمذي وغيره(١).

قال الترمذي:" هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث.

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح ".

وهذه الرواية مُعَلَّة وهي ضعيفة، كما بيّن ذلك الحافظ ابن حجر، فقال – رحمه الله – متعقباً الحاكم – رحمه الله -:"وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج"(٢).

ولهذا ذكر بعض أهل العلم أن سرد هذه الأسماء ليس من كلام النبي ﷺ، وإنما من كلام بعض السلف، فأدرج في الحديث.

قال شيخ الإسلام: " فالحديث الذي فيه ذكر ذلك هو حديث الترمذي روى الأسماء الحسنى في "جامعه" من حديث الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ورواها ابن ماجه في سننه من طريق مخلد بن زياد القطواني عن هشام بن حسان عن محمد بن

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب "حديث في أسماء الله الحسنى مع ذكرها تماما"، برقم (٣٥٠٧)، وابن حبان في صحيحه (٣ / ٨٨)، والحاكم في المستدرك (٥٨/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٢٧).

(٢) فتح الباري (١١ / ٢١٥).

سيرين عن أبي هريرة، وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسرا في بعض طرق حديثه، ولهذا اختلفت أعيانهما عنه؛ فروي عنه في إحدى الروايات من الأسماء بدل ما يذكر في الرواية الأخرى... وهذا كله مما يبين لك أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبي ﷺ في بعض الطرق؛ وليست من كلامه؛ ولهذا جمعها قوم آخرون على غير هذا الجمع، واستخرجوها من القرآن، منهم: سفيان بن عيينة، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم "(١).

الرواية الثانية: من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني قال: حدثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي، حدثنا موسى بن عقبة، حدثني عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة ؓ ... وذكر الحديث بسرد الأسماء. وجاءت هذه الرواية عند ابن ماجه(٢).

وعبد الملك الصنعاني هذا، لا يُحتج به، قال ابن حبان: "كان ممن يجيب في كل ما يُسأل، حتى تفرد عن الثقات بالموضوعات، لا يجوز الاحتجاج بروايته"(٣).

وقال الذهبي: " ليس بحجة"(٤)، وقال ابن حجر: " لين الحديث "(٥).

وهو أيضاً – الصنعاني – من أهل الشام، ورواية أهل الشام عن أبي المنذر زهير التميمي غير مستقيمة، لأنه حدّث بالشام من حفظه فكثر غلطه(٦).

الرواية الثالثة: من طريق عبد العزيز بن الحصين ين الترجمان، ثنا أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة :... وذكر الحديث بسرد الأسماء. وجاءت هذه الرواية عند الحاكم(٧).

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٧٩).
(٢) رواها ابن ماجه في سننه: أبواب الدعاء، باب "أسماء الله ﷻ"، برقم (٣٨٦١).
(٣) المجروحين (٢ / ١٣٦)
(٤) الكاشف (١ / ٦٦٩).
(٥) التقريب (٤٢٣٩).
(٦) انظر: ترجمته في التقريب (٢٠٦٠).
(٧) رواها الحاكم في مستدركه (٥٩/١).

وهذه الرواية أيضاً ضعيفة؛ لضعف عبد العزيز بن الحصين، قال البخاري: "ليس بالقوى عندهم"، وقال ابن معين: "ضعيف"،وقال مسلم: "ذاهب الحديث"(١).

وبهذا يتبين أنه لا توجد رواية يُحتج بها في سرد أسماء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: " لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ"(٢).

وقال الأمير الصنعاني: "اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة"(٣).

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٢ / ٦٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢ / ٤٨٢).

(٣) سبل السلام (٤ / ١٠٨)، وللاستزادة في هذا الموضوع انظر: جزء فيه طرق حديث "إن لله تسعة وتسعين اسماً" لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: مشهور حسن سلمان، بيّن فيه عدم صحة الطرق التي جاءت بسرد الأسماء.

المسألة الرابعة: تفاضل أسماء الله ﷻ الحسنى.

أسماء الله سبحانه وتعالى كلها حسنى، وصفاته كاملة عليا لا نقص فيها، وقد دلَّت نصوص الوحيين على تفاضل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فبعض أسمائه تعالى أفضل من بعض، وكذا الصفات، بل صح عن النبي ﷺ أنَّ لله أسماً أعظم، إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، كما سيأتي.

ولذلك كان قول من قال بعدم التفاضل بين أسمائه تعالى خطأ مجانبٌ للصواب.

قال شيخ الإسلام:"وقول من قال: صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك، قول لا دليل عليه...فتفاضل الأسماء والصفات من الأمور البينات...وكما أن أسماءه وصفاته متنوعة فهي أيضا متفاضلة كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع مع العقل"(١).

والأدلة على ثبوت التفاضل بين أسماء الله الحسنى كثيرة، منها:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ في المسجد، ورجل يصلي، فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، أسألك، فقال النبي ﷺ:" هل تدرون بما دعا؟" فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال: "دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى"(٢).

وحديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: "اللهم أني أسألك بأنك أنت لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد"، فقال النبي ﷺ: "لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، و إذا دُعي به أجاب"(٣).

قال المنذري في «تلخيص السنن» - كما في تحفة الأحوذي -: "قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي رضي الله عنه: "وهو إسناد لا مطعن فيه، ولا أعلم أنه رُوي في هذا الباب حديث أجود

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧ / ٢١١-٢١٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٨ / ٤٦)، وأبو داود في سننه برقم (١٤٩٣)، والترمذي في جامعه برقم (٣٤٧٥) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه برقم (٣٨٥٧)، وابن منده في التوحيد ص (٨٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥ / ١٨٩)، وابن حبان في صحيحه (٣ / ١٧٤)، والحاكم في مستدركه (٦٨٩/١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين.

إسناداً منه، وهو يدل على بطلان مذهب من ذهب إلى نفي القول بأن لله اسماً هو الاسم الأعظم، وهو حديث حسن انتهى"(١).

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب.

وقد حصل خلاف بين أهل العلم في تحديد «الاسم الأعظم لله ﷻ» إلى أقوال كثيرة، قال الشوكاني: "وقد اختُلف في تعيين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً، قد أفردها السيوطي بالتصنيف"(٢).

ولم يذكر السيوطي في كتابه الذي أشار إليه الشوكاني، وهو «الدر المنظم في الاسم الأعظم» سوى عشرين قولاً في تعيين الاسم الأعظم، وكثير منها ضعيف لم يدل عليه دليل من الشرع(٣).

ومن أقوى الأقوال في تعيين الاسم الأعظم قولان:

القول الأول: أنه لفظ الجلالة «**الله**»، قال ابن منده: "فاسمه الله معرفة ذاته، منع الله ﷻ خلقه أن يتسمى به أحد من خلقه، أو يدعى باسمه إله من دونه، جعله أول الإيمان، وعمود الإسلام، وكلمة الحق والإخلاص، ومخالفة الأضداد والإشراك فيه، يحتجز القاتل من القتل، وبه يفتتح الفرائض، وتنعقد الأيمان، ويستعاذ من الشيطان، وباسمه يفتتح ويختم الأشياء، تبارك اسمه ولا إله غيره"(٤).

ومما يقوي هذا القول، عدَّة أسباب:

١- أن هذا الاسم هو الوحيد الذي تكرر في أغلب الأحاديث التي نصّت على ذكر الاسم الأعظم.

٢- أنه أكثر الأسماء وروداً في كتاب الله ﷻ، بل هو يفوق جميع الأسماء الأخرى بكثير.

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٩ / ٤١٣).

(٢) تحفة الذاكرين ص (٧١).

(٣) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر ص (٧٢)، ولم أجد كتاب السيوطي «الدر المنظم في الاسم الأعظم» إلا مخطوطاً على الشبكة العنكبوتية ويقع في ثلاث لوحات.

(٤) التوحيد لابن منده (٢٦٦٨).

٣- أنه الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى، يقول ابن القيم: "وأن اسم «الله» تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى"(١).

٤- أنه الأصل لجميع الأسماء الحسنى، وسائر الأسماء مضافة إليه ويوصف بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾(٢).

٥- أنه لم يُطلق على غير الله ﷻ، ولم يتجرأ أحدٌ على التسمي به(٣).

القول الثاني: أنَّ الاسم الأعظم بمعنى العظيم، وهو اسم جنس لا يراد به اسم معين، أسماء الله سبحانه كلّها حسنى، وكلها عظيمة.

قال الشيخ ابن سعدي: " والتحقيق أنَّ الاسم الأعظم اسم جنس لا يراد به اسم معين، فإنَّ أسماء الله نوعان:

أحدهما: ما دلَّ على صفة واحدة أو صفتين أو تضمن أوصافًا معدودة.

والثاني: ما دلَّ على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمَّن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال، فهذا النوع هو الاسم الأعظم لما دلَّ عليه من المعاني التي هي أعظم المعاني وأوسعها. فاللهُ اسم أعظم، وكذلك الصمد، وكذلك الحي القيوم، وكذلك الحميد المجيد، وكذلك الكبير العظيم، وكذلك المحيط. وهذا التحقيق هو الذي تدل عليه التسمية وهو مقتضى الحكمة، وبه أيضًا تجتمع الأقوال الصحيحة كلُّها "(٤).

ورجح هذا القول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، حيث قال: " والصواب أنَّ الأعظم بمعنى العظيم، وأنَّ أسماء الله سبحانه كلّها حسنى، وكلها عظيمة، ومن سأل الله سبحانه بشيء منها صادقًا مخلصًا سالمًا من الموانع رُجيت إجابته، ويدل على ذلك اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك، ولأنَّ المعنى يقتضي ذلك، فكلُّ أسمائه حسنى، وكلّها عظمى "(٥).

والأمر محتمل والله أعلم بالصواب، ولكن قول الشيخ ابن باز وغيره قد تجتمع به الأدلة.

---

(١)بدائع الفوائد (٢ / ٧٨٢).

(٢)الأعراف: ١٨٠.

(٣) انظر: أسماء الله وصفاته للأشقر ص (٨٩-٩٠).

(٤) فتح الرحيم الملك العلام ص (٢٦-٢٧).

(٥) انظر: تعليقه له على كتاب فقه الأدعية والأذكار لعبد الرزاق البدر (١/١٣٨).

المسألة الخامسة: معاني أسماء الله ﷻ الحسنى الواردة في مجال البحث.

إن معرفة الله ﷻ لا تتحقق إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، وسبيل هذه المعرفة هو "باستحضار معاني الأسماء الحسنى، وتحصيلها في القلوب، حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجلِّ المعارف.

فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيما لله وإجلالا له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله، وشوقا له وحمدا وشكرا.

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعا لله، وخشوعا وانكساراً بين يديه .

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديِّة والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارا واضطرارا إليه، والتفاتاً إليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبدِّه بها لله، لا يحصل العبد في الدنيا أجلَّ ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي رُوح التوحيد ورَوْحه، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل"[(١)].

ومعرفة معاني هذه الأسماء هو من الإحصاء الذي جاء في الحديث فضلُه وعظيمُ أجره.

ومن المهم قبل البدء بشرح هذه الأسماء أن نعرف أقسام أسماء الله الحسنى من حيث المعنى، وبيان ذلك فيما يلي [(٢)]:

القسم الأول: ما يدل على صفةٍ ذاتيةٍ، والصفة الذاتية: هي الصفة التي لا تنفك عن الله ﷻ، ولا تعلق لها بالمشيئة.

فمن الأسماء التي تندرج تحت هذا القسم:

«الحي» وهو دال على ثبوت صفة «الحياة».

«العليم» وهو دال على ثبوت صفة «العلم».

---

(١) القول السديد للسعدي (٣/٤٦).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ص (٥-٦)، بدائع الفوائد (١/٢٨٠-٢٨١)، وفقه الأسماء الحسنى ص (٣٧-٣٩).

«السميع» وهو دال على ثبوت صفة «العلم».

إلى غير ذلك من الأسماء المندرجة تحت هذا القسم الدالة على ثبوت الصفات الذاتية لله ﷻ.

القسم الثاني:ما يدل منها على صفة فعليَّةٍ، والصفة الفعلية: هي التي لها تعلق بمشيئة الله ﷻ.

فمن الأسماء التي تندرج تحت هذا القسم:

«الخالق» وهو دال على ثبوت صفة «الخلق».

«التواب» وهو دال على ثبوت صفة «التوبة».

«الرزاق» وهو دال على ثبوت صفة «الرزق».

فكل هذه الصفات التي دلت عليها هذه الأسماء يفعل الله ﷻ متى شاء.

القسم الثالث: ما يدل منها على تقديس الله ﷻ وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وعمّا لا يليق به ﷻ.

فمن الأسماء التي تندرج تحت هذا القسم:

«القدوس» ويدل على المنزّه عن كل ما ينافي كماله في ذاته، وصفاته، وأفعاله.

«السلام» ويدل على السالم من جميع العيوب والنقائص.

«السُّبُّوح» ويدل على المنزه عما لا يليق بإلهيَّته، وربوبيته، من الشريك والضد والمثيل.

وهذه الأسماء جاءت في نصوص الشرع دالةً على التعظيم، والثناء والتسبيح للربِّ ﷻ.

القسم الرابع: ما يدل على جملةٍ من الأوصاف المتعددة لله ﷻ، وليس وصفاً واحداً، بحيث يكون هذا الاسم متناولاً لجميع هذه الأوصاف.

فمن الأسماء التي تندرج تحت هذا القسم:

«المجيد» وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى[١].

«الحميد» الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإنه محمود على ذلك كله، فكل صفة من صفاته يحمد عليها[٢].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (١ / ٩٤٦).

(٢) المصدر السابق.

«الصمد» هو السيد الذي هو وحده الملجأ عند الشدائد والحاجات، وهو الذي تنزه وتقدس وتعالى عن صفات المخلوقين كأكل الطعام ونحوه، سبحانه وتعالى[1].

فهذه الأقسام الأربعة من المهم معرفتها، ومعرفة ما يندرج تحتها؛ لمن أراد فقه أسماء الله الحسنى، وهي موضحة للقاعدة المتقدمة من أن أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف، وليست أعلاماً محضة.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٢/٢٢١).

معاني أسماء الله:

فهذا شرح مختصر للأسماء التي ورد ذكرها في مجال البحث، وسأورد الاسم، ثم الأثر الذي تضمنه، ثم دليل ثبوت هذا الاسم، ثم ذِكْر معناه.

ومن ضمن هذه الأسماء الواردة (الأسماء المضافة) فإن مما يُسمى الله ﷻ به الأسماء المضافة الواردة في الكتاب أو السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وكذلك مثل أسمائه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، مما ثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين "[١].

أولاً: «الله – الإله»

قال أبو داود: أخبرنا وهب بن بقية[٢]، عن خالد[٣]، عن محمد يعني ابن عمرو[٤]، عن يحيى بن عبد الرحمن[٥]، عن أبيه[٦]، قال: خرجنا مع عمر ﷺ في حج أو عمرة، حتى إذا كنا بشعب ضجنان[٧] التفت عمر وقال: "لقد رأيتني بهذه الشعاب في أجمال للخطَّاب، وكان فظا غليظا، أحتطب عليها مرة وأختبط[٨] أخرى، فأصبحت اليوم ويضرب الناس بجنابي ليس فوقي أحد إلا الله، ثم قال:

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية للبعلي ص (٩٥).

(٢) وهب بن بقية بن عثمان الواسطي أبو محمد يقال له وهبان ثقة، مات سنة ٢٣٩هـ. التقريب (٧٥١٩).

(٣) خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان الواسطي، المزني مولاهم، ثقة ثبت، مات سنة ١١٠هـ. التقريب (١٦٥٧).

(٤) تقدم.

(٥) يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة، أبو محمد، أو أبو بكر، المدني، ثقة، مات سنة ١٠٤هـ. التقريب (٧٦٤٢).

(٦) عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة بفتح الموحدة والمثناة وسكون اللام بينهما ثم مهملة له رؤية وعدوه في كبار ثقات التابعين، مات سنة ٦٨هـ. التقريب (٣٨٥٧).

(٧) جبل بناحية تهامة يقال له ضجنان، وقيل ضجنان جبيل على بريد من مكة، وقال الواقدي: بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً. انظر: معجم البلدان للحموي (٣ / ٤٥٣).

(٨) (الخبط): ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط: خَبَط بالتحريك فعل بمعنى مفعول، وهو من علف الإبل.انظر: النهاية في غريب الأثر (٢ / ٧).

لا شيء فيما ترى إلا بشاشته   يبقى **الإله** ويودى المال والولد "[1].

دليله/ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2] .

معناه/ المعنى اللغوي: لفظ الجلالة الله أصله «الإله» ثُمَّ حُذفت الهمزة تخفيفاً فاجتمعت لامان،

فأُدغمت الأولى في الثانية، فقيل: «الله»[3].

ومعنى «الإله»، قال ابن فارس: " الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تألَّه الرجل، إذا تعبَّد. قال رؤبة:

لله دَرُّ الغَانياتِ المدَّهِ   سبَّحنَ واسْتَرْجَعْنَ من تَألُّهي "[4].

المعنى الشرعي:

الله ﷻ هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال، وهذا الاسم – الله – تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى[5].

فهو الأصل لجميع الأسماء الحسنى، وسائر الأسماء مضافة إليه ويوصف بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[6]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[7]، فيقال مثلا: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال العكس.

---

(١) رواه أبو داود في الزهد ص (٩٥)، وابن سعد في الطبقات (٣ / ٢٦٦) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة وهو صدوق له أوهام.

(٢) الحشر:٢٢.

(٣) انظر: اشتقاق أسماء الله ص (٢٢-٢٣)، وبدائع الفوائد (٢/٧٨٢).

(٤) مقاييس اللغة (١ / ١٢٧).

(٥) انظر: تفسير السعدي (١ / ٣٩)، بدائع الفوائد (٢ / ٧٨٢).

(٦) الأعراف:١٨٠.

(٧) طه:٨.

ثانياً: «الرحمن – الرحيم»

قال هناد: حدثنا عبدة[١]، عن محمد بن عمرو[٢]، ثنا أبو سلمة[٣]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: "أنا **الرحمن** وهي الرحم، أشققتها من اسمي، فمن يصلها أصله، ومن يقطعها أقطعه فأبته"[٤].

دليله/ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٥].

معناه/ المعنى اللغوي: الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة هي: الرقة والعطف والرأفة، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم؛ لأن بناء فعلان أشدُّ مبالغة من فعيل، مثل ندمان ونديم من المنادمة[٦].

المعنى الشرعي:

الاسمان كما تقدم مشتقان من الرحمة، و «الرحمن» أشدُّ مبالغة من «الرحيم»، ولكن وقع خلاف بين أهل العلم في الفرق بين هذين الاسمين على أقوال، أشهرها:

القول الأول: أن اسم «الرحمن»: هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا والآخرة.

واسم «الرحيم»: هو ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة[٧].

---

(١) عبدة بن سليمان الكلابي، أبو محمد الكوفي، يقال: اسمه عبد الرحمن، ثقة ثبت، مات سنة ١٨٨هـ. التقريب (٤٢٩٧).

(٢) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني، صدوق له أوهام، مات ١٤٥هـ على الصحيح. التقريب (٦٢٢٨).

(٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر، مات سنة ٩٤ أو ١٠٤هـ. التقريب (٨٢٠٣).

(٤) رواه هناد في الزهد (٢ / ٤٨٧)، ورواه أحمد في مسنده (٣ / ١٩٨)، والترمذي في جامعه عن ابن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة، كتاب: البر والصلة، باب "ما جاء في قطيعة الرحم"، برقم (١٩٠٧)، وقال: " حديث سفيان عن الزهري حديث صحيح "، وابن حبان في صحيحه (١٨٦/٢)، والحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي (٢٦٨/٤).

(٥) الفاتحة:٣.

(٦) مقاييس اللغة (٢ / ٤٩٨)، الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١٣٧)، تحفة الأحوذي (٩ / ٤٤٧-٤٤٨).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١ / ١٢٧-١٢٨).

القول الثاني: أن اسم «الرحمن»: مختص بالله ﷻ، لا يجوز أن يُسمَّى به غيره قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[(١)]، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[(٢)]، فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة.

واسم «الرحيم»: قد يوصف به المخلوق، كما قال تعالى في وصف نبينا محمد ﷺ:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)].[(٤)].

القول الثالث: أن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به ﷻ، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[(٥)]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٦)]، ولم يجيء قط رحمن بهم؛ فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته[(٧)].

قال الشيخ ابن عثيمين: "إن ذُكر أحدهما منفرداً عن الآخر، فهو متضمنٌ له، وإن ذُكرا جميعاً؛ فالرحمن باعتبار الوصف، والرحيم باعتبار الفعل"[(٨)].

وهذا المعنى استحسنه ابن القيم – رحمه الله – حيث قال بعد ذكره هذا المعنى:"وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها"[(١)].

---

(١) الإسراء:١١٠.

(٢) الزُّخرُف:٤٥.

(٣) التوبة:١٢٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١ / ١٣٠)، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص (٤٠١-٤٠٢).

(٥) الأحزاب:٤٣.

(٦) التوبة:١١٧.

(٧) انظر: بدائع الفوائد (١ / ٤٢)، مدارج السالكين (١ / ٢٩).

(٨) تفسير سورة النساء لابن عثيمين (١/١١).

ثالثا: « الخالق»

قال جعفر الخلدي: حدثنا أحمد بن محمد[٢]، ثنا أحمد بن أبي الحواري[٣]، قال: "قلت لراهب في صومعته: يا راهب ما أقوى شيء تجدونه في كتبكم؟ قال: ما نجد شيئا في كتابنا أقوى من أن تجعل محبتك، وقوتك كلها في محبة **الخالق**"[٤].

دليله/ قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[٥].

معناه/ المعنى اللغوي: الخلق في كلام العرب يأتي على وجهين[٦]:

أحدهما: الإنشاء والإيجاد على مثال أبدعه لم يُسبق إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٧]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[٨]، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٩].

والآخر: التقدير، ومنه قولهم: "خَلَقَ فلان الأديم": إذا قدَّره للقطع للإصلاح.

وقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[١٠]، أي: تقدّرونه وتخترعونه لتكذبوا به على النبي ﷺ[١١].

المعنى الشرعي:

---

(١) بدائع الفوائد (١ / ٤٢).

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي، شيخ الصوفية، قال الدار قطني: "ليس بالقوي"، مات سنة ٢٩٨هـ. سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٩٤).

(٣) أحمد بن عبد الله بن ميمون التغلبي، يكنى أبا الحسن بن أبي الحواري، بفتح المهملة والواو الخفيفة وكسر الراء، ثقة زاهد، مات ٢٤٦هـ. انظر: الكاشف (١ / ١٩٧)، التقريب (٦١).

(٤) رواه جعفر الخلدي في الزهد ص (٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٨) بسنده إلى ابن أبي الحواري.

(٥) فاطر:٣.

(٦) لسان العرب (٢ / ١٢٤٤)، واشتقاق أسماء الله ص (١٦٧).

(٧) الفرقان:٢.

(٨) يس:٧١.

(٩) القمر:٤٩.

(١٠) العنكبوت:١٧.

(١١) انظر: اشتقاق أسماء الله ص (١٦٧)، وانظر: تفسير السعدي (١ / ٦٢٨)، والتحرير والتنوير (١٩ / ١٧٣).

قال الخطابي: "الخالق: هو المبدع للخلق، والمخترع له على غير مثال سبق، قال سبحانه:﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾[1] ". فأمّا في نعوت الآدميين فمعنى الخلق: التقدير، كقوله ﷻ:﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾[2]، وكقول زهير:

ولأنت تَفْرِي ما خَلَقتَ وبعـ ـض القوم يَخْلُقُ ثم لا يَفْرِي[3]

يقول: إذا قدَّرتَ شيئاً قطعته، وغيرُك يُقدِّر ما لا يقطعه، أي: يتمنى م لا يبلغه"[4].

وقال الزجاج: " فالخلق في اسم الله تعالى: هو ابتداء تقدير النشء، فالله تعالى خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها فتبارك الله أحسن الخالقين"[5].

فالله ﷻ هو الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوَّاها بحكمته، وصوَّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم[6].

رابعاً: « الرب»

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا سعدويه وعلي بن الجعد عن الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[7] ، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[8]، ثم ذكر العبد يطيل السفر أشعث أغبر رافعا يديه **يا رب يا رب** مطعمه حرام، ومشربه حرام، ملبسه

---

(١) فاطر:٣.

(٢) آل عمران:٤٩.

(٣) انظر: ديوان زهير بن أبي سُلمى ص (٣٢).

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص (٤٩).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (١ / ٣٦).

(٦) انظر: تفسير السعدي (١ / ٩٤٧).

(٧) المؤمنون:٥١.

(٨) البقرة:١٧٢.

حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنى يستجاب لهذا"[١].

دليله/ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾[٢].

معناه/ المعنى اللغوي: يقول ابن فارس (رب): الراء والباء يدل على أصول:

فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه. فالربُّ: المالكُ، والخالقُ، والصاحبُ.

والربُّ: المصلح للشيء، يقال ربَّ فلانٌ ضَيْعَتَه، إذا قام على إصلاحها، والله جل ثناؤه الربُّ؛ لأنه مصلح أحوال خلقه.

والأصل الآخر: لزومُ الشيء والإقامةُ عليه. وهو مناسبٌ للأصل الأول. يقال أربَّت السحابةُ بهذه البَلْدة، إذا دامت. وأرضٌ مَرَبٌّ: لا يزال بها مطر؛ ولذلك سُمي السحاب رَبَاباً.

والأصل الثالث: ضمُّ الشيء للشيء. وهو أيضاً مناسبٌ لما قَبْلَه.

ومتى أُنْعِمَ النَّظرُ كان الباب كلُّه قياساً واحداً.[٣]

والربُّ يُطلق في اللغة: على المالكِ والسيدِ والمدبرِ والمربِي والقيمِ والمنعمِ، ولا يُطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ، وإذا أُطلق على غيره أُضيفَ، فقيل: رب كذا.[٤]

وقال الزجاجي[٥]: الربُّ: المصلحُ للشيء، يُقال: "ربَبَتُ الشيءَ أَرُبُّه رَبّاً ورَبَابَة"، إذا أصلحته وقمت عليه، ورب الشيء، مالكه....[٦]

ويمكن القول بأن ما سبق من معاني الربوبية ترجع إلى ثلاثة وهي: المالك، والسيد،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الورع ص (٨٣)، ورواه مسلم في صحيحه بنحوه، كتاب: الزكاة، باب "قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها"، برقم (٢٣٤٦).

(٢) آل عمران: ٥١.

(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٣٨١)مختصراً.

(٤) انظر: لسان العرب (٣ / ١٥٤٦)، تهذيب اللغة (١٥ / ١٢٨)، تاج العروس (٢ / ٤٥٩).

(٥) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، شيخ العربية في عصره، وكان إماماً في علم النحو، ولد في نهاوند، ونشأ في بغداد، وسكن دمشق وتوفي في طبرية (من بلاد الشام)، سنة ٣٣٧هـ، له مصنفات منها: كتاب الجمل الكبرى، الايضاح في علل النحو. سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٧٥)، وفيات الأعيان (٣ / ١٣٦)، الأعلام للزركلي (٣ / ٢٩٩).

(٦) اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي ص(٣٢).

والمصلح، وقد ذكر هذا ابن الأنباري[١] بقوله:" الرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع.... ويكون الرب المصلح".[٢]

وأما الربوبية في الاصطلاح الشرعي، فلا يختلف كثيراً عن معناها في اللغة.

قال الطبري – رحمه الله – بعد ذكره المعاني الثلاث المتقدمة من قول ابن الأنباري: " وقد يتصرف أيضا معنى «الرب» في وجوهٍ غير ذلك، غيرَ أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة، فربُّنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر"[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل" [٤].

ويقول أيضاً: "الربوبية وأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه"[٥].

ويقول في موضع آخر: "وأن الله هو رب كل شيء وعالم بكل شيء ومليكه لا يخلق ولا يرزق إلا هو ولا يعطى ولا يمنع إلا هو"[٦].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "والرب هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها"[٧].

قال ابن سعدي – رحمه الله -:"الرب: هو المربي جميع العالمين –وهم من سوى الله– بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى...فدلَّ قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٨]، على انفراده

---

(١) الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي، له مصنفات منها :كتاب الوقف والابتداء، وكتاب الزاهر في اللغة، مات سنة ٣٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٧٤).

(٢) انظر: لسان العرب (٣ / ١٥٤٧).

(٣)جامع البيان (١ / ١٤٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ٩٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٩٧).

(٦) الاستقامة (٢ / ٣٢).

(٧) بدائع الفوائد لابن القيم (٤ / ١٥٤٣).

(٨) الفاتحة:٢.

بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار"[١].

وقال أيضا:"والرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم؛ ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة"[٢].

خامساً: «السميع»

قال هناد: حدثنا حسين الجعفي[٣] عن زائدة[٤] عن عبدالملك بن عمير[٥] عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى[٦] عن معاذ ﷺ قال: استب رجلان عند النبي ﷺ، فغضب أحدهما غضباً شديداً، حتى إنه ليخيل إلي أني أرى أنفه يتمزع، فقال: يا رسول الله إني لأعرف كلمة إن يقولها هذا الغضبان لذهب عنه غضبه: "أعوذ بالله **السميع العليم** من الشيطان الرجيم"[٧].

دليله/ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[٨] .

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٣٩).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٩٤٥).

(٣) الحسين بن علي بن الوليد الجعفي الكوفي، المقرىء ثقة عابد، مات سنة ٢٠٣هـ، وله أربع أو خمس وثمانون سنة. الكاشف (١ / ٣٣٤)، التقريب (١٣٤٤).

(٤) زائدة بن قدامة الثقفي، أبو الصلت الكوفي، ثقة ثبت، صاحب سنة، مات سنة ١٦٠هـ، وقيل بعدها. الكاشف (١/٤٠٠)، التقريب (١٩٩٣).

(٥) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الكوفي ويقال له الفرسي بفتح الفاء والراء ثم مهملة، ثقة فصيح عالم تغير حفظه وربما دلس، مات سنة ١٣٦هـ. الكاشف (١ / ٦٦٧)، التقريب (٤٢٢٨).

(٦) ثقة تقدم.

(٧) رواه هناد في الزهد (٢ / ٦٠٩)، وفيه اللخمي وهو متهم بالتدليس وقد عنعن، ورواه أحمد في المسند (٤٢٥/٣٦)، والنسائي في الكبرى، كتاب: عمل اليوم والليلة، باب "ماذا يقول إذا غضب.."، برقم (١٠١٤٩)، وقال: أخبرنا أحمد بن سليمان قال حدثنا حسين عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ نحوه، ورواه أبو داود، كتاب: الأدب، باب "ما يقال عند الغضب"، برقم (٤٧٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود ص (٣٩٢).

(٨) البقرة:١٢٧.

معناه/ المعنى اللغوي: السميع على وزن فعيل من أبنية المبالغة في معنى فاعل، والله سامع وسميع.

ويجيء في كلامهم: سمع بمعنى أجاب، من ذلك ما يقوله المصلي عند رفعه من الركوع: سمع الله لمن حمده. بمعنى: استجاب(١).

وبيان الفرق بينهما – السميع والسامع – فيما يلي من المعنى الشرعي.

المعنى الشرعي: قال الإمام الطبري – رحمه الله – : "وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢) يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول"(٣).

قال ابن سعدي – رحمه الله –:"يسمع جميع ما نطق به الناطقون، سواء من أسر القول، ومن جهر به"(٤).

قال الخطابي – رحمه الله –: "السميع: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغُ في الصفة، وبناءُ فعيل: بناءُ المبالغة. كقولهم: عليم: من عالم...وهو الذي يسمع السِّرَ والنجوى، سواءٌ عند الجهر، والخُفُوت، والنطق، والسُّكُوت، وقد يكون السماع بمعنى: القبول والإجابة"(٥).

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – فعل السمع وما يتعلق به من معانٍ، وجعل ذلك على أربعة أقسام، فقال: "فعل السمع يُراد به أربعة معان:

أحدهما: سَمْعُ إدراك، ومُتعلَّقُه الأصوات.

الثاني: سَمْعُ فهم وعقل، و ومُتَعلَّقُه المعاني.

الثالث: سَمْعُ إجابة وإعطاء ما سُئل.

الرابع: سَمْعُ قبول وانقياد.

---

(١) انظر: لسان العرب (٣ / ٢٠٩٦)، وتفسير الأسماء للزجاج ص (٤٢).

(٢) الشورى:١١.

(٣) جامع البيان (٢١ / ٥١٠).

(٤) تفسير السعدي (١ / ٣٢٤).

(٥) شأن الدعاء ص (٥٩).

فمن الأول: قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى﴾[١]، قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾[٢].

ومن الثاني: قوله: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾[٣]، ليس المراد سمع مجرد الكلام، بل سَمْع الفهم والعقل، ومنه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[٤].

ومن الثالث: "سمع الله لمن حمده" وفي الدعاء المأثور "اللهم اسمع"[٥] أي: أجب وأعط ما سألتك.

ومن الرابع: قوله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾[٦] ، أي: قابلون له ومنقادون غير منكرين له"[٧].

فالسميع المدرك لكل المسموعات على اختلاف لغاتها وأنواعها، والمجيب لدعاء عباده إذا توجهوا إليه بالدعاء.

سادساً: «العليم»

دليله/ قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٨]

معناه/ المعنى اللغوي: عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً نقيض جَهِلَ، ورجل علاَّمة وعلاَّم وعليم. وعليم فعيل من أبنية المبالغة، علمت الشيء بمعنى عرفته وخبرته[٩].

---

(١) المجادلة:١.

(٢) آل عمران:١٨١.

(٣) البقرة:١٠٤.

(٤) البقرة:٢٨٥.

(٥) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٠٢).

(٦) المائدة:٤١.

(٧) بدائع الفوائد (٢ / ٥٠٧).

(٨) البقرة:١٣٧.

(٩) انظر: كتاب العين (٢ / ١٥٢)، لسان العرب (٤ / ٣٠٨٣-٣٠٨٤).

المعنى الشرعي: قال ابن القيم: "العالم بكل شيء الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم فلا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه يعلم دبيب الخواطر في القلوب حيث لا يطلع عليها الملك ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطلع عليه القلب"(١).

وقال ابن سعدي: "العليم.. وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"(٢).

فَعِلْمُ الله ﷻ محيط بكل شيء، بما كان وما يكون، وما هو كائن، وما لم يكن لو كان كيف يكون، سبحانه وتعالى.

سابعاً: « الملك– المليك»

قال ابن المبارك: أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر(٣) حدثنا عبد الجبار بن عبيد الله بن سليمان(٤) قال: أقبل عيسى بن مريم على أصحابه ليلة رُفِعَ، فقال لهم: " لا تأكلوا بكتاب الله فإنكم إن لم تفعلوا أقعدكم الله على منابر، الحَجَر منها خير من الدنيا وما فيها" قال عبد الجبار: وهي المقاعد التي ذكر الله في القرآن ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾(٥)، ورُفِعَ(٦).

قال وكيع: عن الأعمش(٧) عن مجاهد(٨) عن عبدالله بن ضمرة(١) عن كعب(٢) قال:" ما

---

(١) طريق الهجرتين (١ / ٢٧٠).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٩٤٥).

(٣) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، أبو عتبة الشامي الداراني، ثقة، مات سنة ١٠٠بضع وخمسين للهجرة. التقريب (٤٠٦٨).

(٤) أبو عبد رب الدمشقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، أو عبد رب العزة، قيل: اسمه عبد الجبار، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: قسطنطين، وقيل: فلسطين، وهو غلط، مقبول، مات سنة ١١٢هـ. التقريب (٨٢٨٢).

(٥) القمر:٥٥.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد ط. الأعظمي ص (٤٠٠)، وهو من الإسرائيليات.

(٧) تقدم.

(٨) تقدم.

من صباح إلا وملكان يناديان: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً، وملكان يناديان: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر، وملكان يناديان: سبحان **الملك القدوس**، وملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان"(٣).

دليله/ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾(٤)، ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٥).

معناه/ المعنى اللغوي: أصلُ الملك في اللغة: الربْط، والشدُّ، يُقال: مَلَكْتُ العَجينَ أملِكُه مَلْكًا، إذا شدَدْت عَجْنَه ومَلَكْت الشيء: قويته(٦).

والمِلْك والمُلْك والمِلِك هو: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به(٧).

والفرق بين "المَلِك" و"المليك": فالملك وصف فعلي له، وهو مشعرٌ بتصرفه في الممتلكات على مراده، والمليك من صيغ المبالغة على وزن فعيل، وهو المالك العظيم الملك، وهو يشمل معنى الملِك والمالك.

وجمع الملِكِ مُلوك، وجمع المِليك مُلَكاء(٨).

المعنى الشرعي: قال الزجاج:"وقال أصحاب المعاني: المِلِكُ، النافذُ الأمْرِ في مُلكه، إذ ليس كلُّ مالِك يَنْفُذُ أمرُهُ، وتصرُّفُه فيما يملِكُه، فالملك أعم من المالك، والله تعالى مالكُ المالكين كُلِّهم، والمِلاَّكُ إنما استفادوا التصرُّف في أملاكهم من جهته تعالى"(٩).

---

(١) عبد الله بن ضمرة السلولي، وثقه العجلي، من الثالثة. الكاشف (٥٦٣/١)، التقريب (٣٤١٧).

(٢)كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ثقة، مات في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة. التقريب (٥٦٨٤).

(٣) رواه هناد في الزهد (٣٣٩/١)، ووكيع في الزهد (٦٦٦/٢)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق من طريق الأعمش إلى قوله "تلفا" (١٣٣٢/٣)، وفيه الأعمش وقد عنعن، والأثر له شواهد مرفوعة إلى قوله " وأعط ممسكاً تلفاً " منها ما رواه البخاري: كتاب الزكاة، برقم (١٤٤٢)، ومسلم: كتاب الزكاة، برقم (٢٣٦٣).

(٤) الحشر:٢٣.

(٥) القمر:٥٥.

(٦) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٣٥٢)، تفسير أسماء الله للزجاج ص (٣٠).

(٧) انظر: لسان العرب (٦ / ٤٢٦٧).

(٨) انظر: لسان العرب (٦ / ٤٢٦٦)، الأسنى للقرطبي ص (٣٦٤)، أسماء الله الحسنى للكويتي ص (٨٩-٩٠).

(٩) تفسير أسماء الله للزجاج ص (٣٠).

قال ابن جرير: "الملك: الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه"[١].

قال ابن كثير:"وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾[٢]. أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة"[٣].

قال ابن القيم: "المتصرف في الممالك كلها وحده، تصرف ملَكٍ قادرٍ قاهرٍ، عادلٍ رحيمٍ، تامُّ الملك، لا ينازعه في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان، والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج تصرفه عن ذلك "[٤].

فالله ﷻ له الملك التام والتصرف المطلق في جميع خلقه، وله الأمر والجزاء، مالك العالم العلوي والسفلي ﷻ.

ثامناً: « القدوس»

دليله/ قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٥].

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس:" قدس: القاف والدال والسين أصل صحيح، وأظنه من الكلام الشرعي الإسلامي، وهو يدل على الطهر"[٦].

والقدوس[٧]: فعول من أبنية المبالغة، ويُقال: قُدُّس وقَدُّس، والضم أكثر.

وهو من القُدس أي: الطهارة، ونقدِّسهُ أي: نطهِّرُهُ، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٨]. قال الزجاجي: "أي ننسبك إلى الطهارة"[٩].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ٣٠٢).

(٢) الحشر:٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير (٨ / ٧٩).

(٤) طريق الهجرتين (١ / ٢٦١).

(٥) الجمعة:١.

(٦) مقاييس اللغة (٥ / ٦٣).

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٨ / ٣٠٣)، النهاية لابن الأثير (٤ / ٢٣)، لسان العرب (٥ / ٣٥٤٩).

(٨) البقرة:٣٠.

(٩) اشتقاق أسماء الله ص (٢١٤).

وقال أيضاً: "الأرض المقدَّس: يُراد المطهرة بالتبرك"[1]. وقد يُراد بالبركة هنا: بركة الأعمال بالمضاعفة.

وقال الخطابي: "ومنه سُمي بيت المقدس، ومعناه: بيت المكان الذي يُتطهر فيه من الذنوب"[2].

المعنى الشرعي: قال الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[3]:" "ونقدس لك"، ننسبك إلى ما هو من صفاتك، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك"[4]، قال الرب ﷻ:﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[5].

فالله هو القُدّوس والمقدَّس والمتقدِّس أي: الطاهر المنزه عن النقائص والعيوب، الموصوف بصفات الكمال[6].

تاسعاً: « الجبار»

قال المعافى الموصلي: عن أبي شهاب[7]، قال: أخبرني أبو سنان[8]، عن عبد الله بن السائب[9]، عن زاذان[10]، عن ابن مسعود ﷺ قال: " إذا جثت الأمم للحساب أثاب قوم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شأن الدعاء ص(٤٠).

(٣) البقرة:٣٠.

(٤) تفسير الطبري (١ / ٤٧٥).

(٥) الجمعة:١.

(٦) انظر: كتاب العين (٥ / ٧٣)، تفسير ابن كثير (٨ / ١١٥).

(٧) عبد ربه بن نافع الكناني الحناط بمهملة ونون، نزيل المدائن، أبو شهاب الأصغر، صدوق يهم، مات سنة ١٧٢هـ. التقريب (٣٨١٤).

(٨) ضرار بن مرة الكوفي، أبو سنان الشيباني الأكبر، ثقة ثبت، مات سنة ١٣٢هـ. التقريب (٣٠٠٠).

(٩) عبد الله بن السائب بن يزيد الكندي، أبو محمد المدني، وثقه النسائي، والذهبي، مات سنة ١٢٦هـ. التقريب (٣٣٥٨).

(١٠) زاذان أبو عمر الكندي، البزاز، ويكنى أبا عبد الله أيضا، صدوق يرسل وفيه شيعية، ووثقه الذهبي، مات ٨٢هـ. التقريب (١٩٨٨).

إلى الجنة، تقول الملائكة: أين أين؟ ألستم تعلمون أن اليوم يوم الدين؟ فيقولون: بلى، ولكنكم لم تؤتونا مالاً ولا سلطاناً تثيبونا عليه، قال: فيقول **الجبار** تبارك وتعالى: صدق عبادي، خلوا بينهم وبينها، فيدخلون الجنة فيحلون بحليتها، يوسمون بسيماها مقدار أربعين عاما، والناس في الحساب، وإنهم يومئذ أشد تعلقا بعضهم ببعض في حقوقهم من أهل الدنيا، الأب بابنه، والابن بأبيه ، والأخ بأخيه، والزوجة بزوجها، والزوج بزوجته"، وقرأ عبد الله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[1]. قال: " ويؤتى بالرجل الذي كان يظلم الناس في الدنيا فيوكل به ملك، فيقال له: قص لهم من حسناته، قال: فيقص لهم، حتى لا تبقى لهم من حسنة، ويبقى له طلاب كثير، فيقال له: خذ من سيئاتهم بقدر ظلامته إياهم فردها على سيئاته، وصك له صكا إلى النار "[2].

دليله/ قال تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[3] .

معناه/ المعنى اللغوي: جبَّار: فعّال من أبنية المبالغة، ويدل على عدة معانٍ[4]:

الأول: العظيم القوي الجسم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[5] .

الثاني: الشيء الطويل، ومنه قولهم : نخلة جبَّارة وهي: التي لا تنالها اليدُ طُولاً.

الثالث: التكبر، كقولهم: تجبَّر الرجل إذا تكبر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[6] .

الرابع: المصلح، ومنه قول: جَبَرتُ العظمَ إذا أصلحه، وجبر الفقير إذا أغناه.

المعنى الشرعي: قال ابن جرير: "الجبار يعني: المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم"[7].

---

(١) المؤمنون:١٠١.

(٢) رواه المعافى الموصلي في الزهد ص (٢٠٥)، والكندي روى عن ابن مسعود.انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٨٠).

(٣) الحشر:٢٣.

(٤) انظر: النهاية في غريب الأثر (١ / ٢٣٥)، لسان العرب (١ / ٥٣٤)، الأسنى (٣٨٠-٣٨٢)، شأن الدعاء ص(٤٨)، تفسير أسماء الله للزجاج ص (٣٤).

(٥) المائدة:٢٢.

(٦) مريم:٣٢.

(٧) تفسير الطبري (٢٣ / ٣٠٤).

وقال قتادة: المتكبر: يعني عن كل سوء[1].

وقال الخطابي: "ويُقال: هو جَبَرَ مفاقِرَ الخلْق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق.

ويُقال: بل الجبار: العالي فوق حلقه"[2].

قال ابن سعدي: الجبار: "هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه"[3].

فيكون معن الجبار في حق الله تعالى على وجوه:

الأول: "الجبار" العالي على خلقه.

الثاني: "الجبار" المتعاظم المتكبر عن النقائص والعيوب.

الثالث: "الجبار" القاهرُ خلْقَه على ما أراد من أمر أو نهي[4].

الرابع: "الجبار" المصلح لأمور خلقه.

فعلى المعنى الأول والثاني يدل على صفة ذاتية، وعلى المعنى الثالث والرابع يدل على صفة فعلية.

عاشراً: « العلي-الأعلى»

قال هناد: حدثنا محمد بن عبيد[5]، عن إسماعيل بن أبي خالد[6]، عن رجل[7]، عن أبي ذر ﷺ قال: "أوصاني رسول الله ﷺ بسبع: أحب المساكين وأدنو منهم، وأن أصل رحمي وإن جفاني، وأن أنظر إلى من هو أسفل مني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أتكلم بمر الحق ولا أخاف في الله لومة لائم، ولا أسأل أحداً شيئاً، وأن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ٨٠).

(٢) شأن الدعاء ص (٤٨).

(٣) تفسير السعدي (١ / ٩٤٦).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١١ / ٤١)، لسان العرب (١ / ٥٣٤).

(٥) محمد بن عبيد بغير إضافة بن أبي أمية الطنافسي الكوفي، الأحدب، ثقة يحفظ، مات سنة ٢٠٤هـ. االتقريب (٦١٥٤).

(٦) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي ثقة ثبت من الرابعة مات سنة ١٤٦هـ. التقريب (٤٤٢).

(٧) مبهم.

العلي العظيم"[1].

قال ابن المبارك: أخبرنا شعبة[2] عن عمرو بن مرة[3] قال سمعت أبا حمزة رجلا من الأنصار[4] قال ابن صاعد: يقال له: طلحة مولى قرظة بن كعب القرظي، وقال لنا ابن صاعد مرة أخرى: سلمة مولى قرظة يحدث عن رجل من بني عبس، قال ابن صاعد: وهذا الذي لم يسم هو عندي صلة بن زفر العبسي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه صلى مع رسول الله ﷺ من الليل فلما دخل في الصلاة قال: "**الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة،** ثم قرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قراءته، فكان يقول: سبحان ربي **العظيم،** ثم رفع رأسه فكان قيامه نحوا من ركوعه، فكان يقول: لربي الحمد لربي الحمد، ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه، فكان يقول: سبحان ربي **الأعلى،** ثم رفع رأسه فكان بين السجدتين نحوا من السجود، فكان يقول: ربي اغفر لي ربي اغفر لي، حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام" قال شعبة: لا أدري المائدة أو الأنعام[5].

دليله/ قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[6] .

---

(١) رواه هناد في الزهد (٢ / ٤٩٣)، ورواه أحمد في الزهد بسنده إلى محمد بن واسع عن أبي ذر رضي الله عنه (١ / ٧٧)، والبزار في مسنده (٩ / ٣٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢ / ١٥٦)كلاهما عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنهما.

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة حافظ متقن، مات ١٦٠هـ. التقريب (٢٨٠٥).

(٣) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي بفتح الجيم والميم، أبو عبد الله الكوفي الأعمى، ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء، مات سنة ١١٨هـ. االتقريب (٥١٤٧).

(٤) طلحة بن يزيد الأيلي، بفتح الهمزة وسكون الياء، أبو حمزة، مولى الأنصار، نزل الكوفة، وثقه النسائي، من الثالثة. التقريب (٣٠٥٥).

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد (١ / ٣٣)، ورواه أحمد في المسند (٣٨ / ٣٩٢)، والنسائي في الصغرى، كتاب: التطبيق، باب "ما يقول في قيامه ذلك"، برقم (١٠٧٠)، والبغوي في شرح السنة (٤ / ٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤٦٦/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٤٩/١)، وأخرج مسلم بعضه برقم (١٨١٤).

(٦) الأعلى:١.

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس: " العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو ألفا، أصلٌ واحد يدل على: السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك العلاء والعلو. ويقولون: تعالى النهار، أي ارتفع."[1].

وقال الزجاجي:"العليُّ: فعيل من العلو والعلاء، والعلاء: الرفعة والسناء والجلال"[2].

وقال الخطابي:"العليُّ: هو العالي القاهر، فعيل بمعنى فاعل"[3].

وقال في اللسان:"الأعلى: هو الله الذي هو أعلى من كل عال، واسمه الأعلى، أي صفته أعلى الصفات، والعلاء الشرف، وذو العلا صاحب الصفات العلا، والعلا جمع العليا، أي جمع الصفة العليا والكلمة العليا، ويكون العلى جمع الاسم الأعلى"[4].

فالعلي العالي الذي ليس فوقه شيء، والأعلى على وزن أفعل التفضيل وهو المرتفع عن غيره.

المعنى الشرعي: قال ابن خزيمة[5]:" وقال جل وعلا ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[6]، فالأعلى مفهوم في اللغة أنه أعلى شيء، وفوق كل شيء، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه أعلمنا أنه العلي العظيم، أفليس العلي يا ذوي الحجا ما يكون عليا"[7].

والله ﷻ له العلو بجميع أنواعه:

فله علو الذات من اسمه (العَلِيِّ)، وعلو القدر والصفات من اسمه (الأعلى)، وعلو القهر من اسمه (المتعال)[8]، وإن كان الواحد منها يشمل جميع أنواع العلو.

---

(١) مقاييس اللغة (٤ / ١١٢).

(٢) اشتقاق الأسماء ص (١٠٨).

(٣) شأن الدعاء ص (٦٦).

(٤) لسان العرب (٤ / ٣٠٨٩).

(٥) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري، عني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والاتقان، قال الحافظ أبو علي النيسابوري: لم أر أحدا مثل ابن خزيمة. وقال الدارقطني: كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً، معدوم النظير. ولقبه السبكي بإمام الأئمة، له مصنفات منها: كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب، وصحيح ابن خزيمة . انظر: تذكرة الحفاظ (٢ / ٢٠٧)، سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٦٥)، الأعلام للزركلي (٦ / ٢٩).

(٦) الأعلى: ١.

(٧) التوحيد لابن خزيمة (١ / ١٦٤).

(٨) أشار إلى هذا صاحب اللسان (٤ / ٣٠٨٩).

يقول ابن القيم: "فإن من لوازم اسم العلي: العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه، علو القَدْرِ، وعلو القَهْرِ، وعلو الذات"[١].

ويقول السعدي: " (العلي الأعلى) وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر، فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى"[٢].

الحادي عشر: «العظيم»

دليله/ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس:"(عظم) العين والظاء والميم: أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة.

فالعِظم: مصدر الشيء العظيم.

ومن الباب العظم، معروف، وهو سمي بذلك؛ لقوته وشدته"[٤].

وعَظَّمَهُ يُعَظِّمُهُ تعظيماً أي : كبّره[٥].

فعلى هذا العظيم يشمل معنين:

أحدهما: عِظَمُ الأجسام وكثرة أجرامها.

الآخر: العلو، والقدْر، ورفع المنزلة[٦].

وهذان المعنيان يندرجان تحت الأصل الذي ذكره ابن فارس، وهو: الكبر والقوة.

المعنى الشرعي: قال الزجاجي: "العظيم: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه ﷻ"[١].

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٧-٢٨).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٩٤٦).

(٣) البقرة:٢٥٥.

(٤) مقاييس اللغة (٤ / ٣٥٥) باختصار.

(٥) انظر: كتاب العين (٢ / ٩١).

(٦) الأسنى للقرطبي ص (١٧٧-١٧٨).

قال ابن الأثير: "هو الذي جاوز قدره وجل عن حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته "(٢).

وذكر ابن القيم – رحمه الله – أن اسم الله "العظيم" من الأسماء التي تدل عدة صفات وكمالات، حيث يقول:" فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال"(٣).

ولذلك يمكن القول بأن معاني التعظيم الثابتة لله ﷻ أنواع:

الأول: العظيم في ذاته: قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾(٤) . فذكر الله ﷻ في هذه الآية عظيم قدرته سبحانه، ومن ذلك أن السموات والأرض على عظمها فهي في قبضته ﷻ.

الثاني: العظيم في صفاته: فهو سبحانه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه.

الثالث: من معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله؛ فيستحق ﷻ من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم(٥).

الرابع: ومن معاني عظمته تعالى: أنه الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق؛ فلا يمكن أن يُعصى كرهاً، أو يُخالف أمره قهراً، فهو العظيم حقاً وصِدْقاً(٦).

الثاني عشر: «ذو الجبروت»

دليله/ جاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول في ركوعه: "سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة"(٧).

---

(١) اشتقاق أسماء الله ص (١١١).

(٢) النهاية (٣ / ٢٥٩-٢٦٠).

(٣) بدائع الفوائد (١ / ٢٨٢).

(٤) الزُّمَر:٦٧.

(٥) الحق الواضح لابن سعدي من المجموعة الكاملة (٣/٢٢٤).

(٦) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/١٩٥).

(٧) روى هذا الدعاء جمع من أهل الحديث، فقد رواه أحمد في المسند (٣٩ / ٤٠٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة

وقد تقدم معنى جبروت الله ﷻ عند الكلام عن اسمه تعالى «الجبار».

الثالث عشر: «ذو المَلَكُوت»

دليله/ الحديث المتقدم في اسمه ﷻ «ذو الجبروت» .

معناه/ ملكوت في اللغة بمعنى: مُلك إلا أن فيه معنى المبالغة(١).

قال في اللسان: " ومُلْكُ الله تعالى ومَلَكُوته: سلطانه وعظمته، ولفلان مَلَكُوتُ العراق أي: عِزُّهُ وسلطانه ومُلْكه"(٢).

وقال في الصحاح: "والملكوتُ من الملِك، كالرهبوت من الرهبة"(٣).

وقد تقدم معنى ملك الله ﷻ عند الكلام عن اسمه تعالى «الملك والمليك».

الرابع عشر: «ذو الكبرياء»

دليله/ الحديث المتقدم في اسمه ﷻ «ذو الجبروت» .

معناه/ المعنى اللغوي: الكِبر: نقيض الصغر، وكَبُرَ بالضم يَكْبُرُ أَي: عَظُم فهو كبير (٤).

وقال ابن فارس: "والكِبْر: العظَمة، وكذلك الكِبرياء، ويقال: ورِثوا المجد كابراً عن كابر، أي: كبيراً عن كبيرٍ في الشَّرفِ والعِزّ، وعلَتْ فلاناً كَبْرَةٌ، إذا كَبِر، ويقال: أكبَرْتُ الشيء: استعظمتُه"(٥).

(٧٨٠/٢)، والبزار في مسنده (٧ / ١٨٣)، والطبري في التفسير (٢٤ / ٤١٩)، والفريابي في فضائل القرآن (٢١٢)، وأبو داود في سننه برقم (٨٧٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٣٤٤)، وفي الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص (٧٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٤٧/١)، وقد رواه غير هؤلاء كما تقدم في الحديث المشتمل على هذا الاسم الوارد في آثار الزهد وتصحيح الحاكم له.

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢ / ٤٤٩)، تهذيب اللغة (١٠ / ١٥٠)، كتاب الكليات (١ / ١٤١٩).

(٢) لسان العرب (٦ / ٤٢٦٦).

(٣) الصحاح للجوهري (٥ / ٢٩٦).

(٤) لسان العرب (٣٨٠٧/٥)، النهاية في غريب الأثر (٤ / ١٤٠).

(٥) معجم مقاييس (٥ / ١٥٤).

المعنى الشرعي: قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى «المتكبر والكبير» أي العظيم ذو الكبرياء.

وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه.

والتاء فيه للتفرد والتخصص، لا تاء التعاطي والتكلف.

والكبرياء: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات، وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالى"[(١)].

وقال البيهقي: "المتكبر: هو المتعالي عن صفات الخلق، وهذه صفة يستحقها بذاته، وقيل: هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فقصمهم"[(٢)].

ومعنى الكبرياء يرجع إلى نوعين:

أحدهما: يرجع إلى صفاته ﷻ، وأن له جميع معاني العظمة والجلال، كالقوة، والعزّة..وغيرها من أوصاف العظمة والكبرياء، وأن له القدرة التامّة، قال ﷻ:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٣)] .

الثاني: أنه لا يستحقُّ أحدٌ التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غيره ﷻ، فيستحق على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، فيُطاع ولا يُعصى، ويُشكر ولا يُكفر[(٤)].

الخامس عشر: «ذو العظمة»

دليله/ الحديث المتقدم في اسمه ﷻ «ذو الجبروت» .

وقد تقدم معنى عظمة الله ﷻ عند الكلام عن اسمه تعالى «العظيم».

(١) النهاية (٤ / ١٣٩-١٤٠).

(٢) الاعتقاد والهداية ص (٥٠).

(٣) الزُّمَر:٦٧.

(٤) انظر: فقه الأسماء للبدر ص (١٥١-١٥٢).

السادس عشر: «الحكم »

قال ابن المبارك: أخبرنا جرير بن حازم(١)، قال سمعت الحسن(٢)، يقول: لما أصاب داؤد الخطيئة خر ساجداً أربعين ليلة، فقيل له: يا داؤد أرفع رأسك، فقد عفوت عنك، قال: يا رب أنت **حكم** عدل، لا تظلم، وقد قتلت الرجل، قال: استوهبك منه، فيهبك لي ، فأثيبه الجنة(٣).

لك

دليله/ قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾(٤).

معناه/ المعنى اللغوي: الحَكَمُ والحَاكِمُ بمعنى واحد، وأصل "حَكَمَ" في الكلام: المنع. يُقال: حكَمتُ الرجل عن الفساد، إذا منعته منه، وسُمي الحاكم حاكماً؛ لأنه يمنع الخصمين من التظالم، قال تعالى: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٥) (٦).

المعنى الشرعي: قال ابن جرير في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾(٧) :"أي: قل: فليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزه، لأنه لا حكم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه"(٨).

قال الخطابي: "وحقيقته: هو الذي سَلِمَ له الحُكْمُ، ورُدَّ إليه فيه الأمرُ، كقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٩) "(١٠).

---

(١) تقدم.

(٢) البصري.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد ط. الأعظمي ص (١٦٤)، ورواه الطبري في تفسيره (٢١ / ١٨٦)، وابن أبي الدنيا الرقة والبكاء ص (٧٠) كلاهما بدون قصة القتل، والظاهر أنها من أخبار بني إسرائيل..

(٤) الأنعام:١١٤.

(٥) الزُّمَر:٤٦.

(٦) انظر: تفسير أسماء الله للزجاج ص (٤٣)

(٧) الأنعام:١١٤.

(٨) تفسير الطبري (١٢ / ٦٠).

(٩) القصص:٨٨.

(١٠) شأن الدعاء ص (٦١).

وقال الحُليمي: "هو الذي إليه الحُكم، وأصل الحكم منع الفساد، وشرائع الله تعالى كلها استصلاح العباد"[(١)].

وحكم الله ﷻ في خلقه نوعان[(٢)]:

١- حُكْمٌ كونيٌّ قدري: واقع لا محالة هو ما قدر الله تعالى أنه سيحصل وقوعه فعلا، فإذا حكم كونا بوقوع شيء فلا بد أن يقع ولا يستلزم ذلك محبته، فقد يحكم الله كونا بوقوع ما لا يرضاه لحكمة يعلمها ﷻ، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[(٣)].

٢- حكم شرعي ديني: وهو الحكم التكليفي الشرعي، أي ما طلب الله من العباد تطبيقه والعمل به من الأحكام الشرعية، وهذا لا يستلزم الوقوع إذ قد يقع وقد لا يقع. فقد أمر الله أبا جهل بالإيمان ولم يؤمن، كقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)].

السابع عشر: «الحكيم»

قال وكيع: حدثنا سفيان[(٥)] عن حصين بن عبد الرحمن[(٦)] ، عن أبي الضحى[(٧)] ، عن مسروق[(٨)] ، أن تميماً الداري ﷺ: ردد هذه الآية حتى أصبح ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن

---

(١) المنهاج (١/٢٠٧).

(٢) انظر: طريق الهجرتين (١/٧٤-٧٥)، الفوائد ص (٢٤٩).

(٣) الرعد:٤١.

(٤) لمائدة:٤٣.

(٥) الثوري تقدم.

(٦) حصين بن عبد الرحمن السلمي، أبو الهذيل، الكوفي، ثقة تغير حفظه في الآخر، من الخامسة مات سنة ١٣٦هـ. الكاشف (١ / ٣٣٨)، التقريب (١٣٧٨).

(٧) مسلم بن صبيح بالتصغير الهمداني، أبو الضحى، الكوفي العطار مشهور بكنيته، ثقة فاضل، مات سنة ١٠٠هـ. الكاشف (٢ / ٢٥٩)، التقريب (٦٦٧٦).

(٨) تقدم.

تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1] [2].

دليله/ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3].

معناه/ المعنى اللغوي: قال الزجاج:"الحكيم من الرجال: يجوز أن يكون "فعيلاً" في معنى "فاعل"، ويجوز أن يكون في معنى "مُفْعِلٍ"، والله حاكم، وحكيم.

والأشبه أن تَحملَ كلَّ واحدٍ منهما على معنًى غير معنى الآخر؛ ليكون أكثر فائدةً.

فحكيمٌ بمعنى مُحْكِمٍ، والله تعلى مُحكمٌ للأشياء، متقن لها"[4].

المعنى الشرعي: قال الحليمي:"ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم"[5].

وقال الخطابي: "الحكيم: هو المحْكِمُ لخلق الأشياء...ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحُسن التقدير لها...كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾[6] "[7].

وقال ابن القيم:" أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحةٍ وحكمةٍ هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل"[8].

وقال ابن سعدي:"هو تعالى الحكيم: الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام

---

(١) المائدة:١١٨.

(٢) رواه وكيع في الزهد (٣٨٩/١)، رجاله ثقات وإسناده صحيح، ورواه أحمد في الزهد عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ ص (٣٥).

(٣) البقرة:٣٢.

(٤) تفسير أسماء الله للزجاج ص (٥٢).

(٥) المنهاج (١٩١/١-١٩٢).

(٦) الفرقان:٢.

(٧) شأن الدعاء ص (٧٣).

(٨) شفاء العليل (٣ / ١٠٢٥)

القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال"[١].

وبالجملة متعلقاته المخلوقات والشرائع، وكلها في غاية الإحكام.

الثامن عشر: «العزيز»

قال وكيع: حدثنا سفيان[٢] عن حصين بن عبد الرحمن[٣] ، عن أبي الضحى[٤] ، عن مسروق[٥] ، أن تميماً الداري رضي الله عنه: ردد هذه الآية حتى أصبح ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[٦] [٧].

تقدم دليله عند اسم الله عز وجل «الجبار».

معناه/ المعنى اللغوي: العزيز في كلام العرب يأتي على أربعة أوجه:

الأول: الغالب القاهر، والعزّة الغلبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٨] ، أي في محاورة الكلام.

الثاني: الجليلُ الشريفُ، كقوله عز وجل: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[٩] ، أي ليُخرجنَّ الجليلُ الشريفُ منها الذليل.

---

(١) الحق الواضح (٣/٢٣٧).

(٢) الثوري تقدم.

(٣) حصين بن عبد الرحمن السلمي، أبو الهذيل، الكوفي، ثقة تغير حفظه في الآخر، من الخامسة مات سنة ١٣٦هـ. الكاشف (١ / ٣٣٨)، التقريب (١٣٧٨).

(٤) مسلم بن صبيح بالتصغير الهمداني، أبو الضحى، الكوفي العطار مشهور بكنيته، ثقة فاضل، مات سنة ١٠٠هـ. الكاشف (٢ / ٢٥٩)، التقريب (٦٦٧٦).

(٥) تقدم.

(٦) المائدة:١١٨.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) ص:٢٣.

(٩) المنافقون:٨.

الثالث: القوي، كقولهم: "أعزه الله بولده"، أي قوّاه بهم.

الرابع: الشيء القليل الوجود، المنقطع النظير، يُقال: "عزّ الشيءُ عزَّة فهو عزيز"، غير موجود.

قال الزجاجي بعد ذكره هذه الأوجه:"فهذه أربعة أوجه في العزيز يجوز وصف الله ﷻ بها، يُقال:«الله عزيز» بمعنى: الغالب القاهر، و«الله عزيز» أي: هو الجليل العظيم، و«الله عزيز» بمعنى: القوي، و«الله عزيز» أي: هو غير موجود النظير والمثل جلَّ وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. وأصل هذا كله في اللغة راجع إلى الشدَّة والامتناع، لا يخرج شيء منه عن ذلك"[١].

المعنى الشرعي: قال البيهقي: "العزيز: هو الغالب الذي لا يُغلب، والمنيع الذي لا يُوصل إليه، وقيل: هو القادر القوي، وقيل: هو الذي لا مثل له، وهو من صفات الذي"[٢].

قال الزَجّاج: "العزيز الذي ذلَّ لعِزّته كلُ عزيز"[٣].

قال ابن كثير: "الذي قد عزَّ كلَّ شيءٍ فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، فلا ينال جنابه؛ لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه"[٤].

وقال ابن سعدي: "العزيز الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته"[٥].

وعلى هذا فإن معنى العزيز في حق الله ﷻ يرجع إلى المعاني الأربعة المذكورة في التعريف اللغوي، وبعضهم فصّل هذه الأوجه وجعلها أكثر من أربعة، وفي الحقيقة هي عائدة إلى هذه الأربعة[٦].

التاسع عشر: «الحي»

قال هناد: حدثنا محمد بن عبيد[٧] عن محرز[١] عن مكحول[٢] قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) اشتقاق أسماء الله ص (٢٣٧-٢٣٩)، وانظر: تفسير أسماء الله للزجاج ص (٣٣).

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص (٥٠).

(٣) تفسير أسماء الله ص (٣٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٦ / ٣٦٠) و(٨ / ٨٠).

(٥) تفسير السعدي (١ / ٩٤٦).

(٦) انظر: الأسنى للقرطبي ص (١٨٣-١٨٤).

(٧) محمد بن عبيد بغير إضافة بن أبي أمية الطنافسي الكوفي، الأحدب، ثقة يحفظ، مات سنة ٢٠٤هـ. التقريب (٦١٥٤).

"من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو **الحي القيوم** وأتوب إليه عشر مرات غفرت له ذنوبه ولو كان مثل زبد البحر"[٣].

دليله/ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[٤]

معناه/ المعنى اللغوي: الحَياةُ نقيض الموت.والحي خلاف الميتِ، والحيوان خلاف الموات، ويُسمَّى المطر حياً لأن به حياة الأرض[٥].

والحيُّ: واحدُ أحياء العرب، وأحياه الله فحيي وحيَّ أيضاً، والإدغام أكثر[٦].

المعنى الشرعي: قال ابن جرير:"الحي فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحدٍ، ولا آخر له بأمدٍ، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أولٌ محدود، وآخرٌ ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها"[٧].

وقال في موضع آخر:"والحي الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اُتُّخِذَ من دونه رباً، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهاً، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت وأن الإله، هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو"[٨].

قال الخطابي: "الحيُّ من صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجوداً، وبالحياة موصوفاً، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يَعْتَوِرُهُم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة، أو فيهما معاً و﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[٩] "[١].

---

(١) محرز بن عبد الله الجزري، أبو رجاء، مولى هشام بن عبد الملك، صدوق يدلس من السابعة. االتقريب (٦٥٤٤).

(٢) مكحول الشامي، أبو عبد الله، ثقة فقيه كثير الإرسال، مات سنة ١١٣هـ. التقريب (٦٩٢٣).

(٣) رواه هناد في الزهد (٢ / ٤٦٣)، وفيه الجزري موصوف بالتدليس، وإرسال مكحول، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ "خمس مرات" (١٩/٣٣٤).

(٤) آل عمران:٢.

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٢ / ١٢٢)، لسان العرب (١٤ / ٢١١)، اشتقاق أسماء الله ص (١٠٢).

(٦) انظر: الصحاح للجوهري (٧ / ١٧٣).

(٧) تفسير الطبري (٥ / ٣٨٦).

(٨) تفسير الطبري (٦ / ١٥٧).

(٩) القصص:٨٨.

وقال البيهقي: "فالحياة صفة قائمة بذاته"[٢].

فالله ﷻ له الحياة الدائمة، لا يفنى بنفسه ولا يبيد بفعل غيره ﷻ.

العشرون: «القيوم»

تقدم دليله عند الكلام عن اسم الله ﷻ «الحي».

معناه/ المعنى اللغوي: القيُّوم: من أبنية المبالغة، على وزن فيعول، من القيام وهو نَعْتُ المبالغة في القيام على الشيء، ويُقال: هو القَيِّمُ على كلِّ شيء بالرعاية له، ويقال: قمتُ بالشيء إذا ولِيْتَه بالرعاية والمصلحة[٣].

المعنى الشرعي:

قال أبو عبيدة: "القيُّوم: القائم وهو الدائم الذي لا يزول"[٤].

قال ابن جرير في معرض تحريره لمعنى – القيُّوم -: "وأولى التأويلين بالصواب: ما قاله مجاهد والربيع، وأن ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء، في رزقه والدفع عنه، وكلاءته وتدبيره وصرفه في قدرته، من قول العرب:"فلان قائم بأمر هذه البلدة"، يعنى بذلك: المتولي تدبير أمرها"[٥].

فهذا الاسم يتضمن كمال قدرة الربِّ ﷻ وكمال غناه، فهو القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته ﷻ.

وقال ابن سعدي في معنى هذين الاسمين «الحي-القيوم»: "الحي القيوم: كامل الحياة، والقائم بنفسه، القيوم لأهل السموات والأرض، القائم بتدبيرهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، فـ"الحي": الجامع لصفات الذات، و"القيوم" الجامع لصفات الأفعال"[٦].

---

(١) شأن الدعاء ص (٨٠)، وفي هذا المعنى انظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص (١٠٢)، تفسير أسماء الله للزجاج ص(٥٦).

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص (٥٤).

(٣) انظر: شأن الدعاء ص (٨١)، النهاية في غريب الأثر (٤ / ٢٢٧).

(٤) مجاز القرآن (١/٧٨).

(٥) تفسير الطبري (٦ / ١٥٨).

(٦) تفسير السعدي (١ / ٩٤٨).

الحادي والعشرون: «الغفور–الغفَّار»

قال ابن المبارك: أخبرنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام[1] قال حدثنا عاصم بن عبيد الليثي[2] عن عطاء بن أبي رباح[3] عن رجل[4] من أصحاب رسول الله ﷺ قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، فقال ﷺ: "تضحكون ألا أراكم تضحكون أتضحكون؟ قال: ثم أدبر وكأن على رؤوسنا الرخم، حتى إذا كان عند الحجر قام ثم رجع إلينا القهقرى، قال: "إني خرجت حتى إذا كنت عند الحجر جاء جبرائيل فقال: يا محمد إن الله يقول: لم تُقنط عبادي من رحمتي؟ ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[5][6].

قال ابن المبارك: أخبرنا داؤد بن قيس[7] عن زيد بن أسلم[8] قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس، فرأى مصباحاً في بيتٍ، فَدَنا منه، فإذا عجوز تطرق شَعَراً لها لتغزله، أي تنفشه بقدح لها، وهي تقول:

عـلـى محـمـدٍ صلاةُ الأبـرَارْ   صلّى عليك المصطَفَوْنَ الأخيارْ

---

(١) مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، لين الحديث وكان عابداً، مات سنة ١٥٧هـ، وله ثلاث وسبعون. التقريب (٦٧٣١).

(٢) عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي المدني، ضعيف، مات في أول دولة بني العباس ١٣٢هـ. التقريب (٣٠٨٢).

(٣) عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة، واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، مات سنة ١١٤هـ. على المشهور، وقيل إنه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه. التقريب (٤٦٢٣).

(٤) مبهم.

(٥) الحِجر:٤٩–٥٠.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد. ط الأعظمي ص (٢٦٨)، وإسناده ضعيف، ورواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١١١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦ / ٣١٦٠) كلاهما من طريق ابن المبارك.

(٧) داود بن قيس الفراء الدباغ، أبو سليمان القرشي مولاهم المدني، ثقة فاضل، مات في خلافة أبي جعفر. التقريب (١٨١٧).

(٨) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر أبو عبد الله، وأبو أسامة المدني، ثقة عالم وكان يرسل، مات سنة ١٣٦هـ. التقريب (٢١٢٩).

قد كُنتَ قوَّاماً بَكِيَّ الأسحار   يـا لـيـتَ شِعْـرِي والمـنَـايا أطْوارْ

هَلْ تَجْمَعُنِي وَحَبِيبِي الدَّارْ

تعني النبي ﷺ، فجلس عمر ﷺ يبكي، فما زال يبكي حتى قرع الباب عليها، فقالت: من؟ هذا قال: عمر بن الخطاب. قالت: ما لي ولعمر، وما يأتي بعمر هذه الساعة؟ قال: افتحي رحمك الله، ولا بأس عليك، ففتحت له، فدخل، فقال: رُدِّي على الكلمات التي قلت آنفا، فردته عليه، فلما بلغت آخره، قال: أسالك أن تدخليني معكما، قالت: وعمر، فاغفر له يا **غفار**، فرضي عمر ورجع[١].

دليله/ قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢].

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[٣].

معناه/ المعنى اللغوي: الغفور من أبنية المبالغة على وزن فعول.

وأصل الغَفْر: السَتْرُ والتغطية، يُقال: غَفَرَ المتاعَ في الوعاءِ إذا أدخله فيه وستره، وغَفَرَ الشيبَ بالخضاب غطاه، ومنه سُمي ما يُوضع على الرأس مغفراً؛ لأنه يغطي الرأس.

وغفر الله ذنوبَه : أي سَترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ . فكلُّ شيء سترتَه فقد غفرتَه[٤].

المعنى الشرعي: قال الزجاج: "ومعنى الغَفْرُ في الله سبحانه: هو الذي يستر ذنوب عباده، ويغطِّيهم بستره"[٥].

وقال الحليمي: "الغفور: وهو الذي يَكْثُرُ منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته"[٦].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ط. الأعظمي ص (٣٠٢)، وفيه زيد بن أسلم وهو كثير الإرسال.

(٢) الحِجر:٤٩.

(٣) الزُّمَر:٥.

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤ / ٣٨٥)، تفسير أسماء للزجاج ص (٤٦)، تهذيب اللغة (٨ / ١١٢)،لسان العرب (٣٢٧٣/٥)، الكليات للكفوي (٦٦٣).

(٥) تفسير الأسماء ص (٣٨).

(٦) المنهاج (٢٠٢/١).

وقال الكفوي: "والغفور والغفار من صفات الله والغفور كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب بالتجاوز عن ذنوبه، من الغفر، وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس"[١].

فالغفور هو الذي يغفرُ الذنوب وإن عَظُمت.

والغفار هو الذي يكرر التجاوز والستر على عبادة مرة بعد مرة.

يقول الغزالي: "والغفور يدل على كثرة المغفرة، بالإضافة إلى كثرة الذنوب، حتى إن من لا يغفر إلا نوعاً واحداً من الذنوب قد لا يُقال له غفور.

والغفار يشير إلى كثرةٍ على سبيل التكرار، أي يغفر الذنوب مرة بعد أخرى، حتى إن من يغفر جميع الذنوب ولكن أول مرة ولا يغفر العائد إلى الذنب مرة بعد أخرى لم يستحق اسم الغفار"[٢].

الثاني والعشرون: «الواحد»

قال نعيم بن حماد: انا حماد بن سلمة[٣] عن عاصم[٤] عن أبي وائل[٥] عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: "إن الله يجمع الناس في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يُعص الله فيها قط، ولم يخطأ فيها، فأول ما يتكلم به أن ينادى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾[٦]، ثم يكون أول ما يبدؤن من الخصومات في الدنيا، فيؤتى بالقاتل والمقتول فيقال: له لم

(١) الكليات (٦٦٦)، وانظر: شأن الدعاء للخطابي ص (٦٥)، الاعتقاد والهداية للبيهقي ص (٥٢).

(٢) المقصد الأسنى (١ / ٤١).

(٣) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة، ثقه عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة، مات ١٦٧هـ. التقريب (١٥٠٧).

(٤) عاصم بن بهدلة وهو بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي، أبو بكر المقرىء، صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين مقرون، مات ١٢٨هـ. التقريب (٣٠٧١).

(٥) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة. التقريب (٢٨٣٢).

(٦) غافر:١٦-١٧.

قتلت؟ فإن قال: قتلته لتكون العزة لله، قال: فإنها لي، فإن قال: قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فإنها ليست له فيبوء بإثمه فيقتله بمن كان قتل بالغين ما بلغوا ويذوق الموت عدة ما ذاقوا"[١].

دليله/ قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[٢] .

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس: "(وحد) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد"[٣].

و الواحد يُطلق على: أول العدد كقولك: قصدت العدد الواحد والثاني.. [٤].

وعلى: الذي لا نظيرَ له ولا مِثلَ ولا ثاني ولا شريك [٥].

المعنى الشرعي: حقيقة الواحد : هو المنفرد الذي لا نظير له ولا شريك، فالله ﷻ الواحد الأول الأحد الذي لا ثاني له، ولا شريك، ولا مثل، ولا نظير، لم يسبقه في أوّليّته شيءٌ، وهو الواحد الذي يعتمده عباده ويقصدونه ولا يتكلون إلا عليه ﷻ[٦].

قال الخطابي: "هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر.

وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ كل شيء سواه يُدْعى واحداً فهو واحد من جهة غيرُ واحد من جهات.

والله سبحانه الواحد الذي ليس كمثله شيء"[٧].

وقال السعدي:" الواحد، الأحد: وهو الذي توحّد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده، عقلاً وقولاً وعملاً بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة"[٨].

---

(١) رواه نعيم في زوائده على زهد ابن المبارك ص (٥١٧)، ورواه ابن جرير في تفسيره مختصراً (٤٧/١٧)، وابن أبي الدنيا في الأهوال ص (٣٠٢).

(٢) غافر:١٦.

(٣) مقاييس اللغة (٦ / ٩٠).

(٤) انظر: الصحاح للجوهري (٣ / ١١٠)، اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص (٩٠).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٤ / ٧١)، لسان العرب (٥ / ٣٣٧٣).

(٦) انظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص (٩٠-٩١)، تفسير السمعاني (١ / ١٦١).

(٧) شأن الدعاء ص (٨٢).

(٨) تفسير السعدي (١ / ٩٤٥).

الثالث والعشرون: «القَهَّار»

دليله/ قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[١] .

معناه/ المعنى اللغوي: القَهْرُ: الغلبة والأخذ من فوق، وقهره يقهره قهراً: غلبه، فهو قاهر وقهار. وتقول: أخذتهم قهراً أي: من غير رضاهم، والقهَّار للمبالغة، واللَّهُ القَاهِر القَهّار، قَهَر خَلْقَه بقدرته وسلطانه، فصرَّفهم على ما أراد طوعاً أو كرهاً[٢].

فالقَهْرُ كلمةُ صحيحة تدل على الغلبة والعلو[٣].

المعنى الشرعي: قال الخطابي: "القهار: هو الذي قَهَرَ الجبابرة من عُتَاة خلْقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت".

وقال الزجاج: "والله تعالى قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات على وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت"[٤].

وقال الحليمي: "القهار: أن يقهر ولا يُقهر بحال"[٥].

وقال السعدي: "القهار: لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره"[٦].

---

(١) غافر:١٦.

(٢) انظر: العين للفراهيدي (٣ / ٣٦٥)، النهاية في غريب الأثر (٤ / ١٢٩)، تهذيب اللغة (٥ / ٢٥٧)، لسان العرب (٥ / ٣٧٦٤).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٣٥).

(٤) تفسير الأسماء ص (٣٨).

(٥) المنهاج (٢٠٢/١).

(٦) تفسير السعدي (١ / ٩٤٧)، وانظر: تفسير الطبري (٣٦٦/٢١).

الرابع والعشرون: « اللطيف»

قال الخطيب: أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم الدورقي[١]، أخبرنا جعفر بن محمد بن أحمد المؤدب[٢]، حدثنا محمد بن يونس[٣]، حدثنا شداد بن علي الهزاني[٤] – وكان من العباد، قد لصق بطنه بظهره : حدثنا عبد الواحد بن زيد[٥]، قال: مررت براهب فناديته : ... قلت: يا راهب، من أين تأكل؟قال: من زرع لم أبذره، بذره **اللطيف الخبير** الذي نصب الرحا، يأتيها بالطحين، وأشار إلى ضرسه...[٦].

دليله/ قال تعالى:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٧] .

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس:"(لطف): اللام والطاء والفاء أصل يدل على رفق، ويدل على صغر في الشيء. فاللطف: الرفق في العمل"[٨].

فاللطيف يُستعمل على وجهين[٩]:

أحدهما: يُقال: لَطَفَ به وله بالفتح، يَلْطفُ لُطْفاً، إذا رفق به.

الثاني: لَطُفَ بالضم، يلطف، فمعناه صَغُر ودَقَّ.

المعنى الشرعي: قال ابن جرير:"وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم"[١٠].

---

(١) الإمام الفاضل الصدوق، مسند العراق، أبو علي، الحسن بن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، البغدادي البزاز، مات سنة ٤٢٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٧ / ٤١٥).

(٢)جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم أبو محمد المؤدب، ثقة كثير الحديث، مات سنة ٣٥٣هـ. تاريخ بغداد (١٥٢/٨).

(٣)محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكديمي بالتصغير، أبو العباس السامي بالمهملة البصري، ضعيف، مات ٢٨٦هـ. التقريب (٦٤٥٩).

(٤) لم أجد له ترجمه.

(٥)الزاهد شيخ العباد عبد الواحد بن زيد، أبو عبيده البصري، قال البخاري: تركوه، وقال النسائي: متروك الحديث، مات بعد سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ١٧٨)، تعجيل المنفعة (٨٣٠/١).

(٦)رواه الخطيب الزهد والرقائق (٩٤)، ورواه ابن الجوزي في التبصرة بإسناده إلى الخطيب البغدادي (١٩٦/١).

(٧)الملك:١٤.

(٨)مقاييس اللغة (٥ / ٢٥٠).

(٩)انظر: النهاية لابن الأثير (٢٥١/٤)، تهذيب اللغة (١٣ / ٢٣٥)، لسان العرب (٥ / ٤٠٣٦)، تفسير أسماء الله للزجاج ص (٤٤).

(١٠)تفسير الطبري (٢٣ / ٥١١).

واللطيف له معنيان في حق الله تعالى[١]:

أحدهما: بمعنى الخبير، وهو أن علمه دقَّ ولطُف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات.

الثاني: الذي يُوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها.

قال ابن القيم في نونيَّته[٢]:

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللُطْف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرةٍ ... واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويُبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان

قال السعدي: "اللطيف: الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير»، وبمعنى «الرؤوف»"[٣].

الخامس والعشرون: «الخبير»

قال الخطيب: أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم الدورقي[٤]، أخبرنا جعفر بن محمد بن أحمد المؤدب[٥]، حدثنا محمد بن يونس[٦]، حدثنا شداد بن علي الهزاني[٧] – وكان من العباد، قد لصق بطنه بظهره : حدثنا عبد الواحد بن زيد[٨]، قال: مررت براهب فناديته : ... قلت:

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر ص (١٣٨).

(٢) القصيدة النونية لابن القيم (١ / ٢٠٧).

(٣) تفسير السعدي (١ / ٩٤٧).

(٤) الإمام الفاضل الصدوق، مسند العراق، أبو علي، الحسن بن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، البغدادي البزاز، مات سنة ٤٢٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٧ / ٤١٥).

(٥) جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم أبو محمد المؤدب، ثقة كثير الحديث، مات سنة ٣٥٣هـ. تاريخ بغداد (١٥٢/٨).

(٦) محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكديمي بالتصغير، أبو العباس السامي بالمهملة البصري، ضعيف، مات ٢٨٦هـ. التقريب (٦٤٥٩).

(٧) لم أجد له ترجمه.

(٨) الزاهد شيخ العباد عبد الواحد بن زيد، أبو عبيده البصري، قال البخاري: تركوه، وقال النسائي: متروك الحديث، مات بعد سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ١٧٨)، تعجيل المنفعة (٨٣٠/١).

يا راهب، من أين تأكل؟قال: من زرع لم أبذره، بذره **اللطيف الخبير** الذي نصب الرحا، يأتيها بالطحين، وأشار إلى ضرسه...[١]

دليله/ قال تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢] .

معناه/ المعنى اللغوي: الخبير: العالم بالشيء، يُقال: خَبَرْتُ الشيء واختبرته، إذا علمته[٣].

وخَبَرْتُ الأمرَ أَخْبُرُه إذا عرفته على حقيقته[٤].

فالخبير هو المتحقق لما يعلم[٥].

وعلى هذا الخِبْرَةُ علم وزيادة، وهو الإحاطة بتفاصيل الشيء الدقيقة.

المعنى الشرعي: قال الخطابي: "الخبير: هو العالِمُ بكنه الشيء، المطلع على حقيقته، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٦] "[٧].

وقال الغزالي:"الخبير: هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا تضطرب نفس ولا تطمئن، إلا ويكون عنده خبرها، وهو بمعنى العليم؛ ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة، ويسمى صاحبها خبيراً"[٨].

وقال ابن القيم: "الخبير الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها "[٩] .

فالله ﷻ هو الخبير الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، فلا تخفى عليه خافيه السرُّ عنده علانية.

---

(١) رواه الخطيب الزهد والرقائق (٩٤)، ورواه ابن الجوزي في التبصرة بإسناده إلى الخطيب البغدادي (١/١٩٦).

(٢) التحريم:٣.

(٣) انظر: اشتقاق أسماء الله ص (١٢٧).

(٤) انظر: النهاية لابن الأثير (٢ / ٦)، لسان العرب (٢ / ١٠٩٠).

(٥) انظر: المنهاج للحليمي (١/١٩٩).

(٦) الفرقان:٥٩.

(٧) شأن الدعاء ص (٦٣).

(٨) المقصد الأسنى (١ / ١٠٣).

(٩) الصواعق المرسلة (٢ / ٤٩٢).

السادس والعشرون: «الوهاب»

قال الحسين: حدثنا الفضل بن موسى[١] قال حدثنا حزم بن مهران[٢] قال سمعت الحسن[٣] يقول: انطلق نبي الله سليمان ﷺ إلى حمام ليغتسل، فوضع خاتمه، ثم دخل، فجاء الشيطان فأخذ الخاتم، ثم انطلق إلى نهر كثير الماء، فرمى به فيهو فخرج نبي الله ﷺ من الحمام، قال: فلقد ذُكِرَ لي أنه لم يَأْوِهِ أحد من الناس، ولم يُعرف أربعين ليلة، وكان يأوي إلى امرأة مسكينة، فانطلق ذات يوم، فبينا هو قائم على شاطئ نهر، إذ وجد سمكة، فأتى بها المرأة، وقال لها: اصنعيها، فشقتها، فإذا هي بالخاتم في جوفها، فأخذ الخاتم فجعله في يده، فعند ذلك سأل ربه ﷻ، فقال: رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، إنك أنت **الوهاب**[٤].

دليله/ قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾[٥] .

معناه/ المعنى اللغوي: الوهاب: على وزن فعّال للمبالغة، من قولك: وهبةُ أهبُ هبةً، والهبة: الإعطاء تفضلاً وابتداءً من غير استحقاق، وقيل: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كَثُرت سُمِّي صاحبها وهّاباً.

فالوهاب: الكثير الهبة والعطية[٦].

المعنى الشرعي: قال ابن جرير عند قوله تعالى: "﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[٧] ، يعني: إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك، وتصديق كتابك ورسلك"[٨].

---

(١) الفضل بن موسى السيناني بمهملة مكسورة ونونين، أبو عبد الله المروزي، ثقة ثبت وربما أغرب، مات سنة ١٩٢هـ. التقريب (٥٤٥٤).

(٢)حزم بسكون الزاي بن أبي حزم القطعي بضم القاف وفتح الطاء أبو عبد الله البصري صدوق يهم من السابعة مات سنة ١٧٥هـ. التقريب (١٢٠٠).

(٣) البصري.

(٤) الزهد لابن المبارك ط. الأعظمي (٣١٠)، وأورده الصنعاني في تفسيره عن معمر عن قتادة بأطول منه (١٦٤/٢).

(٥) ص:٩.

(٦) انظر: النهاية في غريب الأثر (٥ / ٢٣١)، اشتقاق الأسماء للزجاجي ص (١٢٦)، تفسير الأسماء للزجاج (٣٨)، لسان العرب (٦ / ٤٩٢٩).

(٧) آل عمران:٨.

(٨) تفسير الطبري (٦ / ٢١٢).

وقال الخطابي: "الوهاب: هو الذي يجود بالعطاء، عن ظهر يدٍ، من غير استثابة"[١].

وقال النسفي[٢]: "الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته"[٣].

فالله ﷻ هو الذي يهب ما يشاء لمن يشاء من خلقه، بيده خزائن كل شيء.

السابع والعشرون: «الشهيد»

قال الحسين[٤]: قال أخبرنا سفيان بن عيينة[٥] عن المسعودي[٦] عن جعفر بن عمرو بن حريث[٧] عن أبيه[٨] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لعبد الله بن مسعود اقرأ، قال: يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأ سورة النساء، حتى إذا بلغ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[٩] استعبر[١٠] رسول الله ﷺ، ثم قال: شهيداً عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء **شهيد**"[١١].

---

(١) شأن الدعاء ص (٥٣).

(٢) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، فقيه حنفي، مفسِّر، له مصنفات جليلة، منها : مدارك التنزيل، وكنز الدقائق في الفقه، والمنار في أصول الفقه، توفي سنة ٧١٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤ / ٦٧).

(٣) تفسير النسفى (٤ / ٢٩).

(٤) تقدم.

(٥) تقدم.

(٦) تقدم.

(٧) جعفر بن عمرو بن حريث المخزومي، مقبول، من الثالثة. الكاشف (١ / ٢٩٥)، التقريب (٩٥٥).

(٨) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، صحابي صغير، مات سنة ٨٥هـ. الكاشف (٢ / ٧٤)، التقريب (٥٠٤٣).

(٩) النساء:٤١.

(١٠) استعبر: أي بكى.انظر: لسان العرب (٤ / ٢٧٨٣).

(١١) رواه ابن المبارك في الزهد.الأعظمي (٢٩٩)، وأصله عند البخاري، كتاب: التفسير، باب "﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء:٤١]"، برقم (٤٥٨٢)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب "فضل استماع القرآن..."، برقم (١٨٦٩)، وقال: قال مسعر فحدثني معن عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

دليله/ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١] .

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس: "(شَهِدَ) الشين والهاء والدال: أصل يدل على حضور، وعلم، وإعلام"[٢].

وقال الزجاجي:"الشهيد في اللغة: بمعنى الشاهد، كما أن العليم بمعنى العالم...والشاهد خلاف الغائب، تقول العرب: (فلان شاهداً لهذا الأمر) أي لم يغب عنه...

والشهيد أيضا في اللغة: الشاهد الذي يشهد بما عاين وحضر، كما يقال: (فلانٌ شاهدُ فلانٍ وشهيدُه)"[٣].

واليوم المشهود هو يوم القيامة؛ لأنه معلومٌ كونُهُ لا محالة، فكان معنى الشهيد: العالم[٤].

والشهيد فَعِيل من أبنية المبالغة، وحقيقته: العالم الذي يبين ما علمه[٥].

المعنى الشرعي: قال الحليمي: "الشهيد: ومعناه المطلع على ما لا يعلمه المخلوقون إلا بالشهود، وهو الحضور"[٦].

وقال الخطابي: "الشهيد: هو الذي لا يغيب عنه شيءٌ، يقال: شاهدٌ وشهيدٌ كعالم وعليم، أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزُبُ عنه شيءٌ"[٧].

وقال ابن القيم: "الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل هو مطلع على كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله"[٨].

قال النبي ﷺ:« شهيدا عليهم ما دمت فيهم أو ما كنت فيهم ». شك مسعر.

(١) المائدة:١١٧.

(٢) مقاييس اللغة (٣ / ٢٢١).

(٣) اشتقاق أسماء الله ص (١٣٢).

(٤) انظر: تفسير الأسماء للزجاج ص (٥٣).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٦ / ٤٧)، لسان العرب (٤ / ٢٣٤٨).

(٦) المنهاج ص (١٦٧).

(٧) شأن الدعاء ص (٧٥).

(٨) مدارج السالكين (٣ / ٤٦٦).

وقال السعدي: "الشهيد: أي المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه"[١].

فالله ﷻ لما كانت الأشياء لا تخفى عليه كان شهيداً لها وشاهداً لها، أي عالماً بها وبحقائقها علم المشاهدة لها؛ لأنه لا تخفى عليه[٢].

فإذا اعتُبر العلم مطلقا فهو العليم، وإذا أضيف في الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد[٣].

الثامن والعشرون: «الرقيب»

دليله/ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[٤].

معناه/ المعنى اللغوي: الرقيب: الحافظ، وهو مما جاء على فعيل بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم، ورَقَبَ الشيءَ يرقُبُه وراقبه مراقبة ورقاباً حرسه[٥].

قال قتادة: الرقيب الحافظ، وكذلك هو عند أهل اللغة[٦].

والرقيب في نُعُوت الآدميين، الموكلُ بحفظ الشيء، والمترصِّد له، والمتحرز عن الغفلة فيه[٧].

المعنى الشرعي: قال ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١] :" ويعني بقوله:" رَقِيبًا "، حفيظاً، محصياً عليكم أعمالكم، متفقداً رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم إياها، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها"[٢].

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٩٤٨).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله ص (١٣٢).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤ / ٢٣٤٨).

(٤) المائدة:١١٧.

(٥) انظر: النهاية لابن الأثير(٢ / ٢٤٨)، اشتقاق أسماء الله ص (١٢٨)، تهذيب اللغة (٩ / ١١٢)، لسان العرب (١٦٩٩/٣).

(٦) معاني القرآن للنحاس (٢ / ٣٩١).

(٧) انظر: شأن الدعاء ص (٧٢).

وقال عند قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ رَّقِيبًا﴾[3] : "وكان الله على كل شيء؛ ما أحل لك، وحرم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يئوده حفظ ذلك كله"[4].

ونقل القرطبي عن ابن الحصَّار قوله: "الرقيب: المراعي أحوال المرقوب، الحافظ له جملة وتفصيلاً، المحصي لجميع أحواله، وذلك راجع إلى العلم والمشاهدة وهو الإدراك والإحصاء، وهو عدُّ ما يدقُّ ويجلُّ من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، وسائر أحواله وتصرفاته، ومراعاة وجوده وعدمه، وحياته وموته"[5].

وقال السعدي: "الرقيب: المطَّلع على ما أكنَّتُه الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجْرَاها على أحسن نظام، وأكمل تدبير" [6].

فالله عَجَّلَّ هو القريب الذي لا يغفل عن خلقه لحظة واحدة.

التاسع والعشرون: «المقتدر»

أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر[7] حدثنا عبد الجبار بن عبيد الله بن سليمان[8] قال: أقبل عيسى بن مريم على أصحابه ليلة رُفِعَ، فقال: "لهم لا تأكلوا بكتاب الله فإنكم إن لم تفعلوا أقعدكم الله على منابر، الحَجَر منها خير من الدنيا وما فيها" قال عبد الجبار: وهي

---

(١) النساء:١.

(٢) تفسير الطبري (٧ / ٥٢٣).

(٣) الأحزاب:٥٢.

(٤) تفسير الطبري (٢٠ / ٣٠٤).

(٥) انظر: الأسنى (٤٠٤/١).

(٦) تفسير السعدي (١ / ٩٤٧).

(٧) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، أبو عتبة الشامي الداراني، ثقة، مات سنة ١٠٠بضع وخمسين للهجرة. التقريب (٤٠٦٨).

(٨) أبو عبد رب الدمشقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، أو عبد رب العزة، قيل: اسمه عبد الجبار، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: قسطنطين، وقيل: فلسطين، وهو غلط، مقبول، مات سنة ١١٢هـ. التقريب (٨٢٨٢).

المقاعد التي ذكر الله في القرآن ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[١]، ورُفِعَ[٢].

دليله/ قال تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٣]

معناه/ المعنى اللغوي: المقْتَدِر: اسم فاعل من قولك: "اقتدرَ فهو مقتدرٌ"، وهو مبالغةٌ في الوصف بالقدرة.

والاقتدار على الشيء القدرة عليه، والقدرة مصدر قولك: "قدَرَ على الشيء قدرةً" أي ملكه، فهو قادر وقدير، واقتدر الشيء جعله قدراً، وقوله: ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أي قادر[٤].

المعنى الشرعي: قال الخطابي: "المقتدر: هو التامُّ القدرة، الذي لا يمتنع عليه شيءٌ، ولا يَحتَجِزُ عنه بمَنَعَةٍ وقوة، ووزنه مُفْتَعِلٌ من القدرة، إلا أن الاقتدار أبلغُ وأعمُّ؛ لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التَّضْمين بالمقدور عليه، قال الله سبحانه: ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أي: قادر على ما يشاء"[٥].

فالاقتدار مبالغةٌ في الوصف بالقدرة، قال الزجاج: "والأصل في العربية: أن زيادة اللفظ زيادة في المعنى، فلمَّا قلت: اقتَدَرَ، أفادَ زيادةُ اللفظِ زيادةَ المعنى"[٦].

وقال الحليمي: "المقتدر: وهو المظهر قدرته بفعل ما يقدر عليه، وقد كان لك من الله تعالى فيما أمضاه وإن كان يقدر على أشياء كثيرة لم يفعلها ولو شاء لفعلها، فاستحق بذلك أن يُسمَّى مقتدراً"[٧].

---

(١) القمر: ٥٥.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ط. الأعظمي ص (٤٠٠)، وهو من الإسرائيليات.

(٣) القمر: ٥٥.

(٤) تفسير الأسماء للزجاج ص (٥٩)، اشتقاق الأسماء ص (٢٠٠)، لسان العرب (٥ / ٣٥٤٦).

(٥) شأن الدعاء ص (٨٦).

(٦) تفسير الأسماء ص (٥٩).

(٧) المنهاج (١/١٩٤).

الثلاثون: «الوكيل»

قال ابن المبارك: أخبرنا خالد أبو العلاء[١] عن عطية العوفي[٢] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذْنَ، متى يُؤمر فينفخ"، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: "قولوا حسبنا الله، ونعم **الوكيل**"[٣].

دليله/ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[٤] .

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن سيده[٥]: "وكل بالله وتوكل عليه واتَّكل: استسلم إليه، يُقال توكَّلَ بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي: ألجأته إليه، واعتمدت فيه عليه، ووكَّلَ فلانٌ فلاناً: إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه، ووكَلَ إليه الأمر: سلمه"[٦].

فالوكيل فعيل بمعنى مفعول، من قولك: وكلت أمري إلى فلان: إذا سلَّمته إليه، والله تعالى موكولٌ بخلقه[٧].

---

(١) خالد بن طهمان الكوفي، وهو خالد بن أبي خالد، وهو أبو العلاء الخفاف، مشهور بكنيته، صدوق رمي بالتشيع ثم اختلط، من الخامسة. التقريب (١٦٥٤).

(٢)عطية بن سعد بن جنادة بضم الجيم بعدها نون خفيفة العوفي الجدلي بفتح الجيم والمهملة الكوفي، أبو الحسن، صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعيا مدلسا، مات سنة ١١١هـ. التقريب (٤٦٤٩).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد ط. الأعظمي ص (٤٣٣)، ورواه أحمد (٣٢ / ٩١)، والترمذي: الزهد، باب "ما جاء في شأن الصور"، برقم (٢٤٣١)، وقال:هذا حديث حسن، وقد رُوي من غير وجه هذا الحديث عن عطية، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٥٧٨).

(٤) آل عمران:١٧٣.

(٥) هو علي بن أحمد بن سيده اللغوي النحوي الأندلسي أبو الحسن ،كان حافظاً، لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها، قال أبو عمر الطلمنكي: "دخلت مرسية، فتشبث بي أهلها ليسمعوا علي ' غريب المصنف '، فقلت لهم: انظروا من يقرأ لكم ، فأتوا برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأه علي من أوله إلى آخره من حفظه ؛ فعجبت منه"، له مصنفات منها: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، والمخَصَّص، وغير ذلك، مات سنة ٤٥٨هـ. انظر: بغية الوعاة (٢ / ١٤٣).

(٦) لسان العرب (٦ / ٤٩٠٩).

(٧) انظر: تفسير الأسماء للزجاج ص (٥٤).

وذكر أهل اللغة في معنى الوكيل أربعة معانٍ، وهي[١]:

الكفيل – الحفيظ – المقسط – الكافي.

وقال القرطبي عندما ذكر هذه المعاني: "وهذه المعاني كلها صحيحة في معنى وصف الوكيل"[٢].

المعنى الشرعي: قال ابن جرير: "﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف تعالى نفسه بذلك، لأن"الوكيل"، في كلام العرب، هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات، قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم"[٣].

وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٤] :"يقول: والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ"[٥].

وقال الخطابي: "الوكيل: قال الفرَّاء: الوكيل: الكافي، ويقال معناه: أنه الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أن الذي يستقل بالأمر الموكول إليه"[٦].

وقال الحليمي: "الوكيل: وهو الموكل والمفوض إليه علماً بأن الخلق والأمر، لا يملك أحد من دونه شيئاً"[٧].

فالله ﷻ الوكيل على عباده فيكفل لهم رزقهم، ويحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها أتم الجزاء، ويكفيهم شرَّ عدوهم.

---

(١) ذكره القرطبي في الأسنى (١/٥٠٦)، وانظر: اشتقاق الأسماء للزجاجي ص (١٣٦)، وشأن الدعاء ص (٧٧).

(٢) الأسنى (١/٥٠٦).

(٣) تفسير الطبري (٧ / ٤٠٥).

(٤) الأنعام:١٠٢.

(٥) تفسير الطبري (١٢ / ١٣).

(٦) شأن الدعاء ص (٧٧).

(٧) المنهاج (١/٢٠٨).

الحادي والثلاثون: «المولى»

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا جعفر بن محمد بن نصير[١]، ثنا أبو محمد الجريري[٢] قال: سمعت سهل بن عبد الله[٣]يقول: " اجعلوا طعامكم الشعير، وإدامكم الجوع، وحلاوتكم التمر، ومالحكم الملح، ولباسكم الصوف، وبيوتكم المساجد، ودفاءكم أو قال: رواقكم الشمس، وسراجكم القمر، وطيبكم الماء، ودينكم الحذر، وعلمكم الارتضاء، وزادكم التقوى، وأكلكم بالليل، ونومكم بالنهار، وكلامكم الذكر، وهمتكم الفكرة والعبرة، وملجأكم وسندكم وناصركم **المولى**، ولباسكم الحياء، ومالكم الثقة، واجعلوا ضميركم على هذا إلى الممات، قال: ولا يتم هذا للعبد حتى يشاهد الله بقلبه يعاين الغيب، وينكشف له اليقين، فتهون عليه الأمور الشدائد، وبمكاشفة اليقين مشوا على الماء، وفي الهواء، ومن لم يعط هذا فليس في شيء[٤]"[٥].

دليله/ قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[٦].

معناه/ المعنى اللغوي: الولي والمولى واحد في كلام العرب.

وهو اسم يقع على جماعة كثيرة: فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتِق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتِق والمنْعم عليه، كل هؤلاء من الولي وهو القرب، وهو في كل منها حقيقة[٧].

---

(١) أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم، البغدادي الخُلْدِيُّ، قال الخطيب: ثقة، مات سنة ٣٤٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٥٥٨).

(٢) شيخ الصوفية، أبو محمد الجريري الزاهد، قيل: اسمه أحمد بن محمد بن حسين، وقيل: عبد الله بن يحيى، وقيل: حسن بن محمد، مات سنة ٣١٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤ / ٤٦٧).

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، مات ٢٨٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٣٠).

(٤) كل ما وضع تحته خط في هذا الأثر هو من خرافات المتصوفة، وليس عليها مستند من الشرع، بل جاء الشرع بضدها.

(٥) رواه البيهقي في الزهد ص (٢٨٤).

(٦) الحج:٧٨.

(٧) انظر: النهاية في غريب الأثر (٥ / ٢٢٨)، مقاييس اللغة (٦ / ١٤١)، تهذيب اللغة (١٥ / ٣٢٤)، لسان العرب (٦ / ٤٩٢١)، كتاب الكليات (٨٧٠).

المعنى الشرعي: قال الخطابي: "المولى: الناصر والمعين"(١).

وقال الحليمي:"في معناه أنه المأمول منه النصر والمعونة؛ لأنه هو المالك، ولا مفزع للمملوك إلا مالكه"(٢).

وقال السعدي: "الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية"(٣).

الثاني والثلاثون: «الرفيق»

قال هناد: حدثنا هارون الحمال قال ثنا حبان بن هلال قال ثنا حماد بن سلمة عن يونس وحميد عن الحسن عن عبدالله بن مغفل أن النبي ﷺ قال:" إن الله **رفيق** يحب الرفق، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف"(٤).

دليله/ قال رسول الله ﷺ: " يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله "(٥).

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس: "(رفق) الراء والفاء والقاف: أصل واحد يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف. فالرفق: خلاف العنف... هذا هو الأصل ثم يشتق منه كل شيء يدعو إلى راحة وموافقة، والمرفق مرفق الإنسان؛ لأنه يستريح في الاتكاء عليه"(٦).

والرفق: لين الجانب، وهو به رفيق: لطيف(٧).

المعنى الشرعي: قال الخطابي: "إن الله رفيق معناه: ليس بعجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها"(٨).

---

(١) شأن الدعاء ص (١٠١).

(٢) نقله عنه القرطبي في الأسنى (٣٠٦/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ١٧٥)، ولم أجده في المنهاج.

(٣)تفسير السعدي (١ / ٣٢١).

(٤) رواه هناد في الزهد (٢ / ٦٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة، باب "فضل الرفق"، برقم (٦٦٠١).

(٥) البخاري واللفظ له، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب "إذا عرَّضَ الذميُّ أو غيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح.."، برقم (٦٩٢٧)، ورواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب "فضل الرفق"، برقم (٦٦٠١).

(٦) مقاييس اللغة (٢ / ٤١٨).

(٧) انظر: النهاية في غريب الأثر (٢٤٦/٢)، لسان العرب (٣ / ١٦٩٤).

(٨) نقله القرطبي عنه في الأسنى (٥٧٧/١)، ولم أجده في شأن الدعاء.

وقال القرطبي: "وهو سبحانه الرفيق: أي الكثير الرفق وهو اللَّين والسهل، وضده العنف وهو التشديد والتصعيب.

وقد يجيء الرفق بمعنى الإرفاق وهو الإعطاء كالترفق.

وكلاهما صحيح في حق الله تعالى؛ إذ هو الميسِّر والمسهِّل لأسباب الخير كلها والمعطي لها، وأعظمها تيسير القرآن للحفظ..ولا منفعة إلا بإعطائه وتقديره.

وقد يجيء الرفق أيضا بمعنى التمهل في الأمور والتأنِّي فيها..وعلى هذا يكون الرفيق في حق الله الحليم؛ فإنه لا يعجل بعقوبة العصاة؛ ليتوب من سبق له العناية، ويزاد إثماً من سبقت له الشقاوة"(١).

فالله ﷻ رفيق بعباده في التيسير لهم وعدم المشقة عليهم، ورفيق بالعصاة في حلمه عليهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة.

الثالث والثلاثون: «الطيب»

دليله/ حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا"(٢).

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس: "(طيب) الطاء والياء والباء: أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث"(٣).

وقد تتسع معانيه فيقال: أرض طيبة للتي تصلح للنبات، وريح طيبة إذا كانت لينة ليست بشديدة، وطعمة طيبة إذا كانت حلالاً، وامرأة طيبة إذا كانت حصاناً عفيفة...

والطَّيِّب من كل شيء أفضله(٤).

المعنى الشرعي: قال القاضي عياض: "الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث"(١).

---

(١) الأسنى (٥٧٧/١) بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الورع ص (٨٣)، ورواه مسلم في صحيحه بنحوه، كتاب: الزكاة، باب "قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها"، برقم (٢٣٤٦).

(٣) مقاييس اللغة (٣ / ٤٣٥).

(٤) انظر: لسان العرب (٤ / ٢٧٣١-٢٧٣٣).

ومعنى الحديث: أنه تعالى منزه عن العيوب، فلا يقبل ولا ينبغي أن يتقرب إليه إلا بما يناسبه في هذا المعنى، وهو خيار أموالكم الحلال[٢].

فالله ﷻ هو الطيب المنزه عن النقائص المقدس عن الآفات.

الرابع والثلاثون: «**الجميل**»

قال هناد: حدثنا أبو معاوية عن حجاج بن أرطأة عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جَعْدَة قال: قال رسول الله ﷺ :"لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"، قال: فقال رجل: يا رسول الله إنه ليعجبني نقاء ثوبي، وشراك نعلي، وعَلَاقة سوطي، فهذا من الكبر؟ فقال رسول الله: "إن الله **جميل** يحب الجمال، ويحب إذا أنعم على عبد بنعمة أن يرى أثرها عليه، ويبغض البؤس والتباؤس، ولكن الكبر أن يسفه الحق، أو يغمص[٣] الخلق"[٤].

دليله/ عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الله جميل يحب الجمال"[٥].

معناه/ المعنى اللغوي: الجَمَالُ ضد القُبْح، وهو مصدر الجميل، والفعل جَمُلَ، وقوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[٦]، أي: بهاءٌ وحسن.

قال ابن سيده: الجمال: الحُسن، يكون في الفعل والخَلْق[٧].

وقال ابن الأثير: والجمال: يقع على الصور والمعاني[٨].

---

(١) شرح النووي (٤ / ١٠٨).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي (٨ / ٣٣٠).

(٣) غمصه وغمصه يغمصه ويغمصه غمصاً واغتمصه، حقره واستصغره ولم يره شيئاً. انظر: لسان العرب (٥ / ٣٢٩٨).

(٤) رواه هناد في الزهد (٤٢١/٢)، وهو عند مسلم، كتاب: الإيمان، باب "تحريم الكبر وبيانه"، برقم (٢٦٥).

(٥) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "تحريم الكبر وبيانه"، برقم (٢٦٥).

(٦) النحل:٦.

(٧) مقاييس اللغة (١ / ٤٨١)، لسان العرب (١ / ٦٨٥).

(٨) النهاية (١ / ٢٩٩).

المعنى الشرعي: قال ابن الأثير: "إن الله تعالى جميل..: أي: حسن الأفعال، كامل الأوصاف"(١).

وأشار الإمام ابن القيم إلى معنى الجميل في حق الله ﷻ في نونيَّته بقوله(٢):

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا ... وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربُّها ... أولى وأجدر عند ذي العِرفان
فجماله بالذات والأوصاف والـ ... أفعال والأسماء بالبرهان
لا شيء يشبه ذاته وصفاته ... سبحانه عن إفك ذي البُهْتان

الخامس والثلاثون: «الجواد»

قال هناد: حدثنا أبو معاوية(٣) عن حجاج(٤) عن سليمان بن سُحَيم(٥) عن طلحة بن عبيدالله بن كَرِيز(٦) قال: قال رسول الله ﷺ :"إن الله **جواد** يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويبغض سفسافها، وإن من إكرام جلال الله، إكرام ثلاثة ذي الشيبة في الإسلام، والحامل للقرآن غير الجافي عنه ولا الغالي، والإمام المقسط"(٧).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) النونية (١ / ٢٠٣)، وانظر: أيضا مدارج السالكين (٢١٣/٣).

(٣) تقدم.

(٤) حجاج بن أرطأة بفتح الهمزة بن ثور بن هبيرة النخعي، أبو أرطأة الكوفي، القاضي، أحد الفقهاء، صدوق، كثير الخطأ والتدليس، مات سنة ١٤٥هـ. التقريب (١١٢٧).

(٥) سليمان بن سحيم، أبو أيوب المدني، صدوق، من الثالثة. التقريب (٢٥٧٧).

(٦) طلحة بن عبيد الله بن كريز بفتح أوله الخزاعي، أبو المطرف، ثقة، من الثالثة. التقريب (٣٠٤٥).

(٧) رواه هناد في الزهد (٤٢٣/٢)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٥١/١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣ / ٢٨٨)،ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ﷺ (٢٩/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٩/٢).

دليله/ عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"إن الله جواد يحب الجود"[(١)].

معناه/ المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: "(جود) الجيم والواو والدال: أصل واحد، وهو التسمح بالشيء، وكثرة العطاء، يقال رجل جواد بيِّن الجود، وقوم أجواد"[(٢)].

والجُود: الكرم، يقال: جاد الرجل بماله يجُود جُوداً بالضم فهو جواد.

فالجواد في كلام العرب معناه: الكثير العطاء[(٣)].

المعنى الشرعي: قال الحليمي: "الجواد ومعناه: "الكثير العطايا"[(٤)].

وقال ابن القيم: "فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق، ولا يغيض ما في يمينه سعة عطائه، فما منع من منعه فضله إلا لحكمة كاملة في ذلك، فإنه الجواد الحكيم، وحكمته لا تناقض جوده، فهو سبحانه لا يضع برَّه وفضله إلا في موضعه ووقته بقدر ما تقتضيه حكمته"[(٥)].

وقال السعدي:"أنه تعالى الجواد المطلق الذي عمَّ بجوده جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة، وخصَّ بجوده السائلين بلسان المقال أو لسان الحال من برٍّ وفاجرٍ ومسلم وكافر...ومن جوده الواسع ما أعدّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[(٦)].

فالله ﷻ يُسمَّى جواداً وإن قيل أنه بمعنى كونه كريماً[(٧)].

السادس والثلاثون: «الحيِيُّ»

قال هناد: حدثنا عبدة[(١)] عن عبد الملك[(٢)] عن عطاء[(٣)] قال: أبصر رسول الله ﷺ رجلا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مقاييس اللغة (١ / ٤٩٣).

(٣) انظر: النهاية في غريب الأثر (١ / ٣١٢)، لسان العرب (٣ / ٧٢٠)، بيان تلبيس الجهمية (٥٣٦/١).

(٤) المنهاج (٢٠١/١).

(٥) مدارج السالكين (٣٥٥/٢).

(٦) الحق الواضح (٢٤٧/٣).

(٧) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٥٣٨/١).

يغتسل بالعراء، فقال: "يا أيها الناس، إن الله **حيي حليم ستير** يحب الحياء والستر، فأيكم اغتسل فليتوار من الناس بشيء"[٤].

دليله/ قال النبي ﷺ:"إن الله ﷻ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر"[٥].

معناه/ المعنى اللغوي: واستحياه واستحيا منه بمعنى: من الحياء.

ورجل حَيِيٌّ ذو حَياءٍ، بوزن فَعِيلٍ، والأُنثى بالهاء امرأَة حَيِيَّة، يقال استحى الرجل يستحي بياءٍ واحدةٍ، واستحيا فلان يستحيي بياءين وهي الأصل، والقرآن نزل باللغة الثانية في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[٦] [٧].

قال ابن فارس:"الاستحياء الذي هو: ضد الوقاحة"[٨].

المعنى الشرعي: قال قتادة: "أي إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئاً ما، قل أو كثر"[٩].

---

(١) عبدة بن سليمان الكلابي، أبو محمد الكوفي، يقال: اسمه عبد الرحمن، ثقة ثبت، مات سنة ١٨٧هـ. التقريب (٤٢٩٧).

(٢) عبد الملك بن أبي سليمان ميسرة العرزمي بفتح المهملة وسكون الراء وبالزاي المفتوحة، صدوق له أوهام، مات سنة ١٤٥هـ. التقريب (٤٢١٢).

(٣) بن أبي رباح تقدم.

(٤) رواه هناد في الزهد (٢ / ٦٢٩)، وهو مرسل، ورواه أبو داود في سننه عن عطاء عن يعلى بن أمية رضي الله عنه عن النبي ﷺ كتاب: الحمَّام، با "النهي عن التعري"،برقم (٤٠١٢)، النسائي في سننه أيضاً عن عطاء عن يعلى بن أمية عن النبي ﷺ، كتاب: الطهارة، باب "الاستتار عند الغسل"، برقم (٤٠٦)، والبيهقي شعب الإيمان عن عطاء عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه (١٠ / ٢١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦١/١).

(٥) رواه أبو داود في سننه عن عطاء عن يعلى بن أمية رضي الله عنه عن النبي ﷺ كتاب: الحمَّام، باب "النهي عن التعري"،برقم (٤٠١٢)، النسائي في سننه، كتاب: الطهارة، باب "الاستتار عند الغسل"، برقم (٤٠٦)، والبيهقي شعب الإيمان (١٠ / ٢١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦١/١).

(٦) البقرة:٢٦.

(٧) انظر: الصحاح للجوهري (٧ / ١٧٤)، لسان العرب (١٤ / ١٠٨٠).

(٨) مقاييس اللغة (٢ / ١٢٢).

(٩) تفسير ابن كثير (١ / ٢٠٦).

وأشار ابن القيم إلى معنى هذا الاسم الجليل بقوله[1]:

وهو الحييُّ فليس يفضحُ عبْده   عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يُلقي عليه سِتره   فهو السِّتِيرُ و صاحبُ الغفران

وقد علَّق الشيخ محمد خليل الهراس – رحمه الله - بكلام جميل مفيد على هذين البيتين فاستحسنت نقله، حيث قال: "وحياؤه سبحانه وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب ويُذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يُجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيئه له من أسبا الستر، ثم يعفو عنه ويغفر، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن الله ﷻ يدني المؤمن فيضع عليه كنفه، ثم يسأله فيما بينه وبينه: ألم تفعل كذا يوم كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه وأيقن أنه قد هلك قال له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم".

وكذلك يستحي سبحانه من ذي الشيبة في الإسلام أن يعذبه، ويستحي ممن يدعوه، ويمدُّ يديه أن يردهما خاليتين.."[2].

السابع والثلاثون: «الحليم»

قال الحسين[3]: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف[4] قال حدثنا أبو الورقاء[5] عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ، وليحسن وضوءه، وليصل ركعتين، وليثن على الله تبارك وتعالى، وجل وعلا،

---

(١) النونية (٢٠٧/١).

(٢) شرح نونية ابن القيم (٨٦/٢).

(٣) أحد رواة زهد ابن المبارك تقدم.

(٤) عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، أبو نصر العجلي مولاهم البصري، نزيل بغداد صدوق ربما أخطأ، مات سنة ٢٠٤هـ. الكاشف (١ / ٦٧٥)، التقريب (٤٢٩٠).

(٥) فائد بن عبد الرحمن الكوفي، أبو الورقاء العطار، متروك اتهموه، من صغار الخامسة، بقي إلى حدود الستين. الكاشف (٢ / ١١٩)، التقريب (٥٤٠٨).

وليصل على محمد النبي ﷺ، ثم ليقل لا اله إلا الله **الحليم الكريم**، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل ذنب، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الرحمين"(١).

دليله/ قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(٢).

معناه/ المعنى اللغوي: الحَلِيم اسم الفاعل من حَلُمَ فهو حليم، وهذا مطّردٌ فيما كان من الأفعال على "فَعُلَ" إذ يأتي اسم الفاعل من على "فَعِيل"(٣).

الحِلْمُ بالكسر: الأَناةُ والعقل، والحِلْمُ: نقيضُ السَّفَه، وخلاف الطيش، يُقال: حِلِمتُ عنه أحلم، فأنا حليمٌ، وجمع حليم أَحْلام(٤).

قال الجرجاني: "الحلم: هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم"(٥).

وقال الكفوي: "الحِلم بالكسر: وهو الأناة، والسكون، مع القدرة والقوة"(٦).

المعنى الشرعي: قال ابن جرير: "حليم: يعني أنه ذو أناة، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم"(٧).

---

(١)رواه ابن المبارك في الزهد. الأعظمي ص (٣١٦)، وفيه فائد الكوفي وهو متروك، ورواه الترمذي، كتاب: الصلاة، باب "ما جاء في صلاة الحاجة"، برقم (٤٧٩)، وقال: "هذا حديث غريب وفي إسناده مقال. فائد بن عبد الرحمن يُضّعف في الحديث"، وابن ماجه، كتاب: الصلاة، باب " ما جاء في صلاة الحاجة "، برقم (١٣٨٤)، والبيهقي في الشعب (٤ / ٥٤٦)، والحاكم في المستدرك (٤٥٨/١)، وأورده ابن الجوزي في الموضاعات (٤٦٠/٢)، وقد جاء ذكر الأسماء الحسنى الواردة في حديث صحيح عند ابن حبان في صحيحه (٣٧٢/١٥)، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: حديث صحيح.

(٢) البقرة:٢٦٣.

(٣) انظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص (٩٦).

(٤) انظر: العين للفراهيدي (٣ / ٢٤٦)، مقاييس اللغة (٢ / ٩٣)، لسان العرب (٢ / ٩٨٠).

(٥) التعريفات ص (٧٥).

(٦) الكليات ص (٤٠٤).

(٧) تفسير الطبري (٥ / ١١٧).

وقال في موضع آخر: "يعني أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه، وخالف أمره بالنقمة"[١].

وقال الزجاج: "الحليم: هو الذي لا يُعاجِل بالعقوبة"[٢].

وقال الخطابي: "الحليم: ذو الصفح والأناة، الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفَّه جهلُ جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم؛ إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة، والمتأنِّي الذي لا يعجل بالعقوبة"[٣].

وقال البيهقي: "الحليم: هو الذي يؤخر العقوبة عن مستحقيها، ثم يعفو عنهم"[٤].

فالحليم هو من يصفح، ويعفو، ويتجاوز، ويمهل، مع قدرته على العقوبة.

الثامن والثلاثون: «الكريم»

دليله/ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[٥].

معناه/ المعنى اللغوي: الكَرَم نقيض اللُّؤْم، يكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء، ويستعمل في الخيل والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذا عنوا العِتْق وأَصله في الناس[٦].

وكَرُمَ السحاب: أتى بالغيث، وأرض مكرمة للنبات، إذا كانت جيدة النبات، والكرم في الخلق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب، والكريم: الصفوح[٧].

قال في اللسان:"الكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والكريم: اسم جامع لكل ما يُحمد، فالله ﷻ كريم، حميد الفعال"[٨].

وقال الزجاجي:"الكريم: الجواد، والكريم: العزيز، والكريم: الصَّفوح. هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب كلها جائزة في وصف الله ﷻ بها"[١].

---

(١) تفسير الطبري (٧ / ٣٢٧).

(٢) تفسير أسماء الله ص (٤٥).

(٣) شأن الدعاء ص (٦٣).

(٤) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص (٥١).

(٥) الانفطار:٦.

(٦) انظر: لسان العرب (١٢ / ٥١٠).

(٧) مقاييس اللغة (٥ / ١٧٢).

(٨) لسان العرب (٥ / ٣٨٦١).

المعنى الشرعي: قال الحليمي:"الكريم: ومعناه النفّاع، من قولهم: شاة كريمة، إذا كانت غزيرة اللبن تدر على الحالب...ولا شك في كثرة المنافع التي مَنَّ الله تعالى بها على عبادة ابتداءً منه وتفضلاً فهو باسم الكريم أحق من كل كريم"(٢).

وقال البيهقي: "الكريم: هو المنزه عن الدناءة، وهذه صفة يستحقها بذاته، وقيل: الكريم: الكثير الخير، وقيل: المحسن بما لايجب عليه، والصفوح عن حق وجب له، وهو على هذا المعنى من صفات فعله"(٣).

وقال ابن القيم:"فإن الكريم: هو البهي الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره، وحسن منظره، من النبات وغيره...وبالجملة فالكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير بسهولة ويسر"(٤).

فالله ﷻ هو الكريم: الجَوادُ المعطِي الذي لا يَنْفَدُ عَطاؤه، العزيز المنزه عن جميع الدنايا، الصفوح عن خطايا عباده.

التاسع والثلاثون: «السِّتِّير»

دليله/ قال النبي ﷺ:"إن الله ﷻ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر"(٥).

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس: "(سَتَرَ) السين والتاء والراء: كلمة تدل على الغطاء، تقول: سترت الشيء ستراً، والسترة: ما استترت به، كائناً ما كان"(٦).

---

(١) اشتقاق أسماء الله ص (١٧٦).

(٢) المنهاج (١/٢٠١).

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص (٥٢).

(٤) التبيان في أيمان القرآن ص (٣٢٨-٣٣٠).

(٥) رواه أبو داود في سننه عن عطاء عن يعلى بن أمية ﷺ عن النبي ﷺ كتاب: الحمَّام، باب "النهي عن التعري"،برقم (٤٠١٢)، النسائي في سننه، كتاب: الطهارة، باب "الاستتار عند الغسل"، برقم (٤٠٦)، والبيهقي شعب الإيمان (١٠ / ٢١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٦١).

(٦) مقاييس اللغة (٣ / ١٣٢).

وتستَّر أي: تغطَّى، ورجل مستور و ستِير أي: عفيف، والمرأة ستِيرة(١).

والستير: فعيل بمعنى فاعل.

المعنى الشرعي:

قال البيهقي: " وقوله: ستير، يعني: أنه ساتر يستر على عباده كثيراً، ولا يفضحهم في المشاهد، كذلك يحب من عباده الستر على أنفسهم، واجتناب ما يشينهم "(٢).

وقال المناوي: "(ستير) بالكسر والتشديد أي: تارك لحُبِّ القبائح، ساتر للعيوب والفضائح، فعيل بمعنى فاعل.

وجعله بمعنى مفعول أي: مستور عن العيون في الدنيا"(٣).

فالله ﷻ يحب الستر لعباده المؤمنين، فهو ساتر لعوراتهم، وساتر لعيوبهم وذنوبهم.

الأربعون: «المنان»

قال الحسين(٤): قال أخبرنا نوح(٥) قال أخبرنا خلف بن خليفة(٦) قال حدثنا حفص بن أخي أنس بن مالك(٧) عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ في المسجد، ورجل يصلي، فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، **المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**، يا حي يا قيوم، أسألك، فقال النبي ﷺ:" هل تدرون بما دعا؟" فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال: "دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دُعي به

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٢ / ٣٤١)، مختار الصحاح (٢٥٨)، لسان العرب (٤ / ١٩٣٥).

(٢) الأسماء والصفات (١ / ٢٢٤).

(٣) فيض القدير (٢ / ٢٨٨).

(٤) المروزي تقدم.

(٥) مجهول.

(٦) خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي، مولاهم أبو أحمد الكوفي، صدوق اختلط في الآخر، وادعى أنه رأى عمرو بن حريث الصحابي، فأنكر عليه ذلك بن عيينة وأحمد، مات سنة ١٨١هـ على الصحيح. التقريب (١٧٤١).

(٧) حفص بن أخي أنس، صدوق، من الرابعة، قال ابن حبان: حفص بن عبد الله بن أبي طلحة، فعلى هذا هو ابن أخي أنس لأمه، وقال غيره: بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة، فعلى هذا هو ابن ابن أخي أنس. التقريب (١٤٤٥).

أجاب، وإذا سئل به أعطى"[١].

دليله/ عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ في المسجد، ورجل يصلي، فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض.."[٢].

معناه/ المعنى اللغوي: المنُّ: العطاء لا من المنَّة، وكثيراً ما يرد المنُّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، فالمنان من أبنية المبالغة كالوهاب.

والمنَّان فعَّالٌ من قولك: مننت على فلان، إذا اصطنعت عنده صنيعة، وأحسنت إليه[٣].

قال الراغب: " والمنة: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال منَّ فلان على فلان، إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى﴾[٤] ،وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كُفرت النعمة حسُنت المنة. ومنه وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾[٥]"[٦].

المعنى الشرعي: قال الزجاجي: "فالله ﷻ منَّانٌ على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم"[٧].

وقال الخطابي: "المنان: وهو كثير العطاء"[٨].

---

(١) الزهد لابن المبارك ط. الأعظمي ص (٣٣٦)، ورواه أحمد في المسند (١٩ / ٢٣٨)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب "إن رحمتي تغلب غضبي"، برقم (٣٥٤٤)، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أنس". وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب "الدعاء"، برقم (١٤٩٥)، صحيح ابن حبان (١٧٥/٣)، صححه الألباني. انظر: صحيح الترمذي (٤٥٧/٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: النهاية في غريب الأثر (٤ / ٣٦٥)، واشتقاق أسماء الله ص (١٦٤).

(٤) آل عمران:١٦٤.

(٥) الحُجُرات:١٧.

(٦) المفردات ص (٤٧٤).

(٧) اشتقاق الأسماء ص (١٦٤).

(٨) شأن الدعاء ص (١٠٠).

وقال الحليمي: "المنان: وهو عظيم المواهب، فإنه أعطى الحياة والعقل والنطق، وصوّر فأحسن الصور، وأنعم فأجزل، وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح"[١].

وقال ابن الأثير: "المنان: هو المنعم المعطي"[٢].

فالله ﷻ هو المنَّان صاحب الهبات العظيمة، العطايا الوفيرة.

الحادي والأربعون: «بديع السماوات والأرض»

دليله/ قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

معناه/ المعنى اللغوي: بدَع الشيءَ يَبدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه أنشأه وبدأه، والبَدِيعُ والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٤] أي: ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسلٌ كثير.

يُقال: أبدعت الشيء قولا أو فعلا، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، والله بديع السموات والأرض[٥].

قال الجرجاني: "الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء"[٦].

المعنى الشرعي: قال أبو عبيدة[٧]: "بديع: مبتدع، والبادئ الذي بدأها"[١].

---

(١) المنهاج (١/٢٠٣).

(٢) النهاية (٤ / ٣٦٥).

(٣) البقرة:١١٧.

(٤) الأحقاف:٩.

(٥) انظر: مقاييس اللغة (١ / ٢٠٩)، لسان العرب (١ / ٢٢٩).

(٦) التعريفات ص (٨).

(٧) معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري النحوي اللغوي، قال ابن قتيبة: "كان يبغض العرب، وصنف في مثالبهم كتباً"، وقال الذهبي:" كان هذا المرء من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله ﷺ، ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد "، وكان يرى رأي الخوارج، له نحو ٢٠٠ مؤلف، منها: مجاز القرآن، وغريب الحديث، ونقائض جرير والفرزدق. انظر:سير أعلام النبلاء (٩/٤٤٦)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (١/٧٦)، الأعلام للزركلي (٧/٢٧٢).

وقال الحليمي: "ومعناه المبتدع، وهو يحدث ما لم يكن مثله قط، قال الله ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾أي: مبدعها"[٢].

وقد أشار السعدي إلى معنى هذا الاسم بكلام لطيف حيث قال: " أي خالقها ومبدعها بأحسن خلقة ونظام، وأبدع هيئة وصفة، قد تمت فيهما أوصاف الحسن ونهاية الحكمة، وأودع فيهما من لطائف صنعته وعجائب قدرته وأسرار خلقته ما يشهد لمبدعها بكمال الحكمة، وسعة الحمد، وواسع العلم، ولطيف اللطف، ودقيق الخبرة"[٣].

وأما البديع فلا يُسمَّ الله ﷻ به؛ لأنه لم ينزل به القرآن، ولم يصحَّ به برهان.

الثاني والأربعون: «ذو الجلال والإكرام»

دليله/ قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٤].

كان النبي ﷺ يقول بعد الصلاة:"اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام"[٥].

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس:"(جل) الجيم واللام أصولٌ ثلاثة: جَلَّ الشيءُ: عَظُمَ، وجُلُّ الشيء مُعْظَمُه. وجلال الله: عَظَمته، وهو ذو الجلال والإكرام، والجَلَلُ الأمر العظيم"[٦].

يقال: جَلَّ فلانٌ في عيني أي عظُم، وأجْللتُه أي رأيته جليلاً نبيلاً، وأجلَلْتُه أي عظَّمْتُه .

فجلال الشيء: عظمته[٧].

والإكرام تقدم معناه في اسم الله الكريم.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيده (٥٢/١).

(٢) المنهاج (١٩٢/١).

(٣) فتح الرحيم الملك العلام ص (٥٣-٥٤).

(٤) الرحمن:٧٨.

(٥) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب "استحباب الذكر بعد الصلاة"، برقم (١٣٣٤).

(٦) مقاييس اللغة (١ / ٤١٧).

(٧) انظر: لسان العرب (١ / ٦٦٢)، تهذيب اللغة (١٠ / ٢٦٠).

المعنى الشرعي: قال الطبري:" ﴿ذِى ٱلْجَلَـٰلِ﴾ يعني: ذي العظمة، ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه"[١].

وقال ابن أبي زمنين[٢]: "﴿ذِى ٱلْجَلَـٰلِ﴾: العظمة، ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: لأهل طاعته"[٣].

وقال الزجاج: "ومعنى ذو الجلال: أنه المستحق لأن يُجلَّ ويُكرمُ"[٤].

وقا الزجاجي: "الجلال: العظمة، فالله ﷻ ذو العظمة والكبرياء"[٥].

وقال الخطابي: "والمعنى: أن الله ﷻ مستحق أن يُجل ويُكرَمَ فلا يُجحد، ولا يكفر به.

وقد يحتمل أن يكون المعنى أنه يُكْرِمُ أهل ولايته، ويرفع درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ويجلهم ويتقبل منهم أعمالهم ويرفع في الجنان درجاتهم.

وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين، وهو الجلال، مضافاً إلى الله سبحانه، بمعنى الصفة له، والآخر مضافاً إلى العبد بمعنى الفعل منه"[٦].

الثالث والأربعون: « المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ»

قال ابن المبارك: أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد قال حدثني علقمة بن مرثد وإسماعيل بن أميه أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته، رفع يديه، وضمهما، وقال:" رب اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت **المقدم**، وأنت **المؤخر**، لا إله إلا أنت، لك الملك، ولك الحمد"[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ٨٦).

(٢) الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي المعروف بابن أبي زمنين، شيخ قرطبة، فقيه مالكي، من الوعاظ الأدباء، له مصنفات منها: تفسير القرآن العزيز، وأصول السنة، منتخب الاحكام، توفي سنة ٣٩٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧ / ١٨٨)، الأعلام للزركلي (٦ / ٢٢٧).

(٣) تفسير ابن زمنين (٤ / ٣٣٥).

(٤) تفسير الأسماء ص (٦٢).

(٥) اشتقاق الأسماء ص (٢٠١).

(٦) شأن الدعاء ص (٩١-٩٢).

(٧) رواه ابن المبارك في الزهد ط. الأعظمي ص (٣٣١)، وجاء في الصحيحين بنحوه مختصراً، البخاري، كتاب: الدعوات، باب "قول النبي ﷺ: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت"، برقم (٦٣٩٨)، ومسلم، كتاب: الذكر

دليله/ جاء عن النبي ﷺ في دعائه: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به منّي، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت"[(١)].

معناه/ المعنى اللغوي: المُقَدِّمُ: قال ابن فارس: "(قدم) القاف والدال والميم: أصل صحيح يدل على سبق ورعف"[(٢)].

وقَدَم بالفتح يَقْدُم قُدوماً أَي: تقدّم، ومنه قوله تعالى : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[(٣)] .

والقَدَمُ والقُدْمةُ : السبقة في الأمر، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[(٤)] ، أَي: سابِقَ خير، وأَثراً حسناً[(٥)].

المُؤَخِّرُ: قال ابن فارس: "(أخر) الهمزة والخاء والراء: أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم..والآخر نقيض المتقدم..وقال:وآخرة الرحل وقادمته، ومؤخر الرحل ومقدمه"[(٦)].

وقد تأَخَّرَ عنه تأَخُّراً وتأَخُّرَةً، وأَخَّرْتُه فتأَخَّرَ، واستأْخَرَ، وفي التنزيل: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[(٧)].[(٨)]

المعنى الشرعي: قال الزجاج : "المقَدِّم: هو الذي يقدم ما يجب تقديمه من شيءٍ حُكْماً وفعلاً، وكيف أحب.

المؤخِّر: وهو الذي يؤخر ما يجب تأخيره، والحكمة والصلاح فيما يفعله تعالى، وإن خَفي علينا

والدعاء، باب "في الأدعية"، برقم (٦٩٠١).

(١) رواه البخاري، كتاب: الدعوات، باب "قول النبي ﷺ: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت"، برقم (٦٣٩٨)، ومسلم واللفظ له، كتاب: الذكر والدعاء، باب "في الأدعية"، برقم (٦٩٠١).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٦٥).

(٣) هود:٩٨.

(٤) يونس:٢.

(٥) انظر: لسان العرب (٣٥٥٢/٥).

(٦) مقاييس اللغة (١ / ٧٠).

(٧) الأعراف:٣٤.

(٨) انظر: لسان العرب (١ / ٣٨).

وجه الحكمة والصلاح فيه"[١].

وقال الخطابي: " المقَدِّم والمؤخِّر: هو المنْزِلُ الأشياء منازلها، يقدِّم ما يشاء منها، ويُؤخر ما شاء، قَدَّم المقادير قبل أن خلق الخلق، وقدم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات، وقدم منم شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخَّر من شاء عن مراتبهم، وثبَّطهم عنها، وأخَّر الشيء عن حين توقعه؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، لا مُقَدِّم لما أخَّر، ولا مُؤخِّر لما قدَّم.

والجمع بين هذين الاسمين أحسن من التفرقة"[٢].

وقال الحليمي: " المقَدِّم: وهو المعطي لعوالي الرُتَب.

المؤخِّر: وهو الدافع عن عوالي الرُتَب"[٣].

فالله ﷻ هو المقَدِّم الذي يقدِّم الأشياء، ويضعها في مواضعها فمن استحق التقديم قدمه.

والمؤخِّرُ هو الذي يؤخر الأَشياءَ، فَيضعُها في مواضِعها فمن استحق التأخير أخَّرَه.

الرابع والأربعون: «المعطي»

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين[٤]، قال : حدثني محمد بن سنان الباهلي[٥] ، قال: كان منصور الظفاري عابداً متقللاً، فحدثني عنه بعض جيرانه أنه شكا إليه شدة الزمان، فقال: اجعل غداً كيومك، واجعل يومك كما غَبَرَ من عمرك، وسل الله الخيرة في جميع أمرك، فهو **المعطي**، وهو المانع[٦].

---

(١) تفسير الأسماء ص (٥٩).

(٢) شأن الدعاء ص (٨٦-٨٧).

(٣) المنهاج (١/٢٠٧-٢٠٨).

(٤) الإمام أبو جعفر، محمد بن الحسين بن أبي شيخ البرجلاني، صاحب التواليف في الرقائق، قال أبو حاتم: قيل: إن رجلاً سأل أحمد بن حنبل عن شيء من أخبار الزهد، فقال: عليك بمحمد بن الحسين، روى عنه ابن أبي الدنيا كثيراً. انظر: سير أعلام النبلاء (١١ / ١١٢).

(٥) محمد بن سنان الباهلي، أبو بكر البصري العَوَقي، بفتح المهملة والواو بعدها قاف، ثقة ثبت، مات سنة ٢٢٣هـ. التقريب (٥٩٧٢).

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد المنسوب إليه ص (١٩٣)، وفيه من لم يسم، في قوله" حدثني عنه بعض جيرانه".

دليله/ عن أبي معاوية ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، والله المعطى وأنا القاسم"[١].

معناه/ المعنى اللغوي: العَطْوُ: التَّناولُ، يقال: منه عَطَوْت أَعْطُو، ومنه اشتُق الإعطاء.

والمعاطاة: المناولة، ويقال: عاطى الصبي أهله، إذا عمل وناول ما أرادوا.

والعطاء: اسم لما يُعطى، وهي العطية، والجمع عطايا، وجمع العطايا أَعْطِية.

ورجلٌ مِعْطاءٌ : كثيرُ العطاء[٢].

المعنى الشرعي: قال الحليمي: "المعطي: هو الممكِّن من نعمه"[٣].

قال السعدي: "واللّه تعالى هو المعطي: ...الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه"[٤].

فالله ﷻ هو المتفرِّد بالعطاء على الحقيقة، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وسع عطاؤه العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجره، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فخص به المؤمنين: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[٥].[٦]

الخامس والأربعون: «ذو العرش»

قال وكيع: حدثنا إسرائيل[٧]، عن أبي إسحاق[٨]، عن مسروق[١] قال: قال ﷺ: "أنفق

---

(١) رواه البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب "قوله تعالى: (ﭗ ﭘ ﭙ) [الأنفال:٤١]"، برقم (٣١١٦).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤ / ٣٥٣)، الصحاح للجوهري (٧ / ٢٨١)، لسان العرب (٤/ ٣٠٠١).

(٣) المنهاج (٢٠٦/١).

(٤) تفسير السعدي (١ / ٧٥٤).

(٥) الإسراء:٢٠-٢١.

(٦) انظر: فقه الأسماء للبدر ص (٣٢٤).

(٧) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني أبو يوسف الكوفي ثقة، تكلم فيه بلا حجة، وثقه أحمد وتعجب من حفظه، وقال أبو حاتم "هومن أتقن أصحاب أبي إسحاق"، مات ١٦٢هـ. الكاشف (٢٤١/١)، التقريب (٤٠٥).

(٨) عمرو بن عبد الله (بن عبيد، ويقال علي، ويقال بن أبي شعيرة) الهمداني أبو إسحاق السبيعي بفتح المهملة وكسر الموحدة، ثقة مكثر عابد، اختلط بأخرة، مات ١٢٩هـ. التقريب (٥١٠٠).

بلال ، ولا تخش من **ذي العرش** إقلالا"[٢].

دليله/ قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[٣] .

معناه/ المعنى اللغوي: قال ابن فارس: "(عرش) العين والراء والشين: أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك، من ذلك العرش"[٤].

ويُطلق العرش في كلام العرب على عدة معانٍ، وأشهرها معنيان:

- سرير المِلك، يدلُّك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله ﷻ عرشاً فقال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٥] .

- سقف الشيء، يقُال: عرش البيت: أي سقفه[٦].

المعنى الشرعي: قال الطبري: "﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ يقول: ذو السرير المحيط بما دونه "[٧].

قال ابن كثير: "هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات"[٨].

---

(١) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد مخضرم، توفي ٦٣هـ.الكاشف (٢/٢٥٦)، التقريب (٦٦٤٥).

(٢) رواه وكيع في الزهد (٦٦٣/٢)، هناد في الزهد (٣٤٠/١)، ورواه البزار عن مسروق بن الأجدع عن بلال ﷺ (٢٠٤/٤)، والطبراني في المعجم الكبير بسنده إلى مسروق عن بلال ﷺ (٣٥٩/١)، والبيهقي في شعب الإيمان بسنده عن ابن سيرين عن أبي هريرة ﷺ (٤٨٤/٢)، ورواه أيضا في الشعب بسنده عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها (٦٠/٣)،كلهم مختصراً، قال ابن عرّاق: "له شواهد فأخرج البزّار عن أبي هريرة ... قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن" تنزيه الشريعة (٣٧١/٢). ولم يروه البزار عن أبي هريرة ﷺ، والذي رواه عن أبي هريرة ﷺ هو البيهقي كما تقدم.

(٣) البروج:١٥.

(٤) مقاييس اللغة (٤ / ٢٦٤).

(٥) النمل:٢٣.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١ / ٢٦٣)، القاموس المحيط ص (٨٥٦).

(٧) تفسير الطبري (٢١ / ٣٦٣).

(٨) البداية والنهاية (١ / ١٢).

وقال السعدي: "أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى"(١).

الساس والأربعون: «ذو العزة»

قال أسد ابن موسى: ثنا فضيل بن مرزوق(٢)، عن أبي إسحاق(٣)، عن عبد الله بن عطاء(٤)، عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ، قال: " يجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، ثم يتجلى لهم **ذو العزة**"(٥).

دليله/ عن أنس ﷺ قال: "كنت مع رسول الله ﷺ جالساً في الحلقة، إذ جاء رجل فسلَّم على النبي ﷺ والقوم، فقال الرجل: السلام عليكم ورحمة الله، فرد النبي عليه الصلاة والسلام: عليه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فلما جلس الرجل قال: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا أن يحمد وينبغي له، فقال له النبي ﷺ: كيف قلت؟ فرد عليه كما قال، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ابتدرها عشرة أملاك، كلهم حريصٌ على أن يكتبها فما دروا كيف يكتبوها، حتى يرفعوها إلى **ذي العزة**. فقال: اكتبوها كما قال عبدي"(٦).

وجاء في القرآن الكريم اسمُ "رب العزَّة" في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٧).

وقد تقدم شرح معنى العزّة لله ﷻ عند الكلام عن اسمه تعالى «العزيز».

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٩١٨).

(٢) فضيل بن مرزوق الأغر بالمعجمة والراء، الرقاشي الكوفي، أبو عبد الرحمن، صدوق يهم ورمي بالتشيع، مات سنة ١٦٠هـ. التقريب (٥٤٧٢).

(٣) تقدم.

(٤) عبد الله بن عطاء الطائفي، أصله من الكوفة، صدوق يخطيء ويدلس، من السادسة. التقريب (٣٥٠٣).

(٥) رواه أسد بن موسى في الزهد (٤٧)، وفيه إسناده الطائفي مدلس وقد عنعن.

(٦) رواه أحمد في المسند (٢٠ / ٦٢)، وابن حبان في صحيحه، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات (٣ / ١٢٥)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات مجمع الزوائد (١٠ / ١١٨).

(٧) الصافات: ١٨٠.

السابع والأربعون: «خير الغافرين»

قال هناد: حدثنا المحاربي[١] عن أبان بن أبي عياش[٢] عن سعيد بن جبير[٣] قال: لما أصاب آدم الخطيئة فزع إلى كلمة الإخلاص لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت **لخير الغافرين**، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب عملت سوءاً وظلمت نفسي، فارحمني إنك أنت **أرحم الراحمين**، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب عملت سوءاً وظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت **التواب الرحيم**[٤].

دليله/ قال تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾[٥] .

وقد تقدم معنى المغفرة من الله ﷻ عند الكلام عن اسميه تعالى « الغفور-الغَفَّار ».

الثامن والأربعون: «التواب»

دليله/ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٦] .

معناه/ المعنى اللغوي: توّاب: "فعّال" من أبنية المبالغة مثل ضرَّاب للكثير الضرب، وقتّال للكثير القتل.

والتوبة: الرجوع من الذنب، ورجل توّاب: تائب إلى الله، والله توّاب: يتوب على عبده.

وتواب: يُستعمل في الله؛ لكثرة قبول التوبة من العباد[٧].

المعنى الشرعي: قال الخطابي :"التوّابُ: هو الذي يتوب على عبده، ويقبل توبته"[٨].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي، أبو محمد الكوفي، لا بأس به، وكان يدلس قاله أحمد، مات سنة ١٩٥هـ. التقريب (٤٠٢٥).

(٢) أبان بن أبي عياش فيروز البصري، أبو إسماعيل العبدي، متروك، مات سنة ١٤٠هـ تقريباً. االتقريب (١٤٣).

(٣) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ. التقريب (٢٢٩١).

(٤) رواه هناد في الزهد (٢ / ٤٦١)، وفيه أبان بن أبي عياش وهو متروك، ورواه البيهقي في الشعب (٩/٣٦٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/٣١٩).

(٥) الأعراف:١٥٥.

(٦) البقرة:٣٧.

(٧)ا نظر: اشتقاق أسماء الله ص (٦٣)، الكليات للكفوي ص (٣٠٨)، لسان العرب (١ / ٤٥٤).

(٨) شأن الدعاء ص (٩٠).

وقال ابن سعدي: " التواب: الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين"[(١)].

وتوبة الله على عبده نوعان[(٢)]:

أحدهما: أن يوفق عبده للتوبة والإنابة إليه، بإيقاع ذلك في قلبه.

الأخرى: قبوله سبحانه هذه التوبة من عبده، وإجابتها، ومحو ذنبه، والعفو عنه.

التاسع والأربعون: «رب العرش العظيم»

قال الحسين: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف[(٣)]، قال: حدثنا أبو الورقاء[(٤)] عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ، وليحسن وضوءه، وليصل ركعتين، وليثن على الله تبارك وتعالى وجل وعلا، وليصل على محمد النبي ﷺ، ثم ليقل لا اله إلا الله **الحليم الكريم**، سبحان الله **رب العرش العظيم**، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل ذنب، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضى إلا قضيتها يا **أرحم الراحمين**"[(٥)].

دليله/ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب " لا إله إلا الله

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٩٤٦).

(٢) انظر: الحق الواضح لابن سعدي من المجموعة الكاملة (٣/٢٥٠)، تفسير السعدي (١ / ٩٤٦).

(٣) عبد الوهاب بن عطاء الخفاف أبو نصر العجلي مولاهم البصري نزيل بغداد صدوق ربما أخطأ، مات ٢٠٤هـ. التقريب (٤٢٩٠).

(٤) فائد بن عبد الرحمن الكوفي، أبو الورقاء العطار، متروك اتهموه، من صغار الخامسة. الكاشف (٢ / ١١٩)، التقريب (٥٤٠٨).

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد. الأعظمي ص (٣١٦)، وفيه فائد الكوفي وهو متروك، ورواه الترمذي، كتاب: الصلاة، باب "ما جاء في صلاة الحاجة"، برقم (٤٧٩)، وقال: "هذا حديث غريب وفي إسناده مقال. فائد بن عبد الرحمن يُضّعف في الحديث"، وابن ماجه، كتاب: الصلاة، باب " ما جاء في صلاة الحاجة "، برقم (١٣٨٤)، والبيهقي في الشعب (٤ / ٥٤٦)، والحاكم في المستدرك (٤٥٨/١)، وأورده ابن الجوزي في الموضاعات (٤٦٠/٢)، وقد جاء ذكر الأسماء الحسنى الواردة في حديث صحيح عند ابن حبان في صحيحه (٣٧٢/١٥)، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: حديث صحيح.

العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ، رب العرش العظيم"[١].

وقد تقدم معنى ألفاظ هذا الاسم.

الخمسون: «أرحم الراحمين»

دليله/ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢].

وقد تقدم معنى رحمة الله ﷻ عند الكلام عن اسمه تعالى «الرحمن-الرحيم».

الحادي والخمسون: «رب العالمين»

قال ابن المبارك: أخبرنا عبيد الله بن عمر[٣] عن خبيب بن عبد الرحمن[٤] عن حفص بن عاصم بن عمر[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سبعة يظلهم **الله** في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ، ورجل كأن قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله ﷻ، ورجل ذكر الله في الخلاء ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله **رب العالمين**، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لم تعلم شماله بما صنعت يمينه"[٦].

دليله/ قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٧].

معناه/ المعنى اللغوي: أما "الرب" فقد تقدم معناه.

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب: الدعوات، باب "الدعاء عند الكرب"، برقم (٦٣٤٦)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب "دعاء الكرب"، برقم (٦٩٢١).

(٢) الأنبياء:٨٣.

(٣) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العُمَري، المدني، أبو عثمان، ثقة ثبت، مات سنة ١٤٧هـ. الكاشف (١ / ٦٨٥)، التقريب (٤٣٥٣).

(٤) خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف الأنصاري، أبو الحارث، المدني، ثقة، مات ١٣٢هـ. الكاشف (٣٧١/١)، التقريب (١٧١٢).

(٥) حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العُمَري، ثقة، من الثالثة. الكاشف (١ / ٣٤١)، التقريب (١٤١٦).

(٦) الزهد لابن المبارك. الأعظمي ص (٣٧٦)، ورواه البخاري، كتاب: الحدود، باب "فضل من ترك الفواحش"، برقم (٦٨٠٦)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب "فضل إخفاء الصدقة"، برقم (٢٣٨٠)، كلاهما بلفظ "إني أخاف الله".

(٧) الفاتحة:٢.

العالمين: جمع عالم، والعالم موضوع في كلام للدلالة على الأفراد المتجانسة، فيقال: عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة.. فلا يُطلق بالإفراد إلا مضافاً لنوع يخصصه، ومجموعها يُسمى العالمون.

قال ابن فارس: " وذلك أن كلَّ جنسٍ من الخَلق فهو في نفسه مَعْلَم وعَلَم، وقال قوم: العالَم سُمِّي لاجتماعه"[1].

وليس "العالم" اسمٌ لمجموع ما سوى الله ﷻ، كما ظن ذلك بعض أهل العلم.

لأنه ليست كل الأفراد ذات جنس مطَّردٍ، بل فيها أفراد لا جنس لها منها: كعرش الله ﷻ، فإنه لا جنس له، كذا الجنة والنار.

قال ابن عاشور: "وهذا هو تحقيق اللغة فإنه لا يوجد في كلام العرب إطلاق عالم على مجموع ما سوى الله تعالى، وإنما أطلقه على هذا علماء الكلام في قولهم العالم حادث فهو من المصطلحات"[2].

فالموجودات سوى الله نوعان:

أحدهما: الأفراد التي لا نظير من جنسها، فلا يشركها غيرها في الحقيقة كالعرش والكرسي لله ﷻ، والجنة والنار.

الثاني: الأفراد المتجانسة كعالم الإنس والجن والنبات...

المعنى الشرعي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: "﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الحمد لله الذي له الخلق كله: السموات والأرضون ومن فيهن، وما بينهن، مما يعلم ولا يعلم"[3].

وقال السعدي: "هو المربي جميع العالمين..بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تعالى"[4].

---

(١) مقاييس اللغة (٤ / ١١٠).

(٢) التحرير والتنوير (١ / ١٦٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١ / ١٤٤).

(٤) تفسير السعدي (١ / ٣٩).

فهذه جملة ما ورد من أسماء الله ﷻ الحسنى في مجال البحث، فعلى المسلم أن يتعرض لهذه الأسماء في عبادته، ودعائه لربه ﷻ، وأن يَظهر أثر الإيمان بأسماء الله الحسنى في كل أحوال العبد: في المنشط والمكره، والسراء والضراء، ومعاملاته مع الخلق..

وأن يقدم بين يدي دعائه لربه ﷻ ما يناسب ذلك الدعاء من الأسماء كما جاء في دعاء المصطفى ﷺ، فهو أدعى لقبول الدعاء واستجابته.

المطلب الثاني :

صفات الله ﷻ :

وفيه تمهيد، وثلاث مسائل :

المسألة الأولى: الصفات الذاتيه .

المسألة الثانية: الصفات الفعلية .

المسألة الثالثة : الصفات الذاتية الفعلية .

تمهيد:

❖ تعريف الصفة.

الصفة في اللغة: قال ابن فارس: " (وصف) الواو والصاد والفاء: أصلٌ واحد، هو تحْلِيَةُ الشيء. ووصَفْتُه أصفُه وصفاً. والصِّفة: الأمارة اللاَّزمةُ للشّيء، كما يقال وَزَنْتُه وَزناً، والزِّنَة: قَدْرُ الشيء، يقال: اتَّصف الشيءُ في عين النّاظر: احتَمل أن يُوصَف"[1].

ووصَفَ الشيءَ: حَلاَّه، وقيل الوصْف: المصدر، والصِّفةُ: الحِلْية[2].

فالوصف: هو وصفُك للشيء ونعتُك له بحليته.

وأما الصفة: فهي الحالة التي عليها الشيء.

قال الراغب: "الوصف: ذِكْر الشيء بحليته ونعته، والصفة: الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته.

والوصف قد يكون حقاً وباطلاً، قال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾[3]. تنبيهاً على كون ما يذكرونه كذباً"[4].

وعلى هذا القول تكون «الصفة»: ما يقوم بالموصوف، و«الوصف»: قول الواصف، سواءً قامت الصفة بالموصوف أم لم تقم.

وعليه فصفات الله ﷻ ليست أوصافاً، بل صفاتٌ فحسب؛ لأن الوصف قد يكون باطلاً.

---

(١) مقاييس اللغة (٦ / ١١٥).

(٢) انظر: لسان العرب (٦ / ٤٨٤٩)، تاج العروس (٢٤ / ٤٥٩).

(٣) النحل:١١٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص (٥٢٥).

والصحيح: كما ذكر ابن تيمية أن كل واحد من اللفظين «الصفة» و«الوصف» يُطلق على القول تارة، وعلى المعنى أخرى.

قال رحمه الله: "«الصفة» مصدر وصفت الشيء أصفه وصفاً وصفة، مثل: وعد وعداً وعدة، ووزن وزنا وزنة؛ وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول، كما يسمون المخلوق خلقاً ويقولون: درهم ضرب الأمير، فإذا وُصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلما: سُمي المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة، فيقال للرحمة والعلم والقدرة: صفة بهذا الاعتبار، هذا حقيقة الأمر.

ثم كثير من المعتزلة ونحوهم يقولون: الوصف والصفة اسم للكلام فقط؛ من غير أن يقوم بالذات القديمة معان؛ وكثير من « متكلمة الصفاتية » يفرقون بين الوصف والصفة، فيقولون: الوصف هو القول، والصفة المعنى القائم بالموصوف؛ وأما المحققون فيعلمون أن كل واحد من اللفظين يطلق على القول تارة، وعلى المعنى أخرى "[١].

وقال أيضاً: " وفي الصحيح أيضاً أن النبي ﷺ سأل الذي كان يقرأ بقل هو الله أحد في كل ركعة – وهو إمام – فقال: إني أحبها؛ لأنها صفة الرحمن، فقال: «أخبروه أن الله يحبه»[٢]، فأقره النبي ﷺ على تسميتها صفة الرحمن.

وفي هذا المعنى أيضاً آثار متعددة، تُثْبت أن الكلام الذي يخبر به عن الله صفةً له، فإن الوصف هو الإظهار والبيان للبصر أو السمع، كما يقول الفقهاء: ثوب يصف البشرة، أو لا يصف البشرة، وقال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[٣]، وقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٤٠-٣٤١).

(٢) رواه البخاري كتاب: التوحيد، باب "ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك تعالى"، برقم (٧٣٧٥).

(٣) الأنعام:١٣٩.

﴿ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١]، وقال ﷺ « لا تنعت المرأةُ المرأةَ لزوجها، حتى كأنه ينظر إليها»[٢] والنعت الوصف، ومثل هذا كثير"[٣].

وصفات الله ﷻ غير ذاته، وزائدة عليها من حيث مفهومها وتصورها، بَيد أنها لا تنفك عن الذات، إذ لا نتصور في الخارج ذاتاً مجردة عن الصفات[٤].

فالصفات الإلهية: هي ما دلت على كمال الله ﷻ.

---

(١) الصافات: ١٨٠.

(٢) رواه البخاري بلفظ" لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها "،كتاب: النكاح، باب "لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها"، برقم (٥٢٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٤٠).

(٤) انظر: الصفات الإلهية للجامي ص (٨٤).

❖ **مذهب السلف في الصفات:** أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل(١).(٢)

ويُفهم من هذا الأساس أن مذهب السلف في الصفات يقوم على ثلاثة أسس، من جاء بها فقد وافق الصواب، وكان على هدي المصطفى ﷺ في الاعتقاد، ومن خالف في واحد منها فقد ضلَّ عن الحق في هذا الباب(٣):

الأول: تنزيه الله ﷻ عن مشابهة الخلق، وهذا الأصل دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٤).

الثاني: الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٥)، بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

---

(١) **والتحريف** فيها: تغير النص لفظاً أو معنى. **والتعطيل**: إنكار ما يجب لله ﷻ من الصفات أو إنكار بعضها.
والتكييف: حكاية كيفية الصفة. **والتمثيل**: تمثيلها بصفات الخلق.
انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص (١٦-١٧).

(٢) انظر: الصفدية (١ / ١٠٣)، شرح الأصبهانية ص (٣٤-٣٥)، الفتوى الحموية الكبرى ص (٢٥٥)، الواسطية بشرح الشيخ عبد العزيز الرشيد ص (٢٢-٢٨)، الجواب الصحيح (٤ / ٤٠٥)، مجموع الفتاوى (٣/١٢٩-١٣٠)، الصواعق المرسلة لابن القيم (٢ / ٤٢٦)، الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي (٢٢٩)، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي الكرمي ص (١١٣).

(٣) ذكر هذه الأسس الشيخ الأمين الشنقيطي في منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، وهي ضمن كتاب: القواعد الطيبات في الأسماء والصفات لأشرف بن عبد المقصود ص (٨٧/٤٣).

(٤) الشورى:١١.

(٥) الشورى:١١.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالى؛ لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1] .

❖ قواعد أهل السنة في الصفات الإلهية.

هذه بعض القواعد التي ذكرها أهل السنة في باب صفات الله ﷻ.، أذكرها على وجه الإجمال.

القاعدة الأولى: وجوب الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[2].

فلا أحد أعلم بالله من الله، ورسوله ﷺ هو أعلم الخلق به.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث"[3].

القاعدة الثانية: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، مع إثبات كمال الضد له سبحانه وتعالى؛ لأن الله ﷻ أعلم بنفسه من خلقه، ورسوله ﷺ أعلم الناس بربه.

وأما النفي المحض بدون إثبات كمال الضد فليس بكمال، ولا مدح فيه؛ لأنه عدم محض، والعدم ليس فيه مدح، وليس هو بشيء، وقد أثبت الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه في نصوص

---

(١) طه: ١١٠.

(٢) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص (١٦١-١٦٢)، مجموع الفتاوى (٣ / ١٢٩-١٣٠) وفي مواضع عدة من الفتاوى.

(٣) مجموع الفتاوى (٥ / ٢٦)، لمعة الاعتقاد لابن قدامة بشرح الشيخ صالح الفوزان ص (٥٢-٥٤).

عديدة، منها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[١]، فنفيُ السِنة والنوم عنه سبحانه متضمنٌ لكمال حياته وقيُّوميته[٢].

قال عبد العزيز الكناني[٣] – رحمه الله – في ردّه على بشر المريسي: "إن نفي السوء لا تثبت به المدحة، وإن إثبات المدحة ينفي السوء، وكذلك نفي الجهل لا يُثبت العلم، وإثبات العلم ينفي الجهل"[٤].

القاعدة الثالثة: صفات الله ﷻ توقيفية، فلا يُثبت له إلا ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، ولا يُنفى عنه إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ [٥].

القاعدة الرابعة: صفات الله سبحانه كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه[٦]، قال تعالى:﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٧]، قال ابن جرير: "ولله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره"[٨].

---

(١) البقرة:٢٥٥.

(٢) التدمرية ص (٥٧).

(٣)عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني، المكي، ذكر داود الظاهرى أنه صحب الشافعي مدة،من أشهر تصانيفه: كتاب الحيدة في مناظرته لبشر المريسي. انظر: طبقات الفقهاء للشيرازي ص (١٠٣)، ميزان الاعتدال (٦٣٩/٢)

(٤) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ص (٤٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٥ / ٢٦).

(٦) انظر: بدائع الفوائد (١ / ٢٩٥)، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ ص (٣٤٩).

(٧) الروم:٢٧.

(٨) تفسير الطبري (١٧ / ٢٢٩).

القاعدة الخامسة: إثبات صفات الله ﷻ إثبات حقيقة لا مجاز، وإثبات معنى لا تفويض للمعنى، أما الكيفية فمجهولة لنا.

قال ابن عبد البر: " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك"(١).

وقال القرطبي: "ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة..وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم يعني في اللغة، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة"(٢).

القاعدة الخامسة: كل اسم ثبت لله ﷻ يُشتق منه صفة، ويُخبر عنه فعلاً.

قال ابن القيم: " الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يُشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً، ونحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال، من ذلك نحو قد سمع الله (المجادلة)"(٣).

القاعدة السادسة: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته: كالشيء والموجود...(٤)

القاعدة السابعة: ما يُضاف الله ﷻ نوعان(٥): **النوع الأول:** أن يكون المضاف إليه صفة غير قائمة بنفسها، وغير بائنة، كالعلم والقدرة والكلام..

---

(١) التمهيد (٧ / ١٤٥).

(٢) تفسير القرطبي (٧ / ٢١٩).

(٣) بدائع الفوائد (١ / ٢٨٦).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (١ / ٢٨٤).

(٥) انظر: نقض الدارمي (١ / ٥٤٩)، درء التعارض (٧ / ٢٦٧-٢٦٨)، الجواب الصحيح (٢ / ١٥٥-١٥٧) مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٥)، الروح لابن القيم (٢/٥٢٥).

فهذه صفة لله ﷻ قائمة به غير مخلوقة، كقولة تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾[١]

النوع الثاني: أن يكون المضاف إليه سبحانه عيناً قائمة بنفسها، بائنة عن الله ﷻ، فهذا مملوك لله، مخلوق له، بائن عنه، لكنه مفضَّل مشرَّف؛ لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إليه، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾[٢] .

فليس كل ما أضيف إلى الله يستلزم أن يكون صفة له.

القاعدة الثامنة: الصفات المثبته لله ﷻ جاءت على وجه التفصيل، وأما الصفات المنفية عنه فجاءت على وجه الإجمال.

قال ابن تيمية: "والله سبحانه بعث رسله بإثبات مفصَّل، ونفي مجمَل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل"[٣].

القاعدة التاسعة: اشتراك شيئين في الاسم لا يلزم تماثلهما في الحقيقة والكيفية، فإثبات صفات الله ﷻ لا يقتضي تمثيلاً ولا تكييفاً[٤].

القاعدة العاشرة: القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين[٥].

---

(١) البقرة:٢٥٥.

(٢) الشمس:١٣.

(٣) التدمرية ص (٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦ / ٣٧)، درء التعارض (٥ / ١٦٣).

(٤) انظر: التدمرية ص (٢٠-٢١).

(٥) انظر: المصدر السابق ص (٤٣).

القاعدة الحادية عشرة: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فمن أقرَّ ببعض صفات الله ﷻ ولم يقر بالبعض الآخر فراراً من التشبيه بزعمه، يُقال له: لا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر[١].

قال ابن تيمية: " ومن فرَّق بين صفة وصفة مع تساويهما في أسباب الحقيقة والمجاز كان متناقضاً في قوله، متهافتا في مذهبه، مشابها لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض"[٢].

القاعدة الثانية عشرة: صفات الله ﷻ لا حصر لها؛ لأن كل اسم يتضمن صفة، وأسماء الله ليست محصورة كما تقدم[٣].

❖ تقسيم الصفات الإلهية، ونشأته.

إن المتتبع لطريقة السلف الصالح في إثبات صفات الله تعالى يتبين له أنهم يثبتون كل ما ثبت في الكتاب والسنة من الصفات ويمسكون عما سوى ذلك، فلم يُعرف عنهم تقسيم خاص للصفات، ولا الكلام في ذلك.

ولما خاض المتكلمون في باب الأسماء والصفات بعقولهم، وحكَّموها على نصوص الوحيين، فأثبتوا ما أثبته العقل، ونفوا ما نفاه العقل، واحتاجوا إلى تقسيم الصفات الإلهية، ليتوصلوا بذلك إلى نفي بعض الصفات التي أثبتها الله لنفسه، أو إثبات ما لم يثبته الله لنفسه، كما قال ابن تيمية رحمه الله في بيان أن المتكلمين هم من قسّم الصفات: "ومعلوم أن المشهور عند أهل الكلام من عامة الطوائف أنهم يقسمون الصفات إلى صفات فعلية وغير فعلية.."[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٢١٢).

(٣) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف ص (٢٦).

(٤) درء التعارض (٢ / ٣٣٨)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ (١/٣٧٤).

وقال أيضاً: " وكذلك الذين فرقوا بين الصفات الذاتية، وبين المعنوية اللازمة للذات من الكلابية وأتباعهم، يعود تفريقهم إلى وضع واصطلاح وتحكم واعتبارات ذهنية، لا إلى حقيقة ثابتة في الخارج؛ ولهذا يضطربون في الفرق بين الصفات الذاتية والمعنوية "(١).

وقال المقريزي: "ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح، ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم، أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات.

نعم ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات، أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية: من العلم والقدرة...وساقوا الكلام سَوْقاً واحداً، وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه، ونزّهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت"(٢).

فاقتضى ذلك من أهل السنة أن ينظروا في هذا التقسيم، ويعيدوه إلى دلائل الكتاب والسنة، كما اقتضى منهم أن يبينوا ما اشتمل عليه تقسيم المتكلمين، ومرادهم من الباطل.

وهذا التقسيمات للصفات ترجع إلى اعتبارات مختلفة ولا تنافي بينها:

١- فباعتبار ورودها في النصوص أو باعتبار ما تشتمل عليه من المعاني الوجودية والعدمية، تنقسم إلى:

---

(١) درء التعارض (٣ / ٣٢٩).

(٢) المواعظ والاعتبار المعروف بـ(الخطط المقريزية) (٢/٣٥٦).

صفات ثبوتية: وهي ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه: كالحياة، والعلم، والاستواء على العرش، والوجه، ونحو ذلك.

صفات منفية(١): وهي ما نفاها الله ﷻ عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه(٢): كالموت، والنوم، والعجز، والجهل، ونحو ذلك.

٢- تقسيمها باعتبار ما دلَّ عليها، أو باعتبار طريق ثبوتها، فتنقسم إلى:

صفات خبرية عقلية: وهي ما كان طريق ثبوتها هو الخبر من الشرع والعقل معاً: كالحياة، والعلو، والقدرة، ونحوها.

صفات خبرية: وهي ما كان طريق ثبوتها الخبر من الشرع فقط، وليس في العقل ما يثبتها أو ينفيها: كصفة الوجه، والقدم، واستواء الله، ونزوله، ونحو ذلك.

٣- تقسيمها باعتبار تعلقها بالذات والمشيئة، فتنقسم إلى(٣):

صفات ذاتية: وهي التي لا تنفك عن الله ﷻ أزلاً وأبداً، فلم يزل الله تعالى ولا يزال متصفاً بها: كحياته، وعلمه، ووجهه، ويديه، ونحو ذلك.

---

(١) وقد يكون تسميتها «منفية» أولى من تسميتها «سلبية»؛ لأن الله سبحانه هو الذي نفاها عن نفسه، وأما قولنا سلبية فإنه يُوهم أنها سُلبت من الله، والله أعلم.

(٢) وقول « نقص في حقه » لأن بعض الصفات تكون نقص في حق الله، وكمال في حق المخلوق كصفة الأكل يقول تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

(٣) وممن قسّم الصفات إلى ذاتية وفعلية الإمام أبو حنيفة رحمه الله حيث قال: "لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية". انظر: منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ص (٦٦).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "قال الإمام أحمد في رواية حنبل في (كتاب المحنة): لم يزل الله عالما متكلما غفوراً، فبين اتصافه بالعلم – وهو صفة ذاتية محضة – و « بالمغفرة » وهي من « الصفات الفعلية »". مجموع الفتاوى (٤٣٨/١٢).

صفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته سبحانه، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها: كالمحبة، والغضب، والمجيء، والاستواء، وغيرها.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية: وهي التي تكون ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر، وذلك مثل صفة الكلام له سبحانه، فإنه باعتبار أصله ونوعه فهو صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً.

وباعتبار آحاد الكلام وأفراده فهو صفة فعلية؛ لأن كلامه متعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ومن أمثلة ذلك أيضاً صفة الخلق[2].

---

(١) يس:٨٢.

(٢) انظر: القواعد المثلى ص (٢٩).

المسألة الأولى: الصفات الذاتية.

ورد في الأحاديث والآثار المروية في كتب الزهد والورع عدد من الصفات الذاتية لله ﷻ، وفيما يلي بيان ما وقفت عليه منها، مع الدليل على ثبوتها، وهل يوصف الله بها.

أولاً: صفة «الوجود»

قال وكيع: حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: "أيها الناس إنكم لا تدعون أصم **ولا غائبا**"[(١)].

في هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بأن الله ﷻ ليس بغائبٍ، وهذا يدل على صفة الوجود له سبحانه، فيُخبر عن الله تعالى بأنه موجود، ولكن الموجود ليس من أسمائه.

قال ابن تيمية في معرض رده على المنحرفين في باب الصفات: " فصار أهل السنة يصفونه بالوجود، وكمال الوجود، وأولئك يصفونه بعدم كمال الوجود، أو بعدم الوجود بالكلية؛ فهم ممثلة معطلة، ممثلة في العقل والشرع، معطلة في العقل والشرع.."[(٢)].

فيجب الاعتقاد أنّ الله موجود، وأنّ وجوده ليس كوجودنا؛ لأنّ وجودنا له بداية ونهاية، وأمّا الله تعالى فوجوده بلا بداية، أي لم يسبق وجوده عدم، ووجوده بلا نهاية، أي لا يلحقه فناء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٣)].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢/٦١٧)، وهو حديث متفق عليه، البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب "ما يُكره من رفع الصوت في التكبير"، برقم (٢٩٩٢)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب "استحباب خفض الصوت بالدعاء.."، برقم (٦٨٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦ / ٢١١).

(٣) الحديد:٣.

وقد سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء السؤال التالي:

السؤال: لم أجد في أسماء الله وصفاته اسم (الموجود)، وإنما وجدت اسم (الواجد)، وعلمت في اللغة أن الموجود على وزن مفعول، ولا بد أن يكون لكل موجود موجِد، كما أن لكل مفعول فاعل، ومحال أن يوجد لله موجِد.

ورأيت أن الواجد يشبه اسم الخالق، والموجود يشبه اسم المخلوق، وكما أن لكل موجود موجِد فلكل مخلوق خالق، فهل لي بعد ذلك أن أصف الله بأنه موجود؟

الجواب: وجود الله معلوم من الدين بالضرورة، وهو صفة لله بإجماع المسلمين، بل صفة لله عند جميع العقلاء، حتى المشركين، لا ينازع في ذلك إلا ملحد دهري، ولا يلزم من إثبات الوجود صفة لله أن يكون له موجد؛ لأن الوجود نوعان:

الأول: وجود ذاتي، وهو ما كان وجوده ثابتاً له في نفسه لا مكسوباً له من غيره، وهذا هو وجود الله سبحانه وصفاته، فإن وجوده لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

الثاني: وجود حادث، وهو ما كان حادثاً بعد عدمٍ، فهذا الذي لا بد له من موجِد يوجده، وخالق يحدِثه، وهو الله سبحانه، قال تعالى:﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) الحديد:٣.

وَكِيلٌ ﴾[(١)]، وقال تعالى:﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[(٢)].

وعلى هذا يوصف الله تعالى بأنه موجودٌ، ويُخبر عنه بذلك في الكلام، فيقال الله موجود، وليس الوجود اسماً، بل صفة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم[(٣)].

ثانياً: صفة «النَّفْسُ»

قال ابن المبارك: أخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: إن الله يقول: "من ذكرني في نفسه **ذكرته في نفسي**، ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ أفضل، أو قال أطيب منه وأكرم.."[(٤)].

صفة النفس لله ﷻ قد جاء إثباتها في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾[(٥)]، وفي حديث النبي ﷺ قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.."[(١)].

---

(١) الزُّمَر:.

(٢) الطور:٣٥-٣٦.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣ / ١٩٠).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد. ط الأعظمي ص (٢٧٨)، ورواه البخاري بنحو كتاب: التوحيد، باب "قول الله تعالى:" ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨]..", برقم (٧٤٠٥)، ومسلم أيضا بنحوه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب "الحث على ذكر الله"، برقم (٦٨٠٥).

(٥) المائدة:١١٦.

والنفس هنا يُراد بها ذاته سبحانه المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكَّة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات.

فالمراد بنفس الشيء هي ذاته وعينه، كما بيّن ذلك شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: " ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، كما يقال: رأيت زيداً نفسه وعينه، وقد قال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾، وقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[٢]...وفي الحديث الصحيح أنه قال لأم المؤمنين: "لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته"[٣]، وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي ﷺ: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"[٤]، فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات"[٥].

وقال أيضاً: "ومعلوم أن نفس الله التي هي ذاته المقدسة الموصوفة بصفات الكمال ليست مثل نفس أحد من المخلوقين"[٦].

---

(١) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب "تحريم الظلم"، برقم (٦٥٧٢).

(٢) الأنعام:٥٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب "التسبيح أول النهار وعند النوم"، برقم (٦٩١٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى (٩ / ٢٩٢-٢٩٣)، وانظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان (٢٤٩/١).

(٦) درء التعارض (١٠ / ٣٠٨).

ولكن بعض أهل السنة عدَّ «النفس» صفة لله ﷻ زائدة عن الذات، مثلها مثل غيرها من الصفات كالعلم والسمع.. منهم ابن خزيمة.

قال – رحمه الله –: " فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه "[١].

وأيضا القاضي أبي يعلى[٢] – رحمه الله – حيث قال بعد أن أورد الأحاديث في إثبات صفة النفس: " اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصول: أحدها: أن الله تعالى يوصف بأن له نفساً...نثبت نفساً هي صفة زائدة على الذات، كما أثبت له حياة ونفساً"[٣].

وقد أخطأ من قال بهذا القول وهو النفس صفة من الصفات، وهي زائدة على الذات، كما تقدم من أن نفس الشيء هي عينه وذاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ذهب طائفة من المنتسبين إلى السنة من أهل الحديث وغيرهم، وفيهم طائفة من أصحاب الشافعي، وأحمد وغيرهما إلى أن النفس صفة من الصفات، والصواب: أنها ليست صفة، بل نفس الله هي ذاته سبحانه الموصوفة بصفاته سبحانه"[٤].

وقال أيضاً عن صفة النفس: "وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ "[٥].

---

(١) كتاب التوحيد (١ / ١١).

(٢) الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء البغدادي، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه، ولي أبو يعلى القضاء بدار الخلافة والحريم، مع قضاء حران وحلوان، تفقه عليه جماعة منهم ابن عقيل، له مصنفات منها: الإيمان، الأحكام السلطانية وغيرها، مات سنة ٤٥٨هـ. انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١٩٣ وما بعدها)، سير أعلام النبلاء (١٨ / ٨٩).

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (٢/٤٤٤)، ومنهم الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته ص (٥٥).

(٤) درء التعارض (١٠ / ٣٠٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٩ / ٢٩٣).

وحجة من جعل صفة النفس صفة لله زائدة على ذاته، هو إدخال المتقدمين لها في ذكر الصفات.

ومقصود المتقدمين لم يكن كذلك، وإنما قصدهم الرد على من ينكر ذلك من الجهمية، وزعمهم أن ذلك هو ظاهر النصوص.

وإلا فإن أئمة أهل السنة قد صرّحوا بأن المراد بالنفس هو الذات(١).

قال الإمام أحمد – رحمه الله -: " وقال الله لموسى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾(٢)، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾(٣)، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾(٤)، وقال عيسى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾(٥)،وقال:﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾(٦)، فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعنى نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت، وقد ذكر الله ﷻ كل نفس، فكذلك إذا قال: خالق كل شيء لا يعني نفسه، ولا علمه، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة، ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله تعالى"(٧).

ثم قال شيخ الإسلام بعد إيراده كلام الإمام أحمد هذا: " وهذا من كلامه يبين أن مسمى لفظ النفس عنده هي ذات الله تعالى، أخبر أنها لا تدخل في عموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٧/٤٢٧).

(٢) طه:٤١.

(٣) آل عمران:٢٨.

(٤) الأنعام:٥٤.

(٥) المائدة:١١٦.

(٦) آل عمران:١٨٥.

(٧) الرد على الزنادقة والجهمية (٢٣٤-٢٣٥).

﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] ، كما لم يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2]، مع إخبار أن له نفساً كما تلاه من الآيات، ومعلوم أن قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ ليس المرادبه صفة من صفات الإنسان، بل المراد به هو نفسه، فعُلم أن قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾، ونظائر ذلك ليس هو صفة للرب، بل هو الرب نفسه"[3].

وقد أطال شيخ الإسلام في بيان أن المتقدمين لم يجعلوها صفة للذات، ونقل عن الإمام أحمد في مواضع كثيرة ما يثبت ذلك، وعن غيره.

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح حديث " إني حرمت الظلم على نفسي": "إطلاق النفس على الذات لقوله: «على نفسي» والمراد بنفسه ذاته ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وليس النفس صفة كسائر الصفات، كالسمع والعلم، والقدرة، فالنفس تعني الذات"[4]. وبهذا أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله [5].

وهذا التفسير لمعنى النفس في حق الله تعالى هو قال عن ابن تيمية كما تقدم هو، وذلك لما دل عليه سياق النصوص الآتية:

١- قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[6]، فالله سبحانه كتبها على نفسه، فدل على أنه لا يكتبها على غيره، ولا على صفة من صفاته.

---

(١) الزُّمر: ٦٢.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/٤٣٠-٤٣١).

(٤) شرح الأربعين النووية ص (٢٦٨-٢٦٩).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨ / ٣٩٥).

(٦) الأنعام: ٥٤.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[١]، فالله سبحانه هو الذي يُخاف ويرجى ويُتقى ويعبد، لا مخلوقاته ولا صفاته كالحياة ونحوها، ومعلوم أن الله سبحانه لا يحذر عباده حياته، وبقاءه، ونحو ذلك .

٣- قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾[٢]، فالمراد به هو نفسه، ليس المراد به صفة من صفاته، إذ علمه لا يقوم إلا به، نفسه وذاته وعينه .

٤- قوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾[٣]، إنما اصطنعه الله تعالى لذاته لا لصفة له، كالحياة، والبقاء، كما لم يصطنعه لشيء من خلقه.

٥- قوله ﷺ: "سبحان الله رضا نفسه"[٤]، وصفات الله لا يكون لها رضا، إنما الرضا له نفسه هو الذي يرضى ويسخط سبحانه.[٥]

ثالثاً: صفة «الوجه»

قال وكيع: عن إسرائيل[٦] عن أبي إسحاق[١] عن عامر بن سعد[٢] عن أبي بكر رضي الله عنه وعن وعن أبي إسحاق عن مسلم بن نذير[٣] عن حذيفة رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾[٤] ، قالا: النظر إلى **وجهه تبارك وتعالى**[٥].

---

(١) آل عمران:٢٨.

(٢) المائدة:١١٦.

(٣) طه:٤١.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ذكر هذه الأوجه شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية (٤٥٩/٧-٤٦٠).

(٦) بن يونس تقدم.

وصفة الوجه هي صفة ذاتية خبرية لله ﷻ تُثبت له على ما يليق بجلاله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٦).

قال الطبري – رحمه الله –: "ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه؛ فلذلك رَفع (ذو)"(٧).

وقال ابن خزيمة – رحمه الله –: "فأثبت الله لنفسه وجهًا بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه بالبقاء ونفى الهلاك عنه، فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون"(٨).

وقال الأمين الشنقيطي – رحمه الله –: " والوجه صفة من صفات الله العلي، وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدق ربنا، ونؤمن بما وصف به نفسه، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق "(٩).

---

(١) السبيعي تقدم.

(٢) عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، ثقة، مات سنة ١٠٤هـ. التقريب (٣١٠٦).

(٣) مسلم بن نذير بالنون مصغر، ويقال بن يزيد ،كوفي، يكنى أبا عياض، مقبول من الثالثة. التقريب (٦٦٩٣).

(٤) يونس:٢٦.

(٥) رواه هناد في الزهد (١ / ١٣١)، عن وكيع.

(٦) الرحمن:٢٧.

(٧) تفسير الطبري (٢٣ / ٣٨).

(٨) التوحيد لابن خزيمة (١ / ٢٥-٢٦).

(٩) أضواء البيان (٧ / ٨٠١).

رابعاً: صفة «العين»

قال الخطيب: أخبرنا علي بن محمد بن بشران[١] أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي[٢] حدثنا عبد الله بن محمد القرشي[٣]، قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي حاتم الأزدي[٤]، قال: حدثني خلف بن تميم[٥]، قال: حدثني عبد الجبار بن كثير[٦]، قال: قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السبع قد ظهر لنا، قال: أرونيه، فلما جاءه، قال: يا قسورة، إن كنت أُمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فَعَوْدُكَ على بدئك، قال: فتولى السبع ذاهبا، قال: أحسبه قال: يضرب بذنبه، قال: فتعجبنا كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم، فأقبل علينا إبراهيم فقال: قولوا: "اللهم احرسنا **بعينك** التي لا تنام، واكنفنا بركنك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا ". قال خلف: فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لص ولا غيره[٧].

---

(١) الشيخ العالم المعدل المسند، أبو الحسين علي بن محمد بن بشران الأموي البغدادي، قال الخطيب: كان تام المروءة، ظاهر الديانة، صدوقا ثبتا، مات سنة ٤١٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٧ / ٣١١).

(٢) الشيخ المحدث الثقة، أبو علي الحسين بن صفوان بن إسحاق البرذعي، مات سنة ٣٤٠هـ. السير (٤٤٢/١٥).

(٣) ابن أبي الدنيا تقدم.

(٤) محمد بن يحيى بن عبد الكريم (أبي حاتم) بن نافع الأزدي البصري، ثقة، مات سنة ٢٥٢هـ. التقريب (٦٤٢٩).

(٥) خلف بن تميم بن أبي عتاب، أبو عبد الرحمن الكوفي، نزيل المصيصة، صدوق عابد، مات سنة ٢٠٦هـ. التقريب (١٧٣٧).

(٦) لم أجد له ترجمه.

(٧) رواه الخطيب البغدادي في الزهد ص (١٢٥)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١٩/٦) وأبو القاسم اللالكائي في كرامات الأولياء ص (٢٤٣)، وأبو الفداء الإبّي في كرامات الأولياء ص (٤١١).

وقال نعيم بن حماد: أنا عبد العزيز بن أبي رواد عن سعد عن زيد بن أرقم قال: "اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فانه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واجتنب دعوة المظلوم فإنها مستجابة"[1].

صفة العين من الصفات الذاتية الخبرية لله ﷻ، وأهل السنة يعتقدون أن الله تعالى يبصر بعين، وأن له عينين تليق به ﷻ، وقد دل على هذه الصفة نصوص الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[2].

وعن سليم بن جبير مولى أبي هريرة ﷺ قال: "سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3]، قال: رأيت النبي ﷺ يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله يقرأها ويضع إصبعيه" قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني أن الله سميع بصير، يعني أن لله سمعاً وبصراً[4].

وقال ابن خزيمة: " فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبّت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبّته الله في محكم تنزيله ببيان النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله مبينًا عنه ﷻ في قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ

(١) رواه نعيم في زياداته على الزهد لابن المبارك ص (٤٨٢)، والشاهد من الحديث عند البخاري، كتاب: الإيمان، باب "سؤال جبريل النبي ﷺ عن اللإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة"، برقم (٥٠).

(٢) طه:٣٩.

(٣) النساء:٥٨.

(٤) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب "في الجهمية"، برقم (٤٧٢٨)، وابن خزيمة في التوحيد (٩٧/١)، والدارمي في رده على المريسي (٢ / ٦٨٨)، ابن حبان في صحيحه (١ / ٤٩٨)، وحسّن إسناده ابن حجر في الفتح (٣٧٣/١٣).

ﱡﭐ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﱠ[1]، فبين النبي ﷺ أن لله عينين فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطورٌ بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب"[2].

وقال البيهقي بعد إيراده لحديث سليم بن جبير المتقدم: "فأشار إلى محلي السمع والبصر منّا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، كما يقال قبض فلان على مال فلان، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر "[3].

وقال ابن بطال: "وكونه سميعا بصيرا يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر... وهذا قول أهل السنة قاطبة"[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: " إني أنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور"[5].

ووجه دلالته: أن العَوَر عرفاً عدم العين، وضد العور ثبوت العين، فلما نُزعت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها، وهو وجود العين، وهو على سبيل التمثيل والتقريب للفهم.

وهنا تنبيه مهم: وهو أنه قد يتوهم متوهِم أن إثبات العينين لله تعالى بالحديث الوارد في صفة الدجال أنه من قبيل قياس صفة خالق على صفة المخلوق.

وهذا التوهم باطل غير صحيح، إذ لا مدخل لهذا بالقياس؛ وإنما هو مبني على ما تفهمه العرب من كلامها إذا ذَكَرتِ العَوَر، فإن العرب لا تطلق العور على ذي عين واحدة، ولا

---

(١) النحل:٤٤.

(٢) التوحيد لا بن خزيمة (٩٧/١).

(٣) الأسماء والصفات (١ / ٤٦٣).

(٤) انظر: فتح الباري (١٣ / ٣٧٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب "كيف يُعرض الإسلام على الصبي"، برقم (٣٠٧٥)، ومسلم، كتاب: الفتن، باب "ذكر ابن صياد"، برقم (٧٣٥٦).

تطلقه على ذي أعين عديدة، وإنما تطلقه على ذي عينين إحداهما سليمة والأخرى معيبة، فعُلم بمقتضى اللسان العربي أنَّ معنى قوله ﷺ في الدجال: " أنه أعور وأن الله ليس بأعور" أن الدجال له عينان إحداهما ذاهبة معيبة والأخرى باقية سليمة، وأمّا الله ﷻ فإنه ليس بأعور؛ أي له عينان نُزِّهتا عن العيب والنقص الذي ذُكر في الدجال[(١)]، فمن كان جاهلاً بالعربية قد يتوارد إلى ذهنه هذا الوهَم، لذلك يقول الشاطبي[(٢)] – رحمه الله –: " إن الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم"[(٣)]، كما أنه أيضاً استدل بهذا – الحديث – كبار الأئمة كالدارمي[(٤)] وغيره.

وقال الشيخ ابن عثيمين: "وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: « إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»"[(٥)].

---

(١) انظر: شرح الشيخ صالح العصيمي على الواسطية.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي أصولي حافظ، كان من أئمة المالكية، له مصنفات شهيرة، منها: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، و شرح الألفية سمّاه المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية، قال محمود التونكي: لم يؤلف عليها – أي على الخلاصة المعروفة بالألفية – مثله، بحثا وتحقيقا، فيما أعلم، مات سنة ٧٩٠هـ. انظر: برنامج المجاري للمجاري الأندلسي ص (١١٦)، معجم المصنفين للتونكي (٤/٤٤٨-٤٥٤)، الأعلام للزركلي (١/٧٥)، إيضاح المكنون لإسماعيل باشا (٢ / ١٢٧).

(٣) الموافقات (٥ / ٥٣).

(٤) انظر: الدر على الجهمية ص (١١٥).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣ / ٢٣٥).

خامساً: صفة «اليد»

قال وكيع: حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي **بيده**، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء، إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[١].

قال هناد: حدثنا قبيصة[٢] عن سفيان[٣] عن ليث[٤] عن عدي بن عدي[٥] عن الصنابحي[٦] عن معاذ ﷺ قال: "لا تزول قدما عبد بين **يدي الله ﷻ** يوم القيامة حتى يُسئل يُسئل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه"[٧].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٣٣١/٢)، ورواه مسلم بدون قوله "والذي نفسي بيده"، كتاب: الإيمان، باب"بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.."، برقم (١٩٤)، ورواه الترمذي بهذه الزيادة، أبواب: الاستئذان، باب "ما جاء في إفشاء السلام"، برقم (٢٦٨٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السُوائي، بضم المهملة وتخفيف الواو، أبو عامر الكوفي، صدوق ربما خالف من، مات سنة ٢١٥هـ. التقريب (٥٥٤٨).

(٣) الثوري تقدم.

(٤) الليث بن أبي سليم بن زنيم، بالزاي والنون مصغر، واسم أبيه أيمن، وقيل: أنس، وقيل: غير ذلك، صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فتُرك، مات سنة ١٤٨هـ. التقريب (٥٧٢١).

(٥) عدي بن عدي بن عميرة بفتح المهملة الكندي، أبو فروة الجزري، ثقة فقيه، عمل لعمر بن عبد العزيز على الموصل، مات سنة ١٢٠هـ. التقريب (٤٥٧٥).

(٦) عبد الرحمن بن عسيلة، بمهملتين مصغر، المرادي، أبو عبد الله الصنابحي، ثقة من كبار التابعين، قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ بخمسة أيام، مات في خلافة عبد الملك. التقريب (٣٩٧٧).

(٧) رواه هناد في الزهد (٢ / ٣٧٥)، وفيه الليث اختلط ولم يتميَّز حديثه.

صفة اليدين من الصفات الذاتية الخبرية، التي تُثبت لله ﷻ على ما يليق به تعالى، قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[١].

قال الطبري بعد ذكره قول الطوائف في معنى هذه الآية: "وقال آخرون منهم: بل «يد الله» صفة من صفاته...لو كان كما قال الزاعمون أن«يد الله» في قوله﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ﴾، هي نعمته، لقيل:"بل يده مبسوطة"، ولم يقل:"بل يداه"، لأن نعمة الله لا تحصى كثرة، وبذلك جاء التنزيل، يقول الله تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[٢] ...قالوا: وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وقال به العلماء وأهل التأويل"[٣].

وقال أبو الحسن الأشعري[٤]: " وأجمعوا على أنه ﷻ يسمع، ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات "[٥].

وقال شيخ الإسلام: " وقد تواتر في السنة مجيء « اليد » في حديث النبي ﷺ، فالمفهوم من هذا الكلام: أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله"[٦].

---

(١) المائدة:٦٤.

(٢) النحل:١٨.

(٣)ت فسير الطبري (١٠ / ٤٥٤-٤٥٦)بتصرف يسير.

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل أبي الأشعري صحاب رسول الله ﷺ، أخذ علم الكلام أولاً عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ثم لما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم، وهو شافعي المذهب، وقد مر في عقيدته بأطوار ثلاثة: من الاعتزال إلى طريقة ابن كلّاب، ثم أخيراً مال إلى مذهب السلف، له مصنفات منها: الإبانة عن أصول الديانة، مقالات الإسلاميين، ورسالته إلى أهل الثغر، وغيرها، مات سنة ٣٢٤هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/١١٣)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، درء التعارض (٢ / ١٦)، وفيات الأعيان (٣ / ٢٨٤).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦٣).

سادساً: صفة «العلو – الفوقية»

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا سعدويه وعلي بن الجعد، عن الفضيل بن مرزوق، عن عدي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[1]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]، ثم ذكر العبد يطيل السفر، أشعث أغبر، **رافعاً يديه يا رب يا رب**، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، ملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لهذا؟"[3].

قال وكيع: حدثنا يزيد بن أبي صالح[4]، حدثني أبو عثمان[5]، عن سلمان ﷺ[6] قال: قال: "إن الله حيي كريم يستحيي من عبده أن **يرفع يديه إليه** يدعو، ثم يردهما صفراً، أو خائبتين"[7].

---

(١) المؤمنون:٥١.

(٢) البقرة:١٧٢.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) يزيد بن أبي صالح أبو حبيب الدباغ، من أهل البصرة، وكان دباغاً، وثقه يحي بن معين، وقال أبو حاتم الرازي: ليس بحديثه بأس وكان أوثق من بقى بالبصرة. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩ / ٢٧٢)، الثقات لابن حبان (٥/ ٥٤١)، تعجيل المنفعة (٢ / ٣٧٣).

(٥) عبد الرحمن بن ملّ، بلام ثقيلة والميم مثلثة، أبو عثمان النَهْدي، مشهور بكنيته، ثقة ثبت عابد، مات سنة ٩٥هـ، وقيل بعدها. التقريب (٤٠٤٣).

(٦) الفارسي.

(٧) رواه وكيع في الزهد (٨١٧/٢) وإسناده صحيح، والترمذي، كتاب: الدعوات، باب "إن الله حيي كريم"، برقم (٣٥٥٦)، ابن حبان في صحيحه (٣ / ١٦٠)، وغيرهما.

قال أحمد: حدثنا أبو معاوية[١]، حدثنا الأعمش[٢]، عن أبي إسحاق[٣]، عن أبي عبيدة[٤] قال: قال عبد الله ﷺ: "ارحم من في الأرض يرحمك **من في السماء**"[٥].

العلو صفة ذاتية لله ﷻ ، وهي ثابتة بنصوص الكتاب، وبالنقول المتواترة عن المرسلين، وبإجماع الفطر السليمة.

قال شيخ الإسلام: "قد ثبت بالفطرة التي اتفق عليها أهل الفطرة السليمة، وبالنقول المتواترة عن المرسلين من الأخبار، وما نطقت به كتب الله تعالى، وما اتفق عليه المؤمنون بالرسل قبل حدوث البدع: أن تعالى ﷻ فوق العالم...فالعلو على العالم معروف بالفطرة والمعقول، وبالشرعة والمنقول"[٦].

وحصر الأدلة واستقصائها على علو الله سبحانه من الصعوبة بمكان؛ وذلك أن أدلة هذه الصفة كثيرة جداً يصعب حصرها، وقد ذكر شيخ الإسلام عن بعض أكابر أصحاب الشافعي: أن في القرآن " ألف دليل " أو أزيد، تدل على أن الله تعالى عال على الخلق، وأنه فوق عباده[٧].

---

(١) بن خازم تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) السبيعي تقدم.

(٤) أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، مشهور بكنيته، والأشهر أنه لا اسم له غيرها، ويقال: اسمه عامر، كوفي ثقة، والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه مات بعد سنة ١٨٠هـ. التقريب (٨٢٩٤).

(٥) رواه أحمد في الزهد ص (٢٣٣) بهذا الإسناد وفيه عدة علل منها عدم ثبوت سماع أبي عبيدة من أبيه، وتدليس الأعمش، وراه هناد في الزهد (٢ / ٦١٦)، ووكيع في الزهد (٢ / ٨٠٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٥٥)، والحاكم في المستدرك (٣٧٩/٤) بإسناد آخر، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٤٥٤/٢).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٥ / ١٢١)، وانظر: الصواعق المرسلة (١ / ٢٩٤).

وقال الإمام الذهبي – رحمه الله –:" أنا أعد إيراد نصوص هذه المسألة للاحتجاج عِيّاً، ثم قال أما سمعت قول القائل:

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل"[١].

فإذا كانت الأدلة العقلية الفطرية لهذه الصفة توجب العلم الضروري بمدلولها، والأدلة السمعية تقارب الألف دليل: فعلى المنكر لها أن يجيب عن ذلك كله، وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك.

أدلة أهل السنة على اثبات صفة العلو:

تنوعت النصوص في إثبات علو الله على خلقه على أنواع كثيرة، وحصرها يطول، فمنها[٢]:

الأول: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة "من" المعيّنة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[٣].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾[٤].

الثالث: التصريح بالعروج إليه، نحو: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[٥].

الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٦].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[١].

---

(١) العلو للذهبي (٥٨٢/١).

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص (٢٦٣-٢٦٦)، توضيح المقاصد شرح النونية لابن عيسى (٣٩٣/١ وما بعدها).

(٣) النحل: ٥٠.

(٤) الأنعام: ١٨.

(٥) المعارج: ٤.

(٦) فاطر: ١٠.

السادس: التصريح بالعلو المطلق، والدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢]، وقدراً، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[٣]، وشرفاً، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٤].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾[٥].

الثامن: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين:

١- أن تكون "في" بمعنى "على". ٢- أن يراد بالسماء العلو.

لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

التاسع: التصريح باختصاص بعض المخلوقات، بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[٦]، ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾[٧]، ففرق بين من "له عموما"، وبين "من عنده" من ملائكته، وعبيده خصوصاً.

وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: "أنه عنده فوق العرش"[٨].

(١) النساء:١٥٨.

(٢) البقرة:٢٥٥.

(٣) سبأ:٢٣.

(٤) الشورى:٥١.

(٥) الزُّمَر:١.

(٦) الأعراف:٢٠٦.

(٧) الأنبياء:١٩.

(٨) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "قوله تعال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات:١٧١]"، برقم

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة "على" مختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة "ثم" الدالة على الترتيب والمهلة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(١)].

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ:"إن الله يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً "[(٢)].

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه، وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، إذ رفع أصبعه إلى السماء، فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: "اللهم اشهد"[(٣)]، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين وحذلقة المتحذلقين.

الرابع عشر: شهادته ﷺ لمن قالت إن الله في السماء بالإيمان[(٤)].

الخامس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السموات فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي

(٧٤٥٣)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب "سعة رحمة الله تعالى.."، برقم (٦٩٦٩).

(١) الأعراف:٥٤.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم، كتاب: الإمارة، باب "تحريم هدايا العمال"، برقم (٤٧٤٠).

(٤) رواه مسلم، كتاب: المساجد، باب "تحريم الكلام في الصلاة"، برقم (١١٩٩).

صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾[١]، فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي.

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على هذه الصفة للرب ﷻ، وهذه المسألة قد تكلم عنها أهل السنة في كتبهم، فلا تكاد تجد كتاباً يخلو من ذكرها، وحشْد الأدلة على عليها[٢].

وأما إجماع الخلق على ذلك: فقال الدارمي – رحمه الله –:" وقد اتفقت الكلمة من المسلمين، والكافرين، أن الله في السماء، وحدُّوه بذلك، إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حَزَبَ الصبيَ شيءٌ يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية"[٣].

وأما ثبوت هذه الصفة بالفطرة: فإن الخلق جميعا بطباعهم، وقلوبهم السليمة، يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى. قال أبو جعفر بن أبي شيبة – رحمه الله –[٤]: " وأجمع الخلق جميعاً أنهم إذا دعوا الله جميعاً رفعوا أيديهم إلى السماء، فلو كان الله ﷻ في الأرض السفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء وهو معهم في الأرض "[٥].

وأورد شارح الطحاوية قصة لطيفة في هذا، قال: "ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم

(١) غافر:٣٦-٣٧.

(٢) انظر على سبيل المثال: نقض الدارمي على المريسي (٤٣٥/١ ومابعدها)، التوحيد لابن خزيمة (٢٥٤/١ وما بعدها)، الشريعة للآجري (١٠٧٥/٣ وما بعدها)، والعلو للذهبي.

(٣) نقض الدارمي (٢٢٨/١-٢٢٩).

(٤)الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي، مؤرخ لرجال الحديث، من الحفاظ، واختُلف في توثيقه، وذكر الذهبي: أن له تآليف مفيدة منها تاريخ كبير، مات سنة ٢٩٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/١٤)، الأعلام للزركلي (٦ / ٢٦٠).

(٥) العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة ص (٥١)، وانظر: لمعة الاعتقاد بشرح الفوزان ص (١٠٠).

في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبِرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا ؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل، وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمذاني حيرني!"[(١)]. والمقصود أن هذا أمر فطر الله عليه عباده، من غير أن يتلقوه من المرسلين، فهم يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو.

وأما دلالة العقل على هذه الصفة: أن الله سبحانه كان ولاشيء معه، ثم خلق العالم فلا يخلو: إما أن يكون خلَقه في ذاته وانفصل عنه وهذا محال، وإما أن يكون خلقه خارجاً عن ذاته ثم دخل فيه، وهذا محال أيضاً بالاتفاق، وذلك لما يلزم من أن يكون محلاً للقاذورات تعالى الله أن يحل في خلقه علواً كبيراً، وإما أن يكون خلقه خارجاً عن نفسه ولم يحل فيه فهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره[(٢)].

---

(١) شرح الطحاوية ص (٢٧٠)، وذكرها السبكي في طبقات الشافعية (٥ /١٩٠)، والذهبي في السير (١٨/٤٧٥).

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص (٢٦٩-٢٧٠)، الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص (٣٠٠-٣٠١).

سابعاً: صفة «القدرة»

قال الخطيب: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي حاتم الأزدي، قال: حدثني خلف بن تميم، قال: حدثني عبد الجبار بن كثير(١)، قال: قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السَبُع قد ظهر لنا، قال: أرونيه، فلما جاءه، قال: يا قسورة، إن كنت أُمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فَعَوْدُك على بدئك، قال: فتولى السبع ذاهبا، قال: أحسبه قال: يضرب بذنبه، قال: فتعجبنا كيف فهم السبُع كلام إبراهيم بن أدهم، فأقبل علينا إبراهيم فقال: قولوا: "اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بركنك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا ". قال خلف: فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لص ولا غيره(٢).

القدرة صفة ذاتية خبرية عقلية، ثابتة لله ﷻ بنصوص الوحيين، فله سبحانه القدرة التامة، لا يعجزه شيء، فعّال لما يريد، وهي صفة أظهر من أن يقررها أحد لله سبحانه.قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣). فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير ممانع ولا معارض.

قال الخطابي – رحمه الله –:"وصف الله نفسه بأنه قادر على كل شيء أراده، لا يعترضه عجز ولا فتور"(٤).

---

(١) لم أجد له ترجمه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البقرة:٢٠.

(٤) شأن الدعاء ص (٨٥).

وهذه الآية دالة على عموم وشمول قدرة الله تعالى، فيدخل فيها أفعال العباد من الطاعات والمعاصي، فإنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته.

قال السعدي – رحمه الله –: "وفي هذه الآية وما أشبهها، رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى؛ لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾"(١).

فقدرة الله ﷻ شاملة لكل شيء، لما كان معدوماً فهو قادر على إيجاده، وما كان موجوداً فهو قادر على إعدامه وتغييره، وقد بيّن سبحانه قدرته على أشياء لم يفعلها، كقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(٢)، وكقوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾(٣).(٤)

قال شيخ الإسلام: " وأما أهل السنة فعندهم أن الله تعالى على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته مثل: كون الشيء الواحد موجوداً معدوماً، فهذا لا حقيقة له، ولا يُتصور وجوده، ولا يسمى شيئاً، باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب خلق مثل نفسه وأمثال ذلك"(٥).

فقدرة الله شاملة لكل شيء، وبهذا يتبين خطأ من يقول من أهل البدع: «إن الله على ما يشاء قدير»؛ لأن قدرة الله تعالى تشمل ما يشاؤه وما لا يشاؤه، وأما نفي قدرته على ما لا

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٤٤).

(٢) البقرة:٢٥٣.

(٣) السجدة:١٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨ / ١٠).

(٥) منهاج السنة النبوية (٢ / ٢٩٣).

يشاؤه، فقد غلط من قال به، ومن الحجة عليهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[1] .[2]

وقد تتماشى هذه العبارة مع مذهب القدرية[3]، الذي يزعمون أن أفعال العباد غير مقدورة لله تعالى، وليست واقعة بمشيئته، وأن العبد هو من يخلق فعل نفسه.

قال أبو منصور البغدادي[4] عند كلامه عن عقائد القدرية المعتزلة: "ومنها قولهم: إن كل ما لم يأمر الله تعالى به، أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئا منها"[5].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله -:" هذه كلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد، وهو قول الكثير، إذا سأل الله شيئا قال: وهو القادر على ما يشاء، وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شراً، وكل ما في القرآن:﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[6]، وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلاً، لأن القدرة شاملة كاملة، وهي والعلم: صفتان شاملتان،

---

(١) الأنعام:٦٥.

(٢) انظر: حاشية العقيدة الطحاوية للشيخ محمد بن مانع وهو ضمن مجموعة شروح للطحاوية (١/٢٤٠)، فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٢/٢٠٧-٢٠٨)

(٣) والقدرية تضم المعتزلة، وهم متفقون على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص (١٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/٥٦).

(٤) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي الاسفراييني، الأشعري، عالم متفنن، من أئمة الأصول، كان أكبر تلامذة أبي إسحاق الاسفراييني، وكان يدرس في سبعة عشر فناً، له تصانيف منها: الفرق بين الفرق، أصول الدين، التحصيل في أصول الفقه، مات سنة ٤٢٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧ / ٥٧٢)، الأعلام للزركلي (٤ / ٤٨).

(٥) الفرق بين الفرق ص (٩٤).

(٦) المائدة:١٢٠.

يتعلقان بالموجودات والمعدومات؛ وإنما قصد أهل البدع بقولهم: وهو القادر على ما يشاء، أي: القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت المشيئة به"[١].

ولا يشكل على هذا ما جاء عند مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ في قصة الرجل الذي يكون آخر من يدخل الجنة، وفيه: "قال أتستهزئ منى وأنت رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر"[٢].

فجواب هذا الإشكال أن يقال:

إن قول الله ﷻ هنا متعلق بشيء حصل، وهو ما جاء في قصة الرجل، فهو يتعلق بقضية معينة تخص هذا الرجل، فكأنه يقول: إني قادرٌ على ما أشاء من أمرك، كما يتبين هذا من سياق الكلام، وهذا يختلف عن إطلاق المبتدعة لهذه الكلمة؛ لأنهم يطلقونها قبل حصول الأشياء، فتكون غير متعلقة بشيء معين حصل[٣].

إذاً القدرة في هذا الحديث ذُكرت لتقرير أمر واقع، والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف الله تعالى أزلا وأبداً، ولذلك عبر عنها باسم الفاعل "قادر" دون الصفة المشبهة "قدير"[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " فإن قال قائل: عبارة ترد كثيراً عند الناس (إنه على ما يشاء قدير) هل هذا جائز؟.

قلنا: لا يجوز إلا مقيداً؛ لأنك إذا قلت: «إنه على ما يشاء قدير» أوهم أن ما لا يشاء لا يقدر عليه، وهو قادر على الذي يشاء والذي لا يشاء.

---

(١) الدرر السنية (٣ / ٢٣٠).

(٢) رواه مسلم. كتاب: الإيمان، باب "آخر أهل النار خروجاً"، برقم (٤٦٣).

(٣) انظر: شرح الواسطية لصالح آل الشيخ (١/٢٦٠).

(٤)انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣ / ٨٤).

لكن إذا قُيِّدَتِ المشيئة بشيء معين صح، كقوله تعالى:﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[١]، أي: إذا يشاء جمعهم فهو قادر عليه.

وكذلك في قصة الرجل الذي أدخله الله الجنة آخر ما كان فقال الله له: «إني على ما أشاء قادر»؛ لأنه يتعلق بفعل معين "[٢].

فخلاصة هذه المسألة: أن الأولى تجنب هذه العبارة؛ وذلك لأمرين:

الأول: أن جُلّ النصوص وردت بعبارة: (إن الله على كل شيء قدير) بل ليس هناك مقارنة بين النصوص الواردة في هذه العبارة وبين قول: (إن الله على ما يشاء قادر).

الثاني: أن أهل البدع يطلقون هذه العبارة ويقصدون بها ما يوافق أهوائهم، فهي عبارة موهمة، فكان الأولى تركها واستخدام العبارة الواضحة التي لا يتوارد إليها إشكال.

ولو قلنا بصحة هذه العبارة، فإن الشيء إذا كان شعاراً لأهل البدع، فإن استعماله قد يكون فيه موافقة لهم، مع صحته في نفسه معنىً.

وأخيراً قد علمنا رسول الله ﷺ وأرشدنا إلى الاستعاذة بالله سبحانه وبقدرته، عند التوجع، كما جاء ذلك عن الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: " ضع يدك على الذي يَألَمُ من جسدك، وقل: باسم الله، ثلاثاً، وقل: سبع مرات **أعوذ بالله وقدرته** من شر ما أجد وأحاذر "[٣].

---

(١) الشورى:٢٩.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥ / ٣٢٢-٣٢٣).

(٣) رواه مسلم: في الطب، باب "استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء"، برقم (٥٧٣٧).

ثامناً: صفة «السمع»

قال وكيع: حدثنا سفيان، عن عاصم بن سليمان، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: "أيها الناس إنكم **لا تدعون أصم** ولا غائبا"(١).

وقال وأيضا: حدثنا الأعمش، عن مالك بن الحارث، وعمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: "إن الله **لا يسمع من مسمع**، ولا مراء، ولا داع، إلا داع دعاء ثبتا من قلبه، ولا يقبل إلا الناخلة من الدعاء"(٢).

فالسمع صفة ذاتية خبرية عقلية، ثابتة لله ﷻ، توافرت نصوص الوحيين أيضاً بذكر هذه الصفة، فأهل السنة يقولون إن الله سميع بسمع بسمع يليق بجلاله وعظمته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣).

ومما ورد في الكتاب في إثبات صفة السمع قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾(٤).

ومن السنة ما جاء في حديث عروة ﷺ أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حدثته: قال النبي ﷺ: "إن جبريل عليه السلام ناداني، قال: إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك"(٥).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الشورى:١١.

(٤) طه:٤٦.

(٥) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤]"، برقم

وقال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله –: "وأجمعوا على أنه عز و جل يسمع ويرى"(١).
وقد تقدم عند شرح اسم الله «السميع» الكلام عن فعل السمع وما يتعلق به من معانٍ.

تاسعاً: صفة «العلم»

قال وكيع: حدثنا معن بن يزيد، ثنا الأسود بن سعيد الهمداني قال: قلت لعبد الله بن عمر ﷺ: إنا نحضر الأمراء فنتكلم بالشيء ، **يعلم الله** من قلوبنا خلافه، فقال ابن عمر ﷺ: "كنا نعدها نفاقا على عهد رسول الله"(٢).

وهي صفة ذاتية خبرية عقلية، ثابتة لله ﷻ بنصوص الكتاب والسنة الكثيرة جداً.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾(٣)، فهو سبحانه محيط بكل ما كان، وبكل ما هو كائن علماً، لا يخفى عليه شيء منه.

قال ابن سعدي – رحمه الله – :"﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾، أي: ما مضى من جميع الأمور، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: ما يُستقبل منها، فعلْمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء، ولا من العلم مثقال ذرة، إلا ما علمهم تعالى"(٤).

(٧٣٨٩)، ومسلم، كتاب: الجهاد، باب "اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ"، برقم (٤٦٥٣).
(١) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٢٥).
(٢) رواه وكيع في الزهد (٥٦٨/٢) وفيه معن بن يزيد وهو مجهول الحال، وأصله عند البخاري بأقصر منه، كتاب: الأحكام، باب "ما يكره من ثناء السلطان، وإذا خرج قال غير ذلك"، برقم (٧١٧٨).
(٣) البقرة:٢٥٥.
(٤) تفسير السعدي ص (١١٠).

ومن السنة ما جاء في حديث ابن عباس رض الله عنهما في قصة الخضر مع موسى عليه السلام، وفيه قول الخضر لموسى: " إنك على علم من **علم الله** علمكه الله، لا أعلمه، وأنا على علم من **علم الله** علمنيه لا تعلمه"[١].

وبوّب البخاري[٢] – حمه الله – في صحيحه في كتاب «التوحيد»: باب"قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[٣]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٤]، و﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾[٥]، و﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾[٦]، ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٧]".

قال الشيخ عبد الله الغنيمان في شرحه على كتاب التوحيد من الصحيح: "أراد البخاري – رحمه الله– بيان ثبوت علم الله تعالى وعلمه تعالى من لوازم نفسه المقدسة، وبراهين علمه تعالى ظاهرة مشاهدة في خلقه، وشرعه، ومعلوم عند كل عاقل أن الخلق يستلزم الإرادة، ولابد للإرادة من العلم بالمراد، كما قال تعالى:﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٨]، والخالق هو: المبدع بتقدير سابق الوجود في الخارج، وهذا يتضمن تقدير المخلوقات في العلم

(١) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب "ما يستحب للعالم إذا سُئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله"، برقم (١٢٢)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب "من فضائل الخضر ﷺ"، برقم (٦١٦٣).

(٢) شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي مولاهم البخاري صاحب الصحيح، وجبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، كان رأساً في الذكاء، رأساً في العلم، ورأساً في الورع والعبادة، مات سنة ٢٥٦هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٢ / ١٠٤)، تقريب التهذيب ص (٨٢٥).

(٣) الجن:٢٦.

(٤) لقمان:٣٤.

(٥) النساء:١٦٦.

(٦) فاطر:١١.

(٧) فُصِّلَت:٤٧.

(٨) الملك:١٤.

قبل إيجادها في الخارج...والأدلة على وصف الله بالعلم كثيرة، ولا ينكرها إلا ضال أو معاند مكابر"[١].

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "إذا قال الرجل: العلم مخلوق، فهو كافر؛ لأنه يزعم أن الله لم يكن له علم حتى خلقه...وهو يعلم ما في السموات السبع، والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومن كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة"[٢].

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٠٣/١).

(٢) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢٨٤/٢٨٣/١)، وطبقات الحنابلة (٢٨/١).

المسألة الثانية: الصفات الفعلية.

ورد في الأحاديث والآثار المروية في كتب الزهد والورع عدد كثير من الصفات الفعلية لله عَجَّلَّ: كالاستواء والنزول والرحمة والمحبة والبغض والمغفرة والعطاء والرفق والحياء والمجيء والإتيان والمقت والستر والتجلي والعجب والمكر والاستجابة...وغيرها من صفات الله تعالى الفعلية التي تليق بجلاله وعظمته كما قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، وهذه الصفات تسمى أيضاً بالصفات الاختيارية.

قال شيخ الإسلام: "فصل: في الصفات الاختيارية: وهي الأمور التي يتصف بها الرب عَجَّلَّ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه؛ ومثل خلقه وإحسانه وعدله؛ ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة"[2].

وصفات الله تعالى الفعلية نوعان:

١- **متعدية**. مثل: الخلق والإعطاء ونحو ذلك.

٢- **ولازمة**. مثل: الاستواء والنزول والمجيء والإتيان ونحوها.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾[3]، فذكر الله تعالى في هذه الآية الفعلين: المتعدي واللازم، وكلاهما حاصل بقدرته ومشيئته، وهو متصف به[4].

---

(١) الشورى:١١.

(٢) جامع الرسائل (٢ / ٣)، مجموع الفتاوى (٦ / ٢١٧).

(٣) السجدة:٤.

(٤) انظر: جامع الرسائل (٢ / ٢٢).

وسيكون الكلام عن بعض هذه الصفات، على سبيل المثال لا الحصر، وخاصة ما كَثرُ فيه الخوض من أهل البدع؛ لأن حصرها يطول.

أولاً: صفة «الاستواء»

قال ابن المبارك: أخبرنا سفيان[١] عن إسماعيل بن أبي خالد[٢] عن أبي عيسى شيخ قديم[٣]: "أن ملكاً لما **استوى الرب** ﷻ على كرسيه سجد فلم يرفع رأسه ولا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة، فيقول: يوم القيامة يا رب، لم أعبدك حق عبادتك، إلا أني لم أشرك بك شيئاً، ولم أتخذ من دونك ولياً"[٤].

وصفة استواء الله تعالى على العرش صفة فعلية خبرية، وقع اختلاف كبير فيها بين السلف والمبتدعة، فأجمع السلف على ثبوت استواء الله ﷻ على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته سبحانه، كما جاءت بذلك النصوص الوفيرة من الكتاب والسنة.

والأدلة على هذا: أن الله ﷻ أثبت استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن، منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٥].

---

(١) الثوري تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) وأبو عيسى هذا هو: يحيى بن رافع الثقفي. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨ / ٢٧٣)، الكنى والأسماء للدولابي (٨٠٦/٢)، قال ابن معين: ولا أعلم أحداً روى عن أبي عيسى يحيى بن رافع إلا إسماعيل بن أبي خالد. سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين ص (٤٣٨)، وذكره ابن حبان في الثقات (٥ / ٥٢٧).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (١٠٢)، والأصبهاني في العظمة (٢ / ٦٣٩)، والذهبي في العلو ص (١٢٥).

(٥) الأعراف:٥٤.

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[(١)].

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي"[(٢)].

ونُقول أهل العلم على إجماع السلف على إثبات استواء الله كثيرة جداً.

قال أبو عمرو الأوزاعي[(٣)] – رحمه الله –: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا "[(٤)].

وقال الشافعي – رحمه الله –: "القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أصحاب الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وذكر شيئاً ثم قال: وان الله على عرشه في سمائه.."[(٥)].

وقد حكى الدارمي، وابن بطة اتفاق المسلمين على إثبات استواء الله عز وجل.

فقال – رحمه الله –:" وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سمواته"[(٦)].

---

(١) طه:٥.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، عالم أهل الشام، كان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلاً خيّراً، كثير الحديث والعلم والفقه، مات سنة ١٥٧هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٧ / ٤٨٨)، سير أعلام النبلاء (١٠٧/٧).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ٣٠٤)، والعلو للذهبي (٩٤٠/٢).

(٥) انظر: العلو للذهبي (١٠٥٥/٢)، إثبات صفة العلو (١ / ١٢٤).

(٦) نقض الدارمي (١ / ٣٤٠).

وقال ابن بطة – رحمه الله –:"وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته"(١).

وذكر ابن أبي زمنين – رحمه الله — أن أهل السنة يثبتون استواء الله تعالى على عرشه، فقال: " ومن قول أهل السنة: أن الله ﷻ خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء"(٢).

وقد بوّب ابن خزيمة في كتاب التوحيد " باب: ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه، فكان فوقه وفوق كل شيء عالياً كما أخبر الله جلا وعلا ".

وساق الأدلة على ذلك، ثم قال: " فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا: أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا، كما قالت العطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أُمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا، كذلك الجهمية"(٣).

والنصوص عن السلف في إثبات هذه الصفة لله ﷻ كثيرة جداً(٤) يصعب حصرها، وقد أُلفت في هذا الباب مصنفات عدة، منها: كتاب العرش لابن أبي شيبة، وكتاب العلو للذهبي، والرسالة العرشية لشيخ الإسلام وهي ضمن الفتاوى، وقد أُفردت لوحدها.

ومع كثرة الأدلة على هذه الصفة وأقوال السلف في بيانها إلا أنه قد ضلّ فيها كثير ممن ابتعد عن التمسك بالكتاب والسنة، نسأل الله أن يسلك بنا سبيل الهدى والرشاد.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٧ / ١٣٦).

(٢) أصول السنة لابن أبي الزمنين ص (٨٨).

(٣) التوحيد لابن خزيمة (٢٣١/١-٢٣٣).

(٤) انظر: عقيدة السلف للصابوني ص (١٧٥)، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤٢٩/٢)، والسنة لابن أبي عاصم ص (٢٣٣)، والتوحيد لابن منده ص (٦٥٧)، والحجة في بيان المحجة للأصيهاني (٨١/٢)، الاقتصاد في الاعتقاد ص (٨٠)، وغيرها.

ثانياً: صفة «النزول»

قال ابن المبارك: حدثنا يحي قال فحدثناه الحسين بن الحسن ويعقوب بن إبراهيم وزياد بن أيوب، قالوا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا هشام الدستوائي، قال: حدثنا يحي بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني واللفظ لابن المبارك عن النبي ﷺ قال: "إذا مضى نصف الليل، أو قال ثلث الليل، **ينزل الله إلى السماء الدنيا**، فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني فاغفر له، من ذا الذي يدعوني فاستجيب، له من ذا الذي يسألني فأعطيه، حتى ينفجر الصبح"[(١)].

فصفة النزول لله ﷻ صفة فعلية خبرية ثابتة لله تعالى بالنصوص الشرعية، والآثار الصحيحة، وإجماع سلف الأمة.

فمما يُعتبر به من كتاب الله ﷻ في النزول، ويحتج به على من أنكره: قوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[(٢)]، وقوله:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[(٣)]، وهذا يوم القيامة إذا نزل الله ليحكم بين العباد، وهو قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[(٤)]، فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ليفصل بين عباده، قادرٌ أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء[(٥)].

(١) رواه ابن المبارك في الزهد. ط.الأعظمي (٢٧٥)، وهو عند مسلم بنحوه، كتاب: الصلاة، باب "الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه"، (١٧٧٤).

(٢) البقرة:٢١٠.

(٣) الفجر:٢٢.

(٤) الفرقان:٢٥.

(٥) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص (٧٤).

وبوّب ابن منده – رحمه الله – في كتابه التوحيد (باب: ذكر الآي المتلوّة والسنة، المأثورة بالسند الصحيح في النزول) وافتتحه بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[(١)].

وأما من السنة: فقد تواترت الأخبار وصحت بأن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، وقد صرّح أهل العلم بأن أحاديث النزول بلغت حدّ التواتر.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي[(٢)] – رحمه الله –: "وتواترت الأخبار، وصحت الآثار بأن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان به، والتسليم له، وترك الاعتراض عليه"[(٣)].

وقال اللالكائي[(٤)]: " سياق ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى رواه عن النبي ﷺ عشرون نفساً"[(٥)]. ثم سردها عن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له "[(٦)].

---

(١) البقرة: ٢١٠.

(٢) الحافظ الإمام تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الدمشقي الحنبلي، كان قدوة عابداً، وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد قيمًا بجميع فنون الحديث، قال الحافظ الضياء: "كان شيخنا الحافظ لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا ذكره له وبيّنه، وذكر صحته أو سقمه، ولا يُسأل عن رجل إلا قال: هو فلان ابن فلان الفلاني، ويذكر نسبه، وأنا أقول: كان الحافظ عبد الغني المقدسي أمير المؤمنين في الحديث"، له مصنفات منها: الاقتصاد في الاعتقاد، وعمدة الإحكام من كلام خير الأنام، مات سنة ٦٠٠هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٨) تذكرة الحفاظ (٤ / ١١١)، السير (٢١ / ٤٤٣).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد ص (١٠٠)، وممن نقل تواتر الأخبار في ذلك ابن القيم كما في مختصر الصواعق (١١٠٠/٣)، وغيره.

(٤) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الحافظ الفقيه الشافعي، محدث بغداد، قال ابن الصلاح: كثير السماع، واسع الرواية، من مصنفاته العظيمة: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مات سنة ٤١٨هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٤ / ٢٠٧)، تذكرة الحفاظ (٣ / ١٨٩).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٤٨١).

(٦) متفق عليه، البخاري، كتاب: التهجد، باب "الدعاء والصلاة من آخر الليل"، برقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب:

وعلى إثبات هذه الصفة لله تعالى إجماع سلف الأمة، قال الشافعي: "القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها: أصحاب الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل: سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وذكر شيئاً، ثم قال: وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء"[١].

وقال الدارمي – رحمه الله – بعد سياقه أحاديث النزول: "فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها... لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلاً، أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته، ولطف ربوبيته، كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله في نزوله واجب، ولا يُسأل الرب عما يفعل، كيف يفعل، وهم يسألون"[٢].

وممن نقل أيضاً حكاية الإجماع على ذلك أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – فقال: " وأجمعوا على أنه ﷻ يجيء يوم القيامة... وأنه ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كما روى عن النبي"[٣].

فالإيمان بنزول الله ﷻ واجب كما وردت به النصوص الآثار، نزولاً يليق بجلاله وعظمته.

الصلاة، باب "الترغيب في الدعاء في آخر الليل.."، برقم (١٧٧٢).

(١) انظر: العلو للذهبي (١٠٥٥/٢)، إثبات صفة العلو (١ / ١٢٤).

(٢) الرد على الجهمية ص (٩٣).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٢٧-٢٢٩).

ثالثاً: صفة «المجيء والإتيان»

قال أسد بن موسى: حدثنا غسان بن برزين الطهوي[١]، نا سيار بن سلامة الرياحي[٢]، عن أبي العالية الرياحي[٣]، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " إذا كان يوم القيامة اجتمعت الجن والإنس في صعيد واحد، لا يذكر بعضهم بعضاً، فيكون الجن والإنس عشرة أجزاء، فيكون الجن تسعة أجزاء ، ويكون الإنس جزءاً واحداً، ثم تنشق السماء الدنيا، فتنزل الملائكة صفوفا، على كل صف رأس، فيدعو أهل الأرض منهم، فيقولون: فيكم ربنا ﷻ؟ قالوا: ليس فينا وهو آتٍ، فيكون أهل السماء الدنيا والإنس عشرة أجزاء، فيكون أهل السماء الدنيا تسعة أجزاء، ويكون الجن والإنس جزءا واحدا، ثم تنشق السماء الثانية، فتنزل الملائكة صفوفا، على كل صف رأس، فيقول أهل الأرض: أفيكم ربنا تبارك وتعالى؟ فيقولون: ليس فينا، وهو آتٍ، فيكون أهل السماء الثانية وأهل السماء الدنيا والجن والإنس عشرة أجزاء، فيكون أهل السماء الثانية تسعة أجزاء، ويكون أهل السماء الدنيا والجن والإنس جزءاً واحداً، ثم تنشق السماء الثالثة، فتنزل الملائكة صفوفا، على كل صف رأس، فيقول أهل الأرض: أفيكم ربنا تبارك وتعالى؟ فيقولون: ليس فينا، وهو آتٍ، فيكون أهل السماء الثالثة وما أسفل منها من السموات والجن والإنس عشرة أجزاء، فيكون أهل السماء الثالثة تسعة أجزاء، ويكون ما أسفل من ذلك من السموات والجن والإنس جزءاً واحداً، ثم يكون أهل السموات على هذا حتى يبلغ للسابعة، حتى **يجيء ربك** في ظلل من الغمام والملائكة صفوفاً لا يتكلمون "[٤].

---

(١) غسان بن برزين، بضم الموحدة وسكون الراء وكسر الزاي، الطهوي، أبو المقدام البصري، صدوق ربما أخطأ، من السابعة. التقريب (٥٣٩٢).

(٢) سيار بن سلامة الرياحي، أبو المنهال البصري، ثقة، مات سنة ١٢٩هـ. التقريب (٢٧٣٠).

(٣) ثقة كثير الإرسال، تقدم.

(٤) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٤٢)، وأما أبو العالية فقد قال علي بن المديني: أنه سمع من ابن عباس ﷺ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٤٤٣/٢).

قال أسد بن موسى: أخبرنا ابن لهيعة، ثنا أبو الزبير، أنه سأل جابر بن عبد الله عن الورود، فقال جابر ﷺ: **سمعت** رسول الله ﷺ يقول: " نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد، الأول فالأول، حتى **يأتينا ربنا** بعد ذلك، فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا ﷻ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك" قال جابر: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: " ثم ينطلق ويتبعونه "[١].

فهاتان الصفتان «المجيء والإتيان» من صفات الله ﷻ الفعلية الخبرية، وهما ثابتتان له سبحانه كما جاء ذلك في النصوص الشرعية.

والمجيء والإتيان من الله تعالى جاءت في النصوص الشرعية على نوعين: مطلق، ومقيد.

فأما المقيّد فيتعلق بما قُيّد به كمجيء رحمته وعذابه، ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾[٣].

وأما المطلق كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٤]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[٥]، فهذا لا يكون إلا مجيئه الرب سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته[٦].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الأعراف:٥٢.

(٣) المؤمنون:٧١.

(٤) الفجر:٢٢.

(٥) البقرة:٢١٠.

(٦) انظر: مختصر الصواعق (٣/١١١٩-١١٢٠).

وقد وردت هاتان الصفتان في حديث واحدٍ. عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: " إن الله قال: إذا تلقَّاني عبدٌ بشِبر، تلقيتُه بذراع، وإذا تلقَّاني بذراع، تلقيتُه بباع، وإذا تلقَّاني بباع، جئتُه أتيتُه بأسرَع "[١].

قال النووي – رحمه الله –: "هكذا هو في أكثر النسخ «**جئته أتيته**»، وفي بعضها «**جئته بأسرع**» فقط، وفي بعضها «**أتيته**»، وهاتان ظاهرتان، والأول صحيح أيضا، والجمع بينهما للتوكيد، وهو حسن، لا سيما عند اختلاف اللفظ، والله أعلم"[٢].

ونقل الإمام أبو عثمان الصابوني[٣] – رحمه الله – أن اعتقاد أصحاب الحديث إثبات هاتين الصفتين لله ﷻ، حيث قال: "وكذلك يثبتون ما أنزل الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء، والإتيان، المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٤]، وقوله عز اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٥] "[٦].

وممن صرّح بحكاية الإجماع على ذلك أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – حيث قال: "وأجمعوا على أنه ﷻ يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً؛ لعرض الأمم، وحسابها، وعقابها، وثوابها"[٧]. وبهذا يُعلم أنه ثبت لله ﷻ مجيء وإتيان بالنصوص الشرعية على ما يليق بجلاله.

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب "الحث على ذكر الله"، برقم (٦٨٠٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (٩ / ٤-٥).

(٣) أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني، الحافظ، الواعظ، المفسِّر، مقدَّم أهل الحديث في بلاد خراسان، لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره، له من الكتب: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، مات سنة ٤٤٩هـ. انظر: تاريخ دمشق (٩/٣)، الوافي بالوفيات للصفدي (٩/٨٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٤ / ٢٧١).

(٤) البقرة: ٢١٠.

(٥) الفجر: ٢٢.

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (١٩٢).

(٧) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٢٧).

رابعاً: صفة «المعية»

قال ابن المبارك: أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن كريمة بنت الحَسْحَاس المزَنية أنها حدثته قالت: حدثنا أبو هريرة ﷺ ونحن في بيت هذه، تعني أم الدرداء، أنه سمع رسول الله ﷺ يأثر عن ربه أنه قال: "**أنا مع عبدي** ما ذكرني وتحركت بي شفتاه"[١].

فيثبت أهل السنة والجماعة معية الله تعالى لخلقه كما دل على ذلك الكتاب والسنة، ويعتقدون أن الله ﷻ معنا على الحقيقة، وأنه فوق سماواته، وأنه مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه.

ومن أدلة الكتاب على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾[٣]، فذكر الله تعالى في هذه الآية صفة المعية بعد صفة الاستواء لإبطال لإبطال تنافيهما.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٢٨٧)، ورواه البخاري معلّقاً، كتاب: التوحيد، باب "قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة:١٦]"، ووصله الحافظ بن حجر في التغليق (٥ / ٣٦٢).

(٢) المجادلة:٧.

(٣) الحديد:٤.

ومن السنة: قول النبي ﷺ:"يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي،**وأنا معه** إذا ذكرني.."[١].

وأجمع السلف – رحمهم الله – على إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، كما نقل ذلك شيخ الإسلام رحمه الله.

حيث قال: " وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة؛ من أنه سبحانه فوق سماواته، على عرشه، علي على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا"[٢].

ومما ينبغي أن يُعلم أن معية الله ﷻ لخلقه لا تقتضي أن يكون مختلطاً بهم، أو حالّاً فيهم، أو في أمكنتهم، وإنما معيته تقتضي أن يكون محيطاً بهم: علماً، وقدرة، وسمعاً، وبصراً، وتدبيراً، وسلطاناً، وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه[٣].

ومن اعتقد أن إثبات المعية لله تعالى يُفسّر بالحلول والاختلاط بخلقه، فاعتقاده باطلٌ ومردود من وجوه:

الأول: أن هذا التفسير مخالف لإجماع السلف، فلم يثبت عن أحدهم هذا الفهم، بل هم على إنكاره.

قال الطبري:" هو فوق العرش وعلمه معهم"[٤]، وهذا ليس صرفاً للفظ عن ظاهره بل هو تفسير للمعية ببعض معانيها، وإلا فإن المعية تشمل العلم وغيره كالنصر والتأييد والإحاطة وغير ذلك.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "قول الله تعالى:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ آل عمران:٢٨..."، برقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء..، باب "الحث على ذكر الله تعالى"، برقم (٦٨٠٥).

(٢) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية للرشيد ص (١٩٥-١٩٦).

(٣) انظر: القواعد المثلى ص (٥٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٣٧)، ومن طالع تفاسير أهل العلم يجد أنه لم يفسر أحد منهم المعية بالحلول.

وقال أبو عمر الطلمكني – رحمه الله –[1] : "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] ، وهو معكم أينما كنتم ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء "[3].

وقال شيخ الإسلام: "هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[4]، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطّلع عليكم، شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: «إنه معهم بعلمه»، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ﴾إلى قوله:﴿هُوَ رَابِعُهُمْ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ﴾[5] الآية.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾[1]، كان هذا أيضا حقاً على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد.

---

(١) الإمام الحافظ أبو عمر أحمد بن محمد الطلَمنكي المعافري الأندلسي، كان أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، قال الذهبي: "كان رأسًا في علم القرآن: حروفه وإعرابه وناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه، وكان ذا عناية تامة بالحديث ومعرفة الرجال حافظًا للسنن إمامًا عارفًا بأصول الديانة عالي الإسناد "، من مؤلفاته: الروضة في القراءات، مات سنة ٤٢٩هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٣ / ١٩٨)،معرفة القراء الكبار للذهبي ص (٢١٥-٢١٦)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ / ١١٠).

(٢) الحديد:٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣ / ٢١٩)، اجتماع الجيوش الإسلامية ص (١٠١).

(٤) الحديد:٤.

(٥) المجادلة:٧.

ثم قال: فلفظ " المعية " قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها – وإن امتاز كل موضع بخاصية – فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها"[٢].

الثاني: أنه منافٍ لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف، كما تقدم ذلك عند الكلام عن صفة العلو لله ﷻ.

الثالث: أن هذا التفسير مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله ﷻ قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –:"ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدره حق قدره وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالّاً في أمكنتهم فضلاً عن أن تستلزم ذلك، ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب جل وعلا"[٣].

فتفسير المعية بظاهرها على ما يليق بالله ﷻ لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك لما يأتي:

١– أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما[٤]، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢)مجموع الفتاوى (٥ / ١٠٣–١٠٤).

(٣) القواعد المثلى ص (٥٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥ / ١٠٣).

أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[1].

وقال ابن القيم – رحمه الله – :" وقد أخبر الله أنه مع خلقه، مع كونه مستوياً على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ..﴾[2] الآية، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه،كما في حديث الأوعال: « والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه»[3]، فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق"[4].

٢- أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا. ولا يعد ذلك تناقضاً، ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض، فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق، ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان[5].

---

(١) الحديد:٤.

(٢) الحديد:٤.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣ / ٢٩٢)، وأبو داود في سننه، باب "في الجهمية"، برقم (٤٧٢٢)، والترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب "ومن سورة الحاقة"، برقم (٣٣٢٠) وقال: حسن غريب، وابن ماجه في سننه، كتاب: السنة، باب "فيما أنكرت الجهمية"، برقم (١٩٣)، والدارمي في الرد على الجهمية ص (٥٠)، والحديث اختلف أهل العلم في تصحيحه وتضعيفه، فقد صححه الحاكم في المستدرك (٤٤٦/٢)، وجوّد إسناده شيخ الإسلام في حكاية مناظرة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (١٩٢/٣)، وابن القيم في تهذيب مختصر سنن أبي داود للمنذري (٢١٥٨/٣-٢١٦٣)، وضعف الحديث الذهبي في العلو (٥٠١/١-٥٠٢)، وذكره العقيلي في الضعفاء (٢٨٤/٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣ / ٣٩٨) وللاستزاده في تخريجه فليراجع السلسلة الضعيفة.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٩٢٠/٣-٩٢١).

(٥) انظر: القواعد المثلى ص (٦٣).

قال شيخ الإسلام: "وذلك أن كلمة «**مع**» في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال؛ فإذا قُيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو والنجم معنا، ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك؛ وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة "(١).

٣- أنه لو فُرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق، الذي جمع لنفسه بينهما، لأن الله ليس كمثله شيء، كما قال شيخ الإسلام: " وما ذُكر في الكتاب والسنة - من قربه ومعيته - لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوّه"(٢).

وبهذا يتبين عدم منافاة معية خلقة مع علوه، وأن الله ﷻ فوق عرشه وهو معنا على حقيقته، ولا يحتاج ذلك إلى تحريف، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة كما قال شيخ الإسلام.

خامساً: صفة «المكر»

قال هناد: حدثنا يعلي عن المسعودي عن عون(٣) قال: قال لقمان لابنه: "يا بني ارج الله رجاء **لا تأمن فيه مكره**، وخف الله مخافة لا تيأس فيها من رحمته، فقال: يا أبت وكيف

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ١٠٣)، وانظر: المفردات للأصفهاني ص (٤٧٠).

(٢) العقيدة الواسطية بشرح الرشيد ص (٢٠٦).

(٣) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة عابد، مات قبل سنة ١٢٠هـ. التقريب (٥٢٥٨).

أستطيع ذلك، وإنما لي قلب واحد؟ قال: يا بني إن المؤمن لذو قلبين: قلب يرجو به، وقلب يخاف به "(١).

من صفات الله ﷻ التي يثبتها أهل السنة والجماعة كما جاءت في النصوص الشرعية صفة المكر وهي من الصفات الفعلية الخبرية التي لا يوصف الله بها وصفاً مطلقاً، وإنما يوصف بها مقيدة؛ فهو سبحانه يمكر بمن يمكر به، ومثلها صفة المخادعة والكيد والاستهزاء.

قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾(٣).

قال السعدي – رحمه الله – : "ومكر الله بهم جزاءً لهم على مكرهم "(٤).

ولكن مكره سبحانه واستهزائه وكيده بهم ليس كمكرهم واستهزائهم وكيدهم، فهو ليس كمثله شيء.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك فقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾(٥) ، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد"(٦).

---

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ٣٠٦)، وابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٢٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣٨/٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لأحمد والبيهقي (٦ / ٥١٣).

(٢) الأنفال: ٣٠.

(٣) آل عمران: ٥٤.

(٤) تفسير السعدي (١ / ١٣٢).

(٥) الطارق: ١٥-١٦.

(٦) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤).

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: **هل يوصف الله بالمكر ؟ وهل يسمى به ؟**

فأجاب بقوله: لا يوصف الله تعالى بالمكر إلا مقيداً فلا يوصف الله تعالى به وصفا مطلقاً، قال الله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[١]، ففي هذه الآية دليل على أن لله مكراً ، والمكر: هو التوصل إلى إيقاع الخصم من حيث لا يشعر، ومنه جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري: « الحرب خدعة »[٢].

فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم ؟

قيل: إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه؛ ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن تقول: "إن الله ماكر"، وإنما تُذكر هذه الصفة في مقامٍ يكون مدحاً مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾، وقوله : ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٣]، ومثل قوله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾، ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام الذي تكون مدحاً يوصف بها، وفي المقام الذي لا تكون فيه مدحاً لا يوصف بها.

وكذلك لا يسمى الله به فلا يقال: إن من أسماء الله الماكر، والمكر من الصفات الفعلية؛ لأنها تتعلق بمشيئة الله سبحانه. ا.هـ[٤].

وهكذا بقية الصفات المقيّدة يُقال فيها ما قيل في صفة المكر.

---

(١) الأعراف:٩٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب "الحرب خدعة"، برقم (٣٠٣٠).

(٣) النمل:٥٠.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١ / ١٧٠).

المسألة الثالثة: الصفات الذاتية الفعلية.

و هذه الصفات كما تقدم هي التي تكون ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر، وقد ورد عدد منها، وسأذكر مثالاً عليها صفتين؛ لكونها أكثر ما وقع فيه الاختلاف بين أهل السنة وبين مخالفيهم، وهي:

الأولى: صفة «الإرادة»

قال وكيع: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال: "من **يرد الله** به خيراً يفقهه في الدين، ويلهمه رشده فيه"[1].

وهي صفة ذاتية فعلية لله ﷻ ثابتة بالكتاب والسنة، فالإرادة باعتبار أصلها ونوعها صفة ذاتية متعلقة بذات الله ﷻ؛ فإن الله لم يزل ولا يزال مريداً، وأما باعتبار آحادها وتعلقها بالمعيّن فهي صفة فعلية.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله — عند حكايته لأقوال الطوائف في الإرادة:" القول الرابع: أنه لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، وأما إرادة الشيء المعين فإنما يريده في وقته، وهو سبحانه يقدِّر الأشياء ويكتبها، ثم بعد ذلك يخلقها، فهو إذا قدَّرها علم ما سيفعله، وأراد فعله في الوقت المستقبل، لكن لم يرد فعله في تلك الحال، فإذا جاء وقته أراد فعله فالأول عزم، والثاني قصد "[2].

وإرادة الله ﷻ على ما دل عليه الاستقراء لمواطن ورودها في القرآن الكريم، وعلى ما قرره المحققون من أهل السنة نوعان:

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢/٤٨١)، وهو متفق عليه من حديث معاوية ﷺ، البخاري، كتاب: العلم، باب "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"، برقم (٧١)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب "النهي عن المسألة"، برقم (٢٣٨٩)، كلاهما بدون الجملة الأخيرة.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٠٣).

النوع الأول: الإرادة الكونية القدرية: وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث والمتعلقة بما يريد أن يفعله الله بنفسه، وهي مستلزمة لوقوع المراد، ولا تستلزم المحبة من الله والرضا، التي يقال فيها: (ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن)[1].

ومن الأدلة على هذا النوع: قوله تعالى:﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[3].

وهذه الإرادة لا تستلزم الأمر والمحبة، بل قد يكون بها ما يحبه الله ويرضاه، وقد يكون بها ما لا يحبه ولا يرضاه، كما خلق إبليس وهو لا يحبه، وخلق المؤمن وهو يحبه، وكذلك قد يخلق ما لا يأمر به كمعصية العاصي، أو ما أمر به كطاعة المؤمن، فمشيئته سبحانه التي هي إرادته الكونية متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه كله داخل تحت مشيئته[4].

النوع الثاني: الإرادة الدينية الشرعية: وهي متعلقة بالأمر الذي أراد الله تعالى من عبده فعله، وهي متضمنة للمحبة والرضا، ولا يلزم وقوعها إلا إذا تعلقت بالإرادة الكونية[5].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣ / ١٥٧)، مجموع الفتاوى (٨ / ١٨٨)، شرح الطحاوية ص (٧٠)، والمختصر في عقيدة أهل السنة في القدر للرحيلي ص (٥٥-٥٦).

(٢) الأنعام:١٢٥.

(٣) المائدة:١.

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٣ / ١٨٢-١٨٧)، مجموع الفتاوى (١٧ / ٦٢)، شفاء العليل (٤٤١/١)، شرح الطحاوية ص (٧٠)، والمختصر في عقيدة أهل السنة في القدر للرحيلي ص (٥٥-٥٦).

(٥) منهاج السنة النبوية (٣ / ١٥٦)، مجموع الفتاوى (٨ / ١٨٨).

ومن الأدلة على هذا النوع: قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾[(٢)].

ومن هذه الإرادة الأوامر الشرعية، فالأمر يستلزم الإرادة الدينية، ولا يستلزم الإرادة الكونية، فإنه سبحانه لا يأمر إلا بما يريده شرعاً ودينا، وقد يأمر بما لا يريده كوناً وقدراً، كإيمان من أمره ولم يوفقه للإيمان، مراد له ديناً لا كوناً[(٣)].

قال شيخ الإسلام: "طريقة أئمة الفقهاء وأهل الحديث وكثير من أهل النظر وغيرهم أن الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة تتعلق بالأمر، وإرادة تتعلق بالخلق، فالإرادة المتعلقة بالأمر أن يريد من العبد فعل ما أمره به، وأما إرادة الخلق فأن يريد ما يفعله هو، فإرادة الأمر هي المتضمنة للمحبة والرضا، وهي الإرادة الدينية، والثانية المتعلقة بالخلق هي المشيئة وهي الإرادة الكونية القدرية"[(٤)].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله –: "والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية"[(٥)].

---

(١) البقرة:١٨٥.

(٢) المائدة:٦.

(٣) انظر: شفاء العليل (١٣٧٥/٣).

(٤) منهاج السنة النبوية (٣ / ١٥٦).

(٥) شرح الطحاوية ص (٦٩).

الحالات والصور لاجتماع هاتين الإرادتين وافتراقهما:

هاتان الإرادتان قد تجتمعان، وقد ترتفعان، وقد توجد إحداهما دون الأخرى، ولذلك أربع صور ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله، وبيانها فيما يلي:

الصورة الأولى: ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله أراده إرادة دين وشرع؛ فأمر به وأحبه ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع؛ ولولا ذلك لما كان، كحصول سائر الطاعات، وإيمان أبي بكر وغيره من المؤمنين.

الصورة الثانية: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار، فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع، كإرادته إيمان أبي جهل وسائر الكافرين، وما أراده الله من طاعتهم.

الصورة الثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدّره الله وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها، كالمباحات والمعاصي الواقعة في الناس، ولولا إرادته لها كوناً لما وقعت، فإنه لم يأمر بها سبحانه.

الصورة الرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي؛ فإن الله لم يأمر بها شرعاً، ولم يردها كوناً، فلم تقع، ومثالها: كفر المؤمن، والمعاصي التي عصمه الله منها فلم تقع[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨ / ١٨٩)، والمختصر في القدر للرحيلي (٥٧-٥٨).

الثانية: صفة «الكلام»

قال أسد بن موسى: أخبرنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما منكم من أحد إلا **سيكلمه الله** يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان[١]، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا ينظر إلا ما قدَّم، وينظر أمامه فيرى النار، فمن استطاع أن يتقي النار عن وجهه فليفعل، ولو بشق تمرة"[٢].

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل يتكلم، وكلامه بحرف وصوت يُسمع، وأن القرآن كلامه منزَّل غير مخلوق، وقد خاض أهل البدع في هذه الصفة بالباطل، فبعضهم أنكرها ولم يثبتها لله تعالى، وبعضهم أثبتها على غير حقيقتها إثباتاً مخالفاً لما دلت عليه النصوص، ومخالفاً لاعتقاد سلف الأمة.

وقد دلَّ على هذه العقيدة – عقيدة أهل السنة في صفة الكلام – الكتاب والسنة وإجماع السلف.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٣].

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ﴾[١].

---

(١) (التُّرْجُمان والتَّرْجَمان): المفسِّر. انظر: اللسان (١ / ٤٢٦).

(٢) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٦٧)، وهو متفق عليه، البخاري كتاب: التوحيد، باب "كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم"، برقم (٧٥١٢)، ومسلم كتاب: الزكاة، باب "الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.."، برقم (٢٣٤٨).

(٣) النساء:١٦٤.

(٤) الأعراف:١٤٣.

قال قتادة في قول الله:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ ﴾[٢]، أي: يعلمون أنه كلام الرحمن[٣].

وأما من السنة فالأحاديث في هذا كثيرة، منها:

ما جاء في قصة الإفك من قول عائشة رضي الله عنها: "لشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى..[٤]".

وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار.."[٥]. وفي هذا الحديث تصريح بأن الله تعالى يتكلم ويخاطب آدم بصوتٍ يسمعه.

قال الإمام البخاري – رحمه الله –: " وأن الله ﷻ ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره، قال أبو عبد الله: وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته"[٦].

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "حديث ابن مسعود ﷺ « إذا تكلم الله سُمِع له صوت

---

(١) التوبة:٦.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) تفسير الطبري (١ / ٤٠٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [النور:١٢]"، برقم (٤٧٥٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج:٢]"، برقم (٤٧٤١).

(٦) خلق أفعال العباد (٢ / ٢٤٠).

كجر السلسلة على الصفوان »[١]"، وهذه الجهمية تنكره، هؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس، من زعم أن الله ﷻ لم يتكلم فهو، إنا نروي الأحاديث كما جاءت"[٢].

وقال أيضاً: "وكلم الله موسى تكليماً، من الله سمع موسى يقيناً، ولم يزل متكلماً عالماً، تبارك الله أحسن الخالقين"[٣].

وهذه الاعتقاد متفق عليه بين أهل العلم من أهل السنة والجماعة[٤].

قال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا على إثبات حياة الله ﷻ لم يزل بها حياً، وعلما لم يزل به عالماً...وكلاماً لم يزل به متكلماً"[٥].

وكتب أئمة أهل السنة مليئة بالنصوص والآثار وأقوال السلف الدالة على هذا الاعتقاد.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت: نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم يُنقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت، أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف، كما لم يقل أحد منهم: إن الصوت الذي سمعه موسى قديم، ولا إن ذلك النداء قديم، ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به؛ بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين أصوات العباد.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب "الرد على الجهمية"، برقم (٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (١ / ٢٢٣)، قال الألباني: صحيح على شرط الشيخين. السلسلة الصحيحة (٣ / ٣٦٧).

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/٢٨٨).

(٣) المصدر السابق (١/٢٨٧).

(٤) انظر: السنة لابن أبي عاصم ص (٦١٢).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (٢١٤-٢١٥).

وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية، كما قال الإمام أحمد لما سئل عمن قال: إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: هؤلاء جهمية إنما يدورون على التعطيل "[١].

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٠٤-٣٠٥).

الفصـل الثـانـي :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **الملائكة عليهم السلام** .

المبحث الثاني : **الرسل عليهم السلام** .

المبحث الثالث : **الكتب السماوية** .

المبـحـث الأول :

الإيمان بالملائكة عليهم السلام :

وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : **عبادة الملائكة وطاعتهم للّه** ﷻ .

المطلب الثاني : **بعض صفات الملائكة الخلقية** .

المطلب الثالث : **الأعمال الموكلة لبعض الملائكة** .

تمهيد:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان كما جاءت بذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(٣) .

وجاء في السنة حديث جبريل المشهور الذي رواه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ وفيه: "قال – جبريل ﷺ – فأخبرني عن الإيمان، قال ﷺ: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٤).

فنؤمن بجميع الملائكة، على وجه الإجمال، ونؤمن على وجه التفصيل لمن جاءت النصوص الشرعية بذكرهم، وذكر صفاتهم وأعمالهم.

---

(١) البقرة:١٧٧.

(٢) البقرة:٢٨٥.

(٣) النساء:١٣٦.

(٤) رواه مسلم، في الإيمان، باب " معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة"، برقم (٩٣) واللفظ له، ورواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في الإيمان، باب "سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة"، برقم (٣٧).

❖ **تعريف كلمة «الملائكة»:**

● **معنى «الملائكة» في اللغة:** الملائكة جمع «مَلَك» واختلف أهل اللغة في اشتقاق هذه اللفظة على قولين، يترتب على كل قول معنى:

الأول: أنه مشتق من "ملْأك" من "لأك" فهو مهموز الأصل، والتي أصلها "مألك" من"ألك" والميم فيه زائدة، وحُذفت الهمزة تخفيفاً كما هي عادة العرب، وحُرّكت بحركة الهمزة اللام فقيل "ملَك"، فإذا جمعوا واحدهم، ردوا الجمع إلى الأصل وهمزوا، فقالوا: ملائكة(١).

قال الأزهري(٢): "الملَك : واحد الملائكة، إنما هو تخفيف الملأك، واجتمعوا على حذف همزِه، وهو مَفْعَلٌ من الأَلُوكِ"(٣).

وعلى هذا القول فالملأك من الألوك وهي: الرسالة، لأك إليه يلأك إذا أرسل إليه رسالة، وسميت الملائكة بهذا لأنهم رسل الله ﷻ.

الثاني: أنه مشتق من "ملك" غير مهموز الأصل، قال أبو عبيدة: " الهمزة فيها مُجتلَبة، لأن واحدها ملَك بغير همزة "(٤).

وعلى هذا فالميم فيه أصلية، قال ابن حجر: "ويؤيده أنهم جوزوا في جمعه أملاك، وأفعال لا يكون جمعا لما في أوله ميم زائدة "(١).

---

(١) الصحاح (٥ / ٢٩٧)، التاج (٢٧ / ٥٠-٥١)، اللسان (٥ / ٣٩٧٥،٤١٠٠)، الكليات ص (٨٥٤)، تفسير الطبري (١ / ٤٤٥-٤٤٦).

(٢) محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، اللغوي الأديب، الشافعي أبو منصور، ورد بغداد وأسَرته القرامطة، فبقي فيهم دهراً طويلاً، وكان رأساً في اللغة، وكان عارفاً بالحديث ، عالي الإسناد ، ثخين الورع، أخذ عن الهروي صاحب الغريبين، وله من التصانيف: التهذيب في اللغة، وشرح شعر أبي تمام، وغير ذلك مات سنة ٣٧٠هـ. انظر: بغية الوعاة (١ / ١٩).

(٣) تهذيب اللغة (١٠ / ١٥٢).

(٤) مجاز القرآن (١ / ٣٥).

وعلى هذا القول فالملك من المِلْك وهو: الأخذ بقوة، قال ابن فارس: "الميم واللام والكاف: أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ في الشيء، وصحة "[٢].

وتكون تسمية الملائكة بهذا لما حباها الله من قوة وغلظة.

والراجح من القولين: إن كلا المعنيين المذكورين في اشتقاق اسم الملائكة يتوافقان مع حقيقة الملائكة:

فَهُم رسل الله تعالى، يرسلهم لمن شاء: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[٣].

وهم أيضاً ألو قوة وشدة: ﴿عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[٤].

إلا أن الأول أرجح وهو قول سيبويه والجمهور[٥]؛ وذلك لما يأتي:

١- أن أصلها في كلام العرب "ملأك" بالهمز، وإنما كان استعماله بغير الهمز أكثر في كلامهم لكثرة ما يجري في الكلام، والعرب تخفف ما تستثقله، فألزموه التخفيف.

قال شيخ الإسلام: "ولفظ الملك يتضمن معنى الرسالة؛ فإن أصل الكلمة ملأك على وزن مفعل، لكن لكثرة الاستعمال خُففت، بأن ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها، وحذفت الهمزة.

---

(١) فتح الباري (٦ / ٣٠٦).
(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٣٥١).
(٣) فاطر:١.
(٤) التحريم:٦.
(٥) انظر: فتح الباري (٦ / ٣٠٦).

وملاك مأخوذ من المألك والملأك بتقديم الهمزة على اللام، واللام على الهمزة، وهو الرسالة وكذلك الألوكة بتقديم الهمزة "(١).

٢- مجيء وصف الملائكة بالرسالة في مواضع كثيرة من القرآن، ومن وجوه مختلفة، كقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾(٢).

٣- كان هذا الاشتقاق أرجح من جهة ما يُشعِر به اللفظ، فإنه بمعنى الرسالة يشعر بأن الملائكة ما هم إلا رسل الله منفذون لأمره، فليس لهم من الأمر شيء، وأما بمعنى القوة يشعر بأن ما يقومون به من التدبير لقوتهم وقدرتهم، وإسناد التدبير إليهم، فالأول أصون للاعتقاد(٣).

تنبيه: أصل الجمع في ملائكة هو "ملائك"، ثم أُلحقت به التاء.

والتاء قيل: لتأكيد تأنيث الجماعة.

وقيل: هي للمبالغة، أي الذين بلغوا الغاية في أداء الرسالة، كقولهم في العالم: علّامة، وفي الرحال: رحالة(٤).

- **تعريف «الملائكة» اصطلاحاً:** لم يُنقل عن السلف تعريف ووضع اصطلاحي للملائكة(٥)، إنما اكتفوا بما جاء في النصوص من وصفهم، كما في حديث أم المؤمنين عائشة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: " خُلقت الملائكة من نور..."(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧ / ٥٢٧).

(٢) فاطر: ١.

(٣) انظر: خلق الملائكة عليهم السلام لمحمد الجهني ص (١٧-١٨).

(٤) انظر: الكليات ص (٨٥٤)، والمصدر السابق.

(٥) انظر: خلق الملائكة ص (١٩).

وقد عرّف جمهور المتكلمين الملائكة بأنهم: أجسام لطيفة نورانية، أُعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات(٢).

وهذا التعريف لا يُسلّم به؛ وذلك: لوصفهم الملائكة بأنهم أجسام، وهذا مخالف لما جاء في النصوص أن الملائكة أرواح خُلقت من نور، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾(٣).

قال شيخ الإسلام: "لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين، بل الجسم هو الجسد كما تقدم، وهو الجسم الغليظ أو غلظه والروح ليست مثل البدن في الغلظ والكثافة؛ ولذلك لا تسمى جسماً فمن جعل الملائكة والأرواح ونحو ذلك ليست أجساما بالمعنى اللغوي فقد أصاب في ذلك...فإنه من المشهور في اللغة الفرق بين الأرواح والأجسام"(٤).

ويمكن تعريف الملائكة في الاصطلاح بناء على ما ورد من صفاتهم في النصوص بأنهم: مخلوقات نورانية، وهم عباد مكرمون، قائمون بأمر الله ﷻ في التدبير، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى(4).

(١) أخرجه مسلم، في الزهد، باب "أحاديث متفرقة"، برقم (٧٤٩٥).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص (١٨٦)، الكليات ص (٨٥٤)، فتح الباري (٦ / ٣٠٦).

(٣) مريم:١٧.

(٤) مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٤٢).

(٥) وانظر للاستزادة: خلق الملائكة لمحمد الجهني ص (١٩-٢٢).

المطلب الأول:

عبادة الملائكة وطاعتهم لله ﷻ، وفيه مسألتان :

المسألة الأولى: تكليف الملائكة .

المسألة الثانية: العبادات التي تقوم بها الملائكة .

المسألة الأولى: تكليف الملائكة .

قال ابن المبارك: أخبرنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي عيسى شيخ قديم: "أن ملكاً لما استوى الرب على كرسيه سجد فلم يرفع رأسه، ولا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة، فيقول: يوم القيامة يا رب، لم أعبدك حق عبادتك، إلا أني لم أشرك بك شيئاً، ولم أتخذ من دونك ولياً"[1].

(١) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (١٠٢)، وتقدم تخريجه.

❖ مسألة: تكليف الملائكة.

دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الملائكة عباد لله تعالى، يقومون بعبادات جاء ذكرها في النصوص الشرعية، بل دل القرآن الكريم على أن الملائكة يقومون بما أُمروا به ولا يعصون ربهم أبداً كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] .

وعلى هذا حصل الاختلاف بين أهل العلم في تكليف الملائكة وعدمه على قولين:

القول الأول: إخراج الملائكة من التكليف، والوعد والوعيد[2].

واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3].

ففهموا من عصمة الملائكة عن المعصية، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم البتة أنهم خلق مسخرون كالشمس والقمر، وليست عبادتهم بتكليف من الله تعالى.

القول الثاني: أن الملائكة مكلفون.

ومن أدلة هذا القول الآيات التي جاءت في أمرهم بالعبادة، أو نهيهم عن المعصية، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ

---

(١) التحريم:٦.

(٢)انظر: الفروع لابن مفلح (٢ / ٤٦٠)، لوامع الأنوار للسفاريني (٢ / ٤٠٩)، حاشية الروض المربع (٢ / ٢٩٥).

(٣) قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني (١ / ٣٠٢-٣٠٣).

وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[١]، وقوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٢].

قالوا: إن الله تعالى مدحهم على ترك المعاصي والمخالفة، ودوام الطاعة، ولولا تصوُّرُ ذلك منهم، وأنهم مكلفون بفعل الطاعة واجتناب المعصية ما استحقوا عليه المدح[٣].

والذي تؤيده النصوص من هذين القولين: هو أن الملائكة مكلفون، ولكن الله عصمهم عن أن يختاروا المعصية، فلا يختارون إلا الطاعة.

قال السفاريني – رحمه الله –: " الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة إذ فيه : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٤]... وهذا كله تكليف، وناشئ عن التكليف"[٥].

ولكنهم ليسوا بمكلفين بنفس التكاليف التي كُلّف بها البشر.

قال ابن القيم – رحمه الله –: "وأما الملائكة فليسوا بداخلين تحت أحكام تكاليف البشر، حتى يصح قياسهم عليه فيما يقولونه أو يفعلونه، فأين أحكام المَلَك من أحكام البشر؟ فالملائكة رسل الله في خلقه وأمره، يتصرفون بأمره، لا بأمر البشر"[٦].

---

(١) الأنبياء:١٩–٢٠.

(٢) الأنبياء:٢٩.

(٣) انظر: الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي ص (٢٥٢).

(٤) سبأ:١٢.

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٤١٠).

(٦) جلاء الأفهام ص (٥٦٨)، وانظر: الحبائك للسيوطي ص (٢٥٧).

وأما القول بعدم تكليفهم مطلقاً، فهو قول فيه نظر؛ فهم مأمورون بالعبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1]، وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[2].[3]

(١) النحل:٥٠.

(٢) الأنبياء:٢٨.

(٣) انظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر الأشقر ص (٢٩).

المسألة الثانية: العبادات التي تقوم بها الملائكة .

قال وكيع: حدثنا أبي[١]، عن إبراهيم بن مهاجر[٢]، عن مجاهد قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: "أطَّت السماء، وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد، ولو تعلمون ما أعلم، ما تلذذتم مع نسائكم على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون"[٣].

قال أسد بن موسى: ثنا بعض أصحاب ابن لهيعة[٤]، عن ابن لهيعة[٥], عن أبي قبيل[٦]، عن كعب الأحبار[٧] قال: " أربعة أجبل يوم القيامة: الخليل ولبنا، والطور، والجودي، يكون كل واحد منهم لؤلؤة بيضاء، تضيء ما بين السموات والأرض، يرجعن إلى بيت المقدس حتى يجعلن في زواياه، ثم يضع الجبار عليهن عرشه حتى يقضي الله بين أهل الجنة وأهل النار، والملائكة حول العرش: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨] "[١].

(١) الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي بضم الراء، والد وكيع، صدوق يهم، مات سنة ١٧٥هـ وقيل ١٧٦هـ. التقريب (٩١٦).

(٢) إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي الكوفي، صدوق لين الحفظ، من الخامسة. التقريب (٢٥٦).

(٣) رواه وكيع في الزهد (٢٦١/١)، وأحمد في المسند (٣٥ / ٤٠٥)، والترمذي، باب "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا"، برقم (٢٣١٢) وقال: حديث حسن غريب، ويُروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: لوددت أني كنت شجرة تُعضد، ويروى عن أبي ذر موقوفاً، والطحاوي في شرح مشكل الآثار عن حكيم بن حزام رضي الله عنه مرفوعاً (١٦٧/٣)، ورواه البيهقي في سننه الكبرى مرفوعاً (٧ / ٥٢)، وفي شعب الإيمان أيضا مرفوعا (٢ /٢٢٦)، والحاكم في المستدرك (٦٠٠/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٩/٤).

(٤) مبهم.

(٥) تقدم.

(٦) حيي بن هانئ بن ناصر بنون ومعجمة، أبو قبيل بفتح القاف وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة، المعافري المصري، صدوق يهم، مات سنة ١٢٨هـ بالبُرُلُّس. التقريب (١٦١٦).

(٧) تقدم.

(٨) الزُّمَر:٧٥.

قال ابن المبارك: أخبرنا معمر[٢]، عن الزهري ويحيى بن أبي كثير[٣]، قالا: " بينا أسيد بن حضير يصلي ذات ليلة إذ غشيته سحابه فيها مثل المصابيح، قال والمرأة نائمة إلى جنبه، وهي حامل، والفرس مربوط في الدار، فخشيت أن ينفر الفرس، فتفزع المرأة، فتلقى ولدها، فانصرفت من صلاتي، ثم ذكرت ذلك للنبي ﷺ حين أصبحت، قال: «اقرأ أُسيدُ، وإن ذلك مَلَك يستمع القرآن» "[٤].

---

(١) رواه أسد بن موسى ص (٤٦).

(٢) معمر بن راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدّث به بالبصرة، مات سنة ١٥٤هـ. التقريب (٦٨٥٧).

(٣) تقدما.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٢٤٧)، ورواه البخاري تعليقاً، في فضائل القرآن، باب "نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن"، برقم (٥٠١٨)،ووصله ابن حجر في التغليق (٤/ ٣٨٧)، ورواه مسلم، في فضائل القرآن، باب " نزول السكينة لقراءة القرآن "، برقم (١٨٥٩).

❖ مسألة : العبادات التي تقوم بها الملائكة لله ﷻ.

قبل بدء الكلام في تعداد أنواع العبادات التي تقوم بها الملائكة، أشير إلى حال الملائكة في العبادة كما ذكرها الله تعالى عنهم في كتابه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[٢].

فقد تضمنت الآيتان بيان عدة أمور تتعلق بعبادة الملائكة:

١- أنهم لا يستكبرون عن عبادته: أي لا يأنفون عن عبادته، والتذلل له[٣]، فهم محققون لغاية العبادة وهي غاية الذل مع كمال المحبة.

٢- أنهم لا يستحسرون: أي لا يكلُّون ولا يتعبون[٤]، فلا يملون من عبادة الله سبحانه وعلى هذا فهم لا ينقطعون عن العبادة أبداً.

٣- أنهم لا يفترون: أي لا يقطعهم عن العبادة الفتور، وهو الوهن والضعف البدني الحسي[٥]، قال ابن كثير: " فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً "[٦].

---

(١) الأنبياء:١٩-٢٠.

(٢) فُصِّلَت:٣٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١ / ٢٧٧).

(٤) انظر: روح المعاني (١٧ / ٢١).

(٥) انظر: محاضرات في الإيمان بالملائكة لمحمد الجهني ص (٨٢).

(٦) تفسير ابن كثير (٥ / ٣٣٦).

٤- أنهم لا يسأمون: أي لا يملون من العبادة، وهو الوهن المعنوي[١]، فقد أُلهموا التسبيح كما أُلهموا النفس[٢].

وأما العبادات التي تقوم بها الملائكة:

جاء في الكتاب والسنة ذكر جملة من العبادات التي تتعبد بها الملائكة ربها ﷻ، ومنها:

١- الصلاة: جاء ذكرها في حديث الإسراء عن النبي ﷺ، وفيه: "فرُفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم..."[٣].

ومما جاء في صفة صلاتهم أنهم يصفّون ويتراصون في الصف، ويتمُّون الأول منها فالأول، ويدل على ذلك ما جاء في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟" فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: "يتمّون الصفوف الأُوَل، ويتراصون في الصف"[٤]، وكان ورود هذا الحديث حال الاصطفاف للصلاة[٥]، فهذا يدل على أنها من صفة صلاة الملائكة.

---

(١) انظر: محاضرات في الإيمان بالملائكة لمحمد الجهني ص (٨٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ٤٢٣).

(٣) متفق عليه، البخاري، في بدء الخلق، باب "ذكر الملائكة صلوات الله عليهم"، برقم (٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم، في الإيمان، باب "الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات"، برقم (٤١٦).

(٤) رواه مسلم، في الصلاة، باب "الأمر بالسكون في الصلاة.."، برقم (٩٦٨).

(٥) شرح النووي (١٥٨/٢).

٢- السجود: وقد جاء ذكر سجود الملائكة في عدة أدلة من الكتاب والسنة، فأما أدلة الكتاب فبعضها عامّة في سجود جميع مخلوقات السماوات والأرض ومنهم الملائكة، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[٢].

وبعضها جاء فيه ذكر الملائكة بخصوصهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤].

وأما من السنة ما ثبت عن النبي ﷺ قوله: "أطَّت السماء، وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد، ولو تعلمون ما أعلم، ما تلذذتم مع نسائكم على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون"[٥].

ويحتمل أن يكون سجودهم في الصلاة، ويحتمل أن يكون في غيرها.

٣- التسبيح: تعددت الآيات التي جاءت في ذكر تسبيح الملائكة، فبعضها عامة في جميع المخلوقات ومنهم الملائكة، كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن

---

(١) الرعد:١٥.

(٢) الحج:١٨.

(٣) الأعراف:٢٠٦.

(٤) النحل:٤٩.

(٥) تقدم تخريجه.

﴿مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢].

وبعض الآيات جاء فيها ذكر للملائكة، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾[٣]، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾[٥].

٤- **الاستغفار:** جاء ذكر استغفار الملائكة للمؤمنين مقروناً بتسبيحهم لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٧].

---

(١) الإسراء:٤٤.

(٢) النور:٤١.

(٣) البقرة:٣٢.

(٤) البقرة:٣٠.

(٥) الرعد:١٣.

(٦) غافر:٧.

(٧) الشورى:٥.

٥- **الخوف والخشية من الله ﷻ**: ذكر الله تعالى في كتابه الكريم خشية الملائكة الكرام له، وخوفهم منه، قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مررت ليلة أُسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحِلس[٢] البالي من خشية الله ﷻ"[٣].

٦- **سماع القرآن**: قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٤]، قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الصبح "، قال أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٥].

وجاء ذلك أيضاً في قصة الصحابي أسيد بن حضير رضي الله عنه فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحي، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله،

---

(١)الأنبياء:٢٨.

(٢) (الحِلس): كل شيء ولي ظهر البعير تحت الرحل، ويطلق على بساط البيت. انظر: تهذيب اللغة (٤ / ١٨١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥ / ٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة ص (٢٥٥)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة تخريج السنة لابن أبي عاصم.

(٤) الإسراء:٧٨.

(٥) رواه البخاري، في التفسير، باب "﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾"، برقم (٤٧١٧)، ومسلم، في المساجد ومواضع الصلاة، باب "فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد فى التخلف عنها"، برقم (١٤٧٣).

بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ ابن حضير" قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ:" اقرأ ابن حضير "، قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ:" اقرأ ابن حضير"، قال: فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ:" تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم "(١).

وهذه العبادة داخلة أيضاً في جملة الذكر الذي تحضره الملائكة مع أهل الذكر كما سيأتي بيان ذلك في الأعمال التي تقوم بها الملائكة إن شاء الله تعالى.

٧- **الجهاد في سبيل الله تعالى**: الملائكة في الجهاد مع المؤمنين على نوعين:

النوع الأول: من يُوكل منهم بتثبيت المؤمنين في الجهاد عند مواجهة العدو، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٢).

النوع الثاني: القتال مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾(٣).

وثبت هذا أيضا مع المؤمنين في غزوة بدر كما في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتدُّ فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الأنفال:١٢.

(٣) آل عمران:١٢٤.

فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: "صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة" »[1].

(١) رواه مسلم، في الجهاد والسر، باب "الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.."، برقم (٤٥٨٨).

المطلب الثاني:

صفات الملائكة الخَلْقية :

وفيه تمهيد، وثلاث مسائل :

المسألة الأولى : قدرة الملائكة على التشكل .

المسألة الثانية : أن الملائكة لها أجنحة .

المسألة الثالثة : قوة الملائكة وشدتهم وعظم خلقهم .

تمهيد:

من المهم قبل الكلام عن صفات الملائكة الخلْقية، أن أقدِّم بمقدمات تتعلق بأصل خلق الملائكة، ومن أي الأجناس هي، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: مادة خلق الملائكة.

خلق الله ﷻ الملائكة من نور، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: " خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجانُّ من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصِف لكم "(١).

فجاء هذا الحديث مطلقاً، ولم يرد فيه تحديد نوع النور الذي خُلقت منه الملائكة، وقد جاء تحديد ذلك في بعض الآثار، ولكنها لم تصح عن النبي ﷺ، وبعضها وإن صحّ سنداً فقد يكون من الإسرائيليات، قال الشيخ ناصر الدين الألباني – رحمه الله – بعد إيراده بعض الآثار في هذا الموضوع: " فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها؛ لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ "(٢).

ثانياً: دعوى أن الملائكة ولد الله ﷻ.

ادَّعى المشركون أن الملائكة عليهم السلام من ولد الله تعالى وأنهم بناته، كما ذكر سبحانه هذه الفرية في كتابه – تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيرا — وقد ردّ الله ﷻ عليهم وكذَّبهم الله في ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد، باب "أحاديث متفرقة"، برقم (٧٤٩٥).

(٢) السلسلة الصحيحة (١ / ٨٢٠).

قال ابن كثير: "يقول تعالى رداً على من زعم أن له - تعالى وتقدس -ولداً من الملائكة، كمن قال ذلك من العرب: إن الملائكة بنات الله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[1]"[2].

وقال تعالى:﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154) ﴾ إلى قوله:﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159) ﴾[3].

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾: " قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: بنات سروات الجن، فقال الله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾"[4].

وهذا يأتي بنا إلى الأمر الثالث، وهو.

ثالثا: جنس الملائكة.

تقدم ردُّ الله تعالى وتكذيبه لمن زعم أن الملائكة إناث، وأنهم بناته سبحانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى ﴾[1].

---

(١) الأنبياء:٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ٣٣٨).

(٣) الصافات:١٥٠-١٥٩.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٣١)، تفسير الطبري (٢١ / ١٢١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٥)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي (١٦ / ٣٥٢)، الدر المنثور (٧ / ١٣٣).

وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[2]، وبخهم على زعمهم أن الملائكة إناث توبيخاً شديداً، وأنكر عليهم ذلك في قوله: ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾، يعني هل حضروا خلق الله لهم فعاينوهم إناثاً؟ [3].

بل ولم يزد على أن وصفهم بأنهم عباد مكرمون، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾، فلذلك لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة[4]، وإنما يُقتصر على وصف الله لهم بأنهم « عباد مكرمون ».

الرابعة: دعوى أن الملائكة صنف من الجن.

قال الحليمي – رحمه الله –: " من الناس من ذهب إلى أن الأحياء العقلاء الناطقين فريقان: إنس وجن، وكل واحد من الفريقين صنفان أخيار وأشرار، فأخيار الإنس يدعون أبراراً، ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل، وأشرارهم يدعون فجاراً ثم ينقسمون إلى كفار، وغير كفار، وأخيار الجن يسمون ملائكة، ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل، وأشرارهم يدعون شياطين.."[5].

وقد جاء من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة ما يردّ هذه الدعوى، فقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ

(١) النجم:٢٧.
(٢) الزُّخرُف:١٩.
(٣) انظر: أضواء البيان (٧ / ٢٣٤).
(٤) انظر: الملائكة والجن دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث. لمي المدهون ص (٩٠).
(٥) انظر: المنهاج للحليمي (١/٣٠٥)، شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٢٩٧)، لباب التأويل للخازن (٢ / ١٦٦).

أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾[(١)]، وعلى هذا لو كانت الملائكة جناً لم يكن لقوله تعالى: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾ معنى، فدلّ ذلك أن الملائكة ليسوا من الجن.

ودل على هذا أيضاً حديث عائشة المتقدم عن النبي ﷺ قال: " خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجانُّ من مارج من نار.. "[(٢)].

---

(١) سبأ:٤١.

(٢) تقدم تخريجه.

المسألة الأولى: قدرة الملائكة على التشكل.

قال وكيع: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خرج رجل من قرية، يزور أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على طريقه ملكاً فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخاً لي في هذه القرية في الله، قال: فقال له: هل له عليك من نعمة تربها؟ قال: لا، ولكني أحببته في الله، قال: فإني رسول رب العالمين، إنه قد أحبك كما أحببته فيه"[(١)].

(١) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٦١١)، وهو عند مسلم، كتاب: البر والصلة، باب "فضل الحب في الله تعالى"، برقم (٦٥٤٨).

❖ مسألة: قدرة الملائكة على التشكل .

ثبت في الكتاب والسنة في نصوص كثيرة ما يدل على أن الله عز وجل أعطى الملائكة قدرة على التشكل، فهي تتمثل بصور غير صورها الأصلية، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[١] .

قال ابن كثير: " أي: لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكياً، لكان على هيئة رجل؛ لتفهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه"[٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٣]، أي أن جبريل عليه السلام جاءها في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق[٤].

وذكر الله تعالى ذلك في قصة ضيف إبراهيم في عدة مواضع من القرآن، منها قوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾[٥] الآيات، فقدم لهم إبراهيم ما يضيّف به البشر؛ لأنهم جاءوه في صورة بشر.

قال ابن كثير: "أقبلت تمشي في صور رجال شبان، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيَّفوه"[٦].

---

(١) الأنعام:٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٤١).

(٣) مريم:١٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ١٦٣)، تفسير البغوي (٥ / ٢٢٣)، تفسير السمعاني (٣ / ٢٨٣).

(٥) الذاريات:٢٤.

(٦) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٣).

وذكر تعالى ذلك أيضاً في قصة لوط ومجيء الرسل إليه: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[١]، ضاق بهم عليه السلام ذرعاً لأنهم جاءوه في صورة شبّان حسان الوجوه فخشي عليهم من قومه[٢].

وجاء من السنة أحاديث عدة تبين هذا الأمر، منها: حديث جبريل عندما أتى النبي ﷺ في صورة رجل كما قال عمر رضي الله عنه:" شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر "[٣].

وصحّ أيضاً أن جبريل عليه السلام كان يتمثل بصورة الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه[٤].

وجاء أيضاً في قصة الثلاثة من بني إسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى، الذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً أتى كل واحدٍ منهم في صورته التي كان عليها قبل أن يعافيه الله تعالى مما أصابه[٥].

وحديث المِلك الذي أرصده الله عز وجل على مدرجة الرجل الذي كان يريد زيارة أخٍ له في الله[٦].

فمما تقدم يتبين أن الملائكة تتشكل على صور منها ما يكون حسنٌ، ومنها ما يكون قبيح بحسب ما يهيئه الله تعالى لها، كما في حديث فتنة القبر، الذي سيأتي في المطلب القادم.

---

(١) هود:٧٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البخاري، في فضائل القرآن، باب "كيف نزول الوحي وأول ما نزل"، برقم (٤٩٨٠)، ومسلم،في فضائل الصحابة، باب "من فضائل أم سلمة رضي الله عنها"، برقم (٦٣١٥).

(٥) متفق عليه، البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب "حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل"، برقم (٣٤٦٤)، ومسلم، في الزهد، باب "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"، برقم (٧٤٣١).

(٦) تقدم تخريجه.

المسألة الثانية: أن الملائكة لها أجنحة.

قال ابن المبارك: أخبرنا الليث بن سعد[١]، عن عقيل[٢]، عن ابن شهاب[٣]: " أن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل أن يتراءى له في صورته، فقال جبرئيل: إنك لن تطيق ذلك، فقال: إني أحب أن تفعل، فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى في ليلة مقمرة، فأتاه جبرئيل في صورته فغُشي على رسول الله ﷺ حين رآه، ثم أفاق وجبرئيل مسنده، وواضع إحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: " سبحان الله، ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبرئيل: كيف لو رأيت إسرافيل، **إن له لاثني عشر جناحاً**، جناح منها في المشرق، وجناح في المغرب، وإن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل الأحيان لعظمة الله تعالى، حتى يصير مثل الوصع، والوصع عصفور صغير، حتى ما تحملُ عرشَه إلا عظمتُه "[٤].

"[٤].

---

(١) تقدم.

(٢) عقيل بالضم بن خالد بن عقيل بالفتح الأيلي بفتح الهمزة بعدها تحتانية ساكنة ثم لام، أبو خالد الأموي مولاهم، ثقة ثبت، مات سنة ١٤٤هـ على الصحيح. التقريب (٤٦٩٩).

(٣) تقدم.

(٤) رواه ابن المبارك. ط. الأعظمي ص (١٠١)، وهو مرسل، قال الذهبي: مراسيل الزهري كالمعضل. السير (٣٣٩/٥)، والبغوي في تفسيره بإسناده إلى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ (٨ / ٣٥٠)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو من عند قوله " كيف لو رأيت إسرافيل..." ص (٩١).

❖ مسألة الثانية : أن الملائكة لها أجنحة.

ثبت في الكتاب والسنة أن الله تعالى جعل للملائكة أجنحة، وهي متفاوتة في عددها، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، أي: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، وهي مسخَّرة لما يأمرهم الله به[2].

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾[3]: " لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم، ففتقها من أركانها، ثم أدخل جناحه، ثم حملها على خوافي جناحه، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم قلبها "[4].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله.."[5].

وجاء عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته وله ستمائة جناح[1].

---

(١) فاطر:١.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠ / ٤٣٤)، تفسير ابن كثير (٦ / ٥٣٢).

(٣) هود:٨٢.

(٤) تفسير الطبري (١٥ / ٤٤٠).

(٥) رواه البخاري، في التفسير، باب "﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر:١٨]"، برقم (٤٧٠١).

وبهذا يتبين أن للملائكة أجنحة، وأنهم متفاوتون في عدِّها، أما كيفية أجنحتهم فالله أعلم بها.

(١) متفق عليه، رواه البخاري، في التفسير، باب "سورة النجم"، (٤٨٥٧)، ومسلم، في الإيمان، باب "معنى قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ [النجم:١٤]"، برقم (٤٣٤) واللفظ له.

المسألة الثالثة: قوة الملائكة وشدتهم، وعظمة خلقهم.

قال أسد بن موسى: ثنا أبو علي[١]، عن حماد[٢]، عن علي بن زيد[٣]، عن يوسف بن مهران[٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "يأتي الرب تبارك وتعالى في الكروبيين، وهم أكثر من السموات السبع والأرضين، **وحملة العرش**، ما بين أخمص[٥] أحدهم إلى عقبه[٦] مسيرة خمسمائة عام، ومن عقبه إلى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام، ومن ركبتيه إلى أرنبته مسيرة خمسمائة عام، ومن بين أرنبته[٧] إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام، ومن ترقوته[٨] إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام"[٩].

---

(١) لم أجد له ترجمه.

(٢) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، قيل: إنه كان ضريراً، ولعله طرأ عليه؛ لأنه صح أنه كان يكتب، مات سنة ١٧٩هـ. التقريب (١٥٠٦).

(٣) علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري، أصله حجازي، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان، ينسب أبوه إلى جد جده، ضعيف، مات سنة ١٣١هـ، وقيل قبلها. التقريب (٤٧٦٨).

(٤) يوسف بن مهران البصري، وليس هو يوسف بن ماهك ذاك ثقة، وهذا لم يرو عنه إلا بن جدعان وهو لين الحديث، من الرابعة. التقريب (٧٩٤٣).

(٥) الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء. انظر: لسان العرب (٢ / ١٢٦٦).

(٦) (العقب): مؤخر القدم، وتجمع على أعقاب. انظر: العين للفراهيدي (١ / ١٧٨).

(٧) قال الأزهري: والأَرْنبة: طَرَف الأنْف. تهذيب اللغة (١٥ / ١٥٣).

(٨) (الترقوة): مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس. انظر: القاموس ص (٥٢٦).

(٩) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٤٣)، وجاءت الجملة الأولى منه عند الدارمي في الرد على الجهمية ص (٨٨)، وفي نقضه على المريسي (١ / ٣٤٨).

❖ مسألة الثالثة : قوة الملائكة وشدتهم، وعظمة خلقهم.

إن الله ﷻ خلق الملائكة على صفات عظيمة، وأودع فيهم قوة كبيرة يستطيعون معها التحمل، كما قال تعالى في خزنة النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

وبذكر مثالين على ذلك تتبين هذه المسألة جلياً:

المثال الأول: جبريل عليه السلام.

تقدم في المسألة الثانية بيان شيء من عظمة جبريل عليه السلام، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[2] ، أي: جبريل، ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم[3].

وما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته، وخلقه ساد ما بين الأفق[4].

وفي لفظ آخر قال ﷺ: "رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عِظَم خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض"[5].

---

(١) التحريم:٦.

(٢) التكوير:٢٠.

(٣) انظر: تفسير السعدي (١ / ٩١٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب "إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء.."، برقم (٣٢٣٤).

(٥) رواه مسلم، في الإيمان، باب "معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣]..."، برقم (٤٣٩)

وفي لفظ آخر أن رسول الله ﷺ قال: "رأيت جبريل عليه السلام منهبطاً قد ملأ ما بين السماء والأرض، وعليه ثياب سندس معلقاً به اللؤلؤ والياقوت"(١).

المثال الثاني: حمَلة العرش عليهم السلام.

ورد في حملة العرش بعض الأحاديث التي تبين ما هم عليه من عظمة الخلق، وقوة تحملهم لحمل عرش الرحمن سبحانه وتعالى ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام"(٢).

والله عز وجل يقول في وصف الكرسي وهو أصغر من العرش: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(٣)، فإذا كان هذا هو حجم الكرسي، فكيف بالعرش.

فعرش الرحمن تبارك وتعالى هو أثقل المخلوقات على الإطلاق، قال ابن القيم : "وقوله: «وزنة عرشه» فيه إثبات للعرش، وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق؛ إذ لو كان شيء أثقل منه لوُزن به التسبيح "(٤).

ومع هذا الثقل العظيم فإن لحملة العرش قدرة على حمله، وما ذلك إلا لما لهم من قوة وعظمة جعلها الله سبحانه وتعالى فيهم.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤١ / ٣٧٨).

(٢) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب "في الجهمية"، برقم (٤٧٢٧)، والطبراني في الأوسط (٢ / ١٩٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٢٨٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٠ / ٣٢٦٤) ، وأورده ابن كثير عن ابن أبي حاتم وقال: إسناد جيد، رجاله ثقات. تفسير ابن كثير (٨ / ٢١٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٢/١).

(٣) البقرة:٢٥٥.

(٤) المنار المنيف ص (٣٦)، وذلك عند كلامه عن الذكر المعروف « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ».

المطلب الثالث :

الأعمال الموكلة لبعض الملائكة .

المطلب الثالث: الأعمال الموكلة لبعض الملائكة.

١ - قال أسد بن موسى: ثنا أبو علي، عن حماد، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "يأتي الرب تبارك وتعالى في الكروبيين، وهم أكثر من السموات السبع والأرضين، **وحملة العرش**، ما بين أخمص[١] أحدهم إلى عقبه مسيرة خمسمائة عام، ومن عقبه إلى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام، ومن ركبتيه إلى أرنبته مسيرة خمسمائة عام، ومن بين أرنبته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام، ومن ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام "[٢].

٢ - قال أسد بن موسى: ثنا محمد بن خازم[٣]، عن سهيل بن أبي صالح[٤]، عن أبيه[٥]، عن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا؟ قال: "ألستم ترون القمر ليلة البدر في غير تضار؟ والله لترونه كما ترون القمر ليلة البدر في غير تضار". قال: " ثم ينادي منادٍ: ألا ليتبع كل أمة ما كانت تعبد في الدنيا. قال: فمُثِّل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا، فينطلق بهم حتى يدخلهم النار، فمن جاز الصراط، وأنفق من ماله زوجاً في سبيل الله **ابتدرته حجبة الجنة**: يا عبد الله يا مسلم هذا خير فتعال". قال: فضرب رسول الله ﷺ فَخِذَ أبي بكر ﷺ فقال: "أما إنك منهم "[٦].

(١) الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء. انظر: لسان العرب (٢ / ١٢٦٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم.

(٤) سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان، أبو يزيد، المدني، صدوق تغير حفظه بأخرة، روى له البخاري مقرونا وتعليقاً، من السادسة مات في خلافة المنصور. التقريب (٢٦٩٠).

(٥) واسمه ذكوان تقدم.

(٦) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٤٥)، والجزء الأول من الحديث الذي في الرؤية جاء في الصحيحين بنحوه، البخاري، في كتاب التوحيد، باب "﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]"، برقم (٧٤٣٦)، ومسلم، في الإيمان، باب "معرفة طريق الرؤية"، برقم (٤٥١).

٣ - قال أسد بن موسى: ثنا محمد بن يوسف[١]، عن سفيان[٢]، عن عطاء بن السائب[٣]، عن أبي الحسن[٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٥] قال: "مكث عنهم ألف عام، ثم قال: إنكم ماكثون"[٦].

٤ – قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا الهيثم بن الخارجة والحكم بن موسى قالا: حدثنا الحسن بن يحي الخشني، عن صدقة الدمشقي، عن هشام الكناني، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ **عن جبريل** عن الله تبارك وتعالى قال : ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه"[٧].

٥- قال البيهقي: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف[١]، أنبأ أبو سعيد بن الأعرابي[٢]، ثنا عباس بن محمد الدوري[٣]، ثنا الحسن بن بشر[٤]، ثنا سعدان بن الوليد[٥]، عن عطاء بن أبي

وأما ما يتعلق بحجبة الجنة من الحديث، فقد جاء بمعناه عند أحمد في المسند (٣٥ / ٣٢٥)، والنسائي في الجهاد، باب"فضل النفقة في سبيل الله"،برقم (٣١٨٧)، والدارمي في سننه (٢ / ٢٦٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٠٢/١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ١٧١) قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: إسناده صحيح، وأبو نعيم في صفة الجنة (٢ / ٣٣)، وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة (٢ / ٤٤٤٦) وقال: رواه مسدد بسند الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٢ / ١١٠).

(١) محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي مولاهم، الفريابي، ثقة فاضل، يقال: أخطأ في شيء من حديث سفيان وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبد الرزاق، مات سنة ٢١٢هـ. التقريب (٦٤٥٥).

(٢) الثوري.

(٣) تقدم.

(٤) أبو الحسن، مولى بني نوفل، مقبول، من الرابعة. التقريب (٨١٠٨).

(٥)الزُّخرُف:٧٧.

(٦) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٢٠)، ، والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٢ / ٥٢٧)، ورواه البيهقي في البعث والنشور ص (٣٢٢)، وقال السيوطي: أخرجه عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة النار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور. الدر المنثور (١٣ / ٢٣٨).

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في الورع ص (٣٩)، وهو عند البخاري بأطول منه، في الرقاق، باب "التواضع"، برقم (٦٥٠٢).

أبي رباح[٦]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل معه على الصفا، فقال له محمد ﷺ: "والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق، ولا سفّة دقيق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته، فقال رسول الله ﷺ : أمر الله ﷻ القيامة أن تقوم؟ فقال: لا، ولكن هذا إسرافيل عليه السلام نزل إليك حين سمع الله كلامك، فأتاه **إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح الأرض،** وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت، وإن شئت نبياً مِلِكاً، وإن شئت نبياً عبداً، فأومأ إليه جبريل عليه السلام أن تواضع لله، فقال: بل نبياً عبداً ثلاثا"[٧].

٦ - قال وكيع: حدثنا الأعمش[٨]، عن مجاهد[٩]، ثنا عبد الله بن ضمرة[١]، عن كعب[٢]، كعب[٢]، قال: "ما من صباح إلا **وملكان يناديان:** يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر

---

(١) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن باموبه، قال عنه الذهبي: الإمام المحدث الصالح، ووثقه الخطيب البغدادي، مات سنة ٤٠٩هـ. انظر: تاريخ بغداد (٤٥٢/١١)، السير (١٧ / ٢٣٩).

(٢)الإمام أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الاعرابي البصري الصوفي، قال الذهبي: المحدث القدوة الصدوق الحافظ، مات سنة ٣٤٠هـ. السير (١٥ / ٤٠٧).

(٣) عباس بن محمد بن حاتم الدوري، أبو الفضل، البغدادي، خوارزمي الأصل، ثقة حافظ، مات سنة ٢٧١هـ. التقريب (٣٢٠٦).

(٤) الحسن بن بشر بن سلم بفتح المهملة وسكون اللام، الهمداني أبو البَجَلي، أبو علي الكوفي، صدوق يخطئ، مات سنة ٢٢١هـ. التقريب (١٢٢٤).

(٥) قال الهيتمي: أعرفه. مجمع الزوائد (٥ / ٣٧٣).

(٦) تقدم.

(٧) رواه البيهقي الزهد ص (١٣٠)، وإسناده ضعيف، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧ / ٨٨)، ورواه النسائي في السنن الكبرى (٤ / ١٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٤٩)، وفي دلائل النبوة للبيهقي (١ / ٣٣٣)، وعزاه ابن حجر في التلخيص الحبير للنسائي (٣ / ٢٦٣)، كلهم بدون تسمية إسرافيل، وإنما جاء منكّراً.

(٨) تقدم.

(٩) تقدم.

أقصر، **وملكان يناديان:** سبحان الملك القدوس، **وملكان موكلان بالصور**، ينتظران حتى يؤمرا فينفخا"[٣].

٧ - قال ابن المبارك: أخبرنا شعبة[٤]، عن السدي[٥]، عن مرة[٦] قال: ذكر عند عبدالله ﷺ[٧] قوم قتلوا في سبيل الله ﷻ فقال: "إنه ليس على ما تذهبون وترون، إنه إذا التقى الرجفان[٨] **نزلت الملائكة فكتبت الناس** على منازلهم، فلان يقاتل للدنيا، وفلان يقاتل للملك، وفلان يقاتل للذكر، ونحو هذا، وفلان يقاتل يريد وجه الله، فمن قتل يريد وجه الله فذلك في الجنة "[٩].

٨ - قال هناد: حدثنا أبو معاوية[١٠]، عن الأعمش[١١]، عن المنهال[١]، عن زاذان[٢]، عن عن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى

(١) تقدم.

(٢) بن الأحبار تقدم.

(٣) رواه وكيع في الزهد (٢/٦٦٩)، وهناد في الزهد (١ / ٣٣٩)، رجاله ثقات، وفيه الأعمش مدلس وقد عنعن، والشطر الأول منه رواه أحمد في المسند (٣٨ / ٤٧٦)، والترمذي، الصوم، باب "ما جاء في فضل شهر رمضان"، برقم (٦٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٨ / ٢٢١).

(٤) تقدم.

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، بضم المهملة وتشديد الدال، أبو محمد الكوفي، صدوق يهم ورمي بالتشيع، مات سنة ١٢٧هـ. التقريب (٤٦٧).

(٦) مرة بن شراحيل الهمداني بسكون الميم، أبو إسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له: مرة الطيب، ثقة عابد، مات سنة ١٧٦هـ، وقيل: بعد ذلك. التقريب (٦٦٠٦).

(٧) ابن مسعود.

(٨) (الرَّجَفانُ): الاضطراب الشديد. انظر: اللسان (٣ / ١٥٩٥)، وشرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى لأبي شامة ص (١٢٩).

(٩) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٨٢) وقد جاءت الأدلة الصحيحة بأن "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" كما في الصحيحين وغيرهما.

(١٠) محمد بن خازم تقدم.

(١١) تقدم.

القبر ولم يُلحد، فجلس رسول الله، وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، قال: فرفع رأسه، فقال:" استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه الملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، قال: ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى رضوان الله، قال: فتحرج تسيل كما تسيل القطرة من فم السقاء، حتى يأخذها ملك الموت، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط، ثم يصعدوا بها، قال: وتخرج روحه كأطيب نفحة مسك وجدت على ظهر الأرض. قال: فيمرون بها على ملأ من الملائكة فيقولون: ما هذا الريح الطيب، فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى سماء الدنيا، فيستُفتح له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي يليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، قال: فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتاب عبد في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها اخرجهم تارة أخرى، قال: فيعاد روحه في جسده، قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي منادٍ من السماء أن قد صدق عبدي فافرشوا له من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى

---

(١) المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، صدوق ربما وهم، من الخامسة. التقريب (٦٩٦٦).

(٢) الكندي تقدم.

أهلي ومالي، وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، فتنزل إليه الملائكة من السماء سود الوجوه، معهم المسوح ،حتى يجلسوا منه مد البصر، قال: ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضبه، قال: فتنفرق في جسده فتنزعها، فتقطع منه العروق والعصب كما ينزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في تلك المسوح، فيصعدون بها، ويخرج منها أنتن ريح جيفة وجدت على ظهر الأرض، قال: ولا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، قال: فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى سماء الدنيا فيستفتح له، قال: ثم قرأ رسول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾(1)، قال: فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين الأرض السفلى، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيطرحوه طرحاً، قال: ثم قرأ رسول الله: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾(2)، قال: فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان: له من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه، قال: ويأتيه رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، قال: فيقول ومن أنت؟ فوجهك الوجه

---

(1) الأعراف: ٤٠.

(2) الحج: ٣١.

الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، قال: فيقول: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة"(١).

٩ - قال ابن المبارك: أخبرنا أبو معشر المدني(٢)، عن محمد بن قيس(٣)، قال جاء رجل إلى أبي الدرداء ﷺ وهو في الموت، فقال: يا أبا الدرداء عظني بشيء لعل الله ينفعني به وأذكرك، قال: "إنك في أمَّة مرحومة، أقم الصلاة المكتوبة، وآت الزكاة المفروضة، وصم رمضان، واجتنب الكبائر، أو قال المعاصي، وأبشر، فكأن الرجل لم يرض بما قال حتى رجّع الكلام عليه ثلاث مرات، فغضب السائل، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾(٤)، ثم خرج الرجل، فقال أبو الدرداء: أجلسوني، فأجلسوه، قال: رُدُّوا علي الرجل، فقال: ويحك كيف بك لو قد حُفر لك أربع أذرع من الأرض، ثم غرقت في ذلك الجرف الذي رأيت، ثم جاءك **فيه ملكان أسودان أزرقان منكر ونكير، يفتنانك ويسألانك عن رسول الله ﷺ**، فإن ثبتَّ فنعم ما أنت فيه، وإن كان غير ذلك فقد هلكت، ثم قمت على الأرض ليس لك

---

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ٢٠٥)، ورواه أحمد في المسند (٣٠ / ٤٩٩)، وابن منده في الإيمان (٢ / ٩٦٢) وقال: هذا إسنادٌ متصل مشهور رواه جماعة عن البراء وكذلك رواه عدة عن الأعمش وعن المنهال بن عمرو والمنهال اخرج عنه البخاري ما تفرد به وزاذان أخرج عنه مسلم وهو ثابت على رسم الجماعة وروى هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنهم.ا.هـ، والطبراني في الأحاديث الطوال (١ / ٥٧) وفي إسناده تصريح الأعمش بالسماع، والحاكم في المستدرك (١/٨٥،٨٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعا بالمنهال بن عمرو وزاذان أبي عمر الكندي وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة ولم يخرجاه بطوله و له شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته. ا.هـ، والبيهقي في إثبات عذاب القبر ص (٥٠) وقال: هذا حديث كبير صحيح الإسناد رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش.

(٢) نجيح بن عبد الرحمن السندي بكسر المهملة وسكون النون، المدني أبو معشر، مولى بني هاشم، مشهور بكنيته، ضعيف أسنَّ واختلط، مات سنة ١٧٠هـ، ويقال كان اسمه عبد الرحمن بن الوليد بن هلال. التقريب (٧١٥٠).

(٣) محمد بن قيس المدني، القاص، ثقة، من السادسة، وحديثه عن الصحابة مرسل. التقريب (٦٢٨٥).

(٤) البقرة:١٥٩.

إلا موضع قدميك، ليس ثم ظل إلا العرش، فإن ظللت فنعم ما أنت فيه، وإن أضحيت فقد هلكت، ثم عُرضتْ جهنم، والذي نفسي بيده إنها لتملأ ما بين الخافقين، وإن الجسر لعليها، وإن الجنة لمن ورائها، فإن نجوت منه فنعم ما أنت فيه، وإن وقعت فيها فقد هلكت، ثم حلف له بالله الذي لا إله إلا هو إن هذا لحق"(١).

١٠ - قال هناد: حدثنا حاتم بن إسماعيل(٢)، عن محمد بن عجلان(٣)، عن أبان بن صالح(٤)، عن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من منح منحة ورقاً، أو لبناً، فكعتق نسمة، ومن هدى زقاقاً، فكعتق نسمة، ومن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فكعتق نسمة، وإن الله **وملائكته يصلون** على الصف المقدَّم "(٥).

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٤٣٠)، وفيه نجيح وهو ضعيف، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٥٨٤/٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩ / ١٨٤)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر ص (٥٧).

(٢) حاتم بن إسماعيل المدني، أبو إسماعيل الحارثي مولاهم، أصله من الكوفة، صحيح الكتاب، صدوق يهم، مات سنة ١٨٦هـ أو ١٨٧هـ. التقريب (١٠٠٢).

(٣) محمد بن عجلان المدني، صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، مات سنة ١٤٨هـ. التقريب (٦١٧٦).

(٤) أبان بن صالح بن عمير بن عبيد القرشي مولاهم، وثقه الأئمة، ووهم بن حزم فجهله، وابن عبد البر فضعفه، مات سنة ١٠٠ وبضع عشرة. التقريب (١٣٨).

(٥) رواه هناد في الزهد (٢ / ٥١٩) وأبان لم يسمع من البراء. انظر: تهذيب الكمال (٩٣/١).

ولكنه جاء من طرق أخرى: فقد رواه الطيالسي بسنده عن عبد الرحمن بن عوسجة يحدث عن البراء (٢ / ١٠٥)، وأحمد في المسند (٣٠ / ٦٣٣)، والنسائي، في الأذان، باب "رفع الصوت بالأذان"، برقم (٦٤٧)، وابن ماجه، في الصلاة، باب "فضل الصف المقدم"، برقم (٩٩٧)، وابن خزيمة صحيحه (٣ / ٢٤)، والدارمي في سننه (٣٢٣/١)، وابن حبان صحيحه (٥ / ٥٣٠)، مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٢٨٣)، والحاكم في المستدرك (٧٧٤/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٢٢٩).

١١ – قال وكيع: حدثنا الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن ضمرة، عن كعب قال: "ما من صباح إلا **وملكان يناديان**: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً"[(١)].

١٢ – قال وكيع: حدثنا أبو سنان سعيد بن سنان، عن عنترة أبي وكيع قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "ما سلك رجل طريقاً يلتمس فيه علماً إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله، يتدارسون كتاب الله ويتعلمونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة، **وحفتهم الملائكة**، وذكرهم الله فيمن عنده، وكانوا أضيافه حتى يخوضوا في حديث غيره"[(٢)].

١٣ – قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان[(٣)]، ثنا أبو جعفر محمد بن يحيى[(٤)]، ثنا أبو جدي علي بن حرب[(٥)]، ثنا أبو داود الحفري[(٦)]، ثنا سفيان[(٧)] عن الأسود الأسود بن قيس[(٨)]، عن نبيح[(١)]، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "كان النبي ﷺ إذا خرج مشوا بين يديه، **وخلوا ظهره للملائكة**"[(٢)].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢/٦٦٦)، وهو حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ المتفق عليه، البخاري، في الزكاة، باب قوله تعالى "﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ..﴾ [الليل:٥ إلى آية ١٠]"، برقم (١٤٤٢)، ومسلم، في الزكاة، باب "في المنفق والممسك"، برقم (٢٣٣٦).

(٢) رواه وكيع في الزهد (٢/٥١٧)، ورواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بدون الجملة الأخيرة، في الذكر، باب "فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر"، برقم (٦٨٥٣).

(٣) أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل، البغدادي القطان الأزرق، عالم ثقة، مجمع على ثقته، مات سنة ٤١٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٧ / ٣٣١).

(٤) أبو جعفر محمد بن يحيى بن عمر بن المحدث علي بن حرب، الطائي الموصلي، قال الذهبي: الشيخ الصدوق، وقال أبو حازم العبدوي: لا أعلمه إلا ثقة، مات سنة ٣٤٠هـ. سير أعلام النبلاء (١٥ / ٣٥٧).

(٥) أبو الحسن علي بن حرب بن محمد بن علي الطائي، صدوق فاضل، مات سنة ٢٦٥هـ. التقريب (٤٧٣٥).

(٦) عمر بن سعد بن عبيد أبو داود الحفري بفتح المهملة والفاء، نسبة إلى موضع بالكوفة، ثقة عابد، مات سنة ٢٠٣هـ. التقريب (٤٩٣٨).

(٧) الثوري.

(٨) الأسود بن قيس العبدي، ويقال: العجلي، الكوفي، يكنى أبا قيس، ثقة، من الرابعة. التقريب (٥١١).

١٤ - قال ابن المبارك: أخبرنا رشدين بن سعد[٣]، قال حدثني ابن أنعم[٤]، عن حيان بن أبي جبلة[٥]، يسنده قال: " أول من يُدعى يوم القيامة إسرافيل، فيقول الله: هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم ربي قد بلغته جبرئيل، فيُدعى جبرئيل فيقال: هل بلغَك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم فيُخلى عن إسرافيل، فيقول لجبرئيل: ما صنعت بعهدي؟ فيقول: يا ربى بلّغتُ الرسل، فيُدعى الرسل فيقال لهم: هل بلغكم جبريل عهدي، فيقولون: نعم فيخلى عن جبريل، فيقال للرسل: هل بلغتم عهدي؟ فيقولون: نعم بلغنا الأمم، فتُدعى الأمم، فيقال لهم: هل بلغتكم الرسل عهدي فمكذب ومصدق؟ فيقول الرسل: لنا عليهم شهداء، فيقول: من؟ فيقولون: أمة محمد ﷺ، فتدعى أمة محمد، فيقال لهم: أتشهدون أن الرسل قد بلغت الأمم؟ فيقولون: نعم، فتقول الأمم: يا ربنا كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول الله: كيف تشهدون عليهم ولم تدركوهم؟ فيقولون: يا ربنا أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا كتاباً، وقصصت علينا فيه أن قد بلغوا، فذلك قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

---

(١) نبيح بمهملة مصغّر، بن عبد الله العنزي بفتح المهملة والنون ثم زاي، أبو عمرو الكوفي، مقبول، من الثالثة. التقريب (٧١٤٣).

(٢) رواه البيهقي في الزهد ص (٩٢)، وأحمد في المسند (٢٢ / ١٣٩)، وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب "من كره أن يوطأ عقباه"،برقم (٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤ / ٢١٨)، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٤٨٤/٢)، وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (٢ / ٣٢)، وأورده الخطابي في غريب الحديث (١ / ٥٩٩)، والبغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (١ / ٣٥٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٣/٥).

(٣) رشدين بكسر الراء وسكون المعجمة بن سعد بن مفلح المهري بفتح الميم وسكون الهاء، أبو الحجاج المصري، ضعيف رجح أبو حاتم عليه بن لهيعة، وقال بن يونس: كان صالحاً في دينه فأدركته غفلة الصالحين فخلط في الحديث، مات سنة ١٨٨هـ. التقريب (١٩٥٣).

(٤) عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بفتح أوله وسكون النون وضم المهملة الإفريقي، قاضيها، ضعيف في حفظه، مات سنة ١٥٦هـ وقيل: بعدها، وقيل: جاز المائة، ولم يصح وكان رجلا صالحا. التقريب (٣٨٨٧).

(٥) حبان بن أبي جبلة بفتح الجيم والموحدة، المصري مولى قريش، ثقة، مات سنة ١٢٢هـ، وقيل: ١٢٥هـ. التقريب (١٠٧٩).

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[1]، قال الحسين وأراه قال: الوسط العدل"[2].

١٥ - قال نعيم بن حماد: قال حدثنا أنا ابن المبارك قال: أنا أبو بكر الهذلي[3] قال: أنا أبو تميمة الهجيمي[4] قال: سمعت أبا موسى الأشعري رضي الله عنه على منبر البصرة يقول: "**إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى الجنة، يقول: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟** فينظرون فيرون الحلي والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا، فيقول الملك: هل أنجزكم ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئاً مما وُعِدوا، فيقولون: نعم، فيقول: بقى لكم شيء، إن الله يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾[5]، ألا إن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى الله"[6].

١٦ - قال أبو حاتم: حدثنا الأويسي، قال : حدثنا ابن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن رجل من ولد عبادة بن الصامت، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **حضر ملك الموت** رجلا يموت، فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيرا، ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيراً، ثم

---

(١) البقرة:١٤٣.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٤٣٣) وفيه ابن أبي أنعم وهو ضعيف، وأخرجه ابن جرير في التفسير من طريق سويد نصر عن ابن المبارك (٣ / ١٥١)، وابن أبي الدنيا في الأهوال (١ / ١٩٤).

(٣) أبو بكر الهذلي، قيل: اسمه سُلمى بضم المهملة بن عبد الله، وقيل: روح، أخباري متروك الحديث، مات سنة ١٦٧هـ. التقريب (٨٠٥٩).

(٤) طريف بن مجالد الهجيمي، أبو تميمة بفتح أوله البصري، ثقة، مشهور بكنيته، مات دون المائة سنة ٩٧هـ، أو قبلها، أو بعدها. التقريب (٣٠٣١).

(٥) يونس:٢٦.

(٦) رواه أبو نعيم في زياداته على ابن المبارك. ط. الأعظمي ص (٥٢٥) وفيه الهذلي وهو متروك الحديث، ورواه ابن جرير من طريق سويد ابن نصر عن ابن المبارك (١٥ / ٦٤)، والحديث بمعناه بدون ذكر الملك الذي يُبعث عند مسلم بنحوه كتاب: الإيمان، باب "إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى"، برقم (٤٤٩)، وهو عند هناد في الزهد (١٣١/١) بلفظ "نادى منادٍ".

فك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه، يقول : لا إله إلا الله. قال ﷺ : فغفر له بكلمة الإخلاص" [1].

---

(١) تقدم تخريجه.

❖مسألة : الأعمال الموكلة لبعض الملائكة.

أوكل الله تعالى إلى ملائكته أعمالاً تقوم، فكل ما يحصل في الكون من حركة فهو من عمل الملائكة المكلفة به من ربها، فبعضهم موكولون بالسماء وكواكبها، وبعضهم بالأرض وما عليها من جبال ونبات، وبعضهم ببني آدم من بدء خلقه إلى أن يموت..وهكذا، وقد تقدم في الآثار السابقة جملة من أعمالهم المتنوعة.

قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[١]، لم يختلف أهل التفسير في أن المراد: الملائكة، تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربها ﷻ[٢].

قال ابن القيم: " فكل حركة في السموات والأرض: من حركات الأفلاك، والنجوم، والشمس، والقمر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾، وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾[٣]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام، وأما المكذبون للرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم "[٤].

وأما صفة أداء الملائكة للأعمال التي كلفها الله ﷻ بها فقد بيّن ذلك ربنا ﷻ في كتابه، فذكر كيف هي حال الملائكة مع ما كُلِّفت به من أعمال في عدة جوانب:

---

(١) النازعات:٥.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ٣١٣).
(٣) الذاريات:٤.
(٤) إغاثة اللهفان (١٠١/٢).

الجانب الأول: امتثال الملائكة لأمر الله تعالى لهم، وعدم عصيانه أبداً، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(١)]، فهم لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به[(٢)]، وهذا أيضًا فيه مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به[(٣)].

الجانب الثاني: التزام الملائكة بما أمرها الله ﷻ به، وعدم تعدي ذلك، قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[(٤)]، أي: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً إلا به؛ وذلك لشدة طاعتهم له[(٥)].

وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أي: ينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم[(٦)].

الجانب الثالث: السرعة في تنفيذ الملائكة ما أُمرت به، وذلك كما في قوله سبحانه: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾[(٧)]، قيل: إنها الملائكة تسبق إلى المبادرة إلى ما أُمرت به[(٨)].

وقيل إن معنى قوله: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾[(١)] هي: الملائكة التي يرسلها الله تعالى وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره[(٢)].

---

(١) التحريم:٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣ / ٤٩٢).

(٣) تفسير السعدي (١ / ٨٧٤).

(٤) الأنبياء:٢٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ٤٢٨)، أضواء البيان (٤ / ٦٩٩).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٣ / ٤٩٢).

(٧) النازعات:٤.

(٨) انظر: تفسير السمعاني (٦ / ١٤٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ١٩٣)، تفسير ابن كثير (٨ / ٣١٢).

الجانب الرابع: الدقة وحسن التنظيم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾(٣)، أي: ما منهم من أحد إلا له مقام وتدبير قد أمره اللّه به، لا يتعداه، ولا يتجاوزه(٤).

أعمال الملائكة :-

إن من المهم معرفته أن الأعمال التي تقوم بها الملائكة هي أيضاً عبادة لله ﷻ؛ لأن جميع ما يقومون به هو تنفيذ لأمر الله تعالى لهم، ولكن جُعلت الأعمال هنا مستقلة، ولم تُجعل في تعداد عباداتهم المتقدم ذكرها؛ لأن تلك العبادات هي لازمة لهم غير متعدية إلى غيرهم، وأما هذه الأعمال الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى هي متعدية إلى غيرهم.

ويمكن تقسيم الوظائف والأعمال التي تقوم بها الملائكة إلى ثلاثة أقسام، وذكر أمثلة على كل قسم وليس على سبيل الحصر:

القسم الأول: وظائف الملائكة في السماء.

١- حملة العرش. قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾(٥)، قال بعضهم: ثمانية صفوف لا يعلم عدتهن إلا الله، وقال بعضهم: ثمانية أملاك على خلق الوعلة، وقال آخرون: بل عني به ثمانية أملاك(٦).

---

(١) المرسلات:٢.
(٢) انظر: تفسير السعدي (١ / ٩٠٣).
(٣) الصافات:١٦٤.
(٤) انظر: تفسير السعدي (١ / ٧٠٨).
(٥) الحاقة:١٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٣ / ٥٨٣).

٢-خزنة الجنة. قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[٢] .

٣- خزنة النار. قال الله تعالى:﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ ﴾[٣] .

قال ابن كثير: " خزنتها من الزبانية، الذين هم غلاظ الأخلاق، شداد القوى"[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾[٥] ثم قال سبحانه في وصفها: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾[٦]، أي: من الزبانية وخزنة النار[٧].

(١) الزُّمَر:٧٣.
(٢) الرعد:٢٣.
(٣) الزُّمَر:٧١.
(٤) تفسير ابن كثير (٧ / ١١٨).
(٥) المدَّثر:٢٧.
(٦) المدَّثر:٣٠.
(٧) انظر: تفسير السمعاني (٦ / ٩٥).

القسم الثاني: أعمال الملائكة في تدبير الكون.

١- تبليغ الوحي. الذي فيه صلاح الأرواح وحياتها، وهي مهمة جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾(٢)، وقال أيضاً: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾(٣).

٢- مباشرة شؤون القطر والنبات. الذي فيه صلاح الأبدان وحياتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه "(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال ملك من الملائكة، موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره، حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت.."(٥).

---

(١) البقرة:٩٧.

(٢) النحل:١٠٢.

(٣) الشعراء:١٩٣.

(٤) رواه مسلم في الزهد، باب "فضل الإنفاق على المساكين وابن السبيل"، برقم (٧٤٧٣).

(٥) رواه أحمد في المسند (٤ / ٢٨٥)، والترمذي في التفسير، باب "ومن سورة الرعد"، برقم (٣١١٧) وقال: حديث

٣- النفخ في الصور. الذي فيه فناء الحياة الدنيا، والبعث لحياة الآخرة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١)، قيل إسرافيل هو صاحب الصور(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان"(٣).

القسم الثالث: الأعمال الملائكة المتعلقة بالبشر.

وتنقسم أعمال الملائكة المتعلقة بالبشر إلى قسمين:

الأول: المتعلقة بعموم البشر – المؤمن والكافر-.

١- كتابة الأعمال. تكتب كل ما يصدر من العبد، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(٤)،وقال سبحانه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٥).

حسن صحيح غريب، والنسائي في الكبرى، باب " كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل"، برقم (٩٠٧٢)، والطبراني في الدعاء (١٢٦١/٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ص (٥٨٧).

(١) الزُّمَر:٦٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١ / ٣٢٩)، وسيأتي تفصيل ذلك في مسألة النفخ في الصور إن شاء الله تعالى.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤ / ٦٠٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣ / ١٢٣٣)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٣٦٨/١١).

(٤) الزُّخرُف:٨٠.

(٥) ق:١٧-١٨.

قال البغوي[١] – رحمه الله –:"أي: يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله، ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾، أي: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات"[٢].

وقال ابن رجب: "وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات "[٣].

٢- حفظ بني آدم. ملائكة مكلفون بحفظ بني آدم في كل حالات حتى في نومه، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٤]،قال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك، إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه[٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٦]، وجاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة

---

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد العلامة البغوي، الفقيه الشافعي، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، يُعرف بابن الفراء، ويُلقب محيي السنة وركن الدين، له مصنفات منها: معالم التنزيل في التفسير، و شرح السنة والمصابيح، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢ / ١٣٦)، طبقات المفسرين للسيوطي (١ / ٣٨)، طبقات المفسرين للأدنروي ص (١٥٨).

(٢) معالم التنزيل (٧ / ٣٥٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٣٣٦).

(٤) الرعد:١١.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٤٣٨).

(٦) الأنعام:٦١.

ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر.."[(١)]، وهؤلاء هم الحفظة[(٢)].

٣- قبض الأرواح. وهي وظيفة ملك الموت، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[(٤)]، قال إبراهيم النخعي[(٥)]: لملك الموت أعوان من الملائكة، الملائكة، يتوفون عن أمره...ويكون ملك الموت هو المتوفى في الحقيقة؛ لأنهم يصدرون عن أمره[(٦)].

وقيل: لملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم[(٧)].

٤- فتنة القبر. فيُسأل العبد في قبره ويُفتن ويُختبر، فعن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾[(٨)]، قال: نزلت في عذاب القبر،

---

(١) البخاري، في الصلاة، باب "فضل صلاة العصر"، برقم (٥٥٥)، ومسلم، في المساجد ومواضع الصلاة، باب "فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة علهما"، برقم (١٤٣٢).

(٢) انظر: فتح الباري (٢ / ٣٥).

(٣) السجدة:١١.

(٤) الأنعام:٦١.

(٥) الإمام الحافظ أبو عمران إبراهيم النخعي اليماني ثم الكوفي، أحد الإعلام، فقيه العراق، أدرك جماعة من الصحابة وليس له سماع منهم، وكان بصيراً بعلم ابن مسعود، مات سنة ٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٢٠).

(٦) تفسير السمعاني (٢ / ١١٢).

(٧) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٦٧).

(٨) إبراهيم:٢٧.

فيقال: له من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ "[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في الرجل لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعا، وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه، غير الثقلين"[2]، وجاء في الروايات أن اسمهما: منكر ونكير[3].

الثاني: المتعلقة بالمؤمنين.

١- صلاتهم على المؤمنين. كما قال الله ﷻ:﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[4]، وصلاة الملائكة على المؤمنين هي: الدعاء لهم[5].

---

(١) رواه البخاري، في الجنائز، باب "ما جاء في عذاب القبر"، برقم (١٣٦٩)، ومسلم، في الجنة ونعيمها، باب " عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر "، برقم (٧٢١٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، البخاري، في الجنائز، باب "ما جاء في عذاب القبر"، برقم (١٣٧٤) واللفظ له، ومسلم، في الجنة ونعيمها، باب "عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر"، برقم (٧٢١٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٣ / ٢٣٧)، تفسير ابن كثير (٤ / ٥٠٥).

(٤) الأحزاب:٤٣.

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢ / ١٩١)، تفسير ابن كثير (٦ / ٤٣٦).

وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: " والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه"(١).

٢- **الاستغفار للمؤمنين**. وهذا داخل في عموم الدعاء، ولكن خُص بالذكر في القرآن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾(٢)، وقال أيضا: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٣).

٣- **شهود مجالس الذكر مع المؤمنين**. كما تقدم في الحديث " لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة.. "(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله، تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا.. "(٥). فدلت هذه الأدلة على أن الملائكة تحضر مجالس الذكر، ويدنون بأجنحتهم حول الذاكرين(٦).

---

(١) رواه مسلم، في المساجد ومواضع الصلاة، باب "فضل الصلاة المكتوبة..."، برقم (١٥٠٦).

(٢) غافر:٧.

(٣) الشورى:٥.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه البخاري، في الدعوات، باب "فضل ذكر الله ﷻ"، برقم (٦٤٠٨).

(٦) انظر: فتح الباري (١١ / ٢١٢).

٤- حماية النبي ﷺ. وقد جاء ما يدل على هذا كما في حديث جابر بن عبد الله ﷺ المتقدم قال: " كان النبي ﷺ إذا خرج مشوا بين يديه، وخلوا ظهره للملائكة"[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم، قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه فى التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلى - زعم ليطأ على رقبته - قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً "[٢].

قال ابن حجر: "وإنما شُدد الأمر في حق أبي جهل، ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبي معيط حيث طرح سلي الجزور على ظهره ﷺ وهو يصلي..؛لأنهما وإن اشتركا في مطلق الأذية حالة صلاته، لكن زاد أبو جهل بالتهديد، وبدعوى أهل طاعته، وبإرادة وطء العنق الشريف، وفي ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك؛ ولأن سلى الجزور لم يتحقق نجاستها، وقد عوقب عقبة بدعائه ﷺ عليه وعلى من شاركه في فعله فقتلوا يوم بدر[٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم، في صفات المنافقين، باب "قوله:﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ [العلق:٦]"، برقم (٧٠٦٥).

(٣) فتح الباري (٨ / ٧٢٤).

المبحث الثاني :

الإيمان بالكتب :

وفيه تمهيد، ومطلبان :

المطلب الأول : **الكتب المنزلة على الأنبياء** .

المطلب الثاني : **خصائص القرآن الكريم** .

تمهيد:

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان كما جاءت بذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[3].

وجاء في السنة حديث جبريل المشهور الذي رواه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ وفيه: "قال – جبريل – فأخبرني عن الإيمان، قال ﷺ: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[4].

فالإيمان بالكتب يجب إجمالاً فيما أجمل، وتفصيلاً فيما فُصل في النصوص الشرعية. قال ابن أبي العز الحنفي: " وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها

(١) البقرة:١٧٧.
(٢) البقرة:٢٨٥.
(٣) النساء:١٣٦.
(٤) تقدم تخريجه.

في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى"[١].

❖ **تعريف كلمة «الكتب»:**

- **معنى «الكتب» في اللغة:** الكتب جمع كتاب، ومعناه في اللغة يدور على الجمع والضم.

قال ابن فارس: "الكاف والتاء والباء: أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكْتبه كَتْباً"[٢].

والكتابة جمع الحروف المنظومة وتأليفها بالقلم، ومنه الكتاب لجمعه أبوابه وفصوله ومسائله.

إذاً فالكتاب: اسم لما كُتب مجموعاً[٣].

- **تعريف «الكتب» اصطلاحاً:** هي الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة[٤].

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية [٥]، قال ابن كثير: "﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ : وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب"[٦].

---

(١) شرح الطحاوية ص (٢٩١).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ١٥٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠ / ٨٨)، الكليات ص (١٢٢٥).

(٤) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص (١٠٩)

(٥) البقرة:١٧٧.

(٦) تفسير بن كثير (٤٨٦/١).

المطلب الأول :

الكتب المنزلة على الأنبياء، وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : **أسماء الكتب ووقت نزولها** .

المسألة الثانية : **اتفاق الكتب السماوية في أصول الدين وقواعد الشريعة** .

المسألة الأولى : أسماء الكتب ووقت نزولها .

قال هناد: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، قال: " القرآن والتوراة والإنجيل من بعد الذكر الذي في السماء، ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[(١)]، قال أرض الجنة "[(٢)].

---

(١) الأنبياء:١٠٥.

(٢) رواه هناد في الزهد (١ / ١٢٣) ورجاله تقدموا، والطبري في التفسير (١٨ / ٥٤٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٨/١٤)، وعزاه السيوطي في المنثور لهناد وعبد بن حميد وابن جرير الدر المنثور (١٠ / ٤٠٠).

❖ مسألة: أسماء الكتب المنزلة ووقت نزولها.

أولاً: أسماء الكتب المنزلة على الأنبياء:

وردت نصوص الكتاب والسنة بذكر أسماء بعض الكتب التي أنزلها الله ﷻ على أنبيائه ورسله عليهم السلام، وفيما يلي أسماء هذه الكتب:

١- **التوراة:** وهو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[1] ، وفي هذا مدح من الله تعالى للتوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران[2].

وقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾[3] ، أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة والشرائع السماوية[4].

وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾[5] ، قال البغوي: "قوله ﷻ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ ﴾يعني لموسى، ﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة"[6].

٢- **الإنجيل:** وهو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾[7] .

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ

---

(١) المائدة:٤٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ١١٧).

(٣) آل عمران:٥٠.

(٤) انظر: تفسير السعدي (١ / ٨٥٩).

(٥) الأعراف:١٤٥.

(٦) معالم التنزيل (٣ / ٢٨٠).

(٧) الحديد:٢٧.

ﭐلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[١] .

وقال سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾[٢] ، قال الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: « وأنزل التوراة » على موسى، « والإنجيل » على عيسى "[٣].

٣- الزبور: وهو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[٤] ، الزبور بمعنى المزبور أي: المكتوب[٥]، قال الطبري: "وإنما تقول العرب: « زبور داود »، بذلك تعرف كتابه سائر الأمم[٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[٧] .

٤- صحف إبراهيم وموسى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[٩]، قال السمعاني – رحمه الله –[١٠]: "أي: الكتب التي أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى، وقد أنزل

---

(١) المائدة:٤٦.

(٢) آل عمران:٣.

(٣) تفسير الطبري (٦ / ١٦١).

(٤) النساء:١٦٣.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٧).

(٦) تفسير الطبري (٩ / ٤٠٢)

(٧) الإسراء:٥٥.

(٨) النجم:٣٦-٣٧.

(٩) الأعلى:١٨-١٩.

(١٠) أبو المظفر السمعاني الإمام العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي، كان حنفياً، ثم تحول إلى مذهب الشافعي، له مصنفات منها: التفسير، وقواطع الأدلة في أصول الفقه، مات سنة ٤٨٩هـ. انظر: السير (١٩ / ١١٤)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/٣٣٨).

على إبراهيم صحفاً، وأنزل على موسى التوراة، فهي المراد بالآية، والله أعلم"[١].

٥- القرآن: وهو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٣] ، يعني القرآن[٤].

والذي أُنزل على نبينا محمد ﷺ له عدة أسماء سماه الله ﷻ بها، منها:

«**القرآن**» كما تقدم، ومن الأدلة عليه غير ما سبق، قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[٥].

«**الكتاب**» قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[٦] ، والكتاب: القرآن[٧].

«**الفرقان**» قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٨] ، وهو هذا القرآن العظيم[٩].

---

(١) تفسير السمعاني (٦ / ٢١١).

(٢) البقرة:١٨٥.

(٣) البقرة:٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٨٠).

(٥) يوسف:٣.

(٦) الكهف:١.

(٧) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٥ / ١٤١)، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٢ / ١٨٢).

(٨) الفرقان:١.

(٩) انظر: أضواء البيان (٦ / ٢٨٩).

«**الذكر**» ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[١] ، قرر تعالى أنه هو الذي أنزل الذكر، وهو القرآن[٢].

وكل هذه الأسماء لها معانٍ عند العرب، وكل معنى يختلف عن الآخر، أشار إلى هذا ابن جرير بقوله: "ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه:

فأما «**القرآن**»؛ فإن المفسرين اختلفوا في تأويله، والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس: من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدراً من قول القائل: قرأت، كقولك: الخسران من خسرت...

وأما تأويل اسمه الذي هو «**فرقان**»؛ فإن تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة... وأصل الفرقان عندنا: الفرق بين الشيئين والفصل بينهما، وقد يكون ذلك بقضاء، واستنقاذ، وإظهار حجة، ونصر، وغير ذلك من المعاني المفرقة بين المحق والمبطل.

فقد تبين بذلك أن القرآن سمي "فرقاناً"، لفصله بحججه، وأدلته، وحدود فرائضه، وسائر معاني حكمه بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما: بنصره المحق، وتخذيله المبطل، حكماً وقضاءً.

وأما تأويل اسمه الذي هو «**كتاب**»؛ فهو مصدر من قولك: كتبت كتاباً، كما تقول: قمت قياماً، وحسبت الشيء حساباً.

والكتاب: هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومفترقة، وسمي "كتاباً"، وإنما هو مكتوب..يعني به مكتوباً.

وأما تأويل اسمه الذي هو «**ذكر**»؛ فإنه محتمل معنيين:

أحدهما: أنه ذِكْر من الله جل ذكره، ذَكَّر به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائر ما أودعه من حكمه.

والآخر: أنه ذِكْر وشرف وفخر لمن آمن به وصدَّق بما فيه، كما قال جل ثناؤه:

---

(١) الحِجر:٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٥٢٧)

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾[1]، يعني به: أنه شرفٌ له ولقومه"[2].

وأسماء هذه الكتب قد تأتي في النصوص الشرعية ولا يراد بها نفس الكتاب المنصوص عليه، بل يراد بها الجنس، فقد يأتي اسم التوراة أو الإنجيل أو الزبور أو القرآن في النصوص ويراد بها نفس الكتاب المنصوص عليه بعينه، وقد تأتي ويراد بها الجنس.

قال الطبري – رحمه الله – عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[3] : " عني بالزبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم"[4] وهذا هو قول سعيد بن جبير ومجاهد.

قال الشنقيطي – رحمه الله – :" أظهر الأقوال عندي في هذه الآية الكريمة: أن الزبور الذي هو الكتاب يراد به جنس الكتاب، فيشمل الكتب المنزلة، كالتوراة والإنجيل، وزبور داود، وغير ذلك "[5].

وقد جاء هذا المعنى أيضاً في السنة، كما قال النبي ﷺ: " خُفف على داود عليه السلام القرآن، فكان يأمر بدوابه فتُسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تُسرج دوابه "[6]، ولم يرد بالقرآن أنه القرآن المعهود لهذه الأمة[7].

❖ وأما وقت نزول هذه الكتب:

فقد ورد في ذلك حديث عن النبي ﷺ، فيه ذكر وقت نزولها، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " أُنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لستٍ مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة

---

(١) الزُّخرُف:٤٤.

(٢) تفسير الطبري (١ / ٩٤-٩٩).

(٣) الأنبياء:١٠٥.

(٤) تفسير الطبري (١٨ / ٥٤٧)، وانظر: تفسير البغوي (٥ / ٣٥٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣ / ٣٣)، تفسير ابن كثير (٥ / ٣٨٤).

(٥) أضواء البيان (٤ / ٢٤٩).

(٦) رواه البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب "قوله تعالى:﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء:١٦٣] "،برقم (٣٤١٧).

(٧) انظر: فتح الباري (٨ / ٣٩٧).

خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع عشرة خلت من رمضان"[١].

وقد جاء في كتاب الله تعالى ما يدل على أن القرآن نزل في الليل دون النهار، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ ﴾[٢] ، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[٣] .

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ٧٥)، والبيهقي في الشعب (٣ / ٥٢١)، ورواه أحمد في المسند بدون ذكر الزبور (٢٨ / ١٩١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ١٠٤).

(٢) الدخان:٣.

(٣) القدْر:١.

المسألة الثانية: اتفاق الكتب السماوية في أصول الدين وقواعد الشريعة.

١- قال هناد: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: مكتوب في التوراة: "ملعون من لعن أباه، ملعون من لعن أمه، ملعون من دعا لغيره، وملعون من صد عن سبيل الله، ملعون من أضل أعمى عن الطريق، وملعون من غير تخوم[1] الأرض"[2].

٢- قال وكيع: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: " كما ترحمون ترحمون"[3].

---

(١) (التُخوم): أعلام الأرض وحدودها. مقاييس اللغة (١ / ٣٤٢).

(٢) رواه هناد في الزهد (٢ / ٤٨٠) ورجاله تقدموا، وجاء بنحوه عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعاً عند مسلم، في الأشربة، باب "تحيم الذبح لغير الله ولعن فاعله"، برقم (٥١٢٤).

(٣) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٨٠٩)، وأحمد في الزهد ص (٨٤)، وهناد في الزهد (٢ / ٦١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٥٥)، وجاء بنحوه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً عند الترمذي، باب "ما جاء في الرحمة"، برقم (١٩٢٤) وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود، باب "في الرحمة"، برقم (٤٩٤١)، والحاكم في المستدرك وصححه (٤/٢٧١).

هذه المسألة يندرج تحتها ثلاثة أمور:

❖ **الأول: ما اتفقت عليه الكتب السماوية.**

إن الله ﷻ بعث جميع أنبيائه ورسله برسالة واحدة، ودين واحد، وإن اختلفت فروع شرائعهم، إلا أن أصل دعوتهم واحد، وهو توحيد الله ﷻ.

قال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[(١)] : "للتوراة شريعة، والإنجيل شريعة، وللفرقان شريعة، والدين واحد وهو التوحيد"[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[(٣)].

قال قتادة – رحمه الله – عند هذه الآية: " أُرسلتْ الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم عمل حتى يقولوه ويقروا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له"[(٤)].

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد"[(٥)].

---

(١) المائدة:٤٨.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣ / ٦٦).

(٣) الأنبياء:٢٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ٤٢٧).

(٥) رواه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب "قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم:١٦]"، برقم (٣٤٤٣).

قال ابن تيمية: "والذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين، وقواعد الشريعة، وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج، بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه بتنوع حال الكتاب الواحد... ولا يجوز أن يقال: إن الله ينسخ بالكتاب الثاني جميع ما شرعه بالكتاب الأول، وإنما المنسوخ قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والشرائع "(١).

ومع هذا الاتفاق فيما بين الكتب في أصول الدين: إلا أن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(٢).

قال ابن كثير: " فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾(٣) "(٤).

---

(١) الجواب الصحيح (٢ / ٤٣٨-٤٤٠)
(٢) المائدة:٤٨.
(٣) الحجر:٩.
(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ١٢٨).

❖ الأمر الثاني: وقوع التحريف في الكتب السابقة.

أخبر الله ﷻ في كتابه أن أهل الكتاب حرَّفوا كتبهم التي أُنزلت على أنبيائهم، وذلك في عدد من الآيات.

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

قال ابن جرير: " ويعني بقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ : ثم يبدلون معناه وتأويله، ويغيرونه، وأصله من"انحراف الشيء عن جهته"، وهو ميله عنها إلى غيرها، فكذلك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي: يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه، إلى غيره.

فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ﴾ يعني: من بعد ما عقلوا تأويله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون"[2].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن﴾[3] ، قال ابن كثير: "أي: يتأولون على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله، عز وجل، قصداً منهم وافتراءً"[4].

---

(١) البقرة:٧٥.

(٢) تفسير الطبري (٢ / ٢٤٨).

(٣) النساء:٤٦.

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٢٣).

فتبين بهذه الأدلة ما وقع فيه أهل الكتاب من تحريف لكتبهم، وهم متوعدون على فعلهم هذا بالويل من الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[١] .

وقد بيّن الله أيضاً طرق أهل الكتاب في التلاعب وتعمية الحق الذي في كتبهم لأغراض في أنفسهم، وهذه الطرق التي يتخذها أهل الكتاب لكتمان الحق الوارد في كتبهم،بيانها فيما يلي:

١- **التحريف**: وقد تقدم ذكر الآيات المبينة لذلك.

٢- **لبس الحق بالباطل**: وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[٢] .

٣- **كتمان الحق**: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

٤- **إخفاء الحق**: وهو قريب من كتمانه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[٤] .

---

(١) البقرة:٧٩.

(٢) آل عمران:٧١.

(٣) البقرة:١٤٦.

(٤) المائدة:١٥.

٥- **لَيّ اللسان به:** ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾(١).

فهذه خمسة أمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلى ذلك(٢).

ومن المهم معرفته: أن التحريف الذي وقع من أهل الكتاب على كتبهم لم يقتصر على تحريف المعنى فقط، بل وقع التحريف حتى على الألفاظ، وبهذا قال عامة أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف في المعاني والتفسير، وإن كانت كل طائفة تزعم أن الأخرى هي التي حرفت المعاني.

وأما ألفاظ الكتب، فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى أن ألفاظها لم تبدل، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب.

وذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب إلى أنه بُدِّل بعض ألفاظها، وهذا مشهور عند كثير من علماء المسلمين، وقاله أيضا كثير من علماء أهل الكتاب"(٣).

وقال أيضا: "والتحريف قد فُسِّر بتحريف التنزيل، وبتحريف التأويل"(٤).

ولا يُجزم بأن جميع نسخ هذه الكتب الموجودة على وجه الأرض قد حُرِّفت ألفاظها، بل لم يقل بهذا أحد(٥).

---

(١) آل عمران:٧٨.

(٢) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص (١١٤-١١٥).

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ٤١٩).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٨٨).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢/٤١٨-٤١٩).

ولا يعني هذا: أن ما بين يدي اليهود والنصارى الآن ليس محرفاً، بل التحريف والتغيير فيه ظاهر لفظاً ومعنى، وهم أنفسهم لا يعتقدون أن مابين أيديهم هي الكتب التي أنزلها الله، وإنما حصل بينهم وبينها انقطاع وضياع(١).

قال ابن القيم: " علماء اليهود وأحبارهم يعتقدون: أن هذه التوراة التي بأيديهم ليست هي التي أنزلها الله تعالى على موسى بن عمران بعينها؛ لأن موسى عليه السلام صان التوراة عن بني إسرائيل خوفاً من اختلافهم من بعده في تأويلها المؤدي إلى تفرقهم أحزابا، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي "(٢).

وقال أيضاً: " والنصارى لا يقرّون أن الإنجيل منزَّل من عند الله على المسيح، وأنه كلام الله، بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ، أَلَّفَهَا أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة، ولا يعرفون الإنجيل غير هذا"(٣).

---

(١) انظر: الإيمان بالكتب بين إثبات السلف وتعطيل أهل الكلام ص (٦٩).

(٢) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٩٥).

(٣) هداية الحيارى (١١٣).

❖ الأمر الثالث : حكم النظر في الكتب السابقة.

إن مما قرره أهل العلم أن العبد لا يجوز له أن يُعرِّض نفسه ودينه لمواطن الشبهات، وذلك تبعاً للأصل الذي أصَّله نبينا محمد ﷺ لأصحابه، كما ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي ﷺ، فغضب، وقال:" أمتهوكون[1] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"[2].

وفي هذه المسألة لا بدّ أن يُنظر إلى قصد القارئ، وأهليّته وتمكنه في العلم، فإن كان غرضه طلب الحق منها، أو مجرد القراءة فقط، ففي هذه الحالة لا يجوز له قراءتها، ويزداد النهي في ذلك إذا لم يكن معه من العلم ما ينجيه من الزيغ.

وأما إذا كان متمكناً في العلم، وله سبق قدم فيه، وكانت مطالعته لهذه الكتب فيها مصلحة راجحة، فيجوز له ذلك.

قال ابن حجر: " والأَولى في هذه المسألة: التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ، فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك: نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه"[3].

---

(١) أي أمتحيرون. غريب الحديث لابن الجوزي (٢ / ٥٠٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٣ / ٣٤٩)، وابن أبي عاصم في السنة ص (٢٧)، والبيهقي في الشعب (١ / ٣٤٧)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة ص (٢٨).

(٣) فتح الباري (١٣ / ٥٢٥).

ومما يدل على جواز هذه الحالة من صنيع أهل العلم، فعلُ شيخ الإسلام رحمه الله حيث كتب كتابه الموسوم بـ(**الجواب الصحيح لم بدل دين المسيح**) ذكر فيه كثيراً من النقول عن التوراة والإنجيل.

وابن القيم رحمه الله في كتابه (**هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**)، أيضاً فيه الكثير من النقول عن تلك الكتب، ولا يتأتَّى ذلك إلا بالاطلاع على كتب القوم.

المطلب الثاني :

خصائص القرآن الكريم .

المطلب الثاني: خصائص القرآن الكريم.

١- قال عبد الله[١]: حدثنا الليث بن خالد أبو بكر البلخي[٢]، سمعته يحدث أبي حدثنا عمر بن علي بن مقدم[٣]، عن عبد ربه بن هلال[٤]، قال: " قال عبد الملك بن عبد العزيز لأبيه وقد دخل في القائلة: يا أبت على ما تقيل وقد تداركت عليك المظالم؟ لعل الموت يدركك في منامك وأنت لم تقض دأب نفسك مما ورد عليك، قال: فشدد عليه، قال: فلما كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك، قال: عمر يا بني إن نفسي مطيتي، وإن لم أرفق بها لم تبلغني، يا بني لو شاء الله ﷻ أن ينزل القرآن جملة واحدة لفعل، **نزّل الآية بعد الآية**، حتى أبطاء ذلك في قلوبهم، يا بني إني لم أجد الحقحقة[٥] ترد إلى خير"[٦].

٢- قال ابن المبارك: أخبرنا معمر[٧]، عن يحيى بن المختار[٨]، عن الحسن[٩] قال: " إن هذا القرآن قد **قرأه عَبيدٌ وصبيان**، لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من قبل أوله، وقال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[١٠]، « وما تدبروا آيته اتباعه والله بعلمه»[١١]، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد

(١) ابن الإمام أحمد.

(٢) انظر: الجرح والتعديل (٧ / ١٨١).

(٣) عمر بن علي بن عطاء بن مقدم بصري، أصله واسطي، ثقة وكان يدلس شديداً، مات سنة ١٩٠هـ، وقيل بعدها. التقريب (٤٩٨٦).

(٤) لم أجده.

(٥) (الحقحقة): وهو السير المتعب الشديد. تهذيب اللغة (٥ / ٢٢٤).

(٦) أخرجه أحمد الزهد ص (٤١٣).

(٧) ثقة تقدم.

(٨) يحيى بن المختار الصنعاني، مستور، من السادسة. التقريب (٧٦٩٢).

(٩) البصري.

(١٠) ص:٢٩.

(١١) «وما تدبرُ آياتِه إلا اتباعُهُ بعلمه» هكذا العبارة عند بعض من روى الأثر، وهي بهذا أوضح.

قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق، ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء ولا الوَرَعة، متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثَّر الله في الناس مثل هؤلاء "[١].

٣- قال نعيم بن حماد: أنبأنا رشدين بن سعد[٢]، عن حيي[٣]، عن أبي عبد الرحمن[٤]، الرحمن[٤]، عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي ﵁ عن النبي ﷺ: " أن الصيام **والقرآن يشفعان** للعبد، يقول الصيام: رب منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان "[٥].

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٢٤٢) وإسناده حسن، ورواه أيضا سعيد بن منصور في سننه (٢ / ٤٢٠)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن ص (٢١٣)، والآجري أخلاق أهل القرآن ص (١٠٠)، والفريابي في فضائل القرآن ص (٢٤٧)، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ص (٧٠)، والبيهقي في الشعب (٤ / ٢٠٩)، وذكره ابن نصر المروزي في قيام الليل. انظر: مختصر قيام الليل ص (١٧٦).

(٢) ضعيف تقدم.

(٣) حيي بضم أوله ويائين من تحت الأولى مفتوحة، ابن عبد الله بن شريح المعافري المصري، صدوق يهم، مات سنة ١٤٨هـ. التقريب (١٦١٥).

(٤) عبد الله بن يزيد المعافري، أبو عبد الرحمن الحبلي بضم المهملة والموحدة، ثقة، مات سنة ١٠٠هـ بإفريقية. التقريب (٣٧٣٦).

(٥) رواه نعيم في زياداته على زهد بن المبارك ص (٥١٧) وفيه رشدين وهو ضعيف، ورواه أحمد في المسند (١١/١٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٣٧٨)، وعند مسلم ما يغني عنه وسيأتي ذكره.

❖ مسألة : خصائص القرآن الكريم .

إن للقرآن الكريم خصائص تميز بها عن غيره من الكتب السابقة، وهي كثيرة، ومنها ما ورد في الآثار المتقدمة، وهي:

الأولى: أن القرآن نزل على نبينا محمد ﷺ منجّماً.

فالقرآن الكريم نزل حقيقة من عند الله تعالى على نبينا محمد ﷺ، فإن الله تكلم به، فسمعه منه جبريل عليه السلام، فنزل به بأمر ربه على قلب نبينا ﷺ، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[2] .

ولكنه لم ينزل على نبينا ﷺ جملة واحدة، بل نزل مفرقاً بحسب الوقائع والحوادث، **وكونه أُنزل منجماً** فإن هذه خصيصة اختصَّ بها القرآن دون غيره من الكتب.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ﴾[3].

قال ابن جرير: "﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله، ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ يقول: هلّا نزل على محمد ﷺ القرآن ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال

(١) الزُّمَر:١-٢.

(٢) الشعراء:١٩٣-١٩٤.

(٣) الفرقان:٣٢.

الله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لنثبت به فؤادك نزلناه"(١).

وقال البغوي عند قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾(٢) : "وإنما قال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ ؛ لأن التوراة والإنجيل أُنزلا جملة واحدة، وقال في القرآن﴿ نَزَّلَ ﴾ ؛ لأنه نزل مفصلاً، والتنزيل للتكثير"(٣).

ولا يُشكل على هذا: قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾(٤)، وقوله سبحانه:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾(٥).

وذلك لأن النزول المذكور في الآيتين السابقتين، المقصود به: نزوله إلى السماء الدنيا، فقد نزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل على النبي ﷺ مفرقاً بحسب الوقائع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه "(٦).

وروي عنه أيضاً أنه قال: " أُنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة "(١).

---

(١) تفسير الطبري (١٩ / ٢٦٥).

(٢) آل عمران:٣.

(٣) تفسير البغوي (٢ / ٦).

(٤) الدخان:٣.

(٥)القدْر:١.

(٦) رواه الطبري في التفسير (٣ / ٤٤٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٥٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢٤١/٢) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الثانية: أن القرآن ميسَّرٌ للذكر.

إن الله ﷻ قد يسَّر هذا الكتاب المنزل على هذه الأمة – وهو القرآن الكريم – للذكر، وهذه الخصيصة خُصَّ بها القرآن، ولم تكن لغيره من الكتب؛ وهذا معلوم بالمشاهدة، لذلك تجد الكثير من المسلمين، حتى العوام والصبيان يقرءون القرآن، ويحفظونه عن ظهر قلب فضلاً عن العلماء، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٢]، فهو كتاب ميسَّر بتيسير الله، لمن وفقه الله للعمل به.

قال ابن جرير: "ولقد سهلنا القرآن، بيناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوناه "[٣].

وقال ابن جُزَي الكلبي[٤]: " أي يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم، حفظاً بالغاً، بخلاف غيره من الكتب، وقد رُوي: أنه لم يُحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن "[٥].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦ / ٤٢١)، الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٧٤)، ابن أبي حاتم في التفسير (٢٦٨٩/٨)، وابن منده في الإيمان (٢ / ٧٠٤)، وأبو قاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢ / ١١٠)، والبيهقي في الشعب (٣ / ٥٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٤٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) القمر:١٧.

(٣) تفسير الطبري (٢٢ / ٥٨٤).

(٤) محمد بن أحمد بن محمد ابن جزى الكلبي الغرناطي يكنى أبا القاسم، له اشتغال بالفقه والأصول والعربية، وله مصنفات، منها: التسهيل لعلوم التنزيل، والقوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وغيرها، مات سنة ٧٤١هـ. انظر: الدرر الكامنة (٣ / ٣٥٦)، الكتيبة الكامنة (١ / ٤٦)، الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٥).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٤ / ٨١).

وقال الحافظ ابن حجر: " حفْظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسراً، كتيسر حفظ القرآن الذي خُصّت به هذه الأمة "[1].

فبهذا يتبين أن هذه الخصيصة تميَّز بها القرآن عن غيره من الكتب، فالحمد لله الذي أتم علينا نعمه.

الثالثة: أن القرآن الكريم يشفع لأصحابه يوم القيامة.

جعل الله ﷻ لهذا الكتاب منزلة عالية رفيعة، ووهب أهله الهبات العظيمة، ومن ذلك أن جعله يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، كما صحَّ بذلك الخبر عن سيّد البشر ﷺ.

فقد روى الصحابي الجليل أبو أُمامة الباهليّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة "[2].

والمقصود بأصحابه أي: القارئين له، المشتغلين به، المتمسكين بأمره ونهيه[3].

قال الشيخ ابن عثيمين: " إذا كان يوم القيامة جعل الله ﷻ ثواب هذا القرآن شيئاً قائماً بنفسه، يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، يشفع لهم عند الله ﷻ، فإن القرآن إذا تلاه الإنسان محتسباً فيه الأجر عند الله فله بكل حرف عشر حسنات...-إلى أن قال-: الذين يقرءون القرآن ينقسمون إلى قسمين:

---

(١) فتح الباري (١ / ٢٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب "فضل قراءة القرآن وسورة البقرة"، برقم (١٨٧٤).

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان (٦ / ١٦٤).

قسم لا يعمل به، فلا يؤمنون بأخباره، ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء يكون القرآن حجة عليهم.

وقسم آخر، يؤمنون بأخباره، ويصدقون بها، ويعملون بأحكامه، فهؤلاء يكون القرآن حجة لهم، يُحاج عنهم يوم القيامة؛ لأن النبي ﷺ قال: القرآن حجة لك أو عليك"[1]، وفي هذا دليل على أن أهم شيء في القرآن العمل به، ويؤيد هذا قوله تعالى:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2]، أي: يتفهمون معانيها، ويعملون بها، وإنما أخر العمل عن التدبر؛ لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر"[3].

فما أعظم هذه الهبة لأهل القرآن، فاللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، آمين..

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب "فضل الوضوء"، برقم (٥٣٤).

(٢) ص:٢٩.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤ / ٦٣٧-٦٣٨).

المبحث الثالث :

الإيمان بالرسل :

وفيه تمهيد، ومطلبان :

المطلب الأول : أنبياء الله ورسله .

المطلب الثاني : نبينا محمد ﷺ وخصائصه .

التمهيد :

وفيه توطئة، ومبحثان :

المبحث الأول : تعريف النبي والرسول .

المبحث الثاني : الفرق بين النبي والرسول .

توطئة:

إن من نعم الله ﷻ على عباده أن بعث إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، مبشرين لمن أطاعهم بالحياة الطيبة في الدنيا، والسعادة الأبدية في الآخرة، ومنذرين من عصاهم بالحياة البائسة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[١].

وهذا الفضل والرحمة من الله ﷻ عام لجميع الأمم، فما من أمة من الأمم إلا قد بُعث إليهم من يبين لهم الطريق المستقيم الذي من سلكه نجا، ومن تنكَّبه غوى، قال سبحانه:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٢].

وخصَّ الله ﷻ ومنَّ على هذه الأمة بخاتم الأنبياء والمرسلين، وأشرف الناس أجمعين، محمد بن عبد الله ﷺ ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣].

ومما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، كما جاءت بذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال الله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن

(١) النساء:١٦٥.

(٢) فاطر:٢٤.

(٣) آل عمران:١٦٤.

تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] .

وكما تقدم في حديث جبريل المشهور.

فيجب على المسلم الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، فنؤمن بمن ذكرهم الله ﷻ في كتابه، ونؤمن بمن لم يأتي ذكرهم إجمالاً، وأن جميع الرسل الذين أرسلهم الله تعالى للناس هم منهم؛ ليأمروهم بعبادة الله وحده، و نؤمن أن خاتمهم محمد ﷺ.

ويجب أيضاً علينا الإيمان بنبينا محمد ﷺ، وذلك بتصديقه فيما أخبر، واتّباعه فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر.

قال ابن أبي العز: " فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[3]، وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ

---

(١) البقرة:١٧٧.

(٢) النساء:١٦٤.

(٣) غافر:٧٨.

ﭐلۡمُبِينُ﴾[1] ... وأما الإيمان بمحمد ﷺ، فتصديقه واتّباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً "[2].

(١) النحل:٣٥.

(٢) الطحاوية ص (٢٩٠-٢٩١).

المبحث الأول : تعريف النبي والرسول .

❖ **تعريف** «**النبي**»:

معنى «**النبي**» **في اللغة**: قال ابن فارس: " النون والباء والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره، أو تنح عنه...ويقال: إن النبي ﷺ اسمه من النبوة، وهو الارتفاع، كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته "(١).

فالنبي بالياء : من النبو بمعنى العلو والارتفاع، والنبوة، والنباوة، والنبي، ما ارتفع من الأرض، منه اشتقاق النبي؛ لأنه أرفع خلق الله وذلك لأنه يهتدي به (٢).

وقيل: النبي أصله مهموز «نبيء» وخُفف بحذف الهمزء، وعلى هذا فالنبي مشتق من النبأ بمعنى الخبر فهو مُنبِئ أي: مخبِر عن الله ﷻ ، ومنه قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣)، ومُنبَئ أي: مخبَر من الله ﷻ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾(٤).(٥).

قال ابن فارس: " النون والباء والهمزة: قياسه الإتيان من مكان إلى مكان، يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض: نابئ...ومن هذا القياس النبأ: الخبر؛ لأنه يأتي من مكان إلى مكان. والمنبئ: المخبر "(٦).

---

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٤)

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥ / ١٩٤)، لسان العرب (٦ / ٤٣٣٣).

(٣) الحِجر:٤٩.

(٤) التحريم:٣.

(٥) انظر: الصحاح (٢ / ٨٤)، تهذيب اللغة (١٥ / ١٩٤)، اللسان (٦ / ٤٣١٥).

(٦) مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٥).

وقيل: إن النبي هو: الطريق؛ ومنه النبي سُمي بذلك لأنه طريق الهدى[1].

والحاصل مما تقدم أن النبوة لها ثلاث اشتقاقات:

الأول: من النبوة وهو الارتفاع ⬅ والنبي هو أشرف الخلق وأعلاهم؛لأنه مرسل من ربه ﷻ.

الثاني: من النبأ وهو الخبر ⬅ والنبي مخبر عن ربه ﷻ.

الثالث: من النبي وهو الطريق ⬅ والنبي هو طريق الهداية الموصل إلى الله ﷻ.

وعلى هذا فالنبوة تشمل جميع المعاني السابقة، وهي متحققة في اسم النبي.

❖ **تعريف «الرسول»** :

معنى «الرسول» في اللغة: لفظ الرسول له اشتقاقان:

١- أن يكون مشتق من «الرَّسْل» وهو الانبعاث على يسر وسهوله.

قال ابن فارس: " الراء والسين واللام: أصل واحد مطّرد مُنْقاس، يدل على الانبعاث والامتداد، فالرَّسْل:السَّير السَّهل"[2].

والمرسال: الناقة السهلة السير، وترسَّل في قراءته، أي اتَّأد فيها[3].

ومنه الرسول: فهو المنبعث، من عند مرسله.

٢- أن يكون مشتق من «الرَسَل» وهو التتابع.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٥)، تهذيب اللغة (١٥ / ٣٤٩)، لسان العرب (٦ / ٤٣٣٣).

(٢) مقاييس اللغة (٢ / ٣٩٢).

(٣) انظر: الصحاح (٥ / ٣٩٥)، اللسان (٣ / ١٦٤٤).

وعلى هذا الاشتقاق فالرسول معناه في اللغة: الذي يُتابِع أَخبار الذي بعثه، أَخذاً من قولهم: جاءت الإِبل رَسَلاً، أَي: متتابعة[١].

ومما تقدم يقال: الرسول هو المبعوث من الله، المتابع لأخبار الوحي الذي ينزِل عليه بالتتابع.

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢ / ٢٧٢)، لسان العرب (٣ / ١٦٤٥).

المبحث الثاني : الفرق بين النبي والرسول .

هذه المسألة حصل فيها خلاف بين أهل العلم المتقدمين على أقوال:

القول الأول: أن النبي والرسول لفظان مترادفان[١]، وهما بمعنى واحد، كما قال به المعتزلة والأشاعرة، واستدلوا بأدلة منها قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِىٍّ ﴾[٢]، ففي الآية تصريح بإرسال النبي، وقالوا أيضاً: أن الله تعالى خاطب محمداً ﷺ مرة بالنبي، ومرة بالرسول، فدل على أنه لا منافاة بين الأمرين[٣].

وهذا القول مردود؛ وذلك لأن الله ﷻ فرّق بين النبي والرسول بالعطف وذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِىٍّ ﴾[٤]، والعطف يقتضي المغايرة بين الاسمين[٥]،

وأما قولهم: أن الله تعالى خاطب محمداً ﷺ مرة بالنبي، ومرة بالرسول، فهذا لا يقتضي ترادف اللفظين؛ لأن الرسول أعم من النبي، فكل رسول نبي [٦]، فرسولنا ﷺ نبيٌ ورسولٌ.

القول الثاني: أن هناك فرق بين الرسول والنبي، وهو أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، وهذا قول جمهور أهل العلم.

قال القاضي عياض – رحمه الله –: " والصحيح والذي عليه الجماء الغفير، أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً "[١].

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص (٥٦٧)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص (٢٧٩)، الكامل في اختصار الشامل لابن الأمير (٧٩٧/٢).

(٢) الأعراف:٩٤.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٣ / ٤٣)، النكت والعيون للماوردي (٢ / ٢٤٢).

(٤) الحج:٥٢.

(٥) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١ / ٢٥١)، أضواء البيان (٥ / ٨٠٢).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٩٠)، تفسير ابن كثير (٦ / ٤٢٨).

واستدلوا بالآية السابقة، وبحديث أبي أمامة ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟ قال: "نعم، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ"، قال: كم بينه و بين نوح ؟ قال: "عشر قرون"، قال: كم كان بين نوح و إبراهيم ؟ قال: "عشر قرون"، قالوا: يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال: "ثلاث مائة و خمس عشرة جماً غفيراً "(٢).

وبحديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به"، قال فرَّددْتُها على النبي ﷺ فلما بلغت: " اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت "، قلت: ورسولك، قال: " لا، ونبيك الذي أرسلت "(٣).

فهذان الحديثان صريحان في التفريق بين الرسول والنبي.

ولكنهم اختلفوا في وجه التفريق بينهما على أقوال، وأشهرها ثلاثة أقوال:

الأول: أن النبي هو من أُوحي إليه بشرع ولم يُأمر بتبليغه، والرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه(٤).

قال القرطبي: " إن لفظ النبوة والرسالة مختلفان في أصل الوضع، فإن النبوة من النبأ، وهو الخبر فالنبي في العرف هو: المنبأ من جهة الله بأمر يقتضي تكليفاً، وإن أُمر بتبليغه إلى غيره

---

(١) الشفا (١ / ٢٥١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢ / ١٥١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣١٥/٢) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٥١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الوضوء، باب "فضل من بات على الوضوء"، برقم (٢٤٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨ / ٦٦٧)، الشفا (١ / ٢٥١)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣ / ٦)، شرح الطحاوية ص (١٧٧)، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٤٩).

فهو رسول، وإلا فهو نبي غير رسول، وعلى هذا فكل رسول نبي بلا عكس، فإن النبي والرسول اشتركا في أمر عام وهو النبأ، وافترقا في الرسالة، فإذا قلت: فلان رسول تضمن أنه نبي رسول، وإذا قلت: فلان نبي لم يستلزم أنه رسول "[١].

وقال المناوي: " المشهور بين الفقهاء ما ذكره الحليمي من التغاير، وأن الفارق الأمر بالتبليغ"[٢].

وهذا الوجه في التفريق، رُدَّ للأسباب التالية:

١- أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾[٣]، فدلت هذه الآية على أن كلاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير[٤].

٢- أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليُكتم، ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.

٣- قول الرسول ﷺ: "عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد ..." [٥]، فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم[٦].

---

(١) نقله عنه الحافظ في فتح الباري (١١ / ١١٢).

(٢) فيض القدير (١ / ٢١).

(٣) الحج:٥٢.

(٤) انظر: أضواء البيان (٥ / ٨٠٢).

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب: الطب، باب "من اكتوى أو كوى غيره.."، برقم (٥٧٠٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب"، برقم (٥٢٧).

(٦) انظر: الرسل والرسالات ص (١٤-١٥).

الثاني: أن النبي هو من يأتي مجدداً لشرع رسول قبله، والرسول من أوحي إليه بشرع جديد[١].

ومما يستدل به لهذا القول، قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾[٢]، فأنبياء بني إسرائيل كانوا، يحكمون بالتوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام، فهم مصدقون بالتوراة، حاكمون بها من لدن موسى إلى زمان عيسى عليه السلام، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البينات[٣].

ولكن الذي يظهر والله أعلم: أن هذا القول يُشكل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾[٤]، أي: أتبعناه بالرسل[٥]، فسماهم الله رسلاً رسلاً مع أنهم كانوا يحكمون بالتوراة، أي لم يأتوا بشريعة جديدة.

قال القرطبي عند الآية السابقة: " قال العلماء: وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا ﴾[٦]، وكل رسول جاء بعد موسى فإنما جاء بإثبات التوراة والأمر بلزومها إلى عيسى عليه السلام"[٧].

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (١ / ٢٥١)، روح المعاني للألوسي (١٧ / ١٧٢)، أضواء البيان (٥ / ٨٠٢).

(٢) المائدة:٤٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٨٨)، تفسير ابن كثير (١ / ٣٢١).

(٤) البقرة:٨٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٣٢١).

(٦) المؤمنون:٤٤.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٢٣).

الثالث: أن كلاً من الرسول والنبي مأموران بالتبليغ، ولكن الرسول هو من بُعث لقوم مخالفين، والنبي من بُعث لقوم موافقين، وهذا هو الذي يرجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله؛ ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسَل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي، وليس برسول، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[1]، وقوله من رسول ولا نبي فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله، كنوح، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس، وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً، قال ابن عباس: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام» فأولئك الانبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول، وكذلك أنبياء بني اسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يُوحَى الى أحدهم وحيٌ خاص في قصة معينة... فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره وبنهيه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي، فإن أُرسلوا الى كفار يدعونهم الى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ولا بد أن يكذب الرسلَ قومٌ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[2] ... فإن الرسل تُرسل إلى مخالفين؛ فيكذبهم

(١) الحج:٥٢.

(٢) الذاريات:٥٢.

بعضهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾(1) ...وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم؛ ولهذا قال النبي ﷺ:" العلماء ورثة الأنبياء "، **وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة**، فإن يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗا﴾(2) "(3).

فمن خلال كلام شيخ الإسلام يتبين أن مهمة الأنبياء تذكيرية لأقوامهم؛ لأنهم موافقون لهم.

وأما من اعترض بقوله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(4)، ولم يقل خاتم المرسلين.

فجوابه أن يقال: ختم الرسالة لا يستلزم ختم النبوة، وأما ختم النبوة فيستلزم ختم الرسالة؛ فإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة(5). ولهذا قال النبي ﷺ " أنه لا نبي بعدي "(1)، ولم يقل لا رسول بعدي.

---

(1) يوسف: ١١٠.
(2) غافر: ٣٤.
(3) النبوات (٢ / ٧١٤) باختصار وتصرف يسير.
(4) الأحزاب: ٤٠.
(5) انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٤٢٨).

ومما يُختم به هذه المسألة: التنبيه على أن الرسول أفضل من النبي إجماعاً؛ لتميُّزه بالرسالة[٢].

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "ما ذكر عن بني إسرائيل"، برقم (٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب "وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، الأول فالأول"، برقم (٤٧٧٣).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (١ / ٤٩).

المطلب الأول :

أنبياء الله ﷻ ورسله، وفيه مسألتنا :

المسألة الأولى : وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل.

المسألة الثانية : عصمة الأنبياء عليهم السلام .

المسألة الأول : أنبياء الله ﷻ ورسله.

١- قال أسد بن موسى: حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: " يقولون من تعلمون يشفع لنا إلى ربنا ، فينجينا من شدة هذا اليوم وكربه وغمه؟ فيقولون: ما نعلم خليقة أكرم على الله من آدم، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له. فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون: يا آدم اشفع لنا إلى ربك ﷻ ينجينا من شدة هذا اليوم وكربه وغمه، فيقول: لست هناك ويذكر خطيئته، ولكن ائتوا نوحاً عليه السلام، وهو أول النبيين، فيأتون نوحاً عليه السلام فيقول: لست هناك، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقول: لست هناك، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى، فيقول: لست هناك، ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناك، فيرجعون إلى آدم فيقولون: يا أبانا ما وجدنا أحدا يشفع لنا إلى ربنا ﷻ. فيقول: يا بني أرأيتم لو أن أحدكم أخذ وعاء فجعل فيه بضاعته، ثم ختم عليها حتى كان لا يخلص إلى ما في الوعاء أحد حتى يفض الخاتم ؟ فيقولون: لا. فيقول: إن محمدا خاتم النبيين، فأتوه يشفع لكم إلى ربكم ﷻ". قال رسول الله ﷺ: " فيأتيني الناس فيقولون: يا محمد هذا المقام المحمود، اشفع لنا إلى ربك ينجينا من طول هذا اليوم وغمه وكربه، قال: فيقول: أنا لها. قال: فأنطلق حتى آتي باب الجنة، فآخذ بحلق الباب فأستفتح ". قال الحسن: وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما يوافي بذنب. فيقول ربي: افتحوا لعبدي أحمد ﷺ، فيفتح لي الباب، فأدخل الجنة فأجد ربي جالساً على كرسيه في جنته، فأخر لربي ساجداً. قال: فيعلمني ربي محامد لم يحمده بها أحد قبلي فيقول لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه ، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أي رب أمتي. فيحد لي ربي حدا، ثم أخر

ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أي رب أمتي أمتي، قال : فيحد لي حداً، ثم يؤذن لي في الشفاعة "[١].

(١) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٤٨)، ورواه البخاري بلفظ " ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن"، كتاب: الإيمان، باب "أدنى أهل الجنة منزلة"، برقم (٤٧٩).

❖ مسألة : وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل.

إن مما أوجبه الله تعالى على عباده الإيمان بجميع أنبيائه ورسله بلا تفريق بينهم، إيماناً يقتضي أنهم بلَّغوا ما أنزله الله ﷻ عليهم، وأن الكفر أو التكذيب بأحد الأنبياء أو الرسل هو كفر وتكذيب بجميع الأنبياء والرسل؛ وذلك لأن تكذيب واحد منهم تكذيبٌ لمن أرسله، وهذا يقتضي التكذيب بجميع الأنبياء والمرسلين.

وقد أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[(١)]،

قال قتادة: أولئك أعداء الله اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وموسى، وكفروا بالفرقان ومحمد ﷺ[(٢)].

فكان جزاء هؤلاء ومن سار على طريقتهم أن حكم عليهم بالكفر المحقق.

ولهذا قال تعالى في وصف حال أقوام بعض رسله عندما كذبوا رسولهم المرسل إليهم: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[(٣)] ، و: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[(٤)] ، و: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[(٥)] ، و: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[(٦)] .

فوصف الله تعالى كل قوم كذبوا برسولهم المرسل إليهم بأنهم مكذبون لجميع الرسل.

---

(١) النساء: ١٥٠-١٥١.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٢).

(٣) الشعراء: ١٠٥.

(٤) الشعراء: ١٢٣.

(٥) الشعراء: ١٤١.

(٦) الشعراء: ١٦٠.

إذاً فحقيقة الإيمان بالرسل هو الإيمان بهم جميعاً كما تقدم، وعدم كما التفريق بين أحدٍ منهم في ذلك.

ومما يؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[١] .

فأمرنا الله ﷻ في هذه الآية أن نؤمن بما أوتي جميع الأنبياء؛ فدل ذلك على أن الإيمان بجميع ما جاءوا به واجب؛ ولذلك من كفر بنبي معلوم النبوة فهو كافر مرتد، ومن سب نبياً كان مرتداً مباح الدم باتفاق الأئمة[٢].

فخلاصة الأمر أنه يجب أن يكون إيمان العبد بالرسل جامعاً عاماً مؤتلفاً، لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف؛ بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم، فمن آمن ببعض الرسل، وكفر ببعض، فهو كافر، وهذا حال من بدَّل وكفر من اليهود والنصارى والصابئين.

---

(١) البقرة:١٣٦.

(٢) انظر: الإخنائية لابن تيمية ص (٤٧٢-٤٧٣).

المسألة الثانية : عصمة الأنبياء عليهم السلام.

قال ابن المبارك: أخبرنا جرير بن حازم[١] قال: سمعت الحسن[٢] يقول: "لما أصاب داؤد الخطيئة، خر ساجداً أربعين ليلة، فقيل له: يا داود، أرفع رأسك، فقد عفوت عنك، قال: يا رب أنت حكم عدل لا تظلم، وقد قتلت الرجل، قال: استَوهبُك منه فيَهبُك لي فأُثيبه الجنة"[٣].

---

(١) تقدم.

(٢) البصري.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (١٦٤)، وأخرجه هناد في الزهد (١ / ٢٦٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٩ / ٣٠)، والطبري في التفسير (٢١ / ١٨٦)، كلهم بأطول منه.

❖ المسألة الثانية : عصمة الأنبياء عليهم السلام.

تعريف العصمة:

العصمة في اللغة: العصمة في كلام العرب يدور معناها على: المنع من الشر والسوء والوقاية منهما، يقال: عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه.

والاستعصام بالشيء: الامتناع به، وعصمه الطعام: منعه من الجوع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، ومنه قوله: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾(١)، أي: يمنعني من الماء أن يغرقني(٢).

قال ابن فارس: " العين والصاد والميم: أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى، إذا امتنع، واستعصم: التجأ، وتقول العرب: أعصمت فلاناً، أي هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده، أي يلتجئ ويتمسك "(٣).

العصمة في الاصطلاح: خصَّ الله ﷻ بالعصمة الملائكة والأنبياء المرسلين، والمقصود في البحث هنا عصمة الأنبياء والمرسلين،

فبعض أهل العلم عرَّف العصمة بذكر ثمراتها، ومن ذلك قولهم: هي حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة والجسمية، والنصرة، والثبات في الأمور، وإنزال السكينة عليهم، وحفظ قلوبهم، وتوفيقهم(٤).

---

(١) هود:٤٣.

(٢)ا نظر: تهذيب اللغة (٢ / ٣٤)، لسان العرب (٤ / ٢٩٧٦)، تاج العروس (٣٣ / ٩٨-١٠٠)، تفسير الطبري (١٥ / ٣٣١)، الجامع لأحكام القرآن (٤ / ١٥٨).

(٣) مقاييس اللغة (٤ / ٣٣١).

(٤) انظر: فتح الباري (١١ / ٥٠٢)، الكليات ص (٦٤٥).

ومنهم من عرَّفها بماهيتها، ومن ذلك: قول شيخ الإسلام: " والعصمة مطلقاً التي هي: فعل المأمور وترك المحظور "[(١)].

وقال أيضاً: " فالعصمة إنما تكون بأن يريد الفاعل الحسنات، ولا يريد السيئات "[(٢)].

وقيل: هي تنزيه الله لهم، وحفظه إياهم من مواقعة الذنوب والمخالفات، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء [(٣)].

ومما تقدم يُعلم أن تعريف العصمة يدور على لطف الله تعالى بأنبيائهم بأن عصمهم من ترك الواجبات، وارتكاب المحرمات، من غير سلب القدرة عنهم، وذلك على التفصيل الذي سيأتي إن شاء الله تعالى.

- **عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها:**

حصل نزاع بين الناس في هذه المسألة، وبيان تحرير محل النزاع فيها فيما يلي:

أولاً: عصمة الأنبياء قبل النبوة.

ولم ينقل عن أحد من الأنبياء الوقوع في الكفر والشرك قبل البعثة.

قال القاضي عياض: "لم ينقل أحدٌ من أهل الأخبار أن أحداً نُبِّئَ واصطُفي ممن عُرف بكفر وإشراك قبل ذلك، ومستند هذا الباب النقل "[(٤)].

ولكن هذا لا يعني أنهم كانوا معصومين قبل النبوة، وأن الله ﷻ لا يبعث نبياً إلا من كان معصوماً قبل النبوة.

---

(١) منهاج السنة (٧/٨٥).

(٢) المصدر السابق (٦ / ٤٠٦).

(٣) انظر: إعلام المسلمين بعصمة النبيين ص (١٦).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ / ١٠٩).

قال شيخ الإسلام: "شبهة من يقول: إن الله لا يبعث نبياً إلا من كان معصوماً قبل النبوة، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم، وكذلك من قال: إنه لا يبعث نبياً إلا من كان مؤمناً قبل النبوة، فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصاً وإن تاب التائب منها، وهذا منشأ غلطهم، فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصاً فهو غالط غلطاً عظيماً، فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلاً؛ لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء، وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله "[1].

ثانياً: عصمة الأنبياء في الفتوى وتبليغ الوحي.

الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى؛ وذلك لكي يكون الناس على يقين من دين الله ﷻ، فيدينون بدين الأنبياء، ولا يمكن تحقيق شرع الله ودينه الذي ارتضاه إلا عن طريقهم واتباعهم، فكان لزاماً أن يكون الأنبياء معصومين من الخطأ فيما يبلغونه عنه ﷻ؛ وذلك حتى لا يقتدى بهم ويتبعون على الخطأ، وقد انعقد إجماع الأمة على هذه المسألة.

قال القاضي عياض: " أعلم منحنا الله إياك توفيقه، أن ما تَعلق منه بطريق التوحيد، والعلم بالله وصفاته، والإيمان به، وبما أُوحي إليه، فعلى غاية المعرفة، ووضوح العلم واليقين، والانتفاء عن الجهل شيءٍ من ذلك، والشك أو الريب فيه. العصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين، هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه، ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه "[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٠٩).

(٢) الشفا (٢ / ٩٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى وهذا هو مقصود الرسالة، فإن الرسول هو الذي يبلغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين"(١).

ثالثاً: العصمة من الذنوب الكبائر والصغائر.

هذه المسألة حصل النزاع فيها بين الناس، بين غالٍ فيها وجافٍ، قال شيخ الإسلام: " واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه:

قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب، حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم ورفع درجاتهم بذلك.

وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً نزههم الله عنها، وهؤلاء مخالفون للقرآن وهؤلاء مخالفون للقرآن.

ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتدياً إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"(٢).

والقول الوسط في هذه المسألة والذي جاءت الأدلة بتقريره: أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن كبائر الذنوب دون الصغائر، وأنهم معصومون من الإصرار والإقرار على الذنوب مطلقاً، وأنهم إن وقع منهم زلات من جنس ذلك، فإنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة،

---

(١) منهاج السنة النبوية (١ / ٤٧٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥ / ١٥٠).

ثم يرتقون إلى منزلة أعلى من المنزلة التي كانوا عليها قبل الذنب، وهذا القول عليه أهل السنة والجماعة وجمهور المتكلمين.

قال شيخ الإسلام: " فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر " أبو الحسن الآمدي " أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير، والحديث، والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول، ولم ينقل عنهم ما يخالفه... وإنما نُقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة، ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين.

وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال، وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً، وأعظمهم قولا لذلك: الرافضة، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل، وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته "(١).

وقال أيضاً: " هم متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً، ولا على فسوق، ولا كذب، ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم، وتبليغهم عن الله، فهم متفقون على تنزيههم عنه.

وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر، يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم، كما جاء في الأثر، كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين "(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣١٩) بتصرف يسير.

(٢) منهاج السنة النبوية (١ / ٤٧٢).

وقال أيضاً في عصمتهم من الإصرار على الذنوب: " ولكن الأنبياء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هم الذين قال العلماء: إنهم معصومون من الإصرار على الذنوب "(١).

وبعض أهل العلم نص أيضاً على عصمتهم من الصغائر الخسيسة، قال ابن الحاجب(٢): " الأكثر على أنه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء مَعْصية. وخالف الروافض، وخالف المعتزلة إلا في الصغائر. ومعتمدهم التقبيح العقلي. والإجماع على عصمتهم بعد الرسالة من تعمّد الكذب في الأحكام. لدلالة المعجزة على الصدق. وجوَّزه القاضي غلطاً وقال: دلّت على الصدق اعتقاداً. وأما غيره مِن المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصغائر الخسيسة. والأكثر على جواز غيرهما "(٣).

ومما يدل على هذا القول قوله تعالى عن آدم عليه السلام لما نهاه عن أكل الشجرة بقوله:﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤)، قال: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾(٥).

قال الأمين الشنقيطي: "هذه الآية الكريمة ونحوها من الآيات مستند من قال من أهل الأصول: بعدم عصمة الأنبياء من الصغائر التي لا تتعلق بالتبليغ، لأنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة إلى الله، حتى تصير كأنها لم تكن "(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٦٩).

(٢) جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن الحاجب، كان والده حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي، المالكي النحوي الفقيه، وبرع في النحو والأصول، مختصراً في مذهبه وهو المشهور بمختصر ابن الحاجب، ومقدمة وجيزة في النحو، مات سنة ٦٤٦هـ. انظر: البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة (١ / ٣٩)، وفيات الأعيان (٣ / ٢٤٩).

(٣) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (٢/ ١٠٠-١٠٢).

(٤) البقرة:٣٥.

(٥) طه:١٢١.

وقال شيخ الإسلام عند كلامه عن قصة آدم وما حصل له: " وإن كان كثير من الناس المتكلمين في العلم يزعم أن هذا ليس بذنب؛ وأن آدم تأول حيث نُهي عن الجنس بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، فظن أنه الشخص فأخطأ، أو نسي، والمخطئ والناسي ليسا مذنبين. وهذا القول يقوله طوائف من أهل البدع والكلام والشيعة وكثير من المعتزلة وبعض الأشعرية، وغيرهم ممن يوجب عصمة الأنبياء من الصغائر، وهؤلاء فروا من شيء، ووقعوا فيما هو أعظم منه في تحريف كلام الله عن مواضعه "[٢].

ومن الأدلة أيضاً، اعتراف موسى عليه السلام بذنبه، وطلبه من ربه المغفرة لما قتل القبطي، فاستجاب الله تعالى له، ومنَّ عليه بالمغفرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣] .

(١) أضواء البيان (٤ / ٦٤٩-٦٥٠) بتصرف يسير.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٨٨).

(٣) القصص:١٦.

المطلب الثاني :

نبينا محمد ﷺ وخصائصه

المطلب الثاني: نبينا محمد ﷺ وخصائصه.

١- قال ابن المبارك: حدثنا وكيع قال: حدثنا الأعمش ،عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: " أُعطيت خمساً لم يُعطَهن نبي من قبلي: جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصرت بالرعب، فيرعب القوم مني على مسيرة شهر، وأُرسلت إلى الأبيض والأسود، وأُحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وقيل لي: سل تُعطه فاختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة منهم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا "[١].

٢- قال ابن المبارك: حدثنا الحسين، أخبرنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: رسول الله ﷺ: " لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة منهم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا "[٢].

٣- قال هناد: حدثنا أبو معاوية[٣]، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة[٤]، عن سعيد ابن أبي سعيد[٥]، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "سألت الله تبارك وتعالى الشفاعة لأمتي، فقال: لك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب، قال: فقلت ربي زدني، قال: فإن لك مع كل ألف سبعين ألفاً، قال: قلت رب زدني، قال: فحثا لي بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله، قال: فقال أبو بكر: حسبنا يا رسول الله، قال: فقال عمر: يا

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٣١٢)، وأخرجه البخاري، كتاب: التيمم، برقم (٣٣٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم.

(٤) إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي، مولاهم المدني، متروك، مات سنة ١٤٤هـ. التقريب (٣٧١).

(٥) سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري، أبو سعد المدني، ثقة، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة، مات في حدود العشرين، وقيل: قبلها، وقيل: بعدها، بعد المائة. التقريب (٢٣٣٤).

أبا بكر، دع رسول الله يكثر لنا كما أكثر الله تبارك وتعالى لنا، قال: فقال أبو بكر: يا عمر، إنما نحن حفنة من حفنات الله، فقال رسول الله: صدق أبو بكر"[١].

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ١٣٥) وإسناده ضعيف جداً؛ لوجود أبي فروة المدني وهو متروك الحديث، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦/٤٧٠)، والآجري في الشريعة (١٢٢٧/٣)، والشاهد منه ورد عند مسلم وسيأتي معنا إن شاء الله.

❖ مسألة: خصائص نبينا محمد ﷺ.

خصَّ الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ بخصائص عظيمة، ومنح كريمة، فليس لأحد عليه فيها مزيد، ولا يساويه فيها أحدٌ، لا نبي من الأنبياء، ولا من سائر العبيد، ومعرفة خصائصه ﷺ مما تزيد الإيمان به وتقويه عند العبد.

وخصائصه ﷺ التي اختص بها عن غيره كثيرة ومتنوعة[١]، ومنها ما ورد في النصوص المتقدمة، وفيما يلي بعض خصائصه:

الخصيصة الأولى : فضله ﷺ على سائر الأنبياء.

إن مما هو متقرر عند أهل السنة والجماعة، بل وعامة أهل الإسلام: فضل الأنبياء عليهم السلام على سائر البشر؛ وذلك لأنهم هم رسل الله ﷻ الذين اصطفاهم من بين الخليقة لحمل رسالاته وكلامه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢]، ولا يمكن تحقيق عبودية الله تعالى إلا عن طريقهم، فاتباعهم تحصل السعادة للإنسان في الدارين، وهذا الأمر مستقر كما تقدم عند أهل الإسلام إلا من انتكست فطرته، وزاغ عقله، كما عند غلاة الصوفية[٣] ومن شاكلهم.

إذا تقرر هذا فمن المهم معرفته أن الأنبياء أنفسهم يتفاضلون فيما بينهم، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ

---

(١) وللاستزادة في خصائصه ﷺ راجع: بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام، وغاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن، وكفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب أو (الخصائص الكبرى) للسيوطي، وخصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء للدكتور صادق محمد إبراهيم.

(٢) الأنعام:١٢٤.

(٣) فهذا ابن عربي يصرح في فصوصه: أن الولاية أعظم من النبوة؛ بل أكمل من الرسالة، ومن كلامه: "مقام النبوة في برزخ ** فويق الرسول ودون الولي" انظر: مجموع الفتاوى (٤ / ١٧١)، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (٥٠٥).

بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ ﴾[(١)] .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[(٢)] .

وأن أفضلهم على الإطلاق نبينا محمد ﷺ؛ وذلك لأمور منها:

١- **تقديم الله تعالى له على جميع أنبيائه في الذكر في أغلب آيات القرآن،** قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[(٤)] .

٢- **تَقدُّمه في الإمامة على جماعة من الأنبياء في بيت المقدس؛** وذلك تأكيداً لفضله وشرفه عليهم، فقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبتها، فكُرِبت كُربة ما كُربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلى، فإذا رجل ضَرْبٌ جَعْد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة، قال قائل: يا محمد، هذا مالكٌ صاحبُ النار فسلِّم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام"[(٥)].

---

(١) البقرة:٢٥٣.

(٢) الإسراء:٥٥.

(٣) النساء:١٦٣.

(٤) الأحزاب:٧.

(٥) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال"، برقم (٤٣٠).

٣- أنه أول من تُفتح له أبواب الجنة، كما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت، لا أفتح لأحد قبلك "(١).

٤- إخبارُه ﷺ أنه سيد الناس يوم القيامة، في حديث الشفاعة، وذكره حال الأمم مع أنبيائها، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ المتفق عليه عن النبي ﷺ قال: " أنا سيد الناس يوم القيامة "(٢)، وجاء عند مسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة"(٣).

وهذا الحديث في التصريح بأفضليته ﷺ على جميع الأنبياء، وإنما خُصَّ يوم القيامة بذلك؛ لظهور ذلك اليوم لكل أحد بلا منازعة(٤).

وقد اتفقت الأمة على أن النبي ﷺ هو أفضل الأنبياء على الإطلاق.

قال شيخ الإسلام: "وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه"(٥).

فهو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين.

وأما ما جاء من الأحاديث التي فيها نهيه ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء، كقوله ﷺ: " لا تفضلوا بين أنبياء الله"(٦)، وما جاء على شاكلته من الأحاديث، فقد أجاب عنها أهل العلم العلم بأجوبة، مجملها هو(٧):

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "في النبي ﷺ«أنا أول الناس يشفع في الجنة..»"، برقم (٤٨٦).

(٢) البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ ﴾ [هود:٢٥]"، برقم (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "أدنى أهل الجنة منزلة"، برقم (٤٨٠).

(٣) مسلم، كتاب: الفضائل، باب "فضل نسب النبي ﷺ.."، برقم (٥٩٤٠).

(٤) انظر: غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن ص (٢٦٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٥).

(٦) متفق عليه، البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:١٣٩]..."، برقم (٣٤١٤)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب "من فضائل موسى ﷺ"، برقم (٦١٥١).

(٧) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٥ / ٤٩٦)، الشفا للقاضي عياض (١ / ٢٢٦)، مجموع الفتاوى لابن تيمية

١- أن التفضيل المنهي عنه هو الذي يكون على وجه الحمية والعصبية.

٢- أن التفضيل المنهي عنه هو الذي فيه انتقاص المفضول، والغض منه.

٣- أنه ﷺ أراد إظهار التواضع لربه فكأنه يقول: هذه الفضيلة التي نلتها، كرامة من الله وخصوصية منه، لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بحولي وقوتي، فليس لي أن افتخر بها.

٤- أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

الخصيصة الثانية:: اختصاصه ﷺ بأن جُعلت له الأرض مسجداً وطهورا.

فهذه الخصيصة قد خصَّ الله تعالى بها نبيه ﷺ وهي لأمته معه، وهو أنه رُخِّص لها في الطهور بتربة الأرض كما جاء عند مسلم "وجُعلت تربتها لنا طهورا"[(١)]، والصلاة عليها في بقاعها، أي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره[(٢)]، وكانت الأمم المتقدمة لا يصلون إلا في كنائسهم وبِيَعهم، كما جاء في رواية عمرو بن شعيب بلفظ: " وكان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبِيَعِهم "[(٣)].

الخصيصة الثالثة: اختصاصه ﷺ بالنصر بالرعب مسيرة شهر.

فلم يوجد لغيره النصر بالرعب، فهي مختصة به عليه الصلاة والسلام، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق، حتى لو كان وحده بغير عسكر، وإنما جعل الغاية شهراً؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر من مسيرة شهر[(٤)].

(٤٣٦/١٤)، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (١١٩-١٢١)، غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن ص (٢٦٨-٢٧٠).

(١) مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب " المساجد ومواضع الصلاة "، برقم (١١٦٥).

(٢) انظر: معالم السنن للخطابي (١ / ١٤٦)، فتح الباري (١ / ٤٣٧).

(٣) رواه أحمد في المسند (١١ / ٦٣٩)، قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (١٠ / ٦٦٨).

(٤) انظر: فتح الباري (١ / ٤٣٧).

الخصيصة الرابع: اختصاصه ﷺ بأن أُحلت له غنائم القتال.

فالغنائم التي يغنمها المسلمون بعد القتال لم تحل لأحد قبله، بل كانوا يجمعونها فتأتي نار من السماء فتحرقها، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها "[١].

قال الخطابي: " كان من تقدم على ضربين، منهم من لم يؤذن له في الجهاد، فلم تكن لهم مغانم.

ومنهم من أُذن له فيه، لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه، وجاءت نار فأحرقته "[٢].

الخصية الخامسة: اختصاصه ﷺ بإرساله إلى الثقلين.

فهو ﷺ مبعوث لجميع البشر، وجميع الجن، كما دلت على ذلك نصوص القرآن والسنة، وإجماع سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٤]، وقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٥].

قال القرطبي: " والمراد بـ (العالمين) هنا الإنس والجن؛ لأن النبي ﷺ قد كان رسولاً إليهما، ونذيراً لهما "[٦].

وقال تعالى عن الجن: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ

(١) رواه الترمذي، كتاب: التفسير، باب "ومن سورة الأنفال"، برقم (٣٠٨٥)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٥ / ١٨٨).

(٢) فتح الباري (١ / ٤٣٨)، وانظر: غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن ص (٢٦٠).

(٣) الأعراف:١٥٨.

(٤) سبأ:٢٨.

(٥) الفرقان:١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٢).

﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

وانعقد الإجماع على أنه ﷺ مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس إلى يوم القيامة[2].

قال شيخ الإسلام: " محمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين "[3].

الخصيصة السادسة: اختصاصه ﷺ بأن الله ﷻ يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً، وهو الشفاعة العظمى.

فهو ﷺ صاحب المقام المحمود، وأول شافع، وأول مشفّع، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[4]

قال الطبري: " يقول: إن ربك سيبعثك مقاماً محموداً، وهي الشفاعة، وكل «عسى»، في القرآن فهي واجبة "[5].

وبهذا قال أكثر أهل العلم: وهو أن المقام المحمود، هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة؛ للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم[6].

وهذا المقام المحمود يحمده القائم فيه ﷺ، وكل الخلائق[7]؛ وذلك لأنه بدعائه ﷺ، وشفاعته يرتاح الناس من ذلك الموقف العظيم، الذي لا يتصور ولا يعرف هوله إلا من قام فيه.

---

(١) الأحقاف:٢٩-٣١.

(٢) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم ص (١٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١١ / ٣٠٣).

(٤) الإسراء:٧٩.

(٥) تفسير الطبري (١٤ / ١٦٨).

(٦) انظر: المصدر السابق (١٧ / ٥٢٦).

(٧) انظر: فتح الباري (١١ / ٤٢٧).

قال عمر بن الخطاب ﷺ: " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود"[1].

والشفاعة في العموم ليست خاصة بالنبي ﷺ، ولا بالأنبياء، بل تشفع الملائكة والمؤمنون لمن يشاء الله تعالى، كما ثبت بذلك الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه: " فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط "[2].

ولكن هناك شفاعة هي خاصة بالنبي ﷺ، وهي أنواع:

الشفاعة الأولى: شفاعتة ﷺ العظمى لأهل الموقف.

وهي شفاعته لأهل الموقف أن يحاسبوا، وهي مقامه المحمود، فإن الناس يوم القيامة يمكثون في الموقف زمناً طويلاً ملجمون بالعرق، فيه من الكرب والشدة ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، فيأتون الأنبياء آدم ثم نوح ثم إبراهيم...ليشفعوا لهم عند الله أن يخلصهم من شدة ذلك الموقف، فكلٌ يقول: " لست لها"، ويعتذر بما عنده، ثم يأتون إلى آخرهم وهو محمد ﷺ فيقول: " أنا لها "، فيستأذن ربه، ويحمده بمحامد يفتها عليه ربه سبحانه، فيقال له: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع[3].

قال ابن خزيمة: "باب ذكر الشفاعة التي خص الله بها النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلى الله عليهم، وهي الشفاعة الأولى التي يشفع بها لأمته؛ ليخلصهم الله من الموقف الذي

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]"، برقم (٤٧١٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ"، برقم (٤٥٤).

(٣) تقدم تخريجه.

قد جُمعوا فيه يوم القيامة، مع الأولى، وقد دنت الشمس منهم فآذتهم، وأصابهم من الغم والكرب مالا يطيقون، ولا يحتملون"[١].

الشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها.

وهذه الشفاعة تكون بعد أن عبروا الصراط، وهُذبوا ومُحصوا، وقد أُزلفت الجنة لأهلها، فيشفع عليه الصلاة والسلام عند ربه في دخولها، فيكون هو أول من تُفتح له أبوابها، وتكون أمته أول الأمم دخولاً لها برحمة الله تعالى ثم بشفاعته ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: " يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى ﷺ، الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له..."[٢].

وقال رسول الله ﷺ: " آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت، لا أفتح لأحد قبلك "[٣].

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (٥٨٩/٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "أدنى أهل الجنة منزلة"، برقم (٤٨٢).

(٣) تقدم تخريجه.

الشفاعة الثالثة: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب.

وهذه الشفاعة هي خاصة بعمه أبي طالب، فيشفع ﷺ لعمه في أن يخفف الله ﷻ عنه العذاب، فيُشَفَّع فيه، فيكون في ضحضاح من نار، نعلاه من نار يغلي منهما دماغه، ثبت ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذُكر عنده عمه فقال: " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح[1] من النار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه"[2].

فهذه الثلاث هي خاصة به ﷺ، وأما ما عداها، فيشترك معه إخوانه من النبيين، والملائكة، والصديقين والشهداء وسائر المؤمنين.

تنبيه:

لا بدّ في قبول شفاعة أيِّ أحد من شرطين، إن وجدا قُبلت الشفاعة بإذنه ﷻ :

الشرط الأول: أن يأذن الله للشافع أن يشفع، ودليله قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[3].

الشرط الثاني: رضا الرحمن ﷻ عن المشفوع له، وليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[4].

(١) (الضَّحْضاح) في الأَصل: ما رَقَّ من الماء على وجه الأَرض، ما يبلغ الكعبين، واستعاره هنا للنار. انظر: اللسان (٢٥٥٧/٤)

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب "قصة أبي طالب"، برقم (٣٨٨٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه"، برقم (٥١٣).

(٣) البقرة:٢٥٥.

(٤) الأنبياء:٢٨.

الخصيصة السابعة: اختصاصه ﷺ بأنه أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة، وأنه يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

وهذه الخصيصة له ﷺ قد صحت بها الأحاديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "عُرضت على الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رُفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟! أمتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب..."[٢].

قال العز بن عبد السلام: "ومنها – أي خصائصه – أنه يدخل إلى الجنة من أمته سبعون ألفاً بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره ﷺ "[٣].

وكانت هذه الفضيلة والخصيصة له ﷺ؛ لبقاء شريعته المباركة وعمومها لجميع العالمين، ودوام معجزته القرآن الكريم الذي هو أصل شريعته[٤]، فلله الحمد والمنة.

وقد زاد نبينا ﷺ أمته بشارة عظيمة، فكبَّر أصحابه رضوان الله عليهم لسرورهم بهذه البشارة العظيمة، وهي أنهم يكونون شطر أهل الجنة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب "كيف نزل الوحي.."، برقم (٤٨٨١)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.."، برقم (٤٨٥).

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب: الطب، باب "من اكتوى أو كوى غيره.."، برقم (٥٧٠٥) واللفظ له، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "مولاة المؤمنين..."، برقم (٥٢٧).

(٣) بداية السول في تفضيل الرسول ص (٥٢).

(٤) انظر: فتح الباري (٩ / ٧).

رسول الله ﷺ: " أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ " قال: فكبرنا، ثم قال: " أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ " قال: فكبرنا، ثم قال: "إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض "[١].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، آمين...

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان كون هذه الأمة نصف الجنة"، برقم (٥٢٩).

الفصـل الثالـث :

الإيمان باليوم الآخر ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أشراط الساعة .

المبحث الثاني : الحياة البرزخية .

المبحث الثالث : يوم القيامة .

تمهيد:

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان كما جاءت بذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1] .

وجاء في السنة حديث جبريل المشهور الذي رواه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ وفيه: "قال – جبريل – فأخبرني عن الإيمان، قال ﷺ: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره "[2].

والإيمان باليوم الآخر، وما يتصل به من الإيمان بيوم القيامة، وأحواله من الحشر والحساب والصراط والميزان والنفخ في الصور والجنة والنار..هو من الإيمان بالغيب الذي هو أصل الإيمان، ولا يمكن للعقل أن يدركه، وليس له سبيل في معرفته إلا عن طريق نصوص الوحي.

يقول شيخ الإسلام: " وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[3]، والغيب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته، والجنة والنار، فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب "[4].

---

(١) النساء:١٣٦.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البقرة:١-٣.

(٤) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٣٢-٢٣٣).

ومما يدل على أهمية هذا اليوم العظيم، والإيمان به أن الله ﷻ كثيراً ما يقرن الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[3] .

وروى ابن المبارك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت "[4].

ويدل على أهميته أيضاً ثناء الله ﷻ على المؤمنين به، وذم الكافرين به، قال تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[5] ، وقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[6] .

- **تعريف اليوم الآخر**: هو يوم القيامة، وسُمي بذلك، لأنه لا يوم بعده، وهو آخر أيام الحياة الدنيا، فهو اليوم النهائي الأبدي[7]، فيستقر أهل الجنة في منازلهم في الجنة، وأهل النار في منازلهم في النار.

---

(١) البقرة:١٧٧.

(٢) البقرة:٢٣٢.

(٣) التوبة:١٨.

(٤) رواه وابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (١٣٨)، وهو في الصحيحين كما تقدم تخريجه.

(٥) النمل:٣.

(٦) هود:١٩.

(٧) انظر: المنهاج للحليمي (١/٣٣٨)، القول المفيد لابن عثيمين (٢ / ٤١٢،٧٢).

المبـحـث الأول :

أشراط الساعة :

وفيه تمهيد، ومطلبان :

المطلب الأول : **أشراط الساعة الصغرى** .

المطلب الثاني : **أشراط الساعة الكبرى** .

تمهيد:

مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر الإيمان ما ورد من العلامات الدالة عليه والتي تتقدمه، وهي ما يسميه أهل العلم بـ « أشراط الساعة »، وذلك لأن موعد الساعة لا يعلمه إلا الله ﷻ، وأما أماراتها وعلاماتها فقد جاءت بذكرها النصوص الشرعية، وهي موضوع هذا المبحث.

تعريف الأشراط:

الأشراط لغة: جمع شَرَط، وهي العلامة والأمارة الدالة على الشيء.

قال ابن فارس: " الشين والراء والطاء: أصل يدل على علم وعلامة، وما قارب ذلك من علم، من ذلك الشرط العلامة، وأشراط الساعة: علاماتها "[(١)].

ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض، إنما هي علامات يجعلونها بينهم، ويقال: أشرط طائفة من إبله وغنمه، أي عزلها، وأعلم أنها للبيع[(٢)].

أشراط الساعة اصطلاحاً: هي العلامات التي تسبق قيام الساعة وتتقدمها، وتدل على قرب وقوعها. قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[(٣)].

قال ابن جرير: " أدلتها ومقدماتها "[(٤)].

---

(١) مقاييس اللغة (٣ / ٢٦٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١١ / ٢١٠)، اللسان (٤ / ٢٢٣٦).

(٣) محمد:١٨.

(٤) تفسير الطبري (٢٢ / ١٧١).

وقال ابن كثير: " أي: فقد اقتربت ودنت وأزفت "[١].

وقال ابن حجر: " والمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة "[٢].

وذكر أهل العلم رحمهم الله حكمةً لتقدم هذه الأشراط على قيام الساعة فقالوا: الحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها: تنبيه الناس من رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يُباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها [٣].

وقد تكلم العلماء عن أشراط الساعة وقسّموها إلى أقسام، وذلك باعتبارات مختلفة، والذي سأسير عليه من هذه التقسيمات، هو تقسيمهم أشراط الساعة إلى قسمين: أشراط صغرى – أشراط كبرى، ولا اختلاف بين هذا التقسيم وبين غيره، فلكلها تعود لمعنى واحد.

وسبب اختياري لهذا التقسيم هو ما وقع في حديث الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﵁ من تقسيم لها على هذا النحو حيث قال: " والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ إلي في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: " منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، **منها صغار ومنها كبار** "[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ٥٦).

(٢) الفتح (١٣ / ٧٩).

(٣) انظر: المنهاج للحليمي (١/٣٤٢)، التذكرة للقرطبي (٣ / ١٢١٧).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الفتن، باب " إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة"، برقم (٧٢٦٢).

قال البيهقي وغيره: " الأشراط منها صغار وقد مضى أكثرها، ومنها كبار ستأتي "[(١)].

وقد تقدم ذكر بعض الآثار الواردة في كتب الزهد الدالة على هذه العلامات، وسيكون الكلام عن هذه العلامات بذكر العلامة والتعريف بها على وجه الاختصار.

(١) نقله عنه الحافظ في الفتح (١٣ / ٨٥).

المطلب الأول: أشراط الساعة الصغرى.

١- قال ابن المبارك: أخبرنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بعثت أنا والساعة كهاتين، وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه نذير جيش صبَّحكم ومسَّاكم "[١].

٢ – قال أبو داود: نا محمد بن العلاء[٢]، قال: نا ابن نمير[٣]، عن مسعر[٤]، عن عطاء[٥]، عن أبي عبد الرحمن[٦]، قال: قام بعض الأمراء، أو قال: قام حذيفة ﷺ، وكان الأمير يؤم جمعة فقال: " ألا إن الله يقول: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[٧]، ألا وإن الساعة آتية قد اقتربت، وإن القمر قد انشق، وإن الدنيا قد آذنت بالفراق، وإن اليوم المضمار، وغداً السباق، ثم قال: قوله هذا في الجمعة الثانية، وإن الغاية النار، وإن السابق من سبق إلى الجنة. قال أبو عبد الرحمن: قلت لأبي: أتجري الخيل غداً؟ قال: لا يا بني، ولكنه يقول: من يعمل اليوم يجزى غداً "[٨].

---

(١) رواه وابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٤٣٣)، ورواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب"قوله ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين.."، برقم (٦٥٠٥)، ومسلم،كتاب: الصلاة، باب "تخفيف الصلاة والخطبة"، برقم (٢٠٠٥).

(٢) محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة حافظ، مات سنة ٢٤٧هـ، وهو بن سبع وثمانين سنة. التقريب (٦٢٤٤).

(٣) عبد الله بن نمير بنون مصغر الهمداني، أبو هشام الكوفي، ثقة، صاحب حديث، من أهل السنة، مات سنة ١٩٩هـ، وله أربع وثمانون. التقريب (٣٦٩٢).

(٤) ثقة تقدم.

(٥) بن السائب تقدم.

(٦) عبد الله بن حبيب بن ربيعة بفتح الموحدة وتشديد الياء، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي، المقرىء، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، مات بعد السبعين. التقريب (٣٢٨٩).

(٧) القمر:١.

(٨) رواه أبو داود في الزهد ص (٢٦٧)، وابن جرير في تفسيره (٢٢ / ٥٦٧)، والحاكم في المستدرك (٦٥١/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

٣ – قال ابن أبي عاصم: حدثنا ابن كاسب، اخبرنا عبد العزيز بن محمد، وابن أبي حازم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسى كافراً، ثم يمسى مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا "[١].

٤ – قال الحسين[٢]: أخبرنا محمد بن أبي عدي[٣]، حدثنا حسين المعلم[٤]، عن عبد عبد الله بن بريدة[٥]، قال: ذكر لي أبو سبرة بن سلمة[٦]، سمع ابن زياد يسأل عن الحوض، الحوض، فقال: ما أراه حقاً بعد ما سأل أبا برزة الأسلمي، والبراء بن عازب، وعائذ بن عمرو المزني، فقال: ما أصدق هؤلاء، فقال أبو سبرة، ألا أحدثك في هذا الحديث شفاء؟ بعثني أبوك إلى معاوية في مال، فلقيت عبد الله بن عمرو، فحدثني بفيه، وكتبته بيدي ما سمع من رسول الله ﷺ، فلم أزد حرفاً ولم أنقص حرفاً، حدثني أن رسول الله ﷺ قال:" إن الله لا يحب الفحش والتفحش ، والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن، وقال: مثل المؤمن كمثل النحل، أكلت طيباً، ووضعت طيباً، ووقعت فلم تكسر، ولم تفسد، ومثل المؤمن كمثل القطعة الجيدة من الذهب، نفخ عليها، فخرجت طيبة، ووزنت فلم تنقص، قال:

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الزهد ص (١١٠)، ورواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن"، برقم (٣١٣).

(٢) صاحب ابن المبارك تقدم.

(٣) محمد بن إبراهيم بن أبي عدي، وقد ينسب لجده، وقيل: هو إبراهيم أبو عمرو البصري، ثقة، مات سنة ١٩٤هـ على الصحيح. التقريب (٥٧٣٣).

(٤) الحسين بن ذكوان المعلم المكتب العوذي بفتح المهملة وسكون الواو بعدها معجمة البصري، ثقة ربما وهم، مات سنة ١٤٥هـ. التقريب (١٣٢٩).

(٥) عبد الله بن بريدة بن الحُصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، قاضيها، ثقة، مات سنة ١٠٥هـ، وقيل: بل ١١٥هـ، وله مائة سنة. التقريب (٣٢٤٤).

(٦) قال الذهبي: مجهول. انظر: الميزان (٢ / ١١١).

وقال: موعدكم حوضي، عرضه مثل طوله، وهو أبعد ما بين أيلة[١] إلى مكة، وذلك مسيرة شهر، فيه أباريق أمثال الكواكب، ماءه أشد بياضاً من الفضة، من ورده يشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً، فقال: ابن زياد: ما حدثت من الحوض حديثاً هو أثبت عندي من هذا، أشهد أن الحوض حق، وأخذ الصحيفة التي جاء بها أبو سبرة "[٢].

(١) (أيلة بالفتح): مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. معجم البلدان (٢٩٢/١)

(٢) الزهد ابن المبارك. ط. الأعظمي ص (٤٣٦)، ورواه الآجري في الشريعة (١٢٥٧/٣)، والحاكم في المستدرك (١٣٧/١) وقال: هذا حديث صحيح، فقد اتفق الشيخان على الاحتجاج بجميع رواته غير أبي سبرة الهذلي، وهو تابعي كبير مبين ذكره في المسانيد والتواريخ غير مطعون فيه، وله شاهد من حديث قتادة عن ابن بريدة.

❖ أشراط الساعة الصغرى.

أشراط الساعة الصغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد، كقبض العلم، وظهور الفتن، وفشو الجهل..وغيرها كثير[١].

وهذا القسم أنواعه كثيرة جداً، سأكتفي بذكر بعض الأمثلة عليه حسب ما ورد من الآثار.

- **الأولى: بعثة النبي محمد ﷺ.**

أخبر النبي ﷺ أن مبعثه علامة من العلامات الدالة على قرب قيام الساعة؛ فهو خاتم النبيين: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢].

وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام في بيان هذا الأمر: " بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى "، وهذا يدل على أنه ليس بينه وبين الساعة نبي، مع التقريب لمجيئها.

قال القاضي عياض: " يحتمل أنه تمثيل لمقاربتهما، وأنه ليس بينهما أصبع أخرى، وأن كل واحدة متصلةٌ بصاحبتها، كما أنه لا شيء بين محمد - عليه السلام — والساعة.

وقد تكون لتقريب ما بينهما من المدة تقدَّر بقدر السبابةَ من الوسطى "[٣].

(١) انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل ص (٧٧).

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٣ / ٢٦٨)، وانظر: فتح الباري (١١ / ٣٥١).

قال الحليمي بعد إيراده قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[1]: "وأولها النبي ﷺ؛ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي"[2].

وجاء في الصحيحين عنه ﷺ: "وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد "[3].

فهو ﷺ الحاشر الذي يحشر الناس لبعثهم يوم القيامة على قدمه، أي: أن بعثهم، وحشرهم، يكون عقيب رسالته، فهو مبعوث بالرسالة، وعقيبه يُجمع الناس لحشرهم.

وهو العاقب: الذي جاء عقيب الأنبياء كلهم، وليس بعده نبي، فكان إرساله من علامات الساعة[4].

- **الثانية: انشقاق القمر.**

سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر[5]، فكانت هذه الآية من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، وعلامة على قرب الساعة؛ لأن الله ﷻ قرنها بها في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[1] .

---

(١) محمد:١٨.

(٢) المنهاج (٣٤١/١).

(٣) البخاري، كتاب: المناقب، باب "ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ"، برقم (٣٥٣٢)، ومسلم واللفظ له، كتاب: الفضائل، باب "في أسمائه ﷺ"، برقم (٦١٠٦).

(٤) انظر: فتح الباري لابن رجب (٣ / ١٤٨).

(٥) جاء هذا في حديث أنس رضي الله عنه الذي رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر:١]..."، برقم (٤٨٦٧)، ومسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب "انشقاق القمر"، برقم (٧٠٧٦).

قال ابن كثير: " قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة...وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات"(٢).

وقال ابن رجب: " وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة...وكان انشقاقه بمكة قبل الهجرة "(٣).

- **الثالثة: ظهور الفتن، وكثرتها.**

والفتن جمع فتنة : وجماع معنى الفتنة في كلام العرب هو: الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله ﷻ:﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾(٤)، أي: يعذبون ويحرقون بها كما يُفتن الذهب بالنار(٥).

وقال تعالى:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾(٦) ،أي:لا يبتلون(٧).

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة، وكثرتها في أمته، حيث يلتبس فيها الحق بالباطل، يتزعزع فيها إيمان العبد، وتتغير فيها أحوال الناس، وتختلف قلوبهم،

---

(١) القمر:١.

(٢) تفسير ابن كثير (٧ / ٤٧٢).

(٣) الحكم الجديرة بالإذاعة ص (١١).

(٤) الذاريات:١٣.

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٤ / ٤٧٢)، تهذيب اللغة (١٤ / ٢١١)، تفسير البغوي (٧ / ٣٧٢).

(٦) العنكبوت:٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٩ / ٧).

ويفسد دينهم إلا من رحم الله تعالى، وتُحيي البدع، وتموت السنن، وكل ذلك دالٌ على انقراض الدنيا وزوالها، ومجيء الساعة واقترابها، كما وصف ذلك النبي ﷺ وصفاً دقيقاً بقوله في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: " إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسى كافراً ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّرُوا قِسِيَّكُم، وقطِّعُوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِلَ على أحد منكم فليكن كخيرِ ابني آدم "[1].

وجاء في الصحيح ما يبين أن هذه الفتن تكون في آخر هذه الأمة، فيدل هذا على أنها علامة لقيامة الساعة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر "[2].

وفي الحديث إرشاد منه ﷺ لأمته إلى ما يعصمهم من هذه الفتن والشرور والآثام، فأمرهم بالابتعاد عنها، مع المبادرة بالأعمال الصالحة، والإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٢ / ٥٠٤)، وأبو داود، ك: الفتن والملاحم، باب "النهي عن السعي في الفتنة"، (٤٢٥٩)، وابن ماجه، ك: الفتن، باب "التثبت في الفتنة"، (٣٩٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ /١٩١)، صححه الألباني (١/٤١٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الإمارة، باب "وجوب الوفاء ببيعة الخليفة.."، برقم (٤٧٧٦).

وقد أمر النبي ﷺ أيضاً صحابته الكرام باللجوء إلى الله تعالى، والاستعاذة به من الفتن، في قوله: " تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن "(١).

فهو سبحانه ملاذ من لجأ إليه، وعاصم من اعتصم به، أسأله سبحانه أن يعصمنا من الفتن جميعها.

- **الرابعة: ظهور الفحش وانتشاره الفساد، وقطع الأرحام، وسوء الجوار، وإسناد الأمانة لغير أهلها.**

إن مما أخبر المصطفى ﷺ من علامات الساعة، ظهور وفشو الفحش في الأمة مع قطيعة الرحم، وسوء المجاورة، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن.

كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: " والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش، وسوء الجوار، وقطيعة الأرحام، وحتى يخون الأمين، ويؤتمن الخائن "(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: " أين – أراه – السائل عن الساعة؟ "، قال: ها أنا يا رسول الله، قال: " فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة "، قال: كيف إضاعتها؟ قال: " إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة "(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب "عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.."، برقم (٧٢١٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (١١ / ٦٣)، وابن حبان في صحيحه بنحوه (١٥ / ٢٥٨)، والحاكم في المستدرك (٥٥٨/٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب "من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه.."، برقم (٢٩).

وقد وقع ما أخبر به رسول الله ﷺ، فقد انتشر الفساد من الزنا والرشوة والخنا..وغيره، وأصبحت القطيعة عادة أغلب الناس إلا من رحم الله، وصار الجار لا يأمن جاره، ووُسِّدَ الأمر لغير أهله فضاعت الأمانة.وهذا إنما يحصل بسبب انتشار الجهل في الأمة.

قال الحافظ ابن حجر: " إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل، ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط، ومقتضاه أن العلم ما دام قائماً ففي الأمر فسحة "[١].

---

(١) فتح الباري (١ / ١٤٣).

المطلب الثاني : الأشراط الكبرى.

١- قال وكيع: حدثنا مبارك، عن الحسن قال: قال النبي ﷺ: " بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وخويصة أحدكم"[١].

٢ - قال الحسين: أخبرنا سفيان، عن فرات القزاز، عن أبي طفيل، عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة، قال: " إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات، فذكر: الدجال، والدخان، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة السلام، وثلاث خسوف، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تحشر الناس "[٢].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٥٢٥)، وأخرجه مسلم، كتاب: الفتن، باب "بقية أحاديث الدجال"، برقم (٧٣٩٨) ولكنه بلفظ "وأمر العامة" بدل "ويأجوج ومأجوج".

(٢) الزهد ابن المبارك. ط. الأعظمي ص (٤٣٥)، ورواه مسلم بنحوه، كتاب: الفتن، باب "الآيات التي تكون قبل الساعة"، برقم (٧٢٨٥).

❖ أشراط الساعة الكبرى.

أشراط الساعة الكبرى: هي الأمور العظام، والعلامات الكبيرة، التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام..وغيرها[١].

ومن علامات الساعة الكبرى الواردة في الآثار المتقدمة مايلي:

- **الأولى: ظهور المسيح الدجال.**

تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ظهور الدجال، وأنه يفتن الناس فتنة عظيمة، وتحذيره أمته عند سماعهم بخروجهم أن يأتوا إليه، وأن الأنبياء قبله أنذرت أقوامها منه، ومن تلك الأحاديث:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: " إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور "[٢].

ومن أجمع ما ورد في وصف الدجال ما حدّث به النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: " ما شأنكم ؟ "، قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: " غيرُ الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على

---

(١) انظر: أشراط الساعة للغفيلي ص (٤٣)، وأشراط الساعة للوابل ص (٧٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [هود:٢٥]"، برقم (٣٣٣٧)، ومسلم، كتاب: الفتن، باب "ذكر ابن صياد"، برقم (٧٣٥٦).

كل مسلم، إنه شاب قَطَطٌ[١]، عينه طافئةٌ، كأني أشبِّهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّةً، بين الشام والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا "، قلنا: يا رسول الله، وما لبثُهُ في الأرض؟ قال: " أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم "، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: " لا اقدروا له قدره "، قلنا يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: " كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضُرُوعاً، وأمدَّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها، كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئا شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رَمْيَةَ الغَرَض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مهروذتين[٢]، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه، حتى يدركه بباب لُدٍّ[٣]، فيقتله..."[٤].

وقد بيّن ﷺ أن الدجال يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من

---

(١) القطط: ذا الشعر شديد الجعودة. النهاية في غريب الحديث (٤ / ٨١).

(٢) ويروى بالدال المعجمة: يقال (المهرودتين)، قال الفراء: أي: في شقتين، أو جبلين. غريب الحديث لابن الجوزي (٤٩٦/٢)

(٣) قرية قرب بيت المقدس، من نواحي فلسطين. معجم البلدان (٥ / ١٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الفتن، باب "ذكر الدجال"، برقم (٧٣٧٣).

أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق "(١).

قال القاضي عياض: " هذه الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدجال، حجةُ أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص معيَّن، ابتلى الله عباده، وأقدره على أشياء من قدرته؛ ليتميز الخبيث من الطيب، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب الذي معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، فيكون ذلك كله بقدر الله ومشيئته، ثم يعجزه الله بعد ذلك..فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية، ولا على غيره ، ويبطل أمره بعد، ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجماعة أهل الفقة والحديث ونظارهم، خلافا لمن أنكر أمره وأبطله "(٢).

وقد قرر أهل السنة وجوب الإيمان بخروج الدجال، وبوبوا لذلك أبواباً في مصنفاتهم.

قال ابن أبي زمنين: " باب: الإيمان بخروج الدجال...وأهل السنة يؤمنون بخروج الدجال، أعاذنا الله وإياك من فتنته "(٣).

- **الثانية: نزول عيسى ابن مريم** عليه السلام.

من علامات الساعة الكبرى التي يعقبها قيام الساعة، نزول النبي عيسى عليه السلام آخر الزمان، حكماً عدلاً، فيقتل الدجال، يكسر الصليب، ويكون قضائه بشريعة نبينا محمد ﷺ، وقد توافرت على الأدلة على ذلك، والإيمان بذلك محل إجماع واتفاق عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب: فضائل المدينة، باب "لا يدخل الدجال المدينة"، برقم (١٨٨١)، ومسلم واللفظ له، كتاب: الفتن، باب "قصة الجساسة"، برقم (٧٣٩٠).

(٢) إكمال المعلم (٨ / ٢٣٧).

(٣) أصول السنة ص (١٨٨).

قال ابن عطية[1]: "وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل، ويُظهر هذه الملة ملة محمد "[2].

وقال السفَّاريني: " وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، وهو متصف بها"[3].

ومن الأدلة الدالة على هذا، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[4]، أي أن عيسى عليه السلام علامة على قيام الساعة.

قال الأمين الشنقيطي: " التحقيق أن الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾راجع إلى عيسى، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ، ومعنى قوله: ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم، والسنة المتواترة: هو أن نزول عيسى في آخر الزمان، حياً، عَلَم للساعة، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها "[5].

---

(١) الإمام الكبير أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي القاضي، قدوة المفسرين، كان ذكياً فطناً مدركاً، من أوعية العلم، قال جماعة من الفضلاء: كتاب ابن عطية أجمع، وللسنة السنية أخلص وأكمل، توفي سنة ٥٤٦هـ، وقال الذهبي غير ذلك. انظر: طبقات المفسرين للأدنروي (١ / ١٧٥)، سير أعلام النبلاء (١٩ / ٥٨٨)، ولكنه في تفسيره ينحو المنحى الأشعري إذ كانت مصادره في الاعتقاد كتب الأشاعرة.

(٢) المحرر الوجيز (١ / ٤٤٤).

(٣) لوامع الأنوار (٢ / ٩٤).

(٤) الزُّخرُف:٦١.

(٥) أضواء البيان (٧ / ٢٨٠).

ومن السنة فالأحاديث فيه كثيرة، منها حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " والذي نفسى بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها "، ثم يقول أبو هريرة ﷺ: واقرءوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[١]، [٢].

- **الثالثة: خروج يأجوج ومأجوج.**

مما أخبر به النبي ﷺ من العلامات الكبرى لقيام الساعة خروج يأجوج ومأجوج، والنصوص في الدلالة على هذه العلامة، وبيانها، وقرب خروجها كثيرة، وسأذكر طرفاً منها.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾[٤]، فذكر الله ﷻ في هذه الآية أن خروجهم يكون مع اقتراب قيام الساعة، وهو المقصود بقوله سبحانه: الوعد الحق[٥].

---

(١) النساء:١٥٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "نزول عيسى ﷺ"، برقم (٣٤٤٨)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "نزول عيسى ﷺ.."، برقم (٣٨٩).

(٣) الكهف:٩٤.

(٤) الأنبياء:٩٦-٩٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٣٧٧).

قال السفاريني: " خروج يأجوج ومأجوج من وراء السد على الناس حق ثابت؛ لوروده في الذكر، وثبوته عن سيد البشر، ولم يحله عقل، فوجب اعتقاده "[١].

واختلف أهل العلم في اشتقاق لفظ يأجوج ومأجوج:

فقيل: أنهما ليسا عربيان أصلاً [٢].

وقيل: عربيان، واختُلف في اشتقاقهما فقيل: من أجيج النار وهو التهابها، وقيل: من الأجاج، وهو الماء الشديد الملوحة، وقيل: من الأج وهو سرعة العدو، وقيل: من الأجَّة بالتشديد، وهي الاختلاط والاضطراب، وعلى كل التقادير وزنهما مفعول ويفعول[٣].

وخلاصة القول: أن جميع ما ذُكر في اشتقاقهما مناسب لحالهم، ويؤيد الاشتقاق من ماج قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[٤]، وذلك حين يخرجون من السد[٥].

وأما نسب هاتين القبيلتين فهما من ولد آدم عليه السلام، ويؤيد هذا القول حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: " يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال يا رب وما بعث النار، قال من كل ألف – أراه قال – تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ

---

(١) لوامع الأنوار (٢ / ١١٦) بتصرف يسير.

(٢) لسان العرب (١ / ٣١)، الكامل في القراءات لليشكري ص (٣٩١).

(٣) انظر: لسان العرب (١ / ٣٠-٣١)، التذكرة للقرطبي (١٣٣٠/٣)، فتح الباري (١٣ / ١٠٦)، الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص (٢٣٤).

(٤) الكهف:٩٩.

(٥) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص (٢٣٥).

شَدِيدٌ﴾[١]، فشق ذلك على الناس، حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: "من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد .."[٢].

وبعض أهل العلم ذكر أنهم من ولد يافث بن نوح ﵇[٣].

وجاء في وصف يأجوج ومأجوج أحاديث كثيرة منها، حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ وفيه: " إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي، لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم، فَحَرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية[٤]، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماءٌ، ويُحصَرُ نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[٥] في رقابهم، فيصبحون فرسى[٦] فرسى[٦] كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٧] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله،

---

(١) الحج:٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "قوله:﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾"، برقم (٤٧٤١)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "يقول الله لآدم أخرج بعث النار.."، برقم (٥٣٢).

(٣) انظر: التذكرة (٣ / ١٣٢٦) نسب القرطبي هذا القول لعمرو بن العاص ▪، فتح الباري (٦ / ٣٨٦).

(٤) طبرية مدينة جليلة، على جبل مطل، وهي طويلة في ذاتها قليلة العرض في طولها نحو ميلين، قال اليعقوبي: وهي مدينة الأردن، وهي في أصل جبل على بحيرة جليلة عذبة، يخرج منها نهر الأردن المشهور. الروض المعطار في خبر الأقطار ص (٣٨٥).

(٥) (النغف): هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة. غريب الحديث لابن الجوزي (٢ / ٤٢٢).

(٦) (فَرْسَى) أي: قتلى، ومنه يقال: فرَسَ الذئب الشاة يَفرِسُها فَرْساً. غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٢٨٢).

(٧) (الزهومة): ريح لحم متن. تهذيب اللغة (٦ / ٩٧).

فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزَّلَفَة[١].. "[٢].

فالأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج حق، فيجب الإيمان بها على حقيقتها، كما وردت.

- **الرابعة: الدُّخان.**

من العلامات الكبرى لقرب قيام الساعة، ظهور دخان يملأ الأرض، وقد دلت هذه العلامة الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[٣]، أي: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين[٤].

وتقدم قوله ﷺ: " إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات، فذكر: الدجال، والدخان..".

واختلف أهل العلم في وقت ظهور هذا الدخان على أقوال:

الأول: إن المقصود بالدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون في السماء مثل الدخان.

وقال بهذا القول ابن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: رضي الله عنه: " خمس قد مضين الدخان، والقمر.."[٥].

---

(١) (الزلفة): قال ابن الأعرابي: وجه المرآة. اللسان (٣ / ١٨٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الدخان: ١٠-١١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ١٣٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "قوله: ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [الفرقان:٧٧]"، برقم (٤٧٦٧)،

وذهب إلى هذا القول أيضاً جماعة من أهل العلم، ورجحه الطبري.

قال رحمه الله: " القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية؛ لأن الله جل ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش، وأن قوله لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴾[1]، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ أمراً منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه، وتهديداً للمشركين، فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم، أشبه من أن يكون أخَّره عنهم لغيرهم "[2].

الثاني: أن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تأتي بعد، وأنه سيقع قرب قيام الساعة.

وبهذا القول قال ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مليكة قال: " غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت "[3].

ورجح هذا القول ابن كثير وذكر أنه قول كثير من الصحابة والتابعين. فقال رحمه الله بعد إيراده لأثر ابن عباس المتقدم: " وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح

ومسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب "الدخان"، برقم (٧٠٦٨).

(١) الدخان:٨-٩.

(٢) تفسير الطبري (٢٢ / ١٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٢ / ١٧).

والحسان وغيرهما، التي أوردناها مما فيه مقنع، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ أي: بيِّن واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود ﷺ: إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أي: يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾ "[١].

وأيضاً مما يؤيد هذا القول قول النبي ﷺ لابن صيَّاد: " إني قد خبأت لك خبيئاً "، فقال ابن صياد: هو الدُّخ، فقال: اخسأ، فلن تعدو قدرك "[٢]. والذي خبأه له ﷺ هو قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾، وهذا يدل على أن الدخان من المنتظر المرتقب؛ فإن ابن صياد كان من يهود المدينة، ولم تقع هذه القصة إلا بعد هجرته ﷺ إلى المدينة[٣].

ورأى بعض أهل العلم أن الجمع هو الأولى، حتى ممن رجح أحد القولين، فهذا ابن جرير يقول: "فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخاناً على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك"[٤].

---

(١)تفسير ابن كثير (٧ / ٢٤٩).

(٢) رواه البخاري،كتاب: الجنائز، باب "إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟..."، برقم (١٣٥٤)، ومسلم، كتاب: الفتن، باب "ذكر ابن صياد"، برقم (٧٣٤٥).

(٣) أشراط الساعة للوابل ص (٣٨٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٢ / ١٩).

واختار هذا الرأي أيضاً القرطبي، فقال: " قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان، قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه "[(١)].

ورجحه أيضاً السعدي حيث قال: "في الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾، أن هذا كله يكون يوم القيامة، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[(٢)]، أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم، وإذا نُزِّلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك، بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم"[(٣)].

ولاريب أن الجمع إذا أمكن بدون تعارض، فذلك أولى من الأخذ بأحد القولين دون الآخر، والله أعلم.

- **الخامسة: طلوع الشمس من مغربها.**

وهي علامة من العلامات الكبرى لوقوع الساعة، وهي ثابتة كغيرها بأدلة الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[(٤)].

---

(١) التذكرة للقرطبي (١ / ١٢٦٦).

(٢) الدخان:١٥-١٦.

(٣) تفسير السعدي (١ / ٧٧١).

(٤) الأنعام:١٥٨.

والمقصود: حين تطلع الشمس من مغربها، وعلى هذا القول أكثر المفسرين[١].

وهذا هو الذي دلت عليه الأحاديث عن النبي ﷺ ومن ذلك:

حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها "[٢].

وحديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله ﷻ يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها "[٣].

ومما ذكره أهل العلم من الحكمة في انقطاع التوبة بطلوع الشمس من مغربها قولهم: " وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوعها من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن؛ فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت، في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم؛ فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته، كما لا تقبل توبة من حضره الموت "[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢ / ٢٦٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٤٢٧)، تفسير البغوي (٣ / ٢٠٧)، تفسير ابن كثير (٣ / ٣٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب "قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعتين.."، برقم (٦٥٠٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان الزمن الذي لا يقبل في الإيمان"، برقم (٣٩٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب: التوبة، باب "قبول التوبة من الذنوب.."، برقم (٦٩٨٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ١٤٦).

- **السادسة: خروج الدابة.**

من علامات الساعة الكبرى خروج دابة من الأرض، مخالفة لما عهده الناس من الدواب التي يشاهدونها، فتُكَلِّم الناس، وتميّز بين الكافر والمؤمن منهم، وهذه العلامة ثابتة أيضاً كغيرها من الآيات بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[١].

قال الكلبي: " والمعنى: إذا قربت الساعة، أخرجنا لهم دابة من الأرض، وخروج الدابة من أشراط الساعة "[٢].

وقال ابن كثير: " هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض، قيل: من مكة، وقيل: من غيرها، فتكلم الناس على ذلك "[٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله -ﷺ حديثاً، لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً"[٤].

---

(١) النمل:٨٢.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٣٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦ / ٢١٠)، وانظر: تفسير الطبري (١٩ / ٤٩٧).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الفتن، باب "خروج الدجال.."، برقم (٧٣٨٣).

عن أبي أمامة ﷺ يرفعه إلى النبي ﷺ قال: " تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يغمرون فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته، فيقول: اشتريته من أحد المخطمين "(١).

قال ابن كثير: "وعن ابن عباس (تكلمهم)، تجرحهم، يعني يكتب على جبين الكافر كافر، وعلى جبين المؤمن مؤمن، وعنه تخاطبهم وتجرحهم، وهذا القول ينتظم من مذهبين وهو قوي حسن جامع لهما والله تعالى أعلم"(٢).

وهذه الدابة لم يصح في وصفها شيء، وإنما على العبد أن يؤمن بما ورد في النصوص الثابتة، ففيها الغنية والكفاية، والمقصود أن يعلم المؤمن أن هذه الدابة آية من آية الله تعالى يخرجها علامة لقيامة الساعة.

قال السعدي: " هذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يأت دليل يدل على كيفيتها، ولا من أي نوع هي، وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس، وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه والله أعلم "(٣).

- **السابعة: وقوع الخسوف الثلاثة.**

من العلامات الكبرى التي أخبر بها رسول الله ﷺ لوقوع الساعة، وقوع ثلاث خسوف في الأرض، وهذا العلامة ثبتت بالسنة عنه ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٦ / ٦٤٦)، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة. مجمع الزوائد (٨ / ١٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١ / ٦٣٩).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٧٥).

(٣) تفسير السعدي (١ / ٦١٠).

فعن حذيفة بن أسيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات، فذكر: ..وثلاث خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، .. "[١].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب "، فقلت: يا رسول الله، أيخسف بالأرض وفيهم الصالحون؟ قال لها رسول الله ﷺ: " نعم، إذا كان أكثر أهلها الخبث "[٢].

وهذه الخسوف ذكر بعض أهل العلم أنها قد وقعت، وذكروا عدة خسوفات وقعت في بعض السنوات، على أنها هي المقصودة في الحديث[٣].

واستظهر بعض أهل العلم أن هذه الخسوفات الثلاثة من الأشراط الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان، وهي غير الخسوفات التي وقعت في الماضي، وفي أماكن متعددة؛ لأن هذه من أشراط الساعة الصغرى[٤]، أما هذه الخسوفات الثلاثة فهي خسوفات عظيمة.

قال ابن حجر رحمه الله حيث قال: " وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يُحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد، كان يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً"[٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤ / ٧٤)، وقال الهيثمي: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٨ / ٢٢).

(٣) انظر: الإشاعة للبرزنجي ص (٧٨-٧٩).

(٤) انظر: أشراط الساعة للغفيلي ص (١٦١)، أشراط الساعة للوابل ص (٣٨٢).

(٥) فتح الباري (١٣ / ٨٤).

- **الثامنة: النار التي تحشر الناس.**

وهذه العلامات هي آخر العلامات ظهوراً قبل قيام الساعة، حيث تخرج هذه النار من قعر عدن، فتسوق الناس كلهم إلى أرض المحشر، وقد تضافرت الأدلة من السنة على هذه العلامة.

ففي حديث حذيفة بن أسيد ﷺ المتقدم عن النبي ﷺ قال: " إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات، فذكر:... ونار تحشر الناس "(١). فكانت النار آخر هذه الآيات ذكراً.

وجاء عنه ﷺ أنه قال في عدّه لأمارات الساعة: " وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم "، وفي رواية: " ونار تخرج من قعرة عدن، ترحل الناس "(٢).

ولا يُعَارِض أن هذه النار آخر الآيات قبل قيام الساعة وما جاء في ذلك من الأحاديث، قوله ﷺ: " أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب "(٣).

فالجمع بينهما أن النار تعتبر آخر العلامات باعتبار ما ذُكر معها من الآيات، وأولها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً.

بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا (٤).

وهذه النار تحشر الناس على هيئات شتى، ذكرها رسول الله ﷺ كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يُحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين راهبين، واثنان على بعير،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم، كتاب: الفتن، باب "الآيات التي تكون قبل الساعة"، برقم (٧٢٨٥) و (٧٢٨٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة:٩٧]"، برقم (٤٤٨٠).

(٤) انظر: فتح الباري (١٣ / ٨٢).

وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا،وتمسي معهم حيث أمسوا"(١).

وصح عن النبي ﷺ أكثر من حديث في أن المكان الذي تحشر الناس إليه هذه النار هو: أرض الشام.

منها: حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله، أين تأمرني؟ قال:" هاهنا، ونحا بيده نحو الشام، قال: إنكم محشورون رجالا وركبانا، وتجرون على وجوهكم "(٢).

قال ابن حجر: " وفي تفسير بن عيينة عن بن عباس من شك أن المحشر ها هنا، يعني الشام فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله ﷺ : يومئذ اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال إلى أرض المحشر "(٣).

وأما وقت هذا الحشر: فالذي عليه أكثر أهل العلم أنه يكون في الدنيا قبل قيام الساعة، قال الخطابي: " هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام "(٤).

ونقله القرطبي عن القاضي عياض، وقال: " ما ذكره القاضي عياض من أن ذلك في الدنيا أظهر والله أعلم "(٥).

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب: الرقاق، باب "الحشر"، برقم (٦٥٢٢)، ومسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب "فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة"، برقم (٧٢٠٢).

(٢) رواه أحمد مسند (٣٣ / ٢٣٣)، والترمذي،ك: الفتن، باب "ما جاء في الشام"، برقم (٢١٩٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) فتح الباري (١١ / ٣٨٠)، وقول ابن حجر هذا من ضمن كلام طويل للطيبي في تقرير أن أرض الحشر هي الشام، اختصره الحافظ.

(٤) انظر: المصدر السابق (١١ / ٣٧٩).

(٥) التذكرة للقرطبي (٢ / ٥١٩)، قال د. الوابل في أشراط الساعة: وكون الحشر في الدنيا هو الذي أجمع عليه جمهور العلماء. ص (٤٢٦).

قال الحافظ ابن رجب: " فأما شرار الناس فتخرج نار في آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهرا حتى تجتمع الناس كلها بالشام قبل قيام الساعة "[1].

---

(١) لطائف المعارف (١٧٦).

المبـحـث الثـانـي:

الحـيـاة البرزخـيـة :

وفيه تمهيد، ومطلبان :

المطلب الأول : سؤال الملكين في القبر (فتنة القبر) .

المطلب الثاني: نعيم القبر وعذابه.

تمهيد:

قال أبو حاتم: حدثنا أبو عمر الحوضي قال: حدثنا المبارك بن فضالة[1]، عن الحسن في قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، قال: القبور [3].

❖ **تعريف البرزخ:**

البرزخ في اللغة: الحاجز بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾[4]، أي: حاجزاً.

والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ[5].

البرزخ في الاصطلاح: مأخوذ من معناه في اللغة، فهو المكان الذي يكون صاحبه قد انتقل إليه من الدنيا إلى انتظار قيام الآخرة، فهو حاجز له من الرجوع إلى الدنيا، وهو القبر.

وقال بعضهم البرزخ: هو مقام تحت التراب إلى يوم البعث، فهو حاجز بينهم وبين الرجوع[6]، فوجه تسمية القبر برزخاً؛ لأنه يحجز بين الدنيا والآخرة[7].

---

(١) صدوق يدلس ويسوي، وقد تقدم.

(٢) المؤمنون:١٠٠.

(٣) رواه أبو حاتم الرازي في الزهد ص (٤٦).

(٤) الفرقان:٥٣.

(٥) انظر: الصحاح للجوهري (٢ / ٤٤١)، تهذيب اللغة (٧ / ٢٧٠)، اللسان (١ / ٢٥٦).

(٦) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي القيسي (٧/٥٠٠١).

(٧) انظر: البحور الزاخرة في علوم الآخرة للسفاريني (١/١٤٤).

المطلب الأول: سؤال الملكين في القبر (فتنة القبر).

قال هناد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولم يُلحد، فجلس رسول الله، وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، قال: فرفع رأسه، فقال:" استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه الملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، قال: ثم يجيء ملك الموت ﷺ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى رضوان الله، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فم السقاء، حتى يأخذها ملك الموت، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط، ثم يصعدوا بها، قال: وتخرج روحه كأطيب نفحة مسك وجدت على ظهر الأرض. قال: فيمرون بها على ملأ من الملائكة فيقولون: ما هذا الريح الطيب، فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى سماء الدنيا، فيستُفتح له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي يليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، قال: فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتاب عبد في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها اخرجهم تارة أخرى، قال: فيعاد روحه في جسده، قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي منادٍ من السماء أن قد صدق عبدي فافرشوا له من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال:

ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، فتنزل إليه الملائكة من السماء سود الوجوه، معهم المسوح ،حتى يجلسوا منه مد البصر، قال: ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضبه، قال: فتنفرق في جسده فتنزعها، فتقطع منه العروق والعصب كما ينزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في تلك المسوح، فيصعدون بها، ويخرج منها أنتن ريح جيفة وجدت على ظهر الأرض، قال: ولا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، قال: فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى سماء الدنيا فيستفتح له، قال: ثم قرأ رسول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾(١)، قال: فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين الأرض السفلى، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيطرحوه طرحاً، قال: ثم قرأ رسول الله: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾(٢)، قال: فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان: له من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوه من النار، وألبسوه من

(١) الأعراف:٤٠.

(٢) الحج:٣١.

النار، وافتحوا له بابا إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه، قال: ويأتيه رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، قال: فيقول ومن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، قال: فيقول: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة"(١).

---

(١) تقدم تخريجه.

❖ مسألة: فتنة القبر.

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بسؤال الملكين الميتَ في قبره، وهو ما يسمى بـ«فتنة القبر»، فيسأل العبد في قبره ثلاث مسائل: عن ربه – وعن دينه – وعن نبيه، فإن كان من الذين آمنوا فيثبته الله ﷻ بالقول الثابت، عند هذه الفتنة، وإن كان من غيرهم فيضله الله سبحانه وتعالى، ويا فلاح من ثبته ربنا جل جلاله، ونجاه من هذه الفتنة، ويا خسارة وحسرة من أضلَّه الله تعالى، وزلَّت به قدمه عندها.

وقد دل على هذه العقيدة نصوص الوحيين – الكتاب والسنة – واتفاق سلف الأمة.

فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1]، وهذا نص على ما يحصل للعبد في قبره من سؤال الملكين له، وذلك بتفسير النبي ﷺ لها، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال: له من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾"[2].

---

(١) إبراهيم:٢٧.

(٢) تقدم تخريجه.

ومن السنة: حديث أسماء بنت أبي بكر – رضى الله عنهما – قالت: " قام رسول الله ﷺ خطيباً، فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة "(١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: " إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في الرجل لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعا، وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه، غير الثقلين"(٢)، وجاء في الروايات أن اسمهما: منكر ونكير(٣).

قال أبو الحسن الأشعري: " وأجمعوا على...أن الناس يفتنون في قبورهم، بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته "(٤).

وقال ابن عبد البر: " فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك وما دينك ومن نبيك والاثار في هذا متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ولا ينكره إلا أهل البدع "(٥).

وقال ابن أبي العز: " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت...سؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به "(١).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب "ما جاء في عذاب القبر"، برقم (١٣٧٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: فتح الباري (٣ / ٢٣٧)، تفسير ابن كثير (٤ / ٥٠٥).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٧٩).

(٥) التمهيد (٢٢ / ٢٤٧).

وأما تسمية الملكلين الذَين يفتنان الميت بـ«منكر ونكير»، فقد جاء ذكره في حديث حسن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " إذا قُبر أحدكم - أو الإنسان - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير.. "[٢].

ونص على اسم هذين الملكين جمع من أهل العلم، قيل للإمام أحمد: يا أبا عبد الله تُقرُّ بمنكر ونكير، وما يروى من عذاب القبر؟ فقال: نعم، سبحان الله! نقر بذلك، ونقوله، قلت: هذه اللفظة منكر ونكير، تقول هذا؟ أو تقول ملكين؟ قال: نقول منكر ونكير، وهما ملكان[٣].

وقال ابن أبي عاصم[٤]: " في المساءلة أخبار ثابتة، والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر ونكير أخبار ثابتة توجب العلم، فنرغب إلى الله أن يثبتنا في قبورنا عند مسألة منكر ونكير بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة "[٥].

---

(١) شرح الطحاوية ص (٣٩٥)، وانظر: شرح السنة للبربهاري بشرح د. ربيع المدخلي (٤٦٨/١)، إثبات عذاب القبر للبيهقي ص (٨٠) وما بعدها، أهوال القبور لابن رجب ص (١٩) وما بعدها.

(٢) رواه الترمذي، كتاب: الجنائز، باب "ما جاء في عذاب القبر"، برقم (١٠٧١) وقال: حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (٧ / ٣٨٦)، والآجري في الشريعة (١٢٨٨/٣)، وابن أبي عاصم في السنة ص (٣٧٤) وحسنه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٥٣).

(٤) الحافظ الكبير أبو بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، كان من حفاظ الحديث والفقه، وكان مذهبه القول بالظاهر وترك القياس، وولي القضاء بأصبهان، قيل: جمع جزء فيها فيه زيادة على ثلاث مئة مصنف له، منها كتابه المشهور: السنة، مات سنة ٢٨٧هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٢ / ١٥٨)، سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٣٠).

(٥) السنة لابن أبي عاصم (٣٧٦).

المطلب الثاني: نعيم القبر وعذابه.

١- قال وكيع: حدثنا الأعمش قال: سمعت مجاهداً، يحدث عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين، فقال: " إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة، ثم دعا بعسيب(١) رطب، فشقه باثنين، فغرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً، قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا"(٢).

٢- قال ابن المبارك: أخبرنا أبو معشر المدني عن محمد بن قيس قال جاء رجل إلى أبي الدرداء ﷺ وهو في الموت، فقال: يا أبا الدرداء عظني بشيء لعل الله ينفعني به وأذكرك، قال: "أنك في أمَّة مرحومة، أقم الصلاة المكتوبة، وآت الزكاة المفروضة، وصم رمضان، واجتنب الكبائر، أو قال المعاصي، وأبشر، فكأن الرجل لم يرض بما قال حتى رجّع الكلام عليه ثلاث مرات، فغضب السائل، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(٣)، ثم خرج الرجل، فقال أبو الدرداء: أجلسوني، فأجلسوه، قال: رُدُّوا علي الرجل، فقال: ويحك كيف بك لو قد حُفر لك أربع أذرع من الأرض، ثم غرقت في ذلك الجرف الذي رأيت، ثم جاءك **فيه ملكان أسودان أزرقان منكر ونكير، يفتنانك ويسألانك عن رسول الله ﷺ**، فإن ثبتَّ فنعم ما أنت فيه، وإن كان غير ذلك فقد هلكت، ثم قمت على الأرض ليس لك إلا موضع قدميك، ليس ثم ظل إلا العرش، فإن ظللت فنعم ما أنت فيه، وإن أضحيت فقد هلكت، ثم عُرضتْ جهنم، والذي نفسي بيده إنها لتملأ ما بين الخافقين، وإن الجسر لعليها،

---

(١) (العسيب): واحد العسب، وهو سعف النخل. فتح الباري (١ / ١٥٦).

(٢) رواه وكيع (٢/٧٥٩)، متفق عليه، البخاري، كتاب: الأدب، باب "الغيبة.."، برقم (٦٠٥٢)، ومسلم، كتاب: الطهارة، باب "الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه"، برقم (٦٧٧).

(٣) البقرة:١٥٩.

وإن الجنة لمن ورائها، فإن نجوت منه فنعم ما أنت فيه، وإن وقعت فيها فقد هلكت، ثم حلف له بالله الذي لا إله إلا هو إن هذا لحق "[1].

---

(١) ضعيف تقدم تخريجه.

❖مسألة: نعيم القبر وعذابه.

مما يعتقده أهل السنة والجماعة ويؤمنون به، أنه بعدما يُفتن الميت في قبره، فإما أن يُنعّم، أو يُعذَّب، وقد دل على هذا الاعتقاد الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[١] .

والمراد: أن عرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدة البرزخ، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾.

قال ابن كثير:"وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور"[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[٣] ، أي: يستمر بهم العذاب إلى يوم البعث[٤].

وأما أدلة السنة على إثبات عذاب القبر فمنها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين، فقال: " إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير.."[٥].

---

(١) غافر:٤٥-٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٧ / ١٤٦)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥ / ٣١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٨٢)، تفسير السعدي (١ / ٥١٥).

(٣) المؤمنون:١٠٠.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٤٩٥)، تفسير السعدي (١ / ٥٥٩).

(٥) تقدم تخريجه.

وأيضاً حديث عائشة – رضي الله عنها – أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: " نعم عذاب القبر "، قالت عائشة – رضي الله عنها – فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر[١].

وإثبات عذاب القبر قد أجمع على إثباته الأئمة رحمهم الله تعالى، وفيما يلي بعض أقوالهم:

قال ابن قتيبة: " أصحاب الحديث كلهم مجمعون على...الإيمان بعذاب القبر "[٢].

وقال أبو الحسن الأشعري: " وأجمعوا على أن عذاب القبر حق "[٣].

ونقل اللالكائي هذا الاعتقاد عن جمع من أئمة السلف، كأحمد وسفيان بن عيينة وغيرهما[٤].

ومما يدل أيضاً على حصول النعيم للمؤمن الذي يثبته الله ﷻ عند السؤال في قبره، ما تقدم من حديث البراء بن عازب ﷺ وفيه: "فينادي منادٍ من السماء أن قد صدق عبدي، فافرشوا له من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومال ي".

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب "ما جاء في عذاب القبر"، برقم (١٣٧٢).

(٢) تأويل مختلف الحديث ص (١٦)

(٣) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٧٩).

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٥/١).

وقد نقل شيخ الإسلام اتفاق أهل السنة والجماعة على حصول العذاب والنعيم في القبر لمن كان أهلاً له: " العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها "(١).

وقال ابن أبي العز: " وقد تواترت الأخبار عن رسول ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يُتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول"(٢).

فاللهم جنبنا عذاب القبر، وارزقنا نعيمه..آمين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٨٢).

(٢) شرح الطحاوية ص (٣٩٥)، وانظر: كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى ص (٣٢).

المبحث الثالث :

يوم القيامة، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : **أحوال يوم القيامة** .

المطلب الثاني : **الجنة والنار** .

المطلب الأول :

أحوال يوم القيامة، وفيه عدة مسائل :

المسألة الأولى : **النفخ في الصور، وبعث الناس من القبور** .

المسألة الثانية : **الصراط** .

المسألة الثالثة : **عرض الأعمال على العبد وإقراره بها** .

المسألة الرابعة : **محاسبة العبد** .

المسألة الخامسة : **الميزان وما يوزن فيه** .

المسألة الأولى: النفخ في الصور، وبعث الناس من القبور.

١- قال هناد: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبدالله بن ضمرة، عن كعب قال:" ما من صباح إلا وملكان يناديان: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً، وملكان يناديان: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر، وملكان يناديان: سبحان الملك القدوس، وملكان **موكلان بالصور** ينتظران متى يؤمران فينفخان "(١).

٢- قال ابن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو، قال: حدثني شريح بن عبيد الحضري، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ لكعب: " خوفنا يا كعب، فقال : والله إن لله لملائكة قياماً منذ خلقهم الله، ما ثنوا أصلابهم, وآخرين ركوعاً، ما رفعوا أصلابهم، وآخرين سجوداً، ما رفعوا رؤوسهم **حتى يُنفخ في الصور النفخة الآخرة**، فيقولون جميعاً: سبحانك وبحمدك، ما عبدناك ككنه ما ينبغي لك أن تعبد، ثم قال: والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبياً، لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ، والله لو دُلِّي من غسلين دلو واحد في مطلع الشمس لغلت منه جماجم قوم في مغربها، والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خرَّ جاذياً أو جاثياً على ركبتيه يقول: نفسي نفسي، وحتى نبينا و إبراهيم و إسحاق، يقول: رب أنا خليلك إبراهيم، قال: فأبكى القوم حتى نشجوا، فلما رأى ذلك عمر قال: يا كعب ، بشرنا فقال: أبشروا، فإن لله تعالى ثلاثمائة وأربع عشرة شريعة، لا يأتي أحد بواحدة منهن مع كلمة الإخلاص إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته، والله لو تعلمون كل رحمة الله تعالى لأبطأتم في العمل، والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا في ليلة ظلماء مغدرة لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضئ القمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع أهل

---

(١) تقدم تخريجه.

الأرض، والله لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نُشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم "[1] .

٣ – قال ابن المبارك: أخبرنا خالد أبو العلاء عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كيف أنعم **وصاحب القرن قد التقم القرن**، واستمع الإذْنَ، متى يُؤمر فينفخ"، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: "قولوا حسبنا الله، ونعم الوكيل"[2].

٤ – حدثنا سليمان التيمي[3] عن اسلم[4] عن بشر بن شغاف[5] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال أعرابي: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: " قرنٌ يُنفخ فيه "[6].

٦ – قال عبد الله: حدثنا محمد بن عبد الرحمن العنبري أبو عبد الله، حدثنا يوسف بن كامل، حدثنا بكير بن أبي السميط، عن قتادة، حدثنا أبو الحجاج قال: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: " من علم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة "[7].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ثقة تقدم.

(٤) أسلم العجلي، بصري، ثقة، من الرابعة. التقريب (٤٠٩).

(٥) بشر بن شَغَاف بفتح المعجمتين آخره فاء، ضبّي، بصري، ثقة، من الثالثة. القريب (٦٩٥).

(٦) رواه وابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٤٣٤)، ورواه أحمد في مسند (١١ / ٥٣)، والترمذي في جامعه،كتاب: الزهد، باب "ما جاء في شأن الصور"، برقم (٢٤٣٠) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٦ / ٤٤٨)، وابن حبان في صحيحه (١٦ / ٣٠٣)، الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٩٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٧) تقدم تخريجه.

٧ – قال هناد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيَت، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون شهراً؟ قال: أبيَت، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون سنة؟ قال: أبيَت، قال: ثم يُنزل الله ﷻ ماء من السماء، فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس شيء من الإنسان إلا يبلى، إلا عظم واحد، **وهي عجب الذنب** "[1].

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ١٩٥)، متفق عليه، البحاري، كتاب: التفسير، باب "﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ:١٨]"، برقم (٤٩٣٥)، ومسلم، كتاب: الفتن، باب "ما بين النفختين"، برقم (٧٤١٤).

❖مسألة: النفخ في الصور، وبعث الناس من القبور.

○ أولاً: النفخ في الصور.

- **تعريف الصور:**

الصور يطلق على كلمات كثيرة متباينة الأصول، منها: أنه يطلق على القرن، وبه فسر المفسرون قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾[1]، ويطلق على الناقور، وعلى البوق.

فيكون معنى الصور: قرن أو ناقور على هيئة البوق، كما قال مجاهد[2].

النفخ في الصور شرعاً: هو نفخ الملك الموكل بالنفخ، في القرن الذي التقمه، حين يأذن له ربه ﷻ بذلك، وذلك يوم القيامة[3].

- **النافخ في الصور:**

نصَّ جمع من أهل العلم على أنه «إسرافيل عليه السلام»[4]، بل ونقل بعضهم الإجماع على ذلك، قال ابن حجر:" اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، ونَقل فيه الحليمي الإجماع، ووقع التصريح به في حديث وهب بن منبه.. وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي، وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه، وكذا في حديث الصور الطويل "[5].

وبعد معرفة معنى الصور، فإن مما يعتقده أهل السنة والجماعة أنه كما يدخل في الإيمان باليوم الآخر: الموت وما بعده، من فتنة القبر ونعيمه، أو عذابه، وباللقاء والبعث والنشور

---

(١) الحاقة:١٣.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣ / ٣١٩)، (٥ / ٤٦٩)، لسان العرب (٤ / ٤٧١)، فتح الباري (١١ / ٣٦٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١ / ٤٦٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢١ / ٣٢٩).

(٥)فتح الباري (١١ / ٣٦٨).

والقيام من القبور، كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور، والنفخ فيه، الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكَّل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم بيانه[1].

- **الأدلة على ثبوت الصور:**

ودل على ثبوت الصور والنفخ فيه الكتاب والسنة والإجماع.

فأما القرآن فقد وردت عدة آيات في إثباته، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾[3].

وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[4].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه يُنفخ في الصور، فيُصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي "[5].

قال الإمام أحمد: "والصور حق، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام.."[6].

---

(١) انظر: معارج القبول (٣/٩٦٩).

(٢) الأنعام:٧٣.

(٣) الكهف:٩٩.

(٤) المؤمنون:١٠١.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "قوله: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٣٩]..."، برقم (٣٤١٤)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب "من فضائل موسى"، برقم (٦١٥١).

(٦) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (٢/١٩٦).

وقال ابن بطة في سرده للعقائد التي أجمع عليها السلف: " والإيمان بالنفخ في الصور، والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل "[1].

- **عدد النفخات في الصور:**

الذي جاء في ظاهر آيات القرآن أن الصور يُنفخ فيه ثلاث نفخات:

النفخة الأولى: هي نفخة الفزع، كما جاء النص عليها في كتاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2].

النفخة الثانية: هي نفخة الصعق، التي يُصعق فيها الناس، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3].

النفخة الثالثة: هي نفخة البعث والقيام من الموت، قال تعالى بعد ذكره الصعق في الآية السابقة: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[4].

وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، والشوكاني[5] وغيرهم رحمهم الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: "والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات.."[6]. ثم ذكرها.

---

(١) الشرح والإبانة (المعروف بالإبانة الصغرى) ص (١٤٨).

(٢) النمل:٨٧.

(٣) الزُّمَر:٦٨.

(٤) الزُّمَر:٦٨.

(٥) انظر: الروح ص (٣٥)، فتح القدير (٢٠٤/٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٦٠)، (٣٥/١٦).

وذهب جمع من أهل العلم إلى أنها نفختان: نفخة الصعق – ونفخة البعث.

وأن نفخة الفزع هي نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لها، أي أنهم فزعوا فزعاً ماتوا منه، فيكون أولها فزع.

ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: " ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيَت، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون شهراً؟ قال: أبيَت، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون سنة؟ قال: أبيَت..."(١).

وقد رجحه هذا جمع من المفسرين كالطبري وابن العربي والقرطبي وغيرهم(٢).

فخلاصة الأمر: أن النفخ في الصور مجمَعٌ عليه عند السلف(٣)، وأما خلاف أهل العلم في عدد النفخات، فمن فسّر منهم الفزع في الآية بالصعق جعلها نفختين، ومن جعل الفزع مستقلاً عن الصعق، قال إنها ثلاث. والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩ / ٧١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٢٤٠)، التذكرة (٤٩١/١)، تفسير البغوي (٧/ ٢١)، أعلام السنة المنشورة للحكمي ص (٦١)، شرح الواسطية لصالح آل الشيخ (١٨٤/٢).

(٣) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان (٥٢/١-٥٥).

○ **ثانيا: بعث الناس من القبور.**

- **تعريف البعث:**

البعث في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: الإرسال، كقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾[(١)].

والثاني: الإثارة، تقول بعثت البعير فانبعث، أي: أثرته فثار[(٢)].

تعريف البعث في الشرع: هو المعاد، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة[(٣)].

وجوب الإيمان بالبعث دل عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والحس والفطرة السليمة[(٤)].

- **الأدلة على البعث :**

من أدلة الكتاب: وهي كثيرة جداً، قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[(٦)].

---

(١) الأعراف:١٠٣.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١ / ٢٦٦)، تهذيب اللغة (٢ / ٢٠١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٣٩٥).

(٤) انظر: شرح الطحاوية ص (٤٠١).

(٥) الأعراف:٢٥.

(٦) طه:٥٥.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[(١)].

ومن أدلة السنة: على البعث، حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "..وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة"[(٢)].

وعنه ﷺ أيضاً أن النبي ﷺ قال: "قال الله: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفأ أحد"[(٣)].

وأما دلالة العقل: على ذلك، فقد ذكر الله ﷻ في كتابه حججاً وبراهين عقلية تبين قدرته تعالى على البعث وإحياء الموتى بعد أن يستحيلوا تراباً[(٤)]، وهذه البراهين ثلاثة أنواع:

البرهان الأول: أن القادر على الشيء العظيم الجليل، قادرٌ على ما هو دونه من باب أولى، فمن قدر على حمل قنطار مثلاً، كان على حمل أوقية أشد اقتداراً، والله ﷻ أخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، وما فيهما على عظم خلقهما، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميماً،

---

(١) المؤمنون:١٥-١٦.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب: التفسير، باب "﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ:١٨]"، برقم (٤٩٣٥)، ومسلم، كتاب: الفتن، باب "ما بين النفختين"، برقم (٧٤١٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]"، برقم (٤٩٧٤).

(٤) انظر: شرح الطحاوية ص (٤٠٥-٤٠٨)، أضواء البيان (١ / ٦٥-٦٦).

فيردها إلى حالتها الأولى، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢). إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن من كان قادراً على خلق السماوات والأرض كان على ما دونها أقدر وأقدر.

البرهان الثاني: أن إحياءه سبحانه للأرض بعد موتها؛ هو من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار الله تعالى لذلك بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾(٤).

البرهان الثالث: احتج سبحانه بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى؛ وذلك لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾(٥).

---

(١) الأحقاف:٣٣.

(٢) غافر:٥٧.

(٣) فُصِّلَت:٣٩.

(٤) الروم:١٩.

(٥) الأنبياء:١٠٤.

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾(١) .

وقال: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾(٢) .

إذ كل عاقل يعلم ضرورةً أن من قدر على هذه، قدر على هذه ولا ريب، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية، لكان عن الأُولى أعجز وأعجز.

وأما دلالة الحس: على إمكان البعث، فقد أرى الله سبحانه بعض خلقه إحياء الموتى في هذه الدنيا، وذكر على ذلك عدة أمثلة في كتابه، منها على سبيل المثال:

المثال الأول: قصة قتيل بني إسرائيل الذي اختصم فيه قومه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوه ببعض أجزائها، فأحياه الله ﷻ، ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾(٣) .

المثال الثاني: قصة الرجل الذي مرَّ على القرية الخاوية، فاستبعد أن يحييها الله بعد موتها، قال تعالى عنه: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾(٤) .

المثال الثالث: قصة إبراهيم الخليل عليه السلام عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فأمره ﷻ بقوله: ﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾(١) .

---

(١) الحج:٥.

(٢) يس:٧٩.

(٣) البقرة:٧٣.

(٤) البقرة:٢٥٩.

وأما دلالة الفطرة: فإنه مستقر عند أهل الفطر السليمة، أن كل نفس مجزية بعملها، وأن الظلمة على هذه البسيطة لا بد أن يكون لهم يوم يُقتص منهم، ويحاسبون على ظلمهم، وأنهم لا ينتهون فقط بالموت، ولا يحاسبون على ما قدموا، وإلا لكان وجودهم عبثاً، ولأصبح العالم فوضى، قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[٢]، أي: تقدس أن يخلق شيئا عبثاً، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك [٣]. قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٥]، وفي هذا رد على من زعم أنه خُلق سدى وهملا، وأنه لا يُحاسب ولا يُسأل، وبالتالي لا يُبعث.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي: "وسوق هذه الآيات العظيمات، الدالة على القدرة الباهرة، فيه رد على إنكار ضمني، وهو أنه لا يعتقد وجوده سدى، ولا حساب عليه، إلا من استبعد البعث، ولو أقر بالبعث، لآمن بالجزاء، واعترف بالسؤال، وعلم أنه لم يُخلق عبثاً. ولن يُترك سدى، ولكن لما أنكر البعث، ظن وحسب أنه يُترك سدى "[٦].

وبهذا يتضح وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت؛ ليجزى في القيامة كل عامل بعمله.

---

(١) البقرة:٢٦٠.

(٢) المؤمنون:١١٥-١١٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢ / ١٥٧)، تفسير ابن كثير (٥ / ٥٠٠).

(٤) النجم:٣١.

(٥) القيامة:٣٦.

(٦) أضواء البيان (٨ / ٦٤٣).

قال أبو الحسن الأشعري:" وأجمعوا...على أن الله تعالى يعيدهم كما بدأهم، حفاة، عراة، غرلا "[١].

وأما من كذب بالبعث: فقد حكم ربنا ﷻ عليه بالكفر الأكبر، والخلود في النار، في آيات عديد، منها: قوله تعالى:﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[٣].

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ، على وقوع المعاد ووجوده.

فالأولى في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٤]، والثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[٥].[٦].

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٨١).

(٢) الرعد:٥.

(٣) التغابن:٧.

(٤) يونس:٥٣.

(٥) سبأ:٣.

(٦) تفسير ابن كثير (٨ / ١٣٦).

المسألة الثانية: الصراط.

١ – قال أسد بن موسى: نا حماد بن سلمة[١]، عن ثابت البناني[٢]، عن أبي عثمان النهدي[٣]، عن سلمان الفارسي ﷺ، قال: " يؤتى بالصراط، حده كحد الموسى، فتقول الملائكة: يا ربنا – أو كلمة غير هذا، أكبر ظني أنه – من يجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، قال: فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك "[٤].

٢ – قال نعيم: أنا يونس عن الزهري قال: كان أبو هريرة ﷺ يحدث أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر، قالوا: لا، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم لترون ربكم كذلك، يقول الله يوم القيامة، يقول لكل أمة كانت تعبد من دونه شيئاً: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع الشمس من كان يعبدها، ويتبع القمر من كان يعبده، ويتبع الطواغيت من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيهم منافقوها، فيأتيهم ربهم في صورة غير صورته، فيقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا رأينا ربنا عرفناه، فيأتيهم في صورته التي يعرفونه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، قال رسول الله ﷺ: فأكون أنا وأمتي أول من يجوز على الصراط، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وقولهم: يومئذ الله سلم سلم، قال أبو هريرة: قال رسول الله: فأجتاز بأمتي، وفي النار كلاليب[٥]، مثل شوك السعدان[١]، هل رأيتم شوك السعدان؟

---

(١) ثقة تقدم.

(٢) ثقة تقدم.

(٣) ثقة تقدم.

(٤) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٣٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٨ / ٥٢٢)، المستدرك (٥ / ٤٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ومثله لا يقال بالرأي فله حكم الرفع.

(٥) (الكَلُّوبُ والكُلاَّبُ): حديدة معطوفة كالخُطَّاف. اللسان (٥ / ٣٩١٢).

السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثله، غير انه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، فالموبق في جهنم بعمله، والمخردل[٢] ثم ينجو..."[٣].

(١) (السعدان): جمع سعدانة، وهو نبات ذو شوك، يضرب به المثل في طيب مرعاه. الفتح (١١ / ٤٥٣).

(٢) (المخردل): المقطّع، تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار. اللسان (٢ / ١١٢٨).

(٣) رواه نعيم في زياداته على ابن المبارك ص (٤٩٣)، ورواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب "فضل السجود"، برقم (٨٠٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ"، برقم (٤٥١).

❖ مسألة: الصراط.

- **تعريف الصراط:**

تعريفه لغة: الصراط بكسر الصاد: الطريق والمنهاج الواضح[١].

ويقال أيضاً: السراط بالسين، من سرطت الشيء بالكسر، أسرطه سرطاً: بلعته.

وإنما قيل للطريق الواضح: سراط ؛لأنه كان يسترط المارَّة[٢].

تعريفه في الشرع: هو جسر ممدود على متن جهنم، يمر عليه الناس، فمنهم الناجي على حسب حاله، ومنهم الساقط في جهنم[٣].

والصراط ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصراط، وأنه جسر منصوب على متن جهنم، يمرّ الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة[٤].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣ / ٣٤٩)، تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٢)، اللسان (٣ / ١٩٩٣).

(٢)انظر: مقاييس اللغة (٣ / ١٥٢)، الصحاح (٤ / ٢٦٧)، تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٢).

(٣) انظر: فتح الباري (١١ / ٤٤٦)، شرح النووي على مسلم (٢ / ٢٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧).

- **الأدلة على ثبوت الصراط:**

من القرآن،قوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[١].

قال ابن عباس: " لما سيقوا إلى النار، حبسوا عند الصراط للسؤال "[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٣]، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف[٤].

ومن السنة، حديث سلمان الفارسي، وأبي هريرة رضي الله عنهما المتقدمان، وأيضاً ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم، . قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرْف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس فى نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً "[٥].

---

(١) الصافات:٢٤.

(٢) انظر: تفسير الخازن (٦ / ٢٠)، تفسير البغوي (٧ / ٣٧).

(٣) مريم:٧١-٧٢.

(٤) تفسير الطبري (١٨ / ٢٣٢).

(٥) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]..."، برقم (٧٤٣٩).

وأهل السنة مجمعون على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون بالإبطاء والسرعة على قدر ذلك[(١)].

- **هل يمر جميع الناس على الصراط؟**

الذي دلت عليه الأدلة، كما تقدم في الحديث الثاني من أحاديث هذه المسألة، الذي رواه أبو هريرة ﷺ، أن الأمم الكافرة تتبع ما كانت تعبد من آلهة باطلة، فتسير تلك الآلهة بعابديها حتى تهوي بهم في النار، ثم يبقى بعد ذلك المؤمنون وفيهم العصاة، ومعهم المنافقون الذين أظهروا الإيمان، فهؤلاء هم الذين يُنصب لهم الصراط.

قال الحافظ ابن رجب: "واعلم أن الناس منقسمون إلى: مؤمن يعبد الله وحده ولا شريك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، إنما يقعون في النار قبل وضع الصراط "، واستدل بحديث أبي هريرة المتقدم، ثم قال: " فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح وعزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عُبَّاد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولا وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾[(٢)]، وأما من عبد المسيح، والعزير من أهل الكتاب، فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون في النار بعد ذلك"[(٣)].

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٨٦)، الإقناع لابن القطان (٦٠/١).

(٢) هود:٩٨.

(٣) التخويف من النار ص (٢٣٥-٢٣٧).

وقال الحافظ ابن حجر عند شرحه لحديث أبي هريرة المتقدم: " إذا حشروا وقع ما في حديث الباب من تساقط الكفار في النار، ويبقى من عداهم في كرب الموقف، فيستشفعون فيقع الإذن بنصب الصراط، فيقع الامتحان بالسجود؛ ليتميز المنافق من المؤمن، ثم يجوزون على الصراط "[1].

---

(١) فتح الباري (١١ / ٤٥٢).

المسألة الثالثة: عرض أعمال العبد، وإقراره بها.

1- قال وكيع: حدثنا الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتُعرض عليه، ويُخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا وهو مُقِر، لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، قال: فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها هاهنا، قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه "[١].

٢ – قال هناد: حدثنا ابن فضيل[٢]، عن ضرار بن مرة[٣]، عن أبي وائل[٤]، قال: "إن الله تبارك وتعالى ليدعو العبد يوم القيامة فيستره بيده، فيقول: أتعرف ما ها هنا؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني قد غفرت لك"[٥].

٣ – قال ابن المبارك: أخبرنا محمد بن يسار عن قتادة عن صفوان بن محرز عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: بينا أنا أمشي معه إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى؟ قال: سمعته يقول: "يدنو المؤمن من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه، فذكر صحيفته، قال: فيقرره ذنوبه هل تعرف، فيقول: رب أعرف، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: نعم رب أعرف، حتى يبلغه به ما شاء الله أن يبلغ، ثم يقول: إني سترتها عليك، وأنا

---

(١) وكيع في الزهد (٢ / ٦٥١)، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "أدنى أهل الجنة منزلة فيها"، برقم (٤٦٧).

(٢) محمد بن فضيل تقدم، صدوق عارف رُمي بالتشيع.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

(٥) رواه هناد في الزهد (١ / ١٥٤)، وابن فضيل في الدعاء ص (٣٣٤)، وأسد بن موسى في الزهد ص (٦٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٣٠/١٨).

أغفرها لك اليوم، قال: فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر فينادى على رؤس الأشهاد، قال الله تعالى: ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين "[1].

(١) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٨٧)، ورواه البخاري، كتاب: المظالم، باب "قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]"، برقم (٢٤٤١)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب "في سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين.."، برقم (٧٠١٥).

❖مسألة: عرض أعمال العبد، وإقراره بها.

- **تعريف العرض:**

تعريفه في اللغة: عَرَّض الشيءَ تعريضاً: جعلَه عَريضاً.

ومن ذلك عرض الجند: أن تمرهم عليك، وذلك كأنك نظرت إلى العارض من حالهم، وعرضوهم على السيف عرضاً، كأن السيف أخذ عرض القوم فلم يفته أحد.

ويُطلق على الظهور والبروز، يقال: عرضت الشيء: أظهرته له وأبرزته إليه، وأعرض الشيء من بعيد أي: ظهر وبرز[(١)].

تعريفه في الشرع: من خلال تعريف العرض في اللغة يتضح أن معنى عرض أعمال العبد على الله ﷻ هو: بروز الخلائق وظهورهم على ربهم ﷻ، وعرض أعمالهم عليهم، فلا يفوت منها شيء.

قال الشيخ حافظ الحكمي: " العرض له معنيان: **معنى عام**: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له صفحاتهم، لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب.."[(٢)].

والمقصود هنا هو المعنى العام، وأما المعنى الخاص فسيأتي في مسألة الحساب بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر: كتاب العين للخليل (١/٢٧٢)، مقاييس اللغة (٤/٢٧٠)، الصحاح (٤/٢١٩) الكليات ص (٦٢٤).

(٢) معارج القبول (٣ / ٩٩٣).

- **الأدلة على ثبوت العرض:**

جاءت الأدلة على متوافرة على إثبات عرض الخلائق على ربهم، وعرض أعمالهم عليهم، من الكتاب والسنة.

فمـــن القـــرآن: قولـه تعـالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[1].

قال السعدي: " فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه ولا ظلم "[2].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[3]، فتُعرض جميع الخلاق على الله ﷻ، لا يفوت شيء من أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴾[4]،

وقوله: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[5].

قال ابن كثير: " أي: برزت الخلائق كلها، برها وفاجرها لله وحده الواحد القهار، أي: اجتمعوا له في براز من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا "[6].

---

(١) الكهف:٤٨.

(٢) تفسير السعدي (١ / ٤٧٩).

(٣) الحاقة:١٨.

(٤) غافر:١٦.

(٥) إبراهيم:٢١.

(٦) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٨٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[(١)] .

ومن السنة: حديث جرير بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر "[(٢)].

والأحاديث المتقدم ذكرها في أول المسألة هي من الدلائل أيضاً على إثبات عرض الأعمال يوم القيامة.

- **صفة العرض:**

مما تقدم من النصوص يُعلم أن العرض على الله ﷻ حق ثابت، وأما كيفية هذا العرض، فيتبين من دلالة تلك النصوص في كيفيته ما يلي:

أولا: أن جميع الخلق يعرضون على الله ﷻ، ولا يستثنى منهم أحد.

ثانياً: أن جميع أعمالهم يعرضها الله ﷻ عليهم، حيث لا يخفى منها شيء.

ثالثاً: شدة ما يلاقيه الكفار، وما يقال لهم عند ذلك العرض على ربهم، من والتكذيب واللعن[(٣)].

---

(١) هود:١٨.

(٢) رواه مسلم، كتاب: المساجد، باب "فضل صلاتي الصبح والعصر.."، برقم (١٤٣٥).

(٣) انظر: أضواء البيان (١٤٦/٤).

رابعاً: صفُّ الخلائق يوم العرض:

أما كيفية صفِّ الخلائق حين العرض، فقد اختلف أهل العلم في تفسير صفِّهم على ثلاثة وجوه [(١)]:

١- أنهم يعرضون على الله كلهم صفاً واحداً ظاهرين، بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً، ويشبه أن يكون الصف راجعاً إلى الظهور والبروز، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[(٢)] .

٢- أنهم يكونون صفوفاً، يقف بعضهم وراء بعض، مثل: الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض، وعلى هذا التقدير، فالمراد من قوله: ﴿صَفًّا﴾ صفوفاً، كقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[(٣)]، أي: أطفالاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[(٤)] .

٣- صفاً أي: قياماً، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾[(٥)]، قالوا: قياماً.

وقد رجح أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى أنهم يكونون صفوفاً، مستدلاً على ذلك بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي، أنا الله لا إله إلا أنا، أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم، ويسروا

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١ / ١١٣)، تفسير البغوي (٥ / ١٧٦)، تفسير ابن كثير (٥ / ١٦٥).

(٢) النبأ:٣٨.

(٣) غافر:٦٧.

(٤) الفجر:٢٢.

(٥) الحج:٣٦.

جواباً، فإنكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي **أقيموا عبادي صفوفاً** على أطراف أنامل أقدامهم للحساب"[١].

ثم قال: هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الآية، ولم يذكره كثير من المفسرين. ا.هـ[٢].

والظاهر والله أعلم أن النصوص تحتمل هذا وهذا[٣].

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٠٠) لابن منده في التوحيد، ولم أجد من ذكره غير السيوطي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٤١٧).

(٣) انظر: الحياة الآخرة للعواجي (٢/٨٣٠).

المسألة الرابعة: محاسبة العبد.

١ – قال الحسين: أخبرنا عبد الوهاب الثقفي، قال: حدثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: " من حوسب يوم القيامة عُذِّب، قالت: قلت: أليس يقـول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1]؟ قـال: ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب "[2].

٢ – قال أسد بن موسى: نا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: " لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها، حتى يُقاد للشاة الجلحاء[3] من الشاة القرناء يوم القيامة "[4].

---

(١) الانشقاق:٧-٨.

(٢) ابن المبارك في الزهد ص (٣٧٠)، متفق عليه، البخاري، كتاب: العلم، باب "من سمع شيئاً فراجع حتى عرفه"، برقم (١٠٣)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب " إثبات الحساب "، برقم (٧٢٢٥).

(٣) (والأجلح من الثيران): الذي لا قرن له. تهذيب اللغة (٤ / ٩١).

(٤) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٦٩)، ورواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب "تحريم الظلم"، برقم (٦٥٨٠).

❖ مسألة: الحساب.

- **تعريف الحساب:**

تعريفه في اللغة: الحساب من حَسِبْتُ الشيء أحسَبَه حِساباً، وحَسَبْتُ الشيء أحْسَبُه حَساباً وحُسْبَاناً.

ويطلق في اللغة ويراد به عدة معانٍ، منها[١]:

– العدُّ والإحصاء. تقول: حَسَبْتُ الشيء أحسُبُه حَسْباً وحُسْباناً، قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾[٢]، ومنه الحَسَب: وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه.

– كفاية الشيء وقدْره. تقول شيء حِسَابٌ، أي كافٍ، ويقال: أحسَبْتُ فلاناً، إذا أعطيته ما يرضيه، وكقولك الأجر بحَسَبِ ما عملت وحَسْبِه أَي: قَدْره.

قال الأزهري: " وإنما سُمِّي الحساب في المعاملات حِساباً: لأنه يُعلم به ما فيه كفايةٌ، ليس فيه زيادةٌ على المقدار، ولا نقصان "[٣].

تعريفه في الشرع: توقيف الله عباده قبل الانصراف من الحشر على أعمالهم، خيراً كانت، أو شراً.

وقيل: هو إعلام الله خلقه ما لهم، وما عليهم[٤].

---

(١) مقاييس اللغة (٢ / ٥٩)، تهذيب اللغة (٤ / ١٩١)، لسان العرب (٢ / ٨٦٤).

(٢) الرحمن:٥.

(٣) تهذيب اللغة (٤ / ١٩٢).

(٤) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص (٥٧٥)، لوامع الأنوار (٢ / ١٧١).

قال القرطبي: " ومعناه: أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان و إساءة، يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذي عينه، للخير بالخير، وللشر بالشر "[(١)].

وقال السفاريني: " الحساب: تعريف الله ﷻ الخلائقَ مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[(٢)] "[(٣)].

وكل هذه التعاريف متقاربة المعاني، وهي تعني أن الله يعدُّ للعبد ما له وما عليه، من حسنات وسيئات، ومن خير شر.

- **الأدلة على إثبات الحساب:**

من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات الحساب يوم القيامة، بل إن أهل الإسلام قاطبة مجمعون عليه؛ إذ هو من المعلوم من الدين بالضرورة.

وقد أكثر الله ﷻ من ذكره في القرآن الكريم، في مواضع كثيرة، بعبارات متنوعة، ودلالات مختلفة، ومصوراً هول ذلك، أو مخبراً عنه ومبشراً به، وكل ذلك لزيادة العناية وللفت أنظار الناس إليه، فيستعدوا بالعمل الصالح له؛ إذ هو المراد ببعث الناس من قبورهم يوم القيامة[(٤)].

---

(١) التذكرة للقرطبي (٢ / ٥٦٢).

(٢) المجادلة:٦.

(٣) لوامع الأنوار(٢ / ١٧١).

(٤) انظر: الحياة الآخرة للعواجي (٩١٣/٢).

فمـــن الكتـــاب: قولــه تعــالى:﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[(١)].

وقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[(٣)].

ومن السنة: غير ما تقدم، حديث عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسراً، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه "[(٤)].

قال شيخ الإسلام: " وما أخبر به النبي ﷺ من أمر الجنة والنار والبعث والحساب...فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة "[(٥)].

---

(١) إبراهيم:٥١.

(٢) الأنبياء:٤٧.

(٣) الغاشية:٢٥-٢٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب: المساقاة والمزارعة، باب "فضل إنظار المعسر.."، برقم (٣٩٩٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٨٦).

- **أنواع الحساب:**

دلت النصوص على أن الحساب يوم القيامة ينقسم إلى قسمين:

الأول: الحساب اليسير، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1]، قال الشنقيطي: " وهو العرض فقط دون مناقشة "[2].

الثاني: الحساب العسير وهو «المناقشة»، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[3].

قال ابن جرير: " قوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب "[4].

كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم: " ولكن من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب ".

- **على من يقع الحساب؟**

حساب الله ﷻ للخلائق يوم القيامة يشمل جميع الناس، إلا من استثناهم الله ﷷ، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: ".. ثم قيل لي: انظر

(١) الانشقاق:٧-٨.
(٢) أضواء البيان (٩ / ١١٧).
(٣) الرعد:٢١.
(٤) تفسير الطبري (١٦ / ٤٢٠)

ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب..."[1].

وأما الذين يقع عليهم الحساب فهم متفاوتون في المحاسبة، وبيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: محاسبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: اختلف أهل العلم في محاسبة الأنبياء، هل يحاسبون أم لا[2]، والذي صرحت به الأدلة هو سؤال الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3]، ولكنَّ حسابهم ليس كبقية البشر، وإنما حسابهم يختلف عن هذا، وإليك أقوال بعض أهل العلم في معنى السؤال لهم في هذه الآية.

قال الطبري: " ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم: هل بلغتهم رسالاتي، وأدت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم؟ أم قصروا في ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم "[4].

وقال البغوي: " ولنسألن المرسلين عن الإبلاغ "[5].

ونقل ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه يقول في هذه الآية: " يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلَّغوا " وذكر هو مثله [6].

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٤ / ٢١).
(٣) الأعراف:٦.
(٤) تفسير الطبري (١٢ / ٣٠٦).
(٥) تفسير البغوي (٣ / ٢١٤)، وانظر: تفسير السمعاني (٢ / ١٦٥).
(٦) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٨٨).

وقال الشوكاني: " أي: نسألهم عما أجاب به أممهم عليهم، ومن أطاع منهم، ومن عصى"[١].

ومما تقدم من أقوال أهل العلم يظهر جلياً أن الأنبياء لا يُحاسبون ويُسألون على سبيل المناقشة، وإنما السؤال الموجه لهم لا يخرج عن أمرين:

الأول: أن يُسألوا عن إبلاغهم لرسالة ربهم، كما تقدم في قوله: ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

الثاني: أن يسألوا عما أجابتهم به أممهم، كما بيّن ذلك ﷻ في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾[٢].

قال السفاريني: " لا حساب على الأنبياء عليهم السلام على سبيل المناقشة والتقريع "[٣].

ثانياً: محاسبة المؤمنين عامة: المؤمنون يتفاوتون في المحاسبة يوم القيامة، فهم على صنفين:

الأول: منهم من يحاسَب حساباً يسيراً، حيث يخلوا به الرب ﷻ ويقرره بذنوبه، ويعرِّفه إياها، حتى يقرَّ بها، ثم يقول الله ﷻ له: إني سترتها عليك، وأنا أغفرها لك اليوم، فينجيه سبحانه، كما تقدم ذلك في حديث ابن عمر في مسألة العرض.

الثاني: من يحاسبون حساب من توزن حسناتهم وسيئاتهم، فمن رجحت حسناته، وغفر الله له نجى، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١].

---

(١) فتح القدير (٢ / ٢٦٦).

(٢) المائدة:١٠٩.

(٣) لوامع الأنوار (٢ / ١٧٥).

قال القرطبي: " الناس إذاً ثلاث فرق: فرقة لايحاسبون أصلا، وفرقة تُحاسب حساباً يسيراً، وهما من المؤمنين، وفرقة تحاسب حساباً شديدًا يكون منها مسلم وكافر "[٢].

وقال الشيخ حافظ الحكمي عن كلا الصنفين: " والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم، تقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم، والمناقشة "[٣].

ثالثاً: محاسبة الكفار: الكفار يحاسبون محاسبة تقريع وتوبيخ، ولا يُحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فالشرك محبط لجميع العمل، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٤].

وقد دل القرآن على أن الكفار لا يُقام لهم يوم القيامة وزناً، في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[٥].

قال شيخ الإسلام: " ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعدُّ أعمالهم وتحصى، فيُوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها "[٦].

---

(١) الزلزلة:٧-٨.

(٢) التذكرة للقرطبي (٢ / ٦٧٦).

(٣) معارج القبول (٣ / ٩٩٣).

(٤) الزُّمر:٦٥.

(٥) الكهف:١٠٥.

(٦) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٦).

وقال أيضاً عن مسألة حساب الكفار: " وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم، وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات، فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار، وإن أريد المعنى الثاني، فإن قُصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر، وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب؛ فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلَّت سيئاته، ومن كان له حسنات خُفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾[1] ...والنار دركات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابا من بعض - لكثرة سيئاته، وقلة حسناته - كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة "[2].

(١) النحل:٨٨.

(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٠٥).

المسألة الخامسة : الميزان وما يوزن فيه .

١ - قال أسد بن موسى: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: " لو أن السموات السبع، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله "[١].

٢ - قال أسد بن موسى: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، سمع عبيد بن عمير، قال: " يؤتى بالرجل الطويل العظيم يوم القيامة، فيوضع في الميزان، فما يزن عند الله ﷿ جناح بعوضة "، ثم قرأ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا﴾[٢]،[٣].

(١) تقدم.

(٢) الكهف:١٠٥.

(٣) رواه أسد بن موسى في الزهد ص (٥٣)، ورواه الشيخان بلفظ بنحوه، البخاري، كتاب: التفسير، باب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [الكهف:١٠٥]"، برقم (٤٧٢٩)، ومسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب "صفة القيامة والجنة"، برقم (٧٠٤٥).

❖ مسألة: الميزان.

- **تعريف الميزان:**

تعريفه لغة: قبل معرفة معنى الميزان لابد من معرفة معنى الوزن، قال ابن فارس: " الواو والزاء والنون: بناء يدل على تعديل واستقامة، ووزَنْتُ الشيء وزْناً. والزِّنَة قَدرُ وزن الشيء؛ والأصل وزْنَة "[١].

ويقال: وزَن الشيء إذا قَدَّره، والوَزْن ثَقْلُ شيء بشيء مثله، كأوزان الدراهم[٢].

وأما الميزان: فأصله مِوْزان، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وجمعه موازين، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه: موازين، كما في قوله: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴾[٣][٤].

والميزان: قيل: ما له كفتان، وقيل: هو العدل، وقيل: الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

قال الأزهري بعد ذكره للمعاني السابقة للميزان: " هذا كله في باب اللغة، والاحتجاج سائغ، إلا أن الأولى من هذا أن يُتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة، فينبغي أن يقبل ذلك "[٥].

تعريفه في الشرع: هو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد[٦].

---

(١) مقاييس اللغة (٦ / ١٠٧).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٣ / ١٧٦).

(٣) القارعة:٦.

(٤) انظر: الصحاح للجوهري (٧ / ٦٣)، اللسان (٦ / ٤٨٢٨)

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٣ / ١٧٥)، تهذيب اللغة (١٣ / ١٧٦).

(٦) انظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص (١٢٠).

- **أدلة ثبوت الميزان:**

الميزان ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك.

فمن الكتاب، قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[2].

والأدلة من القرآن كثيرة، وهي ظاهرة في إثباته.

ومن السنة، حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أن قال: " كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده "[3].

وحديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض "[4].

وحديث صاحب البطاقة المشهور، وفيه يقول الله تبارك وتعالى: "إن لك عندي حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فنخرج له بطاقة فيها أشهد الله أنه لا إله إلا هو، وأن محمدا عبده

---

(١) الأعراف:٨-٩.

(٢) الأنبياء:٤٧.

(٣) متفق عليه، البخاري. كتاب: الدعوات، باب "فضل التسبيح"، برقم (٦٤٠٦)، ومسلم، كتاب:الذكر والدعاء، باب "فضل التهليل والتسبيح والدعاء"، برقم (٦٨٤٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الطهارة، باب "فضل الوضوء"، برقم (٥٣٤).

ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة "(١).

قال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا على... أن الله تعالى ينصب الموازين؛ لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه أفلح، ومن خفت موازينه خاب وخسر، وأن كفة السيئات تهوي إلى جهنم،وأن كفة الحسنات تهوي عند زيادتها إلى الجنة "(٢).

- **صفة الميزان:**

لا ريب أن الميزان حقيقي حسي، يثبت كثير من أهل العلم، بل وبعضهم نقل الإجماع، على أن له كفتان، ولسان.

ويدل على أن له كفتان، ظاهر الأدلة الآنف ذكرها، فهي دالة على أن له كفتان إحداهما تثقل بالأخرى.

وروى البيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه قال: " الميزان له لسان وكفتين، يوزن فيه الحسنات، والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة، فتوضع في كفة الميزان، فتثقل على السيئات "(٣).

ونقل ابن بطال وابن حجر عن الزجاج أنه قال: " وأجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، وتمثل الأعمال بما يوزن،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٧٩-٢٨٣).

(٣) شعب الإيمان (١ / ٤٤٧).

وخالف ذلك المعتزلة وأنكروا الميزان، وقالوا: الميزان عبارة عن العدل، وهو خلاف لنص كتاب الله، وقول رسول الله ﷺ "[١].

وقال ابن أبي العز: " والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان"[٢].

وقال السفاريني: " فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي، ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا، والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه "[٣].

- **ما يوزن في الميزان:**

اختلف أهل العلم في الذي يوزن في الميزان، والذي دلت عليه النصوص أن الذي يوزن في الميزان يشمل ثلاثة أشياء، وهي:

الأول: وزن صحائف الأعمال: ومما يدل على أن صحائف الأعمال توزن في الميزان، حديث صاحب البطاقة المتقدم، ففيه التصريح بوزن سجلات الأعمال.

الثاني: وزن العمل نفسه: ومما يدل على أن العمل يوزن في الميزان، حديث أبي هريرة وحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنهما المتقدمان، ونص كل منهما على أن الذكر يملئ الميزان ، وهو من الأعمال.

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠ / ٥٥٩)، فتح الباري (١٣ / ٥٣٨).
(٢) شرح الطحاوية ص (٤١٧).
(٣) لوامع الأنوار (٢ / ١٨٥).

قال ابن أبي العز: " وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشعري...فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساما "[(١)].

الثالث: وزن العامل: ومما يدل على أن العامل يوزن في الميزان، حديث أبي هريرة ﷺ المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال: " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[(٢)] "[(٣)].

قال ابن أبي العز: " وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي: أن العامل يوزن مع عمله "[(٤)].

وبعد بيان الموزونات في الميزان بأدلتها، فقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا تنافي بين النصوص في ذلك.

قال ابن كثير: " وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالُّها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم "[(٥)].

وقال ابن أبي العز: " فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان "[(٦)].

---

(١) شرح الطحاوية ص (٤١٨-٤١٩).

(٢)الكهف:١٠٥.

(٣) البخاري، كتاب: التفسير، باب "قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا﴾ [الكهف:١٠٣]"، برقم (٤٧٢٩)، ومسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب "صفة القيامة والجنة والنار"، برقم (٧٠٤٥).

(٤) شرح الطحاوية ص (٤١٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٩٠).

(٦) شرح الطحاوية (٤١٩).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: " الجمع بين النصوص في وزن الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لامنافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه، لا بذوات العامل ولا بالصحيفة "[1].

---

(١) التعليق على التنبهات المنيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة لابن باز ص (٥٥).

المسألة السادسة: الحوض والكوثر.

١ - قال ابن المبارك: أخبرنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، أن أبا الخير حدثه، أن عقبة بن عامر حدثهم، أن رسول الله ﷺ، صلى على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، وقال: " إني بين أيديكم فرَط[(١)]، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه، وأنا في مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها "، قال عقبة: وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ[(٢)].

٢ - قال هناد: حدثنا أبو زبيد، عن مطرف، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، قال: قالت عائشة رضي الله عنهما: " الكوثر نهر أعطيه رسول الله، في بطنان الجنة، قال: قلت: وما بطنان الجنة؟ قال: وسط الجنة، شاطئاه در مجوف، أو درة مجوفة "[(٣)].

---

(١) (الفَرَط بالتحريك والفارط): المتقدِّم في طلب الماء، وهو الذى يتقدم الواردة فيهيئ لهم الأرسان والدلاء، ويمدر الحياض، ويستقى لهم. انظر: مقاييس اللغة (٤ / ٤٩٠)، الصحاح (٤ / ٢٨٥).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد.ط. الأعظمي ص (١٧٣)، والبخاري، كتاب: المغازي، باب "غزوة أحد"، برقم (٤٠٤٢).

(٣) رواه هناد في الزهد (١ / ١١١)، ورواه البخاري بنحوه، كتاب: التفسير، باب "سورة الكوثر"، برقم (٤٩٦٥).

❖ مسألة: الحوض.

• تعريف الحوض:

تعريفه في اللغة: الحوض: واحد الحياض والأحواض، وهو من الهَزْم في الأرض، واستحوض الماء: اجتمع، والحوض معروف، ويطلق في اللغة على: مجتمع الماء(١).

تعريفه في الشرع: هو حوض الماء النازل من نهر الكوثر، في عرصات يوم القيامة، للنبي ﷺ(٢).

• أدلة إثبات الحوض:

لم يأت في القرآن التصريح بذكر الحوض، إلا أن بعض أهل العلم جعل الحوض بمعنى الكوثر، ثم استدل لإثبات الحوض بسورة الكوثر، إما تغليباً لاسم الكوثر على اسم الحوض(٣)، أو لأنه يرى أن الحوض والكوثر شيء واحد كما سيأتي في كلام القرطبي.

أما من السنة، فقد جاءت الأحاديث الكثيرة الصحاح بإثبات الحوض، ونص بعض أهل العلم أن الأحاديث في الحوض قد بلغت حدَّ التواتر.

قال أبو عمر بن عبد البر: " الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة، صحيحة، ثابتة، كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ "(٤).

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢ / ١٢٠)، تهذيب اللغة (٥ / ١٠٣)، الصحاح (٤ / ٢١٠)، اللسان (٢ / ١٠٥١).

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص (١٢٣).

(٣) انظر: الحياة الآخرة للعواجي (١٤٠٩/٣).

(٤) التمهيد (٢ / ٢٩١).

ومن الأحاديث الواردة فيه: حديث عقبة بن عامر ﵁ المتقدم، وفيه إخبار النبي ﷺ أنه فرط أمته على الحوض.

وما أخرج الشيخان عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: " إن قدر حوضى كما بين أيلة(١) وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء "(٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: " أنا فرطكم على الحوض، وليُرفَعَنَّ رجال منكم ثم لَيُختَلَجُنَّ دوني، فأقول: يا رب أصحابى. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك "(٣).

والأحاديث في هذا كثيرة، قال القرطبي: " ومما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به: أن الله تعالى قد خصَّ نبيه محمدًا ﷺ بالكوثر، الذي هو الحوض المصرَّح باسمه، وصفته، وشرابه، وآنيته، في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة؛ التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، واليقين التواتري؛ إذ قد روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيفٌ على الثلاثين، في الصحيحين، منهم نيفٌ على العشرين، وباقيهم في غيرهما، مما صح نقله، واشتهرت روايته، ثم قد رواها عن الصحابة من التابعين أمثالُهم، ثم لم تزل تلك الأحاديث مع توالي الأعصار، وكثرة الرواة لها في جميع الأقطار، تتوفر همم الناقلين لها على روايتها وتخليدها في

(١) أيلة بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام. انظر: معجم البلدان (١/٢٩٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب "في الحوض"، برقم (٦٥٨٠)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب "إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته"، رقم (٥٩٩٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب "في الحوض"، برقم (٦٥٧٦)

الأمهات، وقد روينها، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وقامت به حجة الله علينا، فلزمنا الإيمان بذلك، والتصديق به، كما أجمع عليه السلف، وأهل السنه من الخلف "(١).

وقال ابن كثير: " ذكر ما ورد في الحوض المحمدي - سقانا الله منه -يوم القيامة - من الأحاديث المشهورة المتعددة، من الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأخلِق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: « من كذب بكرامة لم ينلها »، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها "(٢).

وإجماع السلف منعقد على أن للنبي ﷺ حوضاً ترده أمته يوم القيامة، لا يظمأ من شرب منه، ويُذاد عنه من بدّل وغيَّر بعده (٣)، كما تقدم في حديث ابن مسعود ﷺ.

قال القاضي عياض: " أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول، ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة "(٤).

- **صفة الحوض:**

جاءت الأحاديث عن رسولنا ﷺ بصفات كثيرة للحوض، والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض كما ذكر أهل العلم: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه مثل طوله، فطوله شهر

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٩٠).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١ / ٣١٣).

(٣) انظر: رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٨٨-٢٨٩)، الإقناع في مسائل الإجماع (١/٦٠).

(٤) شرح النووي على مسلم (٨ / ٥٤-٥٥).

وعرضه شهر، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في حال من المسك والرضراض من اللؤلؤ قضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، آنيته عدد نجوم السماء[١].

والحوض في عرصات القيامة قبل الصراط؛ لأنه يُختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدُّوا على أعقابهم، ومثلُ هؤلاء لا يجاوزون الصراط[٢].

ومداده من الكوثر، فيشخب[٣] فيه ميزابان من الكوثر، فعن ثوبان أن النبي ﷺ قال: " يغت[٤] فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق "[٥].

فاللهم اسقنا من حوض نبيك شربة لا نظمأ بعدها أبداً. آمين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١ / ٣٢٠) ، (٣ / ١٤٦)، شرح الطحاوية ص (٢٠١)، لوامع الأنوار (٢ / ١٩٧).

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص (٢٠٠).

(٣) (والشخب بالفتح): السيلان بصوت. انظر: إكمال المعلم (٧ / ١٣٥).

(٤) (الغت): أي يتابع الدفق في الحوض لا ينقطعان. انظر: تهذيب اللغة (٨ / ١٢).

(٥) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب "إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته"، رقم (٥٩٩٠).

المطلب الثاني :

الجنة والنار، وفيه ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : وجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان .

المسألة الثانية : وصف الجنة، ونعيمها .

المسألة الثالثة : وصف النار، وعذابها .

المسألة الأولى: وجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان.

١ – قال هناد: حدثنا عبدة، عن محمد بن عمرو، ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: " لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاءها، فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، ثم قال: ارجع إليها، فانظر ماذا أعددت لأهلها فيها، فرجع إليها، فإذا هي قد حُفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها، أحد، فقال: اذهب إلى النار فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها احد إلا دخلها"(١).

٢ – قال هناد: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس ﵁ قال: " سمع رسول الله ﷺ يوماً دوياً، فقال لجبريل: ما هذا؟ فقال: حجر ألقى من شفير جهنم منذ سبعين خريفاً، الآن حين استقر في قعرها "(٢).

٣– قال هناد:حدثنا عبدة، عن محمد بن عمرو، ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: " اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب قد أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، فشدة ما تجدون من الحر، من حرها، وشدة ما تجدون من البرد، من زمهريرها "(١).

---

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ١٧٠)، ورواه أحمد (١٤ / ١٢٥)، والترمذي، ك: صفة الجنة، باب "ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"، برقم (٢٥٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود، ك: السنة، باب "الخلق الجنة"، برقم (٤٧٤٤)، والنسائي، ك: الأيمان والنذور، باب "الحلف بعزة الله تعالى"، برقم (٣٧٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٦/١٦).

(٢) رواه هناد في الزهد (١ / ١٧٤)، وجاء عند مسلم بمعناه، كتاب: الجنة ونعيمها، باب "جهنم أعاذنا الله منها"، برقم (٧١٦٧).

❖ مسألة: أن الجنة والنار مخلوقتان، وموجودتان الآن.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ قد خلق الجنة والنار، وهما موجودتان، وأنه سبحانه قد أعدَّ الجنة التي عرضها السماوات والأرض لعباده المؤمنين المتقين، إذا دخلوها نُعِّموا فيها أبد الآبدين، وهي دار باقية لا تفنى، ولا ينقطع نعيمها، وأنه سبحانه أعدَّ النار لمن يستحقها، فأما من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فيخرج منها، وأما أهل الكفر والشرك، فهم خالدون فيها أبداً، وهي أيضاً دار باقية لا تفنى، ولا ينقطع عذابها.

وعلى هذا العقيدة جاءت الأدلة متظافرة، وأنعقد عليها إجماع السلف رحمهم الله تعالى[٢].

فمن الأدلة على ذلك من القرآن: إخباره سبحانه أنه قد أعدَّ الجنة للمتقين، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٣].

وعامة العلماء على أن الجنة مخلوقة موجودة الآن، لقوله: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ أي: أرصدت وهيئت[٤].

وإخباره سبحانه أنه قد أعدَّ النار للكافرين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[٥].

---

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ١٦٩)، متفق عليه، البخاري، كتاب:بدء الخلق، باب "صفة النار وأنها مخلوقة"، برقم (٣٢٦٠)، ومسلم، كتاب: المساجد، باب "استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر.."، برقم (١٤٠١).

(٢) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع (١/٦٥).

(٣) آل عمران:١٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٤ / ٢٠٥)، تفسير ابن كثير (١ / ٢٠٢).

(٥) آل عمران: ١٣١.

وفي هذه الآية أيضاً دليل على ما يقوله أهل الحق: من أن النار موجودة مخلوقة(١).

وأما من السنة: فقد أخبر النبي ﷺ أنه رأى الجنة والنار، وذلك في عندما انخسفت الشمس على عهده، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وفيه: " إني رأيت الجنة، فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع.. "(٢).

وما جاء أيضاً في الحديث المعراج كما روى أبو ذر ﷺ عن النبي ﷺ، وفيه أنه قال:" ثم انطلق بي جبريل، حتى أتى السدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدرى ما هي، ثم أُدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك "(٣).

وأما أقوال السلف في هذا كثيرة جداً منها، قول أبي عثمان الصابوني: " ويشهد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان، وإنهما باقيتان، لا يفنيان أبداً "(٤).

وقال ابن حزم: " والجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان بعد، مخلدتان هما ومن فيهما بلا نهاية...كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، ومن خرج عنه خرج عن الإسلام "(٥).

وقال ابن عبد البر: " قال أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تبيدان "(٦).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٢٣٦)، تفسير ابن كثير (١ / ٢٠٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الكسوف، باب "صلاة الكسوف جماعة"، برقم (١٠٥٢)، ومسلم، كتاب: الكسوف، باب "صلاة الكسوف"، برقم (٢٠٩١).

(٣) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب "ذكر إدريس عليه السلام.."، برقم (٣٣٤٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "الإسراء برسول الله ﷺ.."، برقم (٤١٥).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (٢٦٤).

(٥) الدرة فيما يجب اعتقاده ص (٢٠٦).

(٦) التمهيد (٥ / ١٠).

وقال أيضاً: " والذي عليه الجماعة أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان بعد، إحداهما رحمة الله لمن شاء من خلقه، والأخرى عذابه ونقمته لمن شاء أن يعذبه من خلقه "[(١)].

وقد بوّب البخاري في صحيحة باباً بعنوان: « ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة »، قال ابن حجر: " أي موجودة الآن، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة "[(٢)].

وبوّب أيضاً باباً بعنوان: « صفة النار وأنها مخلوقة »، قال ابن حجر: " القول فيه كالقول في باب صفة الجنة سواء "[(٣)].

---

(١) المصدر السابق (١٩ / ١١٢).

(٢) فتح الباري (٦ / ٣٢٠).

(٣) المصدر السابق (٦ / ٣٣١).

المسألة الثانية : وصف الجنة ، ونعيمها .

بناء الجنة

قال هناد: حدثنا عثمان بن زفر[١]، ثنا زهير بن معاوية[٢]، عن رجل[٣] سماه قال هناد ابن كناني في كتاب سعد الطائي: ولا أدري الخطأ مني، أو منه، وإنما هو سعد عن أبي المِدَلَّة[٤] عن أبي هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أخبرنا عن الجنة، ما بناؤها، قال: " لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، من يدخلها ينعم ولا يبؤس، ويخلد ولا يموت، ولا يفنى شبابه، ولا تبلى ثيابه "[٥].

أبواب الجنة

قال ابن المبارك: حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " من أنفق زوجين في سبيل الله ﷻ، نودي إلى الجنة يا عبد الله هذا خير، إن كان من أهل الصلاة، نودي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، وإن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، وإن كان من أهل

---

(١) عثمان بن زفر بن مزاحم التيمي، أبو زفر، أو أبو عمر الكوفي، صدوق، مات سنة ٢١٨هـ. التقريب (٤٥٠٠).

(٢) زهير بن معاوية بن حديج، أبو خيثمة الجعفي الكوفي، نزيل الجزيرة، ثقة ثبت إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بأخرة، مات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وسبعين بعد المائة. التقريب (٢٠٦٢).

(٣) مبهم.

(٤) أبو مدلة بضم الميم وكسر المهملة وتشديد اللام، مولى عائشة، يقال: اسمه عبيد الله، مقبول، من الثالثة. التقريب (٨٤١٥).

(٥) رواه هناد في الزهد (١ / ١٠٦)، ورواه أحمد (١٥ / ٤٦٤)، الدارمي في سننه (٢ / ٤٢٩)، وابن حبان في صحيحه (١٦ / ٣٩٦)، والطبراني في الأوسط (٧ / ١٤٥)، وقال الألباني: صحيح لشواهده. تخريج مشكاة المصابيح (٣ / ٢٢٣).

الصيام، دعي من باب الريان "، فقال أبو بكر ﷺ: بأبي وأمي يا رسول الله، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة؟ قال: " نعم، وإني لأرجو أن تكون منهم "(١).

مصاريع الجنة

قال هناد: حدثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، وعن حميد بن هلال أبي قتادة العدوي، قال: خطبنا عتبة بن غزوان، فقال: إن الدنيا قد آذنت بصرم، وولت حذاء، وإنما بقي منها صبابة، مثل صبابة الإناء، يصطبها صاحبها، ألا وإنكم مرتحلون منها إلى دار إقامة، فارتحلوا بخير ما بحضرتكم، ألا فلا تغرنكم الدنيا، ألا وإن من العجب لو أن الحجر أُلقي في شفير جهنم هوى فيها سبعين عاماً لا يبلغ قعرها، وأيم الله لتملأن، ألا وإن من العجب، ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، ولقد رأيتني أنا وسعد استبقنا بردة، فسبقني إليها، فشقها بيني وبينه نصفين، ثم ما منا هؤلاء السبعة أحد حي، إلا على مصر من الأمصار، ألا وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً، وفي أعين الناس حقيراً، وستجربون الأمراء بعدي، قال الحسن: فجربناهم فوجدناهم بعده أنياباً "(٢).

تربة الجنة

قال أبو حاتم: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا الحسن بن محبوب بن الحسن بن هلال بن أبي زينب، قال: حدثنا عبد العزيز بن المختار، قال: حدثنا أبو مسلمة، عن أبي نضرة، عن أبي

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد.ط. الأعظمي ص (٣٧٢)، متفق عليه، البخاري، كتاب: الصوم، باب "الريان للصائمين"، برقم (١٨٩٧)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب "فضل من ضم إلى الصدقة.."، برقم (٢٣٧١).

(٢) رواه هناد في الزهد (٢ / ٣٩٦)، ومسلم، كتاب: الزهد، باب "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"، برقم (٧٤٣٥)، بدون قول الحسن الأخير.

سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال لابن صائد: " ما تربة الجنة يا ابن صائد؟" قال: درمكة[١]، بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: " صدق "[٢].

شجرة الجنة

قال هناد: حدثنا عبدة، عن محمد بن عمرو، ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[٣] .."[٤].

سوق الجنة

قال هناد: حدثنا أبو معاوية[٥]، عن عبد الرحمن بن إسحاق[٦]، عن النعمان بن سعد[٧]، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن في الجنة لسوقاً، ما لا فيها بيع ولا شراء، إلا الصور من الرجال النساء، فإذا اشتهى الرجل صورة، دخل فيها، وإن فيها لمجتمع الحور

---

(١) (الدَّرمَك): الذي يُدَرْمَك حتى يكون دُقاقاً من كل شيء، والدَّرمَكُ هو الدقيق الحُوَّارَى النقي. اللسان (١٣٦٧/٢).

(٢) رواه أبو حاتم في الزهد ص (٦٤)، ورواه مسلم، كتاب: الفتن، باب "ذكر ابن صياد"، برقم (٧٣٥١).

(٣) الواقعة: ٣٠.

(٤) رواه هناد في الزهد (١ / ٩٧)، ورواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]"، برقم (٤٨٨١)، ومسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام.."، برقم (٧١٣٨).

(٥) تقدم.

(٦) عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي، أبو شيبة، ويقال: كوفي، ضعيف، من السابعة. التقريب (٣٨٢٣).

(٧) النعمان بن سعد بن حبتة بفتح المهملة وسكون الموحدة، ثم مثناه، ويقال: آخره راء، أنصاري، كوفي، مقبول، من الثالثة. التقريب (٧٢٠٦).

العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن الراضيات فلا نسخط، فطوبى لمن كان لنا، وكنا له "(١).

درجات الجنة

قال الحسين: أخبرنا الهيثم، حدثنا فليح بن سليمان، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، أو ابن أبي عمرة، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو قال: جاهد في سبيله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله ﷻ للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، منه تفجر أنهار الجنة "(٢).

حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات

قال هناد: حدثنا عبدة، عن محمد بن عمرو، ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاءها، فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، ثم قال: ارجع إليها،

---

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ٥٢) وفيه الواسطي وهو ضعيف، ويغني عنه ما أخرجه مسلم، عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ". كتاب: الجنة ونعيمها، باب "سوق الجنة.."، برقم (٧١٤٦).

(٢) الزهد لابن المبارك في.ط. الأعظمي ص (٤٢٠)، ورواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب "درجات المجاهدين في سبيل الله"، برقم (٢٧٩٠).

فانظر ماذا أعددت لأهلها فيها، فرجع إليها، فإذا هي قد حُفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها، أحد، فقال: اذهب إلى النار فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها احد إلا دخلها "[(١)].

دوام الجنة والنار وعدم فنائهما

قال هناد: حدثنا محمد، ويعلى ابنا عبيد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا دخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، يُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيُنادي مناد، يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، وينظرون، وكلهم قد رآه، فيقولون: نعم، هذا الموت، ثم يؤخذ فيُذبح، قال: ثم ينادي يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾[(٢)]، قال: أهل الدنيا في غفلة "[(٣)].

---

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ١٧٠)، ورواه أحمد (١٤ / ١٢٥)، والترمذي، ك: صفة الجنة، باب "ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"، برقم (٢٥٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود، ك: السنة، باب "الخلق الجنة"، برقم (٤٧٤٤)، والنسائي، ك: الأيمان والنذور، باب "الحلف بعزة الله تعالى"، برقم (٣٧٩٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦/٤٠٦).

(٢) مريم:٣٩.

(٣) رواه هناد في الزهد (١ / ١٥٧)، متفق عليه، البخاري، كتاب: التفسير، باب "قوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم:٣٩]"، برقم (٤٧٣٠)، ومسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب " النار يدخلها الجبارون.."، برقم (٧١٨١).

المسألة الثالثة : وصف النار ، وعذابها .

شكوى النار

قال هناد: حدثنا عبدة، عن محمد بن عمرو، ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب قد أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، فشدة ما تجدون من الحر، من حرها، وشدة ما تجدون من البرد، من زمهريرها "[١].

مجيء النار يوم القيامة

قال عبد الله: حدثنا عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا مروان الفزاري، عن العلاء بن خالد عن شقيق، عن عبد الله، في قوله ﷻ ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[٢]، قال: " جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها "[٣].

شدّة نار جهنم

١ – قال هناد: حدثنا عبدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي داود، عن أنس بن مالك ﷺ قال: " إن ناركم هذه لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنم.. "[٤].

٢ – قال هناد: حدثنا يعلي، عن يحيى بن عبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ليعلمن عمي أبي نفعته يوم القيامة، إنه لفي ضحضاح من نار ينتعل بنعلين من نار، يغلي منه دماغه "[١].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الفجر:٢٣.

(٣) رواه أحمد في الزهد (١ / ١٥٧)، ومسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب "جهنم أعاذنا الله منها"، برقم (٧١٤٦).

(٤) رواه هناد في الزهد (١ / ١٦٧)، وروى هذه الجملة الشيخان، البخاري: كتاب: بدء الخلق، باب "صفة النار وأنها مخلوقة"، برقم (٣٢٦٥)، ومسلم، كتاب: كتاب: الجنة ونعيمها، باب "جهنم أعاذنا الله منها"، برقم(٧١٦٥).

زفير جهنم

أخبرنا صفوان بن عمرو قال حدثني شريح بن عبيد الحضري قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ لكعب: خوفنا يا كعب ، فقال : والله إن لله لملائكة قياماً منذ خلقهم الله، ما ثنوا أصلابهم, وآخرين ركوعاً، ما رفعوا أصلابهم، وآخرين سجوداً، ما رفعوا رؤوسهم حتى يُنفخ في الصور النفخة الآخرة، فيقولون جميعاً: سبحانك وبحمدك، ما عبدناك ككنه ما ينبغي لك أن تعبد، ثم قال: والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبياً، لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ، والله لو دُلِّي من غسلين[٢] دلو واحد في مطلع الشمس لفلت منه جماجم قوم في مغربها، والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خرَّ جاذياً أو جاثياً على ركبتيه يقول: نفسي نفسي، وحتى نبينا و إبراهيم و إسحاق، يقول: رب أنا خليلك إبراهيم، قال: فأبكى القوم حتى نشجوا، فلما رأى ذلك عمر قال: يا كعب ، بشرنا فقال: أبشروا، فإن لله تعالى ثلاثمائة وأربع عشرة شريعة، لا يأتي أحد بواحدة منهن مع كلمة الإخلاص إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته، والله لو تعلمون كل رحمة الله تعالى لأبطأتم في العمل، والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا في ليلة ظلماء مغدرة لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضئ القمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض، والله لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نُشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم "[٣] .

---

(١) رواه هناد في الزهد (١ / ١٩٢)، وهو متفق عليه كما تقدم تخريجه.

(٢) (الغسلين): قال الليث: غسلين شديد الحر، وقال مجاهد: طعام من طعام أهل النار، وقال الكلبي: هو ما أنضجت النار من لحومهم وسقط أكلوه، وقال الضحاك: الغسلين والضريع شجر في النار. وكل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين فعلين من الغسل من الجرح والدبر. انظر: فتح الباري (١ / ١٦٢)، اللسان (٥ / ٣٢٥٧)، الكليات (١٠٥٣/١)، تاج العروس (٣٠ / ١٠٠).

(٣) تقدم تخريجه.

❖ مسألة: صفة الجنة، والنار.

لِمَا بين كثير من المسائل المتعلقة بالجنة والنار من تشابه، رأيت أن يكون الكلام عن هاتين المسألتين في موضع واحد.

وقد جعلت لكل حديث، أو أكثر، من الأحاديث التي أوردتها في هاتين المسألتين عنواناً؛ لتظهر دلالتها على هاتين المسألتين.

الكلام عن وصف الجنة والنار وما فيهما، لا تستوعبه مسألة في مبحث، وإنما يحتاج ذلك إلى كتاب مستقل، وقد صنف بعض أهل العلم كتباً مستقلة في هذا[١]، ولكن حسبي أن أقف على بعض المسائل بشكل مجمل، مما جاء في النصوص التي هي محل الدراسة على وصفهما.

فأقول إن من آكد أمور الإيمان ومسائل الاعتقاد كما تقدم، الإيمان بالجنة والنار، واعتقاد أنهما دارا الجزاء، ومثوى عباد الله تعالى، عقوبة وثواباً، خالدين فيهما أبداً، كلٌ بما كسبت يداه، وأن والجنة هي قمة الفرح والسرور والنعيم الذي لا يدانيه ولا يماثله نعيم، والنار هي قمة الذل والبؤس والشقاء والعذاب الذي لا يدانيه عذاب.

وقد جمع لنا ذلك رسولنا ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، في حديث يسير، صوّر لنا فيه ما تقدم أبلغ وأتم صورة، فعن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب.

(١) كابن أبي الدنيا الذي صنف (صفة الجنة وما أعد لها من النعيم)، و (صفة الجنة) لأبي نعيم الأصبهاني، و(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) لابن القيم، وغيرها كثير.

ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط "(١).

ومما جاء في وصفهما: أنهما تتكلمان وتتحاجان عند الله ﷻ، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب، بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ، ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله ﷻ من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقاً "(٢).

وأن الله تعالى خلق لكل واحدة منهما أهلاً، فخلق للجنة أهلاً، وللنار أهلاً، كما صح ذلك في حديث عائشة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لها: " أولا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا "(٣).

وأن الجنة حفّها الله ﷻ بالمكاره، والنار حفها بالشهوات، كما تقدم في حديث أبي هريرة ﷺ، قال ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث: " وهو من جوامع كلمه صلى ﷺ، وبديع

(١) رواه مسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب "صبغ أنعم أهل الدنيا في النار.."، برقم (٧٠٨٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب: التفسير، باب "قوله:﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]"، برقم (٤٨٥٠)، ومسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب "النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء"، برقم (٧١٧٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "معنى كل مولود يولد على الفطرة.."، برقم (٦٧٦٧).

بلاغته، في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها "[١].

وأن الجنة من أعظم مخلوقات الله ﷻ، كيف وقد قال سبحانه عن سعتها: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

قال ابن كثير عند هذه الآية: " أي: كما أعدت النار للكافرين، وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ تنبيها على اتساع طولها، كما قال في صفة فرش الجنة: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[٣]، أي: فما ظنك بالظهائر؟ وقيل: بل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، والشيء المقبب والمستدير عرضه كطوله "[٤].

وقال البغوي: " وإنما ذكر العرض على المبالغة؛ لأن طول كل شيء في الأغلب أكثر من عرضه، يقول: هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري: إنما وصف عرضها، فأما طولها فلا يعلمه إلا الله "[٥].

وأما النار أعاذنا الله منها، فقد أعظم الله أيضاً خلقها ولهيبها، كيف وقد جعل سبحانه وقودها الناس والحجارة، حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[١].

---

(١) فتح الباري (١١ / ٣٢٠).

(٢) آل عمران:١٣٣.

(٣) الرحمن:٥٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ١١٧).

(٥) تفسير البغوي (٢ / ١٠٤).

وأن أشد ما يجده الخلق من الحر فهو من حرها، وأشد ما يجدونه من البرد هو من زمهريها؛ كما أذن الله لها بهذين النفسين لما شكت إليه شدة تآكلها من عظم لهيبها، ونارنا هذه التي نوقدها في الدنيا، التي هي كافية لحرق ما يقع فيها، ليست إلا جزءاً، من سبعين جزءاً من نار جهنم، ومما يبين عظيم خلقها أنها تجيء يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

ثم مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة في وصف الجنة والنار: أنهما خالدتان باقيتان لا تفنيان، وقد تقدم كلام أهل العلم في نقل الإجماع على هذا في مسألة «أن الجنة والنار مخلوقتان، وموجودتان الآن».

وأخيراً فكما ذكرت في أول المسألة أن الكلام عن الجنة والنار لا يكفيه هذا المجال، ولكن أختم بكلام جميل لابن القيم في وصف الجنة، وهو كلام طويل قاله في كتابه الماتع النافع (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)؛ لعل النفوس أن تشتاق إليها فتعمل بطاعة ربها، وتجتنب معاصيه لِتنال الفوز بها، وإليك طرفاً منه قال رحمه الله تعالى: " كيف يُقدَّر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه، وملاها من رحمته وكراماته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص... "(٢).

(١) التحريم:٦.

(٢) حادي الأرواح (٢ / ٥٩٧ وما بعدها).

وأعظم من هذا كله: أن أهلها يُرزقون لذة النظر إلى وجه الله الكريم ﷻ، قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1]، والزيادة عليها هي: النظر إلى الله ﷻ[2].

جلعنا الله من خير أهلها وسكَّانها، اللهم آمين...

(١) يونس:٢٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥ / ٦٢).

الفصـل الرابـع :

الإيمان بالقضاء والقدر :

وفيه تمهيد، خمسة مباحث :

المبحث الأول : **حقيقة القدر** .

المبحث الثاني : **مراتب القدر** .

المبحث الثالث : **الخصومة في القدر والتنازع فيه، وذم القدرية** .

المبحث الرابع : **الهداية والضلال** .

المبحث الخامس : **الرضا بالقضاء والقدر، والصبر عليه** .

تمهيد:

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان بالله ﷻ، كما ورد في حديث جبريل ؑ، وهو نظام التوحيد، فمن وحد ولم يؤمن بالقدر، كان ذلك ناقضاً توحيده[(١)]، ومن كذّب بالقدر فهو مكذب لقدرة الله ﷻ؛ لأن القدر هو قدرة الله كما قال الإمام أحمد[(٢)].

وقد دل القرآن في آيات كثيرة على الإيمان بهذا الركن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[(٣)]،

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[(٤)].

قال ابن كثير: " أي: وكان أمره الذي يقدره كائناً لا محالة، وواقعاً لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن "[(٥)].

وفي حديث جبريل ؑ: "وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(٦)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : " كل شيء بقدر، حتى العجز والكيْس[(٧)]، أو الكيس والعجز "[(٨)].

---

(١) نقل الذهبي في السير هذه المقولة عن ابن شهاب (٥ / ٣٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٠٨).

(٣) الحِجر:٢١.

(٤) الأحزاب:٣٨.

(٥) تفسير ابن كثير (٦ /٤٢٧).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) (الكيس): خلاف الحمق. انظر: الصحاح للجوهري (٤ / ١١٠).

(٨) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "كل شيء بقدر"، برقم (٦٧٥١).

وأهل السنة مجمعون على الإيمان بهذا الأصل العظيم، وأن كل شيء بقدر الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1] .

قال طاووس[2] – رحمه الله –: " أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء شيء بقدر "[3].

وقال الإمام البخاري: " لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر..أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة.. فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء..وأن الخير والشر بقدر "[4].

وقال ابن قتيبة: " أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، وعلى أنه خالق الخير والشر "[5].

وقد نقل كثير من أهل العلم غير من تقدم إجماع السلف على الإيمان بالقدر خيره وشره.

قال ابن تيمية: " وتؤمن الفرقة الناجية – أهل السنة والجماعة – بالقدر خيره وشره "[6].

وقال ابن حجر: "ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى "[7].

---

(١) القمر:٤٩.

(٢) الحافظ أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الفارسي، ثم اليمني، الفقيه القدوة عالم اليمن، لازم ابن عباس مدة، وهو معدود في كبراء أصحابه، قال الذهبي: «وحديثه في دواوين الإسلام وهو حجة باتفاق»، توفي بمكة سنة ١٠٦هـ. انظر: السير (٥ / ٣٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "كل شيء بقدر"، برقم (٦٧٥١).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١ / ٣١٧).

(٥) تأويل مختلف الحديث ص (١٦).

(٦) مجموع الفتاوى (٣ /١٤٨).

(٧) انظر: فتح الباري (١١ / ٤٧٨).

والقدر لم ينكره إلا شواذ الخلق، وإلا فإن العرب في الجاهلية والإسلام كانت تقر بالقدر خيره وشره، وهذا مشهور ومنتشر في كلامهم[1].

فهو أمر فطري؛ إذ هو قدرة الله كما تقدم، وأهل الفطر السليمة لا ينكرون قدرته ﷻ.

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي فقد نقل رحمه الله عن بعض أئمة اللغة ذلك (٢ / ٥٩٣-٥٩٤).

المبحث الأول : حقيقة القدر .

١- قال جعفر الخلدي: حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي[١]، ثنا أبو نعيم[٢]، عن أبي حازم[٣]، عن عمرو بن شعيب[٤]، عن أبيه[٥]، عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره "[٦].

٢- قال ابن المبارك: أخبرنا ابن لهيعة[٧] أخبرني الحارث بن يزيد[٨] عن علي بن رباح[٩] قال قال عمرو بن العاص ﷺ: " انتهى عجبي إلى ثلاث: المرء يفر من القدر وهو لاقيه، وهو يبصر في عين أخيه القذى فيعيبه، ويكون في عينه الجذع فلا يعيبه، ويكون في دابته الصَّعَرُ[١٠] فيقومها بجهده، ويكون فيه الصَّعَرُ فلا يقوم نفسه "[١١].

---

(١) واسم أبي أسامة: داهر، قال الذهبي: الحافظ، الصدوق، العالم، مات سنة ٢٨٢هـ. السير (١٣ / ٣٨٨).

(٢) الفضل بن دكين الكوفي، واسم دكين: عمرو بن حماد التيمي، مولاهم، الأحول أبو نعيم الملائي بضم الميم، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، مات سنة ٢١٨هـ، وقيل ٢١٩هـ، وهو من كبار شيوخ البخاري. التقريب (٥٤٣٦).

(٣) سلمة بن دينار، أبو حازم، الأعرج الأفزر التمار، المدني القاص، مولى الأسود بن سفيان، ثقة عابد، مات في خلافة المنصور. التقريب (٢٥٠٢).

(٤) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، مات سنة ١١٨هـ. التقريب (٥٠٨٥).

(٥) شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، ثبت سماعه من جده، من الثالثة. التقريب (٢٨٢٢).

(٦) جعفر الخلدي في الزهد ص (١٣) وإسناده حسن، ورواه أحمد في المسند (١١ / ٣٠٥)، والترمذي، كتاب: القدر، باب "ما جاء أن الإيمان بالقدر خيره وشره"، برقم (٢١٤٤)، ويشهد له حديث جبريل في أصول الأيمان الذي تقدم ذكره مراراً.

(٧) تقدم.

(٨) ثقة تقدم.

(٩) ثقة تقدم.

(١٠) (الصعر): ميل في الوجه، وقيل: الصعر الميل في الخد خاصة. انظر: لسان العرب (٤ / ٢٤٤٧).

(١١) رواه ابن المبارك في الزهد.ط. الأعظمي ص (٤٠٠) بإسناد حسن، ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧٤٧/٢).

❖ **مسألة: حقيقة القضاء والقدر، والفرق بينهما.**

- **تعريف القدر:**

تعريفه في اللغة: القدر: هو التقدير، وهو مصدر قَدَرَ يَقْدُرُ قَدَراً، وقد تُسَكَّن دالُه[(١)].

قال ابن فارس: " القاف والدال والراء: أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغ كل شيء، يقال: قدْره كذا، أي مبلغُه، وكذلك القدَر، وقدرت الشيء أقدُره وأقدِره من التقدير، وقدَّرته أقدِّره "[(٢)].

وقال الخليل بن أحمد: " القدر: القضاء الموفق، يقال : قدَّره الله تقديراً.

وإذا وافق الشيءُ شيئاً قيل: جاء على قدَرِهِ "[(٣)].

تعريفه في الشرع: هو ما قدَّره الله في الأزل أن يكون، بناءً على علمه السابق بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل خلقها[(٤)].

قال السفاريني: " القدر عند السلف: ما سبق به العلم، وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدَّرها "[(٥)].

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (٤ / ٢٢).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٦٢).

(٣)كتاب العين (٥ / ١١٢).

(٤) انظر: المختصر في عقيدة أهل السنة في القدر ص (١٠)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣ / ٢٥٥).

(٥) لوامع الأنوار (١ / ٣٤٨).

- **تعريف القضاء:**

تعريفه في اللغة: قضى في اللغة تأتي على أوجه كلها ترجع إلى معنى: انقطاع الشيء وتمامه(١).

قال ابن فارس: " القاف والضاد والحرف المعتل: أصلٌ صحيح يدلُّ على إحكام أمرٍ وإتقانهِ وإنفاذه لجهته...ولذلك سمِّي القاضي قاضياً، لأنَّه يحكم الأحكامَ ويُنْفِذُها. وسمِّيت المنيَّةُ قضاءً لأنَّه أمر يُنْفَذُ في ابن آدم وغيره من الخَلْق "(٢).

فكل ما أُحكم عَملُه، أو أُتمّ، أو خُتم، أو أُدِّي، أو أُوجِب، أو أُعْلِم، أو أُنفِذَ، أو أُمْضي، فقد قُضي(٣).

تعريفه في الشرع: هو ما قضى به الله تعالى في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير(٤).

- **العلاقة بين القضاء والقدر:**

القضاء والقدر بينهما تلازم وارتباط، ولا ينفك أحدهما عن الآخر، وقد يأتي أحدهما بمعنى الآخر في بعض نصوص الشريعة.

قال الخطابي: " وجماع القول في هذا الباب: أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه"(٥).

وقال الشيخ ابن عثيمين: " القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن افترقا، على حدِّ قول العلماء: هما كلمتان إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا.

فإذا قيل: هذا قدر الله، فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعاً، فلكل واحد منهما معنى"(٦).

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩ / ١٦٩)، العين للخليل (٥ / ١٨٥).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٩٩).

(٣) نقل هذا ابن الأثير في النهاية عن الزهري (٤ / ٧٨).

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/١٨٨).

(٥) معالم السنن (٤ / ٣٢٣).

(٦) شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/١٨٧-١٨٨).

ثم إن أهل العلم اختلفوا في القضاء والقدر، أيهما أسبق:

- فبعض أهل العلم كابن حزم ذهب إلى أن القضاء سابق على القدر.

يقول ابن حزم: " معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله ﷺ، وبها نتخاطب، ونتفاهم مرادنا أنه: الحكم فقط؛ ولذلك يقولون القاضي بمعنى الحاكم، وقضى الله ﷻ بكذا، أي حكم به، ويكون أيضاً بمعنى أمر..ويكون أيضاً بمعنى أخبر.. ويكون أيضا بمعنى أراد وهو، قريب من معنى حكم..

ومعنى القدر في اللغة العربية: الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء، تقول قدَّرت البناء تقديراً، إذا رتبته وحددته، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[1] بمعنى: رتَّب أقواتها، وحددها..فمعنى قضى وقدّر: حَكَمَ ورتَّب، ومعنى القضاء والقدر: حُكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه، وبكونه وترتيبه على صفة كذا، وإلى وقت كذا فقط "[2].

- وذهب آخرون إلى أن القدر يكون سابقاً للقضاء، وهذا القول هو الذي عليه أكثر أهل العلم، ويؤيده ما تقدم من كلام أهل اللغة في معنى كلٍ من القضاء والقدر.

وقد جاء في مفردات غريب القرآن: " القضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدَر هو: التقدير، والقضاء هو: الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل.

وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر رضى الله عنهما لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أتفرُّ من القضاء؟

قال أفرُّ من قضاء الله إلى قدر الله، تنبيهاً أن القَدَرَ ما لم يكن قضاءً فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قَضَى فلا مدفع له "[3].

وقال صاحب اللسان: " والمراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق "[4].

إذاً خلاصة القول في هذا هو كما قال بعض أهل العلم: إن القدر بمنزلة تقدير الخياط

---

(١) فُصِّلَت: ١٠.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ / ٧٧)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٧٧).

(٣) المفردات للأصفهاني ص (٤٠٦-٤٠٧).

(٤) لسان العرب (٥ / ٣٦٦٥).

للثوب، فهو قبل أن يفصَّله، يقدِّره فيزيد ويُنقص، فإذا فصَّله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير، وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء[١].

ومما يشهد لهذا القول عدة آيات، منها: قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[٣] ، أي: فُصل، تنبيهاً إلى أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه[٤].

- وقد يُشكل على القول بأن القدر سابق للقضاء، قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٥] ، فظاهر الآية على أن التقدير بعد الخلق.

والجواب عن هذا الإشكال بأحد وجهين[٦]:

١- أن يقال: أن هذا من باب الترتيب الذكري لا المعنوي؛ وذلك لتناسب رؤوس الآيات، وفي القرآن أمثلة على هذا، كما قُدِّم هارون على موسى في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[٧] ، فتقديم هارون على موسى لا يدل على أنه متقدم عليه في الرتبة، فكذلك هنا.

٢- أو أن يقال: إن التقدير هنا بمعنى التسوية، أي: أنه خلقه على قدر معين، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[٨] ، وهذا أقرب من الأول، وبه يزول الإشكال.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من المألفين ص (٢٤٣).

(٢) مريم:٢١.

(٣) البقرة:٢١٠.

(٤) انظر: المفردات للأصفهاني ص (٤٠٧).

(٥) الفرقان:٢.

(٦) أورد هذا الإشكال وأجاب عنه العلامة ابن عثيمين في شرح الواسطية (٢/١٨٨-١٨٩).

(٧)طه:٧٠.

(٨) الأعلى:٢.

المبحث الثاني : مراتب القدر .

١- قال الخطيب:أخبرنا علي بن حمزة الصابوني بالبصرة،حدثنا أحمد بن عبد الله النهرديري[١]، قال: سمعت أبا صالح الوراق[٢] صاحب سهل بن عبد الله[٣] يقول:سمعت سهل سهل بن عبد الله يقول:سئل سهل عن القدر، فقال: عَلِم، وكَتَبَ، وشاء،وأراد، وقضى،وقدر، وأمر، ونهى، وتولى، وتبرأ، فقيل له: أفعال العباد داخلة في هذا أو خارجة عنه؟ قال:بل داخلة فيه[٤].

٢ – قال هناد: حدثنا عيسى بن يونس[٥]، عن عمر[٦]، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: " كنت ردف النبي ﷺ، فقال: يا غلام، ألا أعلمك كلمات لعل الله أن ينفعك بهن؟ قال: قلت بلى، فداك أبي وأمي، قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جف القلم بما هو كائن، فلو اجتمع الناس على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، أو يضروك بشيء لم يكتبه عليك، لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن العسر يسراً "[٧].

---

(١) المحدث أحمد بن (عبيد الله) - هكذا وجدته- بن القاسم النهرديري بفتح النون وسكون الهاء وبعدها راء ودال مهملة مفتوحة وياء ساكنة تحتها نقطتان وبعدها راء، هذه النسبة إلى نهر الدير عند البصرة. انظر: الأنساب للسمعاني (٥ / ٥٤٤)، اللباب في تهذيب الأنساب للجزري (٣ / ٣٣٧).

(٢) لم أجد له ترجمه، ولكن يونس بن يزيد الجرجاني، يكنى بأبي صالح الوراق، ولا أعلم هل هو المقصود. تاريخ جرجان ص (٤٨٧).

(٣) التستري تقدم.

(٤) رواه الخطيب في الزهد ص (١١٣).

(٥) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي بفتح المهملة وكسر الموحدة، أخو إسرائيل، كوفي نزل الشام مرابطاً، ثقة مأمون، مات سنة ١٨٧هـ، وقيل سنة ١٩١هـ. التقريب (٥٣٧٦).

(٦) عمر بن عبد الله المدني، مولى غفرة بضم المعجمة وسكون الفاء، ضعيف، وكان كثير الإرسال، مات سنة ١٤٥هـ، أو ١٤٦هـ. التقريب (٤٩٦٨).

(٧) رواه هناد في الزهد (١ / ٣٠٤) وفيه المدني وهو ضعيف، وقد روي من طرق أخرى صححها بعض أهل العلم، فرواه

❖ مسألة : مراتب القدر.

الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأمور أربعة لا يتم إيمان العبد بالقدر إلا بها، وهي مراتب القدر، وقد نصَّ على ذكر هذه المراتب أهل العلم، وجاءت مبثوثة في كلام السلف الصالح، وسيأتي ذكر كلام السلف فيها والأدلة عليها.

قال شيخ الإسلام: " وقد قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون "[1].

وقال أيضاً: "وتؤمن الفرقة الناجية – أهل السنة والجماعة – بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين.."[2]. فذكر مراتب القدر الأربع بشيء من التفصيل.

وقال ابن القيم: " الباب العاشر: في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب: المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها، المرتبة الثالثة: مشيئته لها، الرابعة: خلقه لها "[3].

- **المرتبة الأولى: العلم.**

وهي الإيمان بعلم الله ﷻ المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعَلِم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دِق ذلك وجليله، وكثيره وقليله، وظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته، ومقتضى اسمه العليم الخبير،

فرواه أحمد في المسند (٥ / ١٩)، والترمذي، كتاب: صفة القيامة، باب "حديث حنظلة.."، برقم (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير ص (١٣١٧).

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٤٤٩).

(٢) المصدر السابق (٣ / ١٤٨).

(٣) شفاء العليل (١ / ٣٢٥).

عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب[١].

قال الطحاوي[٢] رحمه الله: " خلق الخلق بعلمه، وقدَّر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم "[٣].

وقال الآجري[٤] رحمه الله: " وجل ربنا وعز من أن يجري في ملكه ما لم يرد أن يجري، أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه، قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وبعد أن خلقهم، قبل أن يعملوا، قضاءً وقدراً "[٥].

وعلى إثبات علم الله بكل شيء أزلاً وأبداً إجماع أهل العلم.

قال الإمام المزني[٦] رحمه الله: "فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خير وشر..هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضى"[٧].

وقال ابن تيمية: " اتفق سلف الأمة وأئمتها: على أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون،

---

(١) انظر: معارج القبول (٣ / ١٠٨٦).

(٢) الإمام الحافظ محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، كان إماماً ثقة ثبتا فقيهاً عاقلاً، برز في علم الحديث وفي الفقه، قال الذهبي: "من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم، وسعة معارفه"، منها: شرح مشكل الآثار، والعقيدة الطحاوية، وأحكام القرآن، مات سنة ٣٢١هـ. انظر: طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء الحنفي (١ / ٢٧١)، سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٨).

(٣) متن العقيدة الطحاوية ص (١٠-١١).

(٤) الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، كان حنبلياً، وقيل: شافعياً، وبه جزم الأسنوي وابن الأهدل، صاحب التواليف، منها: كتاب الشريعة، وكتاب الأربعين، وغير ذلك، مات بمكة ٣٦٠هـ، وكان من أبناء الثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ١٣٣) المعين في طبقات المحدثين ص (١١٤)، شذرات الذهب (٣ / ٣٥).

(٥) الشريعة للآجري (٢ / ٧٠١).

(٦) الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري، صاحب الإمام الشافعي،قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي، صنف كتباً كثيرة في مذهب الإمام الشافعي، منها الجامع الصغير ومختصر المختصر، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله رتبوا، ولكلامه فسروا وشرحوا، مات سنة ٢٦٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (١ / ٢١٧)، طبقات الشافعية للسبكي (٢ / ٩٣).

(٧) شرح السنة ص (٧٩،٨٨).

وقد نص الأئمة على أن من أنكر العلم القديم فهو كافر "[1].

الأدلة على هذه المرتبة:

الأدلة على هذه المرتبة والمراتب الأخرى كثيرة جداً، أذكر بعضها.

فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾[2].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

قال مجاهد: " علم من إبليس المعصية وخلقه لها "[4].

وقال قتادة: " كان في علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل، وقوم صالحون وساكنو الجنة "[5].

ومن السنة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: " الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين "[6].

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: " ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار" ، قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: " لا، اعملوا فكل ميسر لما خُلق له "، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ

---

(١) درء التعارض (٩ / ٣٩٦) بتصرف يسير.

(٢) الطلاق:١٢.

(٣) البقرة:٣٠.

(٤) تفسير الطبري (١ / ٤٧٧).

(٥) المصدر السابق (١ / ٤٧٩).

(٦) رواه البخاري، كتاب: القدر، باب "الله أعلم بما كانوا عاملين"، برقم (٦٥٩٧)، ومسلم، كتاب: القدر، باب "معنى كل مولود يولد على الفطرة.."، برقم (٦٧٦٤).

﴿٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1] .[2].

- **المرتبة الثانية: الكتابة.**

وهي الإيمان بأن الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، فكل ما يقع في هذا الكون فهو مكتوب عنده في كتاب، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[3] ، أي: في اللوح المحفوظ[4].

وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث: أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب[5].

قال الطحاوي: " ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رُقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائنٌ، ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه، ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة "[6].

وقال أبو الحسن الأشعري: " وأجمعوا على أنه تعالى قد قدر جميع أفعال الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم، وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم إلى يوم يبعثون "[7].

وقال الآجري: " لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه، إلا وقد جرى مقدوره به.. وكتب آجالهم، وكتب أرزاقهم، وكتب أعمالهم، ثم أخرجهم إلى الدنيا، وكل إنسان يسعى فيما كُتب له وعليه..قد جرى القلم بأمره تعالى في اللوح المحفوظ بما يكون، من بر أو فجور "[8].

الأدلة على هذه المرتبة:

---

(١) الليل:٥-٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "كيفية خلق الآدمي.."، برقم (٦٧٣٣).

(٣) الأنعام:٣٨.

(٤) تفسير البغوي (٣ / ١٤٢).

(٥) شفاء العليل (١ / ٣٨٧).

(٦) متن العقيدة الطحاوية ص (١٨).

(٧) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٤٧).

(٨) الشريعة للآجري (٢ / ٧٠٠-٧٠١).

من القرآن، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١) .

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه، وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض..وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ"(٢). وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٣) .

وقال ابن القيم تعليقاً على هذه الآية: " فجمع بين الكتابين: الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم، والكتاب المقارِن لأعمالهم...والمقصود أن قوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، وهو اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، وهو الذكر الذي كتب فيه كل شيء، يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها "(٤).

ومن السنة، حديث عمران بن حصين وفيه أن رسول الله ﷺ قال: " كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض "(٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"(٦).

فما تقدم من الأدلة دالة على أن الله كتب كل شيء قبل خلق الخلائق، ولا يخرج من هذا شيء(٧).

---

(١) الحج:٧٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ٤٥٢).

(٣) يس:١٢.

(٤) شفاء العليل (١ / ٣٨٢).

(٥) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب "﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]"، برقم (٣١٩١).

(٦) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "حجاج آدم وموسى ﷺ"، برقم (٦٧٤٨).

(٧) وتفصيل هذه المقادير التي تُكتب. انظر: معارج القبول (٣/١٠٩٥ وما بعدها).

- **المرتبة الثالثة: المشيئة.**

وهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، والإيمان بها هو: الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد[1].

وهما – مشيئة الله وقدرته – يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] ، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن؛ لعدم مشيئة الله تعالى إياه، ليس لعدم قدرته عليه، فالله سبحانه يقول: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[3].[4].

قال عمر بن عبد العزيز: " لو أراد الله تعالى أن لا يعصى ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعلماً من كتاب الله جهله من جهله، وعرفه من عرفه، ثم قرأ: ﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[5] "[6].

وقال أبو بكر الإسماعيلي[7] رحمه الله: " مذهب أهل الحديث أهل السنة

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٩).

(٢) يس:٨٢.

(٣) السجدة:١٣.

(٤) انظر: معارج القبول (٣ / ١١٠٨).

(٥) الصافات:١٦١-١٦٣.

(٦) الشريعة للآجري (٢ / ٧١٤-٧١٥).

(٧) الإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الاسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني الاسماعيلي الشافعي، شيخ الشافعية، وصاحب المستخرج على الصحيح، قال الحاكم: " كان الاسماعيلي واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء، وأجلهم في الرئاسة والمروءة والسخاء، ولا خلاف بين العلماء من الفريقين وعقلائهم في أبي بكر"، مات سنة ٣٧١هـ.

والجماعة...ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون "[١].

وقال أبو عثمان الصابوني: " ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية "[٢].

الأدلة على هذه المرتبة:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣] .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٥] ، قال القرطبي: "فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم، وأنه لا تنفذ مشيئة أحد ولا تتقدم، إلا أن تتقدم مشيئته "[٦].

ومن السنة، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء، لا مكره

انظر: السير (١٦ / ٢٩٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٣ / ٧).

(١) اعتقاد أئمة الحديث ص (٤٩،٥٧).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (٢٨٥-٢٨٦).

(٣) آل عمران:٢٦.

(٤) المائدة:٤٨.

(٥) الإنسان:٣٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ١٥٢).

له"[١].

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبي ﷺ: " إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء "[٢].

فهذه الأدلة دالة على أن كل ما يحدث في هذا الكون هو بمشيئة الله ﷻ.

- **المرتبة الرابعة: الخلق.**

وهي الإيمان بأن الله ﷻ خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله ﷻ خالقها، وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه[٣].

فهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة: أن الله ﷻ خالق كل شيء، حتى ما يعمله العباد فهو مخلوق له ﷻ، فالله ﷻ هو الخالق، وما سواه مخلوق.

قال ابن حزم: " اتفقوا أن الله ﷻ وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره...خلق الاشياء كلها كما شاء...والعالم كله مخلوق"[٤].

وقال ابن عبد البر في معرض شرحه لحديث تحاج آدم وموسى عليهما السلام: " وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق وهو: أن الله ﷻ قد فرغ من أعمال العباد، فكل يجري فيما قُدِّر له، وسبق في علم الله تبارك اسمه "[٥].

وقال شيخ الإسلام: " أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام "[٦].

وقال ابن القيم: " المرتبة الرابعة من مراتب القضاءوالقدر وهي: مرتبة خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم،

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب "في المشيئة والإرادة"، برقم (٧٤٧٧)، ومسلم، كتاب: الذكر، باب "العزم بالدعاء.."، برقم (٦٨١٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء"، برقم (٦٧٥٠).

(٣) انظر: معارج القبول (٣ / ١١٠٨).

(٤) مراتب الإجماع ص (١٦٧).

(٥) التمهيد (١٨ / ١٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٨ / ٤٠٦).

وعليه اتفقت الكتب الإلهية، والفطر، والعقول، والاعتبار... قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[(١)]، وهذا عام محفوظ، لا يخرج عنه شيء من العالم، أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته، وما سواه مخلوق له"[(٢)].

الأدلة على هذه المرتبة:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[(٤)]، فـ«ما» مع الفعل مصدراً، والتقدير والله خلقكم وعملكم، وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله عَزَّ وَجَلَّ، واكتساب للعباد[(٥)].

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[(٦)]، ونقل القرطبي في هذه الآية كلاماً للزجاج وقال عنه: إنه أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة، وهو: " أن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب؛ مع أن الله خالق الإيمان، والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه؛ لأن الله تعالى قدَّر ذلك عليه وعلمه منه، ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدَّر عليه وعلمه منه؛ لأن وجود خلاف المقدور عجز، ووجود خلاف المعلوم جهل، ولا يليقان بالله تعالى، وفي هذا سلامة من الجبر والقدر "[(٧)].

ومن السنة، حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله خالق كل صانع وصنعته"[(٨)].

---

(١) الزُّمَر:٦٢.

(٢) شفاء العليل (٢ / ٤٤٩،٤٦٥).

(٣) الأنعام:١٠٢.

(٤) الصافات:٩٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥ / ٩٦).

(٦) التغابن:٢.

(٧) المصدر السابق (١٨ / ١٣٣).

(٨) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٦٦/٢) بلفظ "إن الله يصنع.." بدل "خالق"، وابن أبي عاصم في السنة ص

وعن المغيرة بن شعبة قال سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد "[1].
هذا الحديث أخرجه البخاري كما في هو مثبت في الحاشية في كتاب «القدر» من الصحيح، وصنيع البخاري هذا يدل على عظيم فقهه رحمه الله تعالى؛ ولذلك قال ابن بطال عند شرحه لهذا الحديث: " المراد بهذا الحديث: إثبات خلق الله تعالى جميع أعمال العباد "[2].

---

(١٤٦)، والبزار في مسنده (٧ / ٢٥٨)، والحاكم في المستدرك (١ / ٧٧)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحية (٤ / ١٨١).

(١) رواه البخاري، كتاب: القدر، باب "لا مانع لما أعطى الله"، برقم (٦٦١٥)، ومسلم، كتاب: المساجد، باب "استحباب الذكر بعد الصلاة.."، برقم (١٣٣٨).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠ / ٣٢١).

المبحث الثالث : الخصومة في القدر والتنازع فيه، وذم القدرية .

١- قال أبو حاتم: حدثني سويد[١]، قال: حدثنا المطلب يعني ابن زياد[٢]، عن زيد بن علي[٣]، قال: " أتاه رجل من القدرية فقال: يا أبا الحسين، أسألك عن كلمة واحدة، قال: أحب الله تبارك وتعالى أن يعصى؟ قال زيد بن علي: فعصي عنوة؟ قال: فاشتد الرجل من بين يديه يهرب "[٤].

٢- قال أحمد: حدثنا يحي بن أدم[٥]، حدثنا أبو بكر بن عياش[٦]، عن إدريس بن وهب بن منبه[٧]، عن أبيه[٨] قال: " كنا مع ابن عباس، فأخبر أن قوما عند باب بني سهم يختصمون قال: أظنه قال في القدر، قال: فنهض إليهم، وأعطى محجنه عكرمة، ووضع إحدى يديه عليه، والأخرى على طاوس، فلما انتهى إليهم أوسعوا له، ورحبوا به ، فلم يجلس، وقال: يا وهب، كيف قال الفتى؟ قال: قال: لقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر الموت، ما يكل لسانك، ويقطع حجتك، ويكسر قلبك، ألم تعلم يا أيوب أن لله عباداً أسكتتهم خشية الله ﷻ من غير عي ولا بكم؟ وإنهم لهم الفصحاء النطقاء، النبلاء الألباء، العالمون بالله، وأيامه، إلا أنهم إذا ذكروا الله ﷻ طاشت عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وتقطعت ألسنتهم؛ إعزازاً لله،

---

(١) سويد بن سعيد بن سهل الهروي الأصل، ثم الحدثاني بفتح المهملة والمثلثة، ويقال: له الأنباري أبو محمد، صدوق في نفسه، إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه، فأفحش فيه ابن معين القول، من قدماء العاشرة مات سنة ٢٤٠هـ، وله مائة سنة. التقريب (٢٧٠٥).

(٢) المطلب بن زياد بن أبي زهير الثقفي مولاهم الكوفي، صدوق ربما وهم، مات سنة ١٨٥هـ. التقريب (٦٧٥٥).

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين المدني، ثقة، وهو الذي ينسب إليه الزيدية، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك فقتل بالكوفة سنة ١٢٢هـ. التقريب (٢١٦١).

(٤) رواه أبو حاتم في الزهد ص (٨٩).

(٥) يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي، أبو زكريا مولى بني أمية، ثقة حافظ فاضل، مات سنة ٢٠٣هـ. التقريب (٧٥٤٦).

(٦) أبو بكر بن عياش بتحتانية ومعجمة بن سالم الأسدي الكوفي المقرىء الحناط، بمهملة ونون، مشهور بكنيته والأصح أنها اسمه، وقيل في اسمه عشرة أقوال، ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح، مات سنة ١٩٤هـ، وقيل: قبل ذلك بسنة، أو سنتين، وقد قارب المائة وروايته في مقدمة مسلم. التقريب (٨٠٤٢).

(٧) إدريس بن وهب بن منبه، مجهول، من السادسة، وكان لوهب ثلاثة أولاد: عبد الله وعبد الرحمن وأيوب. التقريب (٨٥٦٩).

(٨) وهب بن منبه تقدم.

وإجلالاً له وإعظاماً، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله ﷻ بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع المفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء مع الظالمين والخاطئين، وإنهم للأنزاه برآء، إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ولا يَعلُون عليه بالأعمال، هم حيث مالقيتهم مهيمون مشفقون وجلون خائفون، قال: ثم انصرف عنهم، فرجع الى مجلسه "[1].

(١) رواه أحمد في الزهد ص (٥٥)، وسنده ضعيف.

تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل أن الإيمان بالقدر أمر فطري، وأن المنكر له هو من انتكست فطرته، وشابه المجوس[(١)] في عقيدتهم، حتى إن الله ﷻ ذكر عن المشركين إثباتهم للقضاء والقدر، إلا أنهم احتجوا به على شركهم وأفعالهم القبيحة، وجعلوا مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم[(٢)]؛ وذلك لأنهم سووا بين مشيئة الله ومحبته، فكذبهم الله تعالى في ذلك وأبطل حجتهم المتهافته في أكثر من آية، قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾[(٣)]،[(٤)].

ولا يشكل على هذا ما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: " جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾[(٥)] "[(٦)]؛ لأن خصومتهم لم تكن من جهة خلق الله تعالى وتدبيره، فهم يقرون بذلك في ربوبية الله ﷻ، كما تقدم بيان ذلك من أن العرب لم تكن تنكره، وإنما خصومتهم كانت من جهة إبطال الأمر والنهي[(٧)].

قال ابن كثير: "ومضمون كلامهم: أنه لو كان تعالى كارها لما فعلنا، لأنكره علينا بالعقوبة،

---

(١) المجوس هم من يزعم أن للعالم أكثر من فاعل ومدبر، فجعلوا للعالم أصلين خالقين، وهما: النور والظلمة، وزعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها..والمجوس فرق كثيرة، منهما «الثنوية» وهؤلاء يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس. انظر: الفصل لابن حزم (١/٨٦-٨٧)، والملل والنحل للشهرستاني (١/٢٧٨-٢٩٠).

(٢) انظر: تفسير السعدي (١ / ٢٧٨).

(٣) الأنعام:١٤٨.

(٤) وللاستزادة في معرفة الرد على شبهة المشركين هذه انظر: تفسير العلامة الشنقيطي (٧/٢٣٦-٢٤٢) فقد جمع الآيات المتعلقة بهذه الشبهة والرد عليها، وعلّق رحمه الله عليها.

(٥) القمر:٤٨-٤٩.

(٦) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "تصريف الله القلوب كيف شاء"، برقم (٦٧٥٢).

(٧) انظر: القضاء والقدر عند السلف لعلي الوصيفي ص (٤٦).

ولما مكنا منه، قال الله راداً عليهم شبهتهم: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1] ، أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه لم يعيره عليكم، ولم ينكره، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار، ونهاكم عنه آكد النهي "[2].

وقال ابن القيم: " والمخاصمون في القدر نوعان: أحدهما: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره، كالذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[3]، والثاني: من ينكر قضائه قضائه وقدره السابق، والطائفتان خصماء الله "[4].

وسيكون الحديث في هذا المبحث عن أمرين:

الأول: النهي عن التنازع في القدر والخصومة فيه وبعض ما ورد في ذلك.

الثاني: ذم القدرية وتحذير السلف منهم.

---

(١) النحل:٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٧٠).

(٣) الأنعام:١٤٨.

(٤) شفاء العليل (٣١٧/١).

❖ **الأمر الأول: النهي عن التنازع في القدر، وبعض ما ورد في ذلك.**

جاءت الأدلة من السنة المطهرة عن نبينا ﷺ مبينة لهذه المسألة وفاصلة في حكمها، وتواردت كلامات السلف – رحمهم الله – توضيحا لذلك، فما ورد عن نبينا محمد ﷺ، وعن سلف هذه الأمة جاء بالنهي عن الخوض في القدر، والتنازع والخصومة فيه بغير وجه حق، وفيما يلي طرفاً مما ورد:

١- عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكو "(١).

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: " أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه "(٢).

٣- قال الطحاوي: وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾(٣)، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين(٤).

٤- قال البربهاري(٥): والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق؛

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢ / ٩٦)، وابن أبي زمنين في أصول السنة ص (٢٦٦)، والبيهقي في القضاء والقدر (٧١١/٢)، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (٧ / ٤١١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١ / ٧٥).

(٢) رواه الترمذي، كتاب: القدر، باب "أبواب القدر عن رسول الله ﷺ"، برقم (٢١٣٣) وقال: وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها، ورواه أيضاً أبو يعلى في مسنده (١٠ / ٤٣٣)، والهروي في ذم الكلام (١ / ٣٣٩)قال محقق الكتاب "الأنصاري": وللحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحيح.

(٣) الأنبياء:٢٣.

(٤) العقيدة الطحاوية ص (١٧).

(٥) أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، شيخ الحنابلة ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع،قال أبو الحسين بن

لأن القدر سر الله، ونهى الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى النبي ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء، واسكت عما سوى ذلك[(١)].

قال ابن أبي العز الحنفي: " اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع؛ ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها، وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك "[(٢)].

وكلام السلف في هذا الجانب كثير جداً يصعب حصره.

ولكن مما ينبغي أن يُعلم: أن هذا التحذير والنهي في الكلام عن القدر والخوض فيه ليس على إطلاقه، وإنما المقصود به الخوض والجدال فيه بالباطل، وهو الذي جاءت السنة بالكف عنه، إما على سبيل الإنكار، أو على سبيل التسخط والاعتراض، أو معرفة الحق فيه عن طريق العقل القاصر، ولا شك أن هذا كله لا يجوز.

أما إذا كان على سبيل الرضا والتسليم، والتعلم والفهم فلا شيء في ذلك؛ وذلك لأمور التالية[(٣)]:

١- أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان كما تقدم، وقد جاءت بذكره وبيانه وتفاصيله الآيات والأحاديث عن نبينا ﷺ، فيتوجه حينئذٍ النهي إلى الخوض فيه بالباطل.

الفراء: "كان للبربهاري مجاهدات ومقاومات في الدين، وكان المخالفون يغلظون قلب السلطان عليه"، ومما صنف: شرح كتاب السنة ذكر فيه: واحذر صغار المحدثات؛ فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، مات سنة ٣٢٨هـ. انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١٦)، سير أعلام النبلاء (١٥ / ٩٠).

(١) شرح السنة البربهاري ص (٣٦).

(٢) شرح الطحاوية ص (٢٣٨-٢٣٩).

(٣) انظر: القضاء والقدر للمحمود ص (٢٤-٢٧)، والإيمان بالقضاء والقدر للحمد ص (١٧-٢٢)، القضاء والقدر عند السلف للوصيفي ص (٦٠).

٢- أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا النبي ﷺ عن أمور دقيقة في القدر، وأجابهم النبي ﷺ عن ذلك، كما جاء في حديث جابر ﷺ قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير؟ أم فيما نستقبل؟ قال: " لا.بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير "، قال: ففيم العمل؟ قال: " اعملوا فكل ميسر "[١].

٣- أن الصحابة أنفسهم ورد عنهم أنهم كانوا يعلمون تلاميذهم من التابعين ذلك، وجاء عن بعضهم أنه كان يختبرهم فيه، فعن أبي الأسود الدئلي قال: قال لي عمران بن الحصين ﷺ: " أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قُضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قُضي عليهم، ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلما؟ قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت :كل شيء خلق الله، وملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله، إني لم أُرِدْ بما سألتك إلا لأحزر[٢] عقلك "[٣].

وقال ابن الديلمي: لقيت أبي بن كعب ﷺ فقلت: يا أبا المنذر، إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر، فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي، قال: " لو أن الله عذب أهل سمواته، وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد ذهباً، أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله، ما قُبل منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك دخلت النار "، قال: فأتيت حذيفة فقال لي مثل ذلك، وأتيت ابن مسعود، فقال لي مثل ذلك، وأتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك[٤].

٤- أن في الأحاديث ما يدل على ذلك، ففي حديث ابن مسعود ﷺ المتقدم عن النبي ﷺ

---

(١) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "كيفية خلق الآدمي.."، برقم (٦٧٣٥).

(٢) (الحرز)حَزَرَ الشيء يحزُرُه ويحزِرُه حزراً: قدَّره بالحدس. انظر: اللسان (٢ / ٨٥٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب "كيفية خلق الآدمي.."، برقم (٦٧٣٩).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٥ / ٤٦٥)، وابن ماجه في مقدمة سننه، باب "في القدر"، برقم (٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٢/١).

قال: " إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا.. "، فهل يدل هذا على أنه لا يجوز الكلام عن الصحابة وفضائلهم، والاعتقاد فيهم؟ لا، بل الإمساك الذي جاء به الحديث هو ما كان بوجه باطل، كالحديث عن ما شجر بينهم..فكذلك يقال في القدر.

٥- أن أئمة السلف بحثوا هذا الركن في كتبهم، وبعضهم أفرده في كتب مستقلة، وهذا يبين أن الكلام عن هذا الأصل بالحق، الموافق لما جاءت به السنة فلا شيء فيه.

ومما تقدم يتبين أن الحديث في القدر لا يُفتح بإطلاق، ولا يُغلق بإطلاق، فإذا كان بوجه حق فلا بأس به، بل قد يجب، وإلا فلا يجوز.

قال الإمام ابن عبد البر في هذا المعنى: " فمن سأل مستفهماً راغباً في العلم، ونفي الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العِي السؤال، ومن سأل متعنتاً غير متفقه، ولا متعلم، فهذا لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره "(١).

---

(١) التمهيد (٢١ / ٢٩٢).

❖ **الأمر الثاني: ذم القدرية وتحذير السلف منهم.**

باب القدر ضلَّت فيه فرق عديدة، على تفاوت في ضلالهم، وكل من ضل في هذا الباب سببه تقديمه العقل على الشرع الحكيم المطهر، وهذا الداء هو سبب ضلال غالب من زاغ عن الحق القويم والصراط المستقيم، فما حكّم قومٌ عقولهم على نصوص الوحيين إلا ضلوا وزاغوا عن الهدى، نسأل الله تعالى أن يلزمنا صراطه المستقيم حتى نلقاه.

وفرقة القدرية هي أول من نازع في هذا الأصل العظيم، ورأس هذه الفرقة وزعيمها الذي تولى كبر القول بنفي قدرة الله ﷻ، وجادل فيه هو: معبد الجهني(١)، قال الحسن البصري: " إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل "(٢).

وكان طاووس مرةً يطوف بالبيت، فلقيه معبد الجهني، فقال له طاووس: أنت معبد؟ قال: نعم، قال: فالتفت إليهم طاووس، فقال: هذا معبد فأهينوه(٣).

قيل: إن معبداً أخذ بدعته هذه من رجل من أهل البصرة يقال له: (سيسويه) أو (سنسويه) من أبناء المجوس(٤).

وقيل: إنه أخذها من رجل اسمه (سوسن) كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر(٥).

وعلى كلٍ فاسم هذين الرجلين متقاربان، والله أعلم هل هما شخص واحد أم لا، ولكن الشاهد أن (معبداً) هو أول من أشاع هذه البدعة وناضل عنها، وإليه نُسبت هذه الفرقة.

وهذه الفرقة تعتقد: أن العبد مستقل بعمله، وليس الله ﷻ هو خالق أفعال العباد، بل إن

---

(١) معبد بن عبد الله بن عويمر بن عكيم الجهني، نزيل البصرة، وأول من تكلم بالقدر في آخر زمن الصحابة، وقد كانت له عبادة، وفيه زهادة، وثقه ابن معين وغيره في حديثه، وكان أحد من شهد الحكمين، وقد توسَّم فيه عمرو بن العاص ﷺ ضلاله وانحرافه، حتى قال فيه: يا تيس جهينة! ما أنت من أهل السر والعلانية، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل، قيل: إن الحجاج عذبه بأنواع العذاب ثم قتله، وقيل: بل قتله عبد الملك بن مروان، قال ابن كثير: وهذا هو الأقرب، وكان موته قبل التسعين. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص (١٤)، سير أعلام النبلاء (١٨٥/٤)، البداية والنهاية (٩ / ٤٢).

(٢) البداية والنهاية (٩ / ٤٣).

(٣) انظر: الإبانة لابن بطة (٣٠١/٢).

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٨٢٦)، مجموع الفتاوى (٧ / ٣٨٤).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٨٢٦).

العباد هم الخالقون لأفعالهم، وقالوا: إن كل ما لم يأمر الله تعالى به، أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئاً منها، فنفوا بذلك مشيئة الله تعالى وقدرته، وغلاتهم ينفون علم الله السابق، حيث يزعمون أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها، وهم كفار، كفرهم الأئمة كالشافعي وأحمد وغيرهما، وسمى أهلُ العلم القدرية «مجوساً»؛ لأنهم شابهوا المجوس في إثبات خالق مع الله، بل إن القدرية زعموا أن كل عبد خالق لفعله، وأوصل بعض أهل العلم القدرية إلى عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر سائرها، وهم ضلّال مبتدعة، مخالفون للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، تبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله ابن أبي أوفى، وعقبة بن عامر الجهني، وأقرانهم رضي الله عنهم أجمعين، وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية، ولا يصلوا على جنائزهم، ولا يعودوا مرضاهم، قال ابن القيم عنهم: " القدرية[(١)] مجوس هذه الأمة، الذين يقولون لا قدر، وأن الأمر أُنُف، فمن شاء هدى نفسه، ومن شاء أضلها، ومن شاء بخسها حظها وأهملها، ومن شاء وفقها للخير وكملها، كل ذلك مردود إلى مشيئة العبد، ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد، فأثبتوا في ملكه مالا يشاء، وفي مشيئته ما لا يكون "[(٢)].

وقد أنكر السلف الصالح على هذه الطائفة المبتدعة بدعتها أبلغ النكير، وحذروا منهم أشدّ التحذير، وتكاثرت أقوالهم في ذلك، وجاءت بعض النصوص عن النبي ﷺ في ذمهم، منها:

١- ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم "[(٣)].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية "[(٤)].

---

(١) هذه اللفظة موجودة في بعض الطبعات.

(٢) انظر ما سبق في: الفرق بين الفرق ص (١٥-١٨،٩٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١ / ١٩٣)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢ / ١٥٢،٤٠٩)، شفاء العليل (١/ ١٢٠-١٢١).

(٣) رواه أبو داود، كتباب: السنة، باب "في القدر"، برقم (٤٦٩)، المعجم الأوسط (٣ / ٦٥)، السنن الكبرى (٢٠٣/١٠)، وضعف هذا الحديث بعض أهل العلم، وبعضهم حسنه لتعدد طرقه كالألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير ص (٨١٨).

(٤) رواه الترمذي،أبواب القدر، باب "ما جاء في القدرية"، برقم (٢١٤٩)، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وابن

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " يكون في أمتي خسف ومسخ، وذلك في المكذبين بالقدر "[١].

وغير هذه الأحاديث كثير، وإن كان فيها مقال إلا أن بعضها يشهد لبعض.

وأما أقوال السلف في هذا الباب فهي كثيرة أيضاً، وفيما يلي بعضها:

١- قال الحسن: من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام، ثم قال: إن الله خلق خلقاً فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر[٢].

٢- قال سعيد بن جبير: القدرية يهود[٣].

٣- قال عمر بن عبد العزيز في القدرية: أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قُتلوا[٤].

٤- قال الشعبي: لا تجالسوا القدرية، فوالذي يُحلف به إنهم لنصارى[٥].

٥- قال مالك: ورأيي فيهم أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا يعني القدرية[٦].

٦- سُئل مالك أيضاً عن تزويج القدري، فقرأ: ﴿وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٖ﴾[٧]،[٨].

٧- قال الإمام أحمد: لا يُصلى خلف القدرية[٩].

٨- قال وهب بن منبه: كل من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر[١٠].

٩- قال محمد بن كعب القرظي[١١]: ما أُنزلت هذه الآية إلا تعييراً لأهل القدر: ﴿إِنَّ

ماجه، في المقدمة، باب "في الإيمان"، برقم (٦٢)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه ص (٦) وفي غيره.

(١) رواه أحمد في المسند (١٠ / ١٠٨)، والترمذي، أبواب القدر، باب "ما جاء في المكذبين بالقدر من الوعيد"، برقم (٢١٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٤٤٩).

(٢) الإبانة لابن بطة (١٨/٢).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٧٦١)

(٤) السنة لابن أبي عاصم (83).

(٥) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٧٦١).

(٦) السنة لابن أبي عاصم (٨٢).

(٧) البقرة:٢٢١.

(٨) السنة لابن أبي عاصم (٨٢).

(٩) السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٨٤).

(١٠) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٧٥٧).

(١١) الإمام العلامة الصادق أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم القرضي، من حلفاء الأوس وكان أبوه كعب من سبي بني

ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[1] ، [2].

وأقوال السلف في ذم هذه البدعة وأهلها لا يمكن حصرها في هذا المبحث؛ وما ذاك إلا لخطورتها وضررها على الدين، وقد ذكرت نماذج فقط من أقوالهم تبين شدة تحذيرهم منها ومن أهلها.

قريظة، قيل: إنه ولد في حياة النبي ﷺ، واختلفوا في سنة وفاته فذكر بعضهم أنه مات سنة ١٠٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥ / ٦٥).

(١) القمر:٤٧-٤٩.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٧٥٧).

المبحث الرابع : الهداية والضلال .

١- قال ابن المبارك: أخبرنا ابن لهيعة، عن ابن أبي جعفر، أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذاً يعلم الدين قال له: " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها "[١].

٢ – قال أسد بن موسى: ثنا إسرائيل[٢]، عن أبي إسحاق[٣]، عن صلة[٤]، عن حذيفة ﵁ قال: « يُنادى محمد ﷺ، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت "، فذلك المقام المحمود[٥].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد. ط. الأعظمي ص (٣٨٤)، ورواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب "فضل من أسلم على يديه رجل"، برقم (٣٠٠٩)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب "من فضائل على ﵁.."، برقم (٦٢٢٣)، في قصة إعطاء علياً الراية يوم خيبر، بلفظ " لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم".

(٢) السبيعي تقدم.

(٣) السبيعي تقدم.

(٤) صلة بكسر أوله وفتح اللام الخفيفة، بن زفر بضم الزاي وفتح الفاء، العبسي، أبو العلاء، أو أبو بكر، الكوفي، تابعي كبير، ثقة جليل، مات في حدود ١٧٠هـ. التقريب (٢٩٦٨).

(٥) رواه أسد ين موسى في الزهد ص (٧٠)، ورجاله ثقات، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٢ / ٧٩)، والدارقطني في سننه (١ / ٢٩٧)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢ / ٩)، والبيهقي في الكبرى (٢ / ٣٢).

❖ مسألة: الهداية والضلال .

مسألة الهدى والضلال من المسائل المتعلقة بمبحث القدر، بل هي قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدِّر الله لعبده، وأجلّ ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال(١)، وقد وقع الخلاف في هذه المسألة بين أهل السنة والجماعة وبين الزائغين في باب القدر، وسأورد في هذا المبحث منهج أهل السنة في هذه المسألة، وطرفاً من طريقة المخالفين فيها.

ومصطلحا الهداية والضلال أشهر من أن يُعَرَّف بهما، ولكن يحسن أن أشير إلى شيء مما قيل في معناهما:

الهداية: قيل هي العلم بالحق مع قصده، وإيثاره على غيره(٢).

وأما الضلال: العدول عن الطريق المستقيم(٣).

وأما منهج أهل السنة في هذه المسألة، فيعتقد أهل السنة والجماعة أن الهدى والضلال بيد الله ﷻ، كما دلت على هذا النصوص الواضحات الكثيرة، وإجماع سلف الأمة، فهو سبحانه يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله.

وفيما يلي بعض الأدلة من نصوص الوحيين التي تبين الحق في هذه المسألة، وصحة معتقد أهل السنة والجماعة، وبطلان عقيدة مخالفيهم:

قال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٥) .

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٦) .

ومن السنة، ما جاء في الحديث القدسي عن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ قال الله تعالى: "يا

---

(١) انظر: شفاء العليل (٢ / ٥١٧).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ٨٦).

(٣) انظر: الكليات ص (٥٧٦).

(٤) الأنعام:٣٩.

(٥) فاطر:٨.

(٦) المدَّثر:٣١.

عبادي إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم..."(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يقول: " اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى "(٢).

وأما آثار السلف في تقرير هذه العقيدة، ونقل الإجماع عليها فكثيرة جداً، وإليك بعضها: فقد روي عن عبد الله بن الزبير ﷺ بسند صحيح أنه كان يقول في خطبته: " إن الله هو الهادي والفاتن "(٣).

قال الإمام اللالكائي – رحمه الله – بعد ذكره خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في دمشق وقوله فيها: « من يضلل الله فلا هادي له ، ومن يهدي فلا مضل له »، فقال جاثليق النصارى(٤): إن الله لا يضل أحداً، فأنكر الصحابة ذلك عليه، فقال عمر لأصحاب رسول الله ﷺ: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين يزعم أنه لا يضل أحداً، فقال عمر: كذبت بل الله خلقك والله أضلك، ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله...فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان، قال اللالكائي: " فإن كان في الدنيا إجماع بانتشار من غير إنكار، فهو في هذه المسألة، فمن خالف قوله فيها فهو معاند مشاقق يلحق به الوعيد، وهو داخل تحت قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾(٥) "(٦).

وقال أبو جعفر الطحاوي: " يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلاً "(٧).

---

(١) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب "تحريم الظلم"، برقم (٦٥٧٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب " في الأدعية"، برقم (٦٩٠٤).

(٣) أخرجه الفريابي في كتاب القدر ص (١٨٩).

(٤) الذي كان يترجم لعمر ﷺ ما يقول. كما هو موضَّح في رواية الإمام ابن بطة لهذا الأثر. انظر: الإبانة (١٣٠/٢).

(٥) النساء:١١٥.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢ / ٧٢٥).

(٧) العقيدة الطحاوية ص (١١).

وقال ابن تيمية: " ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله "(١).

وقال أيضاً: " وأهل السنة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد "(٢).

وقال ابن القيم: " وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى أخرهم، وكتبه المنزلة عليهم: على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه "(٣).

فمما تقدم من تقرير ونقل عن أهل العلم يتبين أن الله ﷻ يهدي من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء عدلاً، **وسيتبين هذا جلياً بمعرفة مراتب الهداية:**

المرتبة الأولى: الهداية العامة، وهي هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذه أعم مراتب الهداية، وقد دلت عليها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾(٤)، فذكر ﷻ أربعة أمور عامة: الخلق والتسوية، والتقدير والهداية، وجعل التسوية من تمام الخلق، والهداية من تمام التقدير(٥).

ومن الأدلة أيضاً على هذه المرتبة قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(٦) ، قال ابن جرير: "أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً، وكالذكور من البهائم،

---

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٤٥٩).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٣٧٩).
(٣) شفاء العليل (٢ / ٥١٧).
(٤) الأعلى: ١-٣.
(٥) انظر: شفاء العليل (٢ / ٥١٨).
(٦) طه: ٥٠.

البهائم، أعطاها نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب، وغير ذلك "[1]، فالآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقة وبهيمه، طيره ودوابه، فصيحة وأعجمه، بما في ذلك من هداية التعليم والدلالة على سبيل بقائه. وما يحفظه ويقيمه.

المرتبة الثانية: هداية البيان والدلالة والإرشاد، وهذه خاصة بالمكلفين، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى، وأعم من الثالثة، وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق، وإن كانت شرطاً فيه، أو جزءَ سببٍ، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبب، بل قد يتخلف عنه المقتضى؛ إما لعدم كمال السبب، أو لوجود مانع، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[2] ، فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه[3]، وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله، حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]،[5]، وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً إلا إلا بعد إقامتها عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[6]،[7].

المرتبه الثالثة: هداية التوفيق والإلهام، وخلق المشيئة المستلزمة للفعل، وهذه المرتبة أخص من التي قبلها، وهي التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، حيث نفاها سبحانه عن رسوله ﷺ، وأثبتها

---

(١) تفسير الطبري (١٨ / ٣١٦).

(٢) التوبة:١١٥.

(٣) انظر: شفاء العليل (٢ / ٥٧٤-٥٧٥).

(٤) الشورى:٥٢.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١ / ١٣٧).

(٦) الإسراء:١٥.

(٧) انظر: شفاء العليل (٢ / ٥٧٧).

لنفسه بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1]، يقول ابن القيم: " وهي التي ضل جهال القدرية بإنكارها، وصاح عليهم سلف الأمة وأهل السنة منهم من نواحي الأرض عصراً بعد عصر إلى وقتنا هذا "[2].

* **وهذه المرتبة تستلزم أمرين:**

أحدهما: فعل الرب تعالى، وهو الهدى.

الثاني: فعل العبد، وهو الاهتداء، وهو أثر فعله ﷻ، فهو الهادي والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾[3]، ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾[4]، وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له ﷺ ولو حرص عليه، ولا إلى أحد غير الله، الله، وأن الله سبحانه إذا أضل عبداً لم يكن لأحدٍ سبيلٌ إلى هدايته كما قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾[5]،[6].

وكما تقدم لا بد أن يُعلم أن هداية الخلق وإضلالهم هي بحكمة الله وعدله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[7]، ولا ينقدح في ذهن البعض الشبهة راجت على القدرية فنفوا بسببها قدرة الله على فعل العبد تنزيهاً له زعموا، وهي أن في إضلال الله لبعض الخلق ظلمٌ لهم، إذ كيف يمنعهم ويصدهم عن الهداية، ثم يعاقبهم يوم القيامة؟

---

(١) القصص:٥٦.

(٢) شفاء العليل (٢ / ٥٧٨).

(٣) الإسراء:٩٧.

(٤) النحل:٣٧.

(٥) الأعراف:١٨٦.

(٦) انظر: شفاء العليل (٢ / ٥٧٩).

(٧) فُصِّلَت:٤٦.

ويمكن الإجابة عن هذه الشبهة الواهية بأمرين:

الأول: أن يقال: إن إضلال الله سبحانه لبعض خلقه سببه أنهم لم يهتدوا إلى صراطه المستقيم، ولم يقوموا بما أمرهم به، وينتهوا عما نُهوا عنه، مع أنه ﷻ قد أرسل إليهم رسله؛ لهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وليبينوا لهم فرائض ربهم عليهم، فهو سبحانه أقام الحجة عليهم، وخلى بينهم وبين الهدى، وهيّأ لهم جميع أسباب الهداية، فلم يمنعهم من شيء مقدور لهم، ومع ذلك لم يسلكوا سبيله فأضلهم ﷻ.

وفي مزيدِ إيضاحٍ لهذا الرد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية – وإن كانت خلقا لله – فهو عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله له، وفطره عليه؛ فإن الله إنما خلقه لعبادته وحده لا شريك له، ودله على الفطرة، كما قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة »[1]، وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، فهو لما لم يفعل ما خُلق له، وما فُطر عليه وما أُمر به – من معرفة الله وحده وعبادته وحده – عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[3]، فإخلاص الدين لله يمنع من تسلط الشيطان، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[4] ، فإذا أخلص العبد لربه الدين كان هذا مانعاً له من فعل ضد ذلك، ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك، وإذا لم يخلص لربه الدين، ولم يفعل ما خُلق له وفُطر عليه عوقب على ذلك، وكان من عقابه تسلط الشيطان عليه، حتى يزين له فعل السيئات، وكان إلهامه لفجوره عقوبة له على كونه لم يتق الله، وعدم فعله للحسنات ليس أمراً وجودياً حتى يقال: إن الله خلقه، بل هو أمر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) النحل: ١٠٠.

(٤) يوسف: ٢٤.

عدمي، لكن يعاقب عليه لكونه عَدِم ما خُلق له وما أُمر به، وهذا يتضمن العقوبة على أمر عدمي، لكن بفعل السيئات لا بالعقوبات التي يستحقها بعد إقامة الحجة عليه بالنار ونحوها"[١].

فإن قيل: كيف تقوم حجته عليهم وقد منعهم من الهدى، وحال بينهم وبينه؟

قيل: " حجته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدى، وبيان الرسل لهم، وإراءتهم الصراط المستقيم، حتى كأنهم يشاهدونه عياناً، وأقام لهم أسباب الهداية ظاهراً وباطناً، ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب، ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل، أو صغر لا تمييز معه، أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رسله، فإنه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجته، فلم يمنعهم من هذا الهدى، ولم يحل بينهم وبينه.

نعم قطَعَ عنهم توفيقه، ولم يُرد من نفسه أعانتهم، والإقبال بقلوبهم إليه، فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم، وإن حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه، وهو فعله ومشيئته وتوفيقه، فهذا غير مقدور لهم، وهو الذي مُنِعوه وحيل بينهم وبينه، فتأمل هذا الموضع واعرف قدره والله المستعان "[٢].

الثاني:أن هداية الله لمن شاء من خلقه من باب التوفيق، وإضلاله لمن شاء من باب الخذلان.

والتوفيق من باب إعانة الله للعبد، والخذلان ترك الإعانة، فلا يُتصور مع هذا ظلم[٣].

قال ابن القيم: " أجمع العارفون على أن التوفيق: أن لا يكلك الله الى نفسك، وأجمعوا على أن الخذلان: أن يخلى بينك وبين نفسك "[٤].

فتبين مما سبق أن الهداية فضل منه سبحانه، والإضلال عدل منه؛ ولهذا كان على العبد أن يسأل ربه الهداية في كل يوم وليلة؛ ليحصلها، كما أمره بذلك ربه في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٣١-٣٣٣) بتصرف.

(٢) انظر: شفاء العليل (٢ / ٥٧٨)

(٣) انظر: المختصر في عقيدة أهل السنة في القدر ص (٥١).

(٤) مفتاح دار السعادة (١ / ١٣٢).

(٥) الفاتحة:٦.

المرتبة الرابعة: الهدايه إلى الجنة والنار يوم القيامة، قال تعالى في هداية أهل النار إليها: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[1]، وقال تعالى في هداية أهل الجنة إليها: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[2]، فهذه هداية بعد قتلهم، فهي هداية لهم إلى الجنة[3].

والمخالفون لأهل السنة في الهدى والضلال:

الطائفة الأولى: هم المعتزلة (هم من القدرية)، حيث زعموا أن الهداية والضلال من فعل العبد، وأن المراد بهما في حق الله تعالى تسميته سبحانه العبدَ مهتدياً وضالاً، أو جعلهم الهداية هداية البيان والإرشاد [4].

وهذا القول مبني على أصلهم الفاسد كما تقدم: أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

قال ابن أبي العز: " قالت المعتزلة: الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالاً "[5].

وقال ابن القيم بعد إيراده بعض الآيات في عدم هداية بعض الخلق: "والقدرية ترد هذا كله إلى المتشابه، وتجعله من متشابه القرآن، وتتأوله على غير بما يقطع ببطلانه، وعدم إرادة المتكلم له، كقول بعضهم: المراد من ذلك تسمية الله العبد مهتدياً وضالاً، فجعلوا هداه وإضلاله مجرد تسمية العبد بذلك، وهذا مما يُعلم قطعاً أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه، وأنت إذا تأملتها وجدتها لا تحتمل ما ذكروه البتة.

وليس في لغة أمة من الأمم فضلاً عن أفصح اللغات وأكملها «هداه» بمعنى سماه «مهتديا»، «وأضله» سماه «ضالا» وهل يصح أن يقال: علمه إذا سماه عالماً، وفهمه إذا سماه فهماً؟ "[6].

---

(١) الصافات:٢٢-٢٣.

(٢) محمد:٤-٦.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧ / ٣٠٩)، شفاء العليل (٢ / ٥٩٤).

(٤) انظر: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص (٦٢).

(٥) شرح الطحاوية ص (١٠٦).

"[1].

وقال أيضاً: " وتأوّل بعضهم هذه النصوص على أن المراد بها هداية البيان والتعريف لا خلق الهدى في القلب فإن الله سبحانه لا يقدر على ذلك عند هذه الطائفة.

وهذا التأويل من أبطل الباطل؛ فإن الله سبحانه يخبر أنه قسم هدايته قسمين: قسماً لا يقدر عليه غيره، وقسماً مقدوراً للعباد.

فقال في القسم المقدور للغير: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[2].

وقال في غير المقدور للغير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3]...وكذا قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٖ﴾[4] "[5]، ففي هذه الآية أن الله أضلهم بعد علمهم.

الطائفة الثانية: الجهمية والأشاعرة (الجبرية)[6]، فزعموا أن الهداية والضلال من فعل الله ﷻ، ﷻ، يخلقها في العبد دون فعل من العبد واختيار[7].

قال ابن القيم: " وزعمت الجبرية أن الله أكرهها على ذلك، وقهرها عليه، وأجبرها من غير فعل منها، ولا إرادة، ولا اختيار، ولا كسب البتة، بل حال بينها وبين الهدى ابتداءً من غير ذنب، ولا سبب من العبد يقتضي ذلك، بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى، فلم ييسر إليه سبيلاً، ولا أعطاه عليه قدره، ولا مكنه منه بوجه، وزاد بعضهم: بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي، ورضيه منه.

فهدى أهل السنة والحديث واتباع الرسول لما اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق بإذنه:

---

(١) شفاء العليل (٢ / ٥٨٥).

(٢) الشورى:٥٢.

(٣) القصص:٥٦.

(٤) الجاثية:٢٣.

(٥) شفاء العليل (٢ / ٥٨٧-٥٨٨).

(٦) قال الشهرستاني: " الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف:
فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلاً
والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً " الملل والنحل (١ / ٨٤).

(٧) انظر: الكامل في اختصار الشامل (٦٥٦/٢)، الإرشاد ص (١٧٥)

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [١] ".

المبحث الخامس : الرضا بالقضاء والقدر والصبر عليه.

١- قال جعفر الخلدي: حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي[٢]، ثنا أبو نعيم[٣]، عن أبي حازم[٤]، عن عمرو بن شعيب[٥]، عن أبيه[٦]، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره "[٧].

٢- قال وكيع: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن العيزار بن حريث العبدي، عن عمر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: " عجبت للمؤمن، إن أصابه خير حمد الله وشكره، وإن أصابته مصيبة احتسب وصبر، فالمؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه "[٨].

٣- قال وكيع: وعن موسى بن عبيدة، عن يعقوب بن زيد أن النبي ﷺ مر على امرأة تبكي، فكلمها، فلم تلتفت إليه، فأُخبرت بعد أنه النبي ﷺ فأتته، فقال النبي ﷺ: " إنما الصبر عند الصدمة الأولى "[٩].

٤- قال وكيع: حدثنا مبارك بن فضالة[١٠]، عن الحسن قال:" والله لتصبرن أو

---

(١) البقرة:٢١٣. انظر: شفاء العليل (٢ / ٥٩٨).

(٢) واسم أبي أسامة: داهر، قال الذهبي: الحافظ، الصدوق، العالم، مات سنة ٢٨٢هـ. السير (١٣ / ٣٨٨).

(٣) الفضل بن دكين الكوفي، واسم دكين: عمرو بن حماد التيمي، مولاهم، الأحول أبو نعيم الملائي بضم الميم، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، مات سنة ٢١٨هـ، وقيل ٢١٩هـ، وهو من كبار شيوخ البخاري. التقريب (٥٤٣٦).

(٤) سلمة بن دينار، أبو حازم، الأعرج الأفزر التمار، المدني القاص، مولى الأسود بن سفيان، ثقة عابد، مات في خلافة المنصور. التقريب (٢٥٠٢).

(٥) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، مات سنة ١١٨هـ. التقريب (٥٠٨٥).

(٦) شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، ثبت سماعه من جده، من الثالثة. التقريب (٢٨٢٢).

(٧) جعفر الخلدي في الزهد ص (١٣) وإسناده حسن، ورواه أحمد في المسند (١١ / ٣٠٥)، والترمذي، كتاب: القدر، باب "ما جاء أن الإيمان بالقدر خيره وشره"، برقم (٢١٤٤)، ويشهد له حديث جبريل في أصول الأيمان الذي تقدم ذكره مراراً.

(٨) رواه وكيع في الزهد (١ / ٣٢٣)، وراه مسلم بمعناه، كتاب: الزهد، باب "المؤمن أمره كله خير"، برقم (٧٥٠٠).

(٩) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٤٥٥)، وراه البخاري، كتاب: الجنائز، باب "زيارة القبور"، برقم (١٢٨٣).

(١٠) تقدم.

لتهلكن"[١].

مبحث الصبر على القضاء والقدر والرضا به هو خلاصة هذا الباب وثمرته، فإذا علم العبد أنه متقلب في جميع أموره بين قضاء الله وقدره، كما قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[٢]، علم بالضرورة أنه مطالب مطالب بالصبر والرضا إما على سبيل الاستحباب أو الوجوب على ما سيأتي من تفصيل.

فالمصائب التي يُصاب بها الخلق قدر مقدور، وقد أمر تعالى عباده بالصبر، ورتب على ذلك الثواب الجزيل فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣].

وسيكون الحديث في هذا المبحث عن أمرين:

الأول: الصبر على القضاء والقدر.

الثاني: الرضا بالقضاء والقدر.

وقدمتُ الصبر على الرضا؛ لأن مقام الصبر دون مقام الرضا، ولا يصل العبد إلى درجة الرضا إلا بعد صبره على المقدور؛ لذلك كان من دعاء النبي ﷺ: " وأسألك الرضا بعد القضاء "[٤].
"[٤].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٤٤٩).

(٢) الحديد:٢٢.

(٣) الزُّمَر:١٠.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٥ / ٥٢٠)، وابن حبان في صحيحه (٥ / ٣٠٤)، والبيهقي في الشعب (١ / ٣٧٥).

❖ **الأمر الأول: الصبر على القضاء والقدر.**

- **تعريف الصبر:**

تعريفه في اللغة: أصل الصَّبْر: الحَبْس، وكل من حَبَس شيئاً فقد صَبَرَه، يقال: صَبَرَه عن الشيء يَصْبِرُه صَبْراً[1].

تعريفه في الاصطلاح: خُلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[2].

قال أبو عبد الله ابن القيم في بيان هذا المعنى: " الصبر خُلق كسبي يتخلق به العبد، وهو: حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوراح عما لا ينبغي فعله.

وهو: ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية "[3].

- **أنواع الصبر:**

الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام[4]:

الأول: صبر على الأوامر والطاعات حى يؤديها. **الثاني:** صبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها. **الثالث:** صبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

- **حكم الصبر على أقدار الله ﷻ:**

الصبر على أقدار الله ﷻ واجب باتفاق الأمة[5]، فمن أصابته مصيبة وجب في عليه الصبر والاحتساب في ذلك، ولا يجوز له التسخط على القدر.

ويدخل في الوجوب أيضاً الصبر على أداء الطاعات والكف عن المحرمات بالاتفاق أيضاً[6]، ولكن أُفرد الصبر على الأقدار؛ لأنه المقصود بالبحث.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣ / ٣٢٩)، الصحاح (٣ / ٢٦٩)، لسان العرب (٤ / ٢٣٩١).

(٢) انظر: عدة الصابرين لابن القيم ص (١٩).

(٣) الروح ص (٢٤١).

(٤) انظر: عدة الصابرين ص (٤٨)، ورسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص (٢٠).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١ / ٢٦٠)، مدارج السالكين (١ / ١١٠).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠ / ٣٩).

❖ **المسألة الثانية: الرضا بالقضاء والقدر.**

● **تعريف الرضا:**

تعريفه في اللغة: قال ابن فارس: " الراء والضاد والحرف المعتل: أصلٌ واحد يدل على خلاف السُّخْط، تقول رضِي يرضَى رِضىً، وهو راضٍ، ومفعوله مرضِيٌّ عنه "(١).

ويقال: رضيت الشيء وارتضيته فهو مرضي(٢).

تعريفه في الاصطلاح: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمنّي زوال ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم(٣).

قال ابن العربي(٤): " الرضا: سكون النفس إلى القدر والقضاء "(٥).

وقال الجرجاني: " الرضا: " سرور القلب بمر القضاء "(٦).

● **حكم الرضا على ما يصيب العبد من أقدار الله ﷻ:**

الرضا بالقضاء والقدر هو مرتبة أعلى من مرتبة الصبر، ومقام رفيع لأهله، فمن رضي بالقدر فمن باب أولى أنه يكون قد صبر عليه.

قال ابن تيمية: " و « الصبر » واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله "(٧).

وقال ابن القيم: " وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها، وهو أعلى منه، ثم الشكر عليها، وهو أعلى من الرضا، وهذا إنما يأتى منه إذا تمكن حبه من قلبه، وعلم حسن

---

(١) مقاييس اللغة (٢ / ٤٠٢).

(٢) انظر: الصحاح (٧ / ٢٠٧)، اللسان (٣ / ١٦٦٤).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم ص (٤٨٨/١).

(٤) الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الاندلسي الاشبيلي المالكي، كان أبوه أبو محمد من كبار أصحاب أبي محمد بن حزم الظاهري، بخلاف ابنه القاضي أبي بكر فإنه منافر لابن حزم، وتفقه بالإمام أبي حامد الغزالي، والفقيه أبي بكر الشاشي وغيرهما، وله مصنفات منها: عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي، وأحكام القرآن، وغيرها، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: السير (٢٠ / ١٩٧).

(٥) عارضة الأحوذي (٢٦٥/٢).

(٦) التعريفات ص (٩١).

(٧) مجموع الفتاوى (١١ / ٢٦٠).

اختياره له، وبره به، ولطفه به، وإحسانه اليه بالمصيبة وإن كره المصيبة "[١].

واختلف أهل العلم في حكمه على قولين، وهما وجهان عند أصحاب أحمد[٢]:

القول الأول: أنه واجب، واستدل من قال بوجوبه بما لي:

١- أنه من لوازم الرضا بالله رباً، وذلك واجب.

٢- واحتجوا أيضاً بأثر إسرائيلي وفيه: " من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي فليتخذ له ربا سواي "[٣].

القول الثاني: أنه مستحب، واستدلوا بما يلي:

١- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: " إن استطعت أن تعمل لله بالرضا واليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً "[٤].

٢- إن الإيجاب يستلزم دليلاً شرعياً، ولا دليل يدل على الوجوب[٥].

والراجح من القولين: هو القول الثاني؛ وذلك لما يأتي:

١- لأنه كما تقدم لا يمكن المصير إلى الوجوب إلا بدليل، ولا دليل.

٢- قال شيخ الإسلام في ترجيحه لهذا القول: "ولهذا لم يجئ في القرآن إلا مدح الراضين لا إيجاب ذلك عليهم "[٦].

فهذه خلاصة مسألة الرضا بما يصيب العبد من المصائب والابتلاءات.

وأما مسألة الرضا بالله ﷻ وما يقدره من أمور غير المصائب التي يصيب بها عباده

---

(١) الفوائد ص (١٦٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠ / ٤٠)، شفاء العليل (٣ / ١٣٦٣).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ٣٢٠)، والبيهقي في الشعب (١ / ٣٧٧)، وفي إسناديهما من اتهم بالوضع، وأروده ابن حبان في المجروحين (١ / ٣٢٧)، وحكم عليه ابن القيم أنه من آثار بني إسرائيل. انظر: شفاء العليل (٣/ ١٣٦٣).

(٤) رواه هناد في الزهد (١ / ٣٠٤)، والفريابي في كتاب القدر ص (١١٨)، والبيهقي في الشعب (١٢ / ٣٥٤)، وفي إسناده عمر بن عبد الله المدني، ضعيف، وهو كثير الإرسال. انظر: التقريب رقم (٤٩٦٨).

(٥) شفاء العليل (٣ / ١٣٦٣).

(٦) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤١).

المؤمنين، فهي على قسمين[1]:

القسم الأول: الرضا بالقضاء الذي هو وصف الرب ﷻ وفعله، كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته: فالرضا به واجبٌ، وهو من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً، كما في قول النبي ﷺ: " ذاق طعم الإيمان، من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً "[2]، قال القاضي عياض – رحمه الله –: " معناه: صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه "[3].

فلا يدخل العبد في الإسلام حتى يرضى بالله ﷻ.

القسم الثاني: القضاء الذي هو المقضي، وهو نوعان:

الأول: القضاء الديني، فهذا يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام.

والثاني: القضاء الكوني، وهذا منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب كما تقدم بيانه.

فاللهم إنا نسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك ولذة النظر إلى وجهك، آمين..

---

(١) انظر في هذه المسألة: الفواكه الدواني على رسالة القيرواني (١ / ٢٩)، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للبكري (١ / ١٨٧)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠ / ٤١)، وحرر هذه المسألة تلخيصاً نافعاً ابن القيم في شفاء العليل (٣ / ١٣٦٤ وما بعدها).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "الدليل على أن من رضي بالله رباً...فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر"، برقم (١٥١).

(٣) إكمال المعلم (١ / ١٩٩).

الفصل الخامس :

الإسلام والإيمان :

وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **مسمى الإيمان وحقيقة الإسلام** .

المبحث الثاني : **زيادة الإيمان ونقصانه** .

المبحث الثالث : **الاستثناء في الإيمان** .

المبحث الأول : مسمى الإيمان وحقيقة الإسلام.

١ – قال ابن أبي عاصم: أخبرنا ابن نمير، اخبرنا يعلى، عن الأعمش، عن أبي سعيد قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو فقال: إنا نسألك عن ما سمعت من رسول الله فقال: سمعت رسول الله يقول: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "[١].

٢ – قال المبارك: أخبرنا سفيان بن عيينة، قال: الحسين[٢] وحدثناه سفيان عن اسرائيل أبي موسى[٣] قال: سمعت الحسن يقول: " الإسلام وما الإسلام، أن يسلم قلبك لله تعالى، وأن يسلم منك كل مسلم وذي عهد "[٤].

٣- قال وكيع: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم "[٥].

٤- قال وكيع: حدثنا أبو اليسع المكفوف[٦]، عن عمرو بن مرة[٧]، قال: قال رسول الله ﷺ: " أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض فيه "[٨].

٥- قال وكيع: حدثنا سفيان، عن سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الزهد ص (٢٢)، والبخاري، كتاب: الإيمان، باب " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "، برقم (١٠)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل"، برقم (١٦٢).

(٢) صاحب ابن المبارك.

(٣) إسرائيل بن موسى أبو موسى البصري، نزيل الهند، ثقة، من السادسة. التقريب (٤٠٤).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد.ط الأعظمي ص (٢١٣)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٥٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦٩/١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢ / ١٥٢)، والجملة الأولى من هذا الأثر رويت مرفوعة إلى النبي ﷺ من حديث معاوية بن حيدة ﷺ عند أحمد في المسند (٣٣ / ٢٢٥)، وابن حبان صحيحه (١ / ٣٧٦).

(٥) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٦٠٣)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.."، برقم (١٩٤).

(٦) أبو اليسع يحيى بن شعيب، كوفي. الثقات لابن حبان (٩ / ٢٥٠).

(٧) ثقة تقدم رمي بالإرجاء.

(٨) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٦٠٠) وهو مرسل، وقد روي مرفوعاً من طرق أخرى، الطيالسي في مسنده (١ / ١٠١)، وأحمد في المسند (٤٨٨/٣٠)، والبيهقي في الشعب (١ / ١٠٤)، قال الألباني: حسن بمجموع الطرق. السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٩٨).

صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الحياء شعبة في الإيمان "[١].

٦ – قال ابن المبارك: أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام[٢]، عن جده[٣] قال: سمعت أبا أمامة ﷺ يقول: سأل رجل النبي ﷺ ما الإثم؟ قال: " ماحكَّ أو ما حاك في صدرك فدعه، قال: فما الإيمان؟ قال: إذا ساءتك سيئتك، وسرتك حسنتك فأنت مؤمن "[٤].

٧ – قال ابن المبارك: أخبرنا سفيان[٥]، عن رجل، عن الحسن قال: " إن الايمان ليس بالتمني، ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال "[٦].

٨- قال وكيع: حدثنا الأعمش[٧]، عن أبي ظبيان[٨]، عن علقمة[٩]، قال: قال عبد الله[١٠]: " الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله "[١١].

---

(١) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٦٧٥)، وهو متفق عليه، البخاري، كتاب: الإيمان، باب "أمور الإيمان"، برقم (٩)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان عدد شعب الإيمان.."، برقم (١٥٢).

(٢) زيد بن سلام بن أبي سلام ممطور الحبشي بالمهملة ثم الموحدة ثم المعجمة، ثقة، من السادسة. التقريب (٢١٥٢).

(٣) ممطور الأسود الحبشي، أبو سلام، ثقة يرسل، من الثالثة. التقريب (٦٩٢٧).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد .ط الأعظمي ص (٢٤٩)، ورواه أحمد في المسند (٣٦ / ٤٨٤)، وابن منده في الإيمان (٩٨٤/٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٥٢).

(٥) الثوري.

(٦) رواه ابن المبارك الزهد .ط الأعظمي ص (٤٢٥)، وابن أبي شيبة في الإيمان ح ٩٣ ص (٣٨)، والآجري في الشريعة (٢ / ٦٣٦)، والخطيب في اقتضاء العلم للعمل ص (٤٢)، وقال الألباني: هذا موقوف على الحسن البصري، ولا يصح عنه، فإن زكريا هو الحبطي، وهو هالك كما قال الذهبي، وقد رواه غيره من الهالكين عن الحسن عن أنس مرفوعاً. انظر: تحقيقه الإيمان لابن أبي شيبة ص (٣٨)، وقد أورد ابن تيمية هذا الأثر عند كلامه عن معنى الإيمان في اللغة، وقال عنه: " وهذا مشهور عن الحسن يُروى عنه من غير وجه ". مجموع الفتاوى (٧ / ٢٩٤).

(٧) تقدم.

(٨) حصين بن جندب بن الحارث الجنبي، بفتح الجيم وسكون النون، ثم موحدة، أبو ظبيان، بفتح المعجمة وسكون الموحدة، الكوفي، ثقة، مات سنة ٩٠هـ، وقيل غير ذلك. التقريب (١٣٧٥).

(٩) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت، فقيه عابد، مات بعد ٦٠هـ وقيل بعد ٧٠هـ. التقريب (٤٧١٥).

(١٠) ابن مسعود ﷺ.

(١١) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٤٥٦)، والحاكم في المستدرك (٥٢٤/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ١٥١) والطبري في التفسير (٢٠ / ١٥٥).

٩- قال وكيع: حدثنا سفيان[١]، عن الأعمش عن خيثمة[٢]، عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: " يأتي على الناس زمان يجتمعون في المسجد، ليس فيهم مؤمن "[٣].

---

(١) الثوري.

(٢) خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، بفتح المهملة وسكون الموحدة، الجعفي الكوفي، ثقة وكان يرسل، من الثالثة مات بعد سنة ٨٠هـ. التقريب (١٧٨٣).

(٣) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٥٣٣) وفيه إسناده خيثمة، ورواه الآجري في الشريعة (٦٠١/٢)، والحاكم في المستدرك (٦٠٨/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

تمهيد:

مسألة الإيمان والإسلام وحقيقة كل منهما تُعد من أهم مسائل العقيدة على الإطلاق؛ إذ بزوال الإسلام عن المرء ينتقل إلى الكفر والعياذ بالله، قال شيخ الإسلام: "اعلم أن «الإيمان والإسلام» يجتمع فيهما الدين كله، وقد كثر قول الناس في حقيقتهما، وصُنفت في ذلك مجلدات؛ ومبدأ النزاع منذ خرجت الخوارج .."(١).

وبمعرفة حقيقة هذين المصطلحين، ومذهب أهل الحق فيهما تتجلى لنا الصورة الشرعية لهما، ومن الذي يُطلق عليه لفظ الإيمان، ومن الذي يُطلق عليه لفظ الإسلام دون الإيمان، ومن الذين يُسلب هذين الاسمين، ولمعرفة هذه الحقيقة لابدَّ من بيان معنى هذين المصطلحين لغة وشرعاً، والفرق بينهما.

---

(١) انظر: مختصر الإيمان الكبير لابن تيمية اختصار الذهبي ص (٦٧).

❖ مسألة: مسمى الإيمان وحقيقة الإسلام.

- **تعريف الإسلام.**

تعريفه في اللغة: أصل مادة سلم في اللغة من الصّحّة والعافية،فالسّلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، الله ﷻ هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، ومن هذا الباب أيضاً الإسلام، وهو: الانقياد؛ لأنَّه يَسْلم من الإباء والامتناع(١).

تعريفه في الشرع: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله(٢).

وعبارات أهل العلم في معنى الإسلام في الاصطلاح الشرعي تدور حول هذا التعريف.

قال الطبري: " هو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له "(٣).

وقال ابن قتيبة: " الإسلام: هو الدخول في السّلم، أي: في الانقياد والمتابعة "(٤).

وقال القرطبي: " الإسلام في الشرع: الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية "(٥).

وقال ابن رجب: " هو استسلام العبد لله، وخضوعه، وانقياده له "(٦).

فمما تقدم من عبارات أهل العلم في بيان معنى الإسلام يتبين أن الإسلام يجمع معنين:

أحدهما: الانقياد والاستسلام.

والثاني: إخلاص هذا الانقياد والاستسلام وإفراده لله وحده ﷻ، والبعد عن ما يقدح فيه.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣ / ٩٠)، لسان العرب (١٢ / ٢٨٩).

(٢) انظر: الدرر السنية (١ / ١٢٩).

(٣) تفسير الطبري (٣ / ٩٤)

(٤) تأويل مشكل القرآن ص (٤٧٩).

(٥) المفهم (١/١٣٩).

(٦) جامع العلوم والحكم (١/١٠٨).

- **تعريف الإيمان.**

تعريفه في اللغة: أصل مادة أمن في اللغة ترجع إلى أصلين متقاربين، وهما: الأمانة، التصديق.

قال ابن فارس: "(أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر: التصديق "(١).

وعامة أهل اللغة على أن الإيمان في اللغة يُراد به: التصديق.

قال الخليل: والإيمان: التصديق نفسه(٢).

وقد حكى الأزهري إجماع أهل اللغة على ذلك فقال: " واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن (الإيمان) معناه: التصديق "(٣).

قال ابن بطة: "الإيمان اسم، ومعناه: التصديق "(٤).

وبعض أهل العلم أضاف «الأمن» إلى معنى الإيمان في اللغة، وقال إنما يطلق على التصديق الذي معه أمن، قال الراغب: " الإيمان: هو التصديق الذي معه أمن "(٥).

وبعد معرفة معنى الإيمان في اللغة، لا ينبغي أن يشكل معناه في اللغة على معناه في الشرع، فإن مصطلح الإيمان من الألفاظ التي استعملها الشارع مقيدة لا مطلقة وهذا هو الصحيح، خلافاً لمن قال: إنها نُقلت من معناها اللغوي إلى معنى شرعي كالصلاة والصيام وغير ذلك، أو أنها جاءت في لسان الشرع لمعنى زائد عن المعنى اللغوي(٦).

---

(١) مقاييس اللغة (١ / ١٣٣).

(٢) كتاب العين (٨ / ٣٨٩)، وانظر: الصحاح (٦ / ٣٤٩)، اللسان العرب (١ / ١٤١).

(٣) تهذيب اللغة (١٥ / ٣٦٨).

(٤) الإبانة الصغرى ص (١٢٣).

(٥) المفردات ص (٢٦).

(٦) وهذه المسألة تسمى مسألة «الأسماء أو الحقائق الشرعية» وهي مبحوثة في كتب أصول الفقه. انظر: روضة الناظر ومعه نزهة الخاطر (١٤/٢)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٤٩٠/١)، المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (٩٨٧/٢).

وشيخ الإسلام رحمه الله يرجح في هذه المسألة: أنها لم تُنقل، ولم يزاد عليها ويضاف، وإنما استعملها الشارع مقيدة لا مطلقة، قال رحمه الله: " تنازع الناس هل في اللغة، أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة، أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء ؟ وهكذا قالوا في اسم

قال القاضي أبو يعلى: "إن الشريعة لم تنقل الإيمان عما كان موضوعاً له في اللغة، بل وردت بإقراره على ذلك وزادت عليه أعمال الطاعات الظاهرة من الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من القرب "[١].

وقال ابن تيمية عند كلامه عن معنى الإيمان: " وأما أهل السنة فقد يقول بعضهم: هو منقول كالأسماء الشرعية من الصلاة والزكاة، وقد يقول بعضهم: بل هو متروك على ما كان، وزادت عليه الشريعة أشياء، ومنهم من يقول: بل هو باق على أصله من التصديق مع دخول الأعمال فيه، فإن الأعمال داخلة في التصديق، فالمؤمن يصدق قوله بعمله...ومنهم من يقول: ليس الإيمان في اللغة هو التصديق؛ بل هو الإقرار[٢]، وهو في الشرع الإقرار أيضاً والإقرار يتناول القول والعمل "[٣].

تعريفه في الشرع: معنى الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بالعصيان.

وهذا المعنى مجمع عليه عند السلف، وتواردت عباراتهم في تقريره، وفيما يلي بعضها:

- قال الحسن البصري: "الإيمان قول، ولا قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول

«الصلاة» و « الزكاة » و « الصيام » « والحج » إنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها، ومقصودهم: أن الإيمان هو مجرد التصديق، وذلك يحصل بالقلب واللسان، وذهبت طائفة ثالثة إلى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف، فهي بالنسبة إلى اللغة مجاز، وبالنسبة إلى عرف الشارع حقيقة.

والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نظائرها،كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧]، فذكر حجاً خاصاً وهو حج البيت.. " وذكر بعد ذلك لفظ الزكاة ثم الإيمان، ثم قال: "فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها؛ وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً، وقد بين الرسول تلك الخصائص؛ والاسم دل عليها؛ فلا يقال: إنها منقولة، ولا إنه زيد في الحكم دون الاسم؛ بل الاسم إنما استُعمل على وجه يختص بمراد الشارع؛ لم يستعمل مطلقاً ". مجموع الفتاوى (٢٩٨/٧).

(١) الإيمان ص (٢٤٧).

(٢) وهذا ما اختاره شيخ الإسلام وهو أن الإيمان في اللغة بمعنى « الإقرار » ورد قول من قال إنه مرادف للتصديق من كل وجه.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٧٧).

وعمل ونية إلا بسنة "[١].

- قال وكيع بن الجراح: "أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل "، ومثله قال الثوري[٢].

- قال الشافعي: " وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان: قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر "[٣].

- قال البخاري في الإيمان: " قول وعمل بلا شك "[٤].

- قال حرب الكرماني[٥]: مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها..وهو مذهب أحمد وإسحاق بن مخلد.. فكان من قولهم الإيمان قول وعمل، ونية، وتمسك بالسنة "[٦].

- وقال الطبري: " وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل؟ وهل يزيد وينقص؟ أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل، يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله، وعليه مضى أهل الدين والفضل "[٧].

- وقال ابن بطة: "قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل، والقول بالإحسان، وينقصه العصيان "[٨].

- ونقل ابن أبي العز الحنفي أيضاً هذا المعنى عن جمع من الأئمة فقال: "ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة، وأهل

---

(١) الشريعة للآجري (٢/٦٣٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٦٤٠).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٩٥٧).

(٤) المصدر السابق (٣/٩٥٩).

(٥) الإمام أبو محمد وقيل أبو عبد الله حرب بن إسماعيل الكرماني، الفقيه، تلميذ أحمد بن حنبل، قال الخلال: "كان رجلا جليلاً، حثني المروذي على الخروج إليه"، له كتاب المسائل، قال الذهبي عنه: " مسائل " حرب من أنفس كتب الحنابلة، وهو كبير في مجلدين". انظر: طبقات الحنابلة (١ / ١٤٣)، سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٤٤).

(٦) إجماع السلف في الاعتقاد ص (٣٣-٣٥).

(٧) صريح السنة ص (٢٥).

(٨) الإبانة الصغرى ص (١١٨-١١٩).

الظاهر، وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان "[١].

فهذه بعض النقول عن السلف في معنى الإيمان، وهي وإن اختلفت في بعض العبارات إلا أن مقصودهم واحد، ويمكن حصر عبارات السلف التي استعملوها في بيان حقيقة الإيمان في أربع جمل:

الأولى: أنه قول وعمل. الثانية: أنه قول وعمل واعتقاد.

الثالثة: أنه قول وعمل ونية. الرابعة: أنه قول وعمل واتباع سنة.

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله مقصود السلف في عباراتهم هذه بقوله: " والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد، رأى أن لفظ القول لا يُفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان. وأما العمل فقد لا يُفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة؛ فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة.

وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على « المرجئة » الذين جعلوه قولاً فقط فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام، فسروا مرادهم كما سُئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة "[٢].

فمما تقدم يُعلم أن منهج أهل السنة والجماعة في الإيمان هو: إدخال العمل في مسماه، وجعله ركن من أركانه، بحيث لا يتحقق إلا به، فالإيمان عندهم كما تقدم مركب من أمور ثلاثة، تصديق القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح.

---

(١) شرح الطحاوية ص (٣١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ١٧١).

من الأدلة على قول أهل السنة في حقيقة الإيمان:

أولاً: الأدلة على فرض الإيمان بالقلب:

١- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾[١].

أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه[٢].

٢- قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾[٣].

٣- ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[٤].

فهذه مما يدلك على أن على القلب الإيمان، وهو التصديق والمعرفة، ولا ينفع القول إذ لم يكن القلب مصدقاً بما ينطق به اللسان مع العمل[٥].

ثانياً: الأدلة على فرض الإيمان باللسان:

١- قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ

---

(١) المائدة: ٤١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ١١٣)، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٨١).

(٣) النحل: ١٠٦.

(٤) الحُجُرات: ١٤.

(٥) انظر: الشريعة للآجري (٢ / ٦١٢).

﴿مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[(١)] .

قال الشيخ السعدي: " فقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟﴾ أي: بألسنتكم، متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام، المترتب عليه الثواب والجزاء.."[(٢)].

ومثل هذه الآية ما جاء في سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾[(٣)] الآية.

٢- حديث أبي هريرة المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . فمن قال لا إله إلا الله ، فقد عصم مني نفسه وماله ، إلا بحقه ، وحسابه على الله "[(٤)].

ثالثاً: الأدلة على فرض الإيمان بالأعمال:

الأدلة على هذا المحور كثيرة جداً يصعب حصرها، وأقوال السلف في ذلك كثيرة أيضاً؛ وسبب ذلك أن إدخال الأعمال في الإيمان هو أهم الأمور التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة ومخالفيهم، فهذه بعض الأدلة:

١- تسميته سبحانه الصلاة إيماناً في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[(٥)].
اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس[(٦)].

٢- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[(٧)] الآية، فلولا أن هناك موضع موضع مزيد ما كان لأمره بالإيمان معنى[(١)].

---

(١) البقرة: ١٣٦-١٣٧.
(٢) تفسير السعدي (١/٦٧).
(٣) آل عمران:٨٤.
(٤) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب "دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة.."، برقم (٢٩٤٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله.."، برقم (١٢٤).
(٥) البقرة:١٤٣.
(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢ / ١٥٧).
(٧) النساء:١٣٦.

٣- قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[2] ، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾[3] .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام[4] بعد إيراده هذه الآيات: " أفلست تراه تبارك وتعالى قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل، ولم يرض منهم بالإقرار دون العمل، حتى جعل أحدهما من الآخر ؟ فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنهاج السلف بعده، الذين هم موضع القدوة والإمامة ؟ فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا "[5].

٣- حديث وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ﷺ، وفيه أنه قال لهم: " أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ "، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس "[6].

ففسر النبي ﷺ في هذا الحديث بالأعمال الصالحة.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من

---

(١) انظر: الإيمان للقاسم بن سلام ص (٣٣).

(٢) العنكبوت: ٢-٣.

(٣) العنكبوت: ١٠.

(٤) الإمام المجتهد البحر أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، اللغوي الفقيه، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة، قال إسحاق بن راهويه: " الحق يحب لله، أبو عبيد أفقه مني وأعلم "، وقال أحمد بن حنبل: " أبو عبيد أستاذ، وهو يزداد كل يوم خيراً "، من مصنفاته: غريب الحديث، والإيمان، كتاب الأموال، مات سنة ٢٢٤هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/٣٩٢)، العبر في خبر من غبر للذهبي (١ / ٣٠٨)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢ / ٥).

(٥) الإيمان للقاسم بن سلام ص (٣٤).

(٦) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب "أداء الخمس من الإيمان"، برقم (٥٣).

الإيمان"[١]. وهذا الحديث فيه ذكر الأمور التي يتركب منها الإيمان، وهي القول والعمل عمل القلب والجوارح.

قال الخطابي: " في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها، وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها "[٢].

٥- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن "[٣].

وقال ابن رجب عند تعليقه على هذا الحديث: " فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان، لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته"[٤].

٦- عن صفوان بن عسّال ﷺ قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين، فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال لهم: " لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تُوَلُّوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصةً اليهودَ أن لا تعتدوا في السبت "، قال: فقبلوا يده ورجله، فقالا: نشهد أنك نبي، قال: " فما يمنعكم أن تتبعوني؟ "، قالوا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود[٥].

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان شعب الإيمان.."، برقم (١٥٣).

(٢) معالم السنن (٣١٢/٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب: المظالم، باب "النهبى بغير إذن صاحبه"، برقم (٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.."، برقم (٢٠٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (١٠٥/١).

(٥) رواه الترمذي، في أبواب الاستئذان، باب "ما جاء في قُبلة اليد والرجل"، برقم (٢٧٣٣) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١ / ٥٨)، وفي شرح معاني الآثار (٣ / ٢١٥)، والبيهقي في

فهذان الرجلان اعتقدا صدق النبي ﷺ، ونطقا بذلك، ولكن ذلك لم ينفعهما؛ لأنهما لم يتبعاه بالعمل، ولذلك قال لهم ﷺ: " فما يمنعكم أن تتبعوني؟ ".

قال الطحاوي في شرحه لهذا الحديث: " فدل ذلك أنهم لم يكونوا بذلك القول مسلمين، وثبت أن الإسلام لا يكون إلا بالمعاني التي تدل على الدخول في الإسلام وترك سائر الملل"[1].

وقال ابن القيم: " فهؤلاء قد اقروا بألسنتهم إقراراً مطابقاً لمعتقدهم أنه نبي، ولم يدخلوا بهذا التصديق والإقرار في الإيمان؛ لأنهم لم يلتزموا طاعته والانقياد لأمره، ومن هذا كفر أبي طالب؛ فإنه عرف حقيقة المعرفة أنه صادق، وأقر بذلك بلسانه، وصرح به في شعره، ولم يدخل بذلك في الإسلام، فالتصديق إنما يتم بأمرين:

أحدهما: اعتقاد الصدق.

والثاني: محبة القلب وانقياده.

ولهذا قال تعالى لإبراهيم: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾[2]، وإبراهيم كان معتقداً لصدق رؤياه من حين رآها؛ فإن رؤيا الأنبياء وحي، وإنما جعله مصدقاً لها بعد أن فعل ما أمر به "[3].

ومما تقدم من بيان قول أهل السنة والجماعة في حقيقة الإيمان، وعلى ماذا يقوم، يظهر جلياً فساد قول المخالفين لهم في هذا الباب، وهم قسمان:

القسم الأول: يُخرجون العمل من مسمى الإيمان، وهم أصناف ويختلفون في حقيقة الإيمان، ولكن يجمعهم وصف الإرجاء[4]، وبطلان قولهم باطل بما تقدم ذكره.

القسم الثاني: يُدخلون العمل في الإيمان، ولكنهم يخالفون أهل السنة في أنهم يرون أن الإيمان كلٌ لا يتجزأ، إذا زال بعضه زال جميعه، وعليه فإن أصحاب الكبائر عندهم مخلدين في النار،

الكبرى (٨ / ١٦٦)، وفي دلائل النبوة (٦ / ٢٦٨).

(١) شرح مشكل الآثار (١ / ٥٨).

(٢) الصافات: ١٠٤– ١٠٥.

(٣) الصلاة وحكم تاركها ص (٦١).

(٤) انظر: الملل والنحل (١ / ٦٢)، الإرشاد للجويني ص (٣٠٦)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨/١٣).

كما هو مذهب المعتزلة والخوارج[1]، أما في الدنيا فهو كافر عند الخوارج، وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة، وهؤلاء سيظهر بيان فساد قولهم إضافة إلى ما تقدم في مبحث زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأنهم يوافقون السلف في إدخال العمل في مسمى الإيمان، ولكنهم يرون أنه إذا ذهب بعضه ذهب كله، فهم يخالفون في الزيادة والنقصان.

- **الفرق بين الإسلام والإيمان.**

هذه المسألة حصل فيها خلاف بين السلف على ثلاثة أقوال، فمنهم من قال: إن الإسلام والإيمان مترادفان كالبخاري[2]، ومنهم من قال: الإسلام هو الكلمة، والإيمان هو العمل كالزهري [3]، وكلا هذين القولين مرجوحان كما بيّن ذلك أهل العلم[4].

والقول الثالث في هذه المسألة:

الذي نص عليه جمع من المحققين من أهل العلم، وبه تجتمع النصوص الواردة في هذا الموضوع، هو أن الإسلام والإيمان بينهما تلازم مع افتراق اسميهما، وأن معناهما حال اقترانهما يختلف عن معناهما حال افتراقهما، فإذا اقترن هذين الاسمين دل كلاً منهما على حقيقته الشرعية، فالإسلام يدل على أعمال الجوارح الظاهرة، والإيمان يدل على الاعتقادات الباطنة، وأما إذا انفرد أحد الاسمين في نص من النصوص شمل كلا المعنين، ودخل فيه الآخر؛ لما بينهما من التلازم، وهذا هو الذي دلت عليه الأحاديث.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١ / ٦١-٦٢)، شرح الأصول الخمسة ص (٦٩٧-٦٩٨)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨/١٣).

(٢) انظر: فتح الباري (١ / ٥٥)، ولعل من قال بهذا القول أراد قوة الترابط بين الإسلام والإيمان، حتى لكأنهما شيء واحد. انظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين للدكتور أحمد الغامدي ص (٣٥).

(٣) انظر: الإيمان لابن منده (١ / ٣١١)، وحقيقة قول الزهري أنه قصد بقوله: الإسلام هو الكلمة، ليس هو الشهادتين فقط دون الأعمال، وإنما لما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين، قال: الإسلام الكلمة، ولذا وافقه الإمام أحمد وغيره على هذا اللفظة في بعض تفسيراتهم للإسلام، وإلا فإن الزهري أجل من أن يخفى عليه ذلك، ولهذا لم يجب أحمد بهذا في جوابه الثاني، وإنما بين أنه العمل أيضاً. انظر: الإيمان الكبير ص (٣٢٤).

(٤) انظر أقوال السلف وأدلتهم في هذه المسألة: اعتقاد أئمة الحديث ص (٦٧)، الإيمان لابن منده (١ / ٣١١)، الإيمان الكبير لابن تيمية ص (٢٠٤)، فتح الباري لابن رجب (١ / ٩١)، توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان لمرعي الحنبلي ص (٣-١٢)، الإيمان بين السلف والمتكلمين ص (٢٩-٤٠).

فقد جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ المتفق عليه، سؤال جبريل ﷺ للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان وغيره، فأجابه النبي ﷺ عن الإسلام بقوله: " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " وعن الإيمان بقوله: " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره "(١).

فهذا الحديث جاء فيه ذكر الإسلام مفسراً بالأعمال الظاهرة، والإيمان مفسراً بالأعتقادات الباطنة، فلما اجتمعا في نص واحد فُسر كل واحد منهما بحقيقته.

وجاء في حديث وفد عبد القيس الآنف الذكر اسم الإيمان مفسراً بالأعمال الظاهرة.

وفي حديث عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: " أن يسلم قلبك لله ﷻ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك "، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: " الإيمان "، قال: وما الإيمان؟ قال: " تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت "، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: " الهجرة..."(٢). جاء الإسلام مفسراً بالإيمان وهو الاعتقاد. فتبين من هذين الحديثين أن كلاً من الإسلام والإيمان إذا انفرد أحدهما دخل في معناه الآخر، لبيان التلازم فيما بينهما.

وهكذا صنع البخاري في صحيحه، حيث ترجم بقوله: " كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: « بنى الإسلام على خمس » "(٣).

قال الإمام البغوي في حديث سؤال جبريل ﷺ المتقدم: " جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام؛ بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٨ / ٢٥١)، والمروزي تعظيم قدر الصلاة (١ / ٤٠١)، وعبد الرزاق في المصنف (١٢٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ١٢٠)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٣ / ٤٧٦)، وصححه الألباني بشواهده. انظر: الإيمان الكبير ص (٨).

(٣) الصحيح ص (٤).

والتصديق والعمل يتناولها اسم الإيمان والإسلام جميعاً، يدل عليه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[1] ، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾[2] ، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾[3]، فأخبر أن الدين الذي رضيه، ويقبله من عباده، هو الإسلام، ولن يكون الدين في محل القبول والرضى إلا بانضمام التصديق إلى العمل "[4].

ولهذا جاء عن بعض أهل العلم قولهم: كل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن.

فالجملة الأولى ظاهرة ولا إشكال فيها، وأما الجملة الثانية فالمقصود بالإيمان فيها: أي أصله وهو الإيمان الواجب، الذي تصح به الأعمال، وليس الإيمان المطلق، فإنه ليس كل مسلم إيمانه كاملاً، فإن المسلم هو المطيع لله ولا تصح الطاعة من أحد إلا مع الإيمان فيمتنع أن يكون أحدٌ فَعَل شيئاً من الإسلام إلا وهو مؤمن[5].

وعليه فلا يشكل قول بعض أهل العلم: ليس كل مسلم مؤمن.

ومقصودهم بهذا: أن المرء قد يكون مستسلماً في الظاهر، غير منقاد في الباطن.

قال أبو سليمان الخطابي: " المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها، ولم يختلف عليك شيء منها، وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر "[6].

وبهذا التفصيل الذي تقدم يُعلم حقيقة القول في مسألة الإيمان والإسلام وخلاصته: أنهما إذا اجتمعا في نص افترقا في المعنى، وإذا افترقا في نص اجتمعا في المعنى[7].

---

(١) آل عمران:١٩.

(٢) المائدة:٣.

(٣) آل عمران:٨٥.

(٤) شرح السنة (١ / ١٠).

(٥) حقق هذا المعنى شيخ الإسلام في مواضع متفرقة من كتابه الإيمان الكبير. انظر: ص (١٢٨-١٧٦-١٨٩-١٩٠).

(٦) معالم السنن (٤ / ٣١٤).

(٧) وقد حقق هذه المسألة ونص على هذا القول كثير من أهل العلم. انظر: صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح (١٣٤-

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

١ – قال هناد: حدثنا عبدة[١]، عن محمد بن عمرو[٢]، عن أبي سلمة[٣]، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم "[٤].

٢ – قال هناد: حدثنا محمد بن عبيد[٥]، عن الأعمش[٦]، عن أبي صالح[٧]، عن عبدالله بن ضمرة[٨]، عن كعب[٩]، قال: " من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وسمع وأطاع، فقد توسط الإيمان، ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان "[١٠].

٣ – قال ابن أبي عاصم: أخبرنا دحيم، اخبرنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعى، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن "[١١].

(١٣٤–١٣٥)، الإيمان الكبير لا بن تيمية ص (١٥،٢٠٤)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/١٠٥–١٠٨).

(١) ثقة تقدم.

(٢) صدوق له أوهام تقدم.

(٣) ثقة مكثر تقدم.

(٤) رواه هناد في الزهد (٢ / ٥٩٢)، وهذا الحديث رواه أحمد في المسند (١٢ / ٣٦٤)، والترمذي، في أبواب الرضاع، باب "ما جاء في المرأة على زوجها"، برقم (١١٦٢) وقال: حسن صحيح، وأبو داود، كتاب: السنة، باب "الدليل على زيادة الإيمان"، برقم (٤٦٨٢)، والدارمي في سننه (٢ / ٤١٥)، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٢٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١ / ٥٧٣).

(٥) ثقة يحفظ تقدم.

(٦) تقدم.

(٧) هو ذكوان السمان ثقة تقدم.

(٨) وثقه العجلي تقدم.

(٩) المعروف بكعب الأحبار تقدم.

(١٠) رواه هناد في الزهد (١ / ٢٧٤) وفيه عنعنة الأعمش، قال محقق الزهد لهناد: "ورواية الأعمش عن ذكوان محمولة على الاتصال"، وروى هذا الأثر ابن أبي شيبة في الإيمان ص (٤٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٣١)، ورواه موقوفاً على أبي هريرة ﷺ المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٤٠٧).

(١١) رواه ابن أبي عاصم الزهد ص (٤٣)، والبخاري، كتاب: المظالم، باب "النهبى بغير إذن صاحبه"، برقم (٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله"،

٤- قال وكيع: حدثنا المسعودي[١]، عن حمزة العبدي[٢]، ثنا أشياخنا[٣]، قالوا: خرج عبد الله بن مسعود ﷺ، فنادى: " يا ذا ولم يناج نجاء، فقال : المرطاط بشاطئ الفرات طريق بغية المؤمنين، هراب من الدجال، قال: فما ينتظرون بالعمل؟ أخروج الدجال؟ فبئس المنتظر، أو قيام الساعة؟ فالساعة أدهى وأمر، ثم أخذ حصاة، فقال بها هكذا على ظفره: ما خروج الدجال بأنقص لإيمان مؤمن إلا ما نقص هذه الحصاة من ظفري "[٤].

٥ – قال ابن المبارك: أخبرنا عوف[٥]، عن عبد الله بن عمرو بن هندي الجملي[٦]، قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: " الايمان يبدو نقطة بيضاء في القلب، كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل الايمان أبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نقطة سوداء في القلب ،كلما ازداد النفاق ازداد السواد، فإذا استكمل النفاق أسود القلب كله، وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود "[٧].

برقم (٢٠٢).

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة الكوفي المسعودي، صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط، مات سنة ١٦٠هـ، وقيل: سنة ١٦٥هـ. التقريب (٣٩٤٤).

(٢) حمزة العبدي من أهل الكوفة، يروي عن إبراهيم النخعي ومرة الهمداني، مرسل روى عنه المسعودي. انظر: التاريخ الكبير (٣ / ٥٠)، الثقات لابن حبان (٦ / ٢٢٧).

(٣) مبهمون.

(٤) رواه وكيع في الزهد (٢ / ٥٢٢) ولم يخرجه غيره.

(٥) عوف بن أبي جميلة، بفتح الجيم، الأعرابي العبدي البصري، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع، مات سنة ١٤٦هـ أو ١٤٧هـ. التقريب (٥٢٥٠).

(٦) عبد الله بن عمرو بن هند المرادي الجملي الكوفي، صدوق، من الثالثة، لم يثبت سماعه من علي. التقريب (٣٥٣٠).

(٧) رواه ابن المبارك في الزهد.ط الأعظمي ص (٣٩٨).

❖ مسألة: زيادة الإيمان ونقصانه.

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن أهله متفاضلون فيه، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض، ونصوص الوحيين وأقوال السلف في إثبات هذه العقيدة كثيرة جداً، وإليك بعضها:

- **الأدلة من الكتاب:**

١- قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[١].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[٢].

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[٣].

٤- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾[٤].

فهذه بعض الآيات التي جاءت في زيادة الإيمان ونقصانه، وهي مصرِّحة بلفظ «زيادة الإيمان» فاكتفيت بذكرها، وإلا فإن هناك من الآيات الدالة على زيادة الإيمان، ولكنها لم تأت بهذا اللفظ، وإنما قد تأتي بلفظ زيادة الهدى، أو زيادة الخشوع، أو بتفاضل بعض المؤمنين على بعض، أو بتفاضل دراجاتهم..إلى غير ذلك من الألفاظ فكل ذلك دالٌّ على زيادة الإيمان ونقصانه[٥].

---

(١) آل عمران:١٧٣.

(٢) الأنفال:٢.

(٣) التوبة:١٢٤.

(٤) الفتح:٤.

(٥) انظر في ذكر أنواع الأدلة الواردة في القرآن على زيادة الإيمان ونقصانه: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر

- **الأدلة من السنة:**

١- حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن "(١).

والمقصود أنه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، فهذه من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء والمراد نفي كماله، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا ما يغل، ولا عيش إلا عيش الآخرة، ويدل على هذا المعنى حديث أبي ذر ﷺ: " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق "(٢). وحديث عبادة ﷺ: " أنهم بايعوا رسول الله ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا "(٣). الحديث وفي آخره ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة، ومن لم يعاقب فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه(٤).

لذلك جعل النووي هذا الحديث تحت باب: « بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله »(٥)، لبيان أن المراد نفي كمال الإيمان وهو نقصه.

٢- حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(٦).

فأخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن الإيمان له حدٌ أعلى وحدٌ أدنى، وعليه فيُعلم أن درجاته متفاوته، وبتفاوتها يتفوات الناس في تحصيلها.

البدر ص (٥١-٨٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب "من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله"، برقم (١٢٣٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "الدليل على من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة "، برقم (٢٧٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب "﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة:١٢]"، برقم (٤٨٩٤)، ومسلم، كتاب: الحدود، باب "الحدود كفارات لأهلها"، برقم (٤٤٦١).

(٤) انظر: فتح الباري (١٢ / ٦٠).

(٥) شرح مسلم (١/٤٢ من الجزء الثاني).

(٦) تقدم تخريجه.

٣- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال خرج رسول الله ﷺ في أضحى - أو فطر - إلى المصلى، فمرَّ على النساء، فقال: " يا معشر النساء تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار ". فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: " تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ". قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ ". قلن: بلى. قال: " فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ ". قلن: بلى. قال: " فذلك من نقصان دينها"[١].

هذا الحديث جعله النووي تحت باب « بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات..»[٢] ، ليبين دلالتة على زيادة الإيمان ونقصانه.

ففي هذا الحديث تصريح بأن من كانت طاعاته أقل من غيره فإيمانه ناقص؛ وذلك لأن من كثرت طاعته وعبادته لله ﷻ زاد إيمانه، ومن قلّت عبادته نقص إيمانه.

ونص أيضاً هذا الحديث على أن الإيمان ينقص، وأما الزيادة فالنصوص الواردة فيها كثيرة جداً تقدم بعضها.

وليس المقصود بذكر النقص في النساء لومهن على ذلك لأنه من أصل الخلقة، لكن التنبيه على ذلك تحذيراً من الافتتان بهن؛ ولهذا رتب العذاب على ما ذكر من الكفران وغيره، لا على النقص، وليس نقص الدين منحصراً فيما يحصل به الإثم، بل في أعم من ذلك؛ لأنه أمر نسبي فالكامل مثلا ناقص عن الأكمل، ومن ذلك الحائض لا تأثم بترك الصلاة زمن الحيض، لكنها ناقصة عن المصلي[٣].

٤- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان "[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الحيض، باب "ترك الحائض الصوم"، برقم (٣٠٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات.."، برقم (٢٤١).

(٢) شرح مسلم (٦٧/١ من الجزء الثاني).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١ / ٤٠٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب "بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص.."، برقم (١٧٧).

بوّب النووي لهذا الحديث بقوله: باب « بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص »[1].

وقسَّم النبي ﷺ المؤمنين في هذا الحديث ثلاث طبقات، وكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، لكن الأول لما كان أقدرهم كان الذي يجب عليه أكمل، مما يجب على الثاني، وكان ما يجب على الثاني، أكمل مما يجب على الآخر، وعُلِمَ بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم[2].

والمقصود بنقص إيمان من لم يستطع الإنكار إلا بالقلب هو نقص عمله عن الآخرين، إذ هما قاما بعمل أكمل من عمله، فأحدهما استطاع الإنكار بيده، وهذا أكملهم، والآخر بلسانه وهذا أكمل من الأخير، فعُدَّ إيمانه ناقصاً من هذه الجهة، ولا يُحاسَب على هذا النقص؛ لأنه خارج عن استطاعته ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[3]،[4].

بل يقول شيخ الإسلام في هذا الصدد: " ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته، فإنه يُعطى ثواب الفاعل الكامل "[5].

والأحاديث في تقرير زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاوت أهله فيه كثيرة يصعب حصرها، **ولكن من المهم التنبيه على أمر مهم وهو:**

أن الأدلة التي نصّت على لفظ الزيادة فقط، هي دالة باللزوم على نقصان الإيمان؛ وذلك أن الزيادة تستلزم النقص، وأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص.

ولهذا أورد البخاري الآيات التي جاءت بلفظ الزيادة تحت باب « زيادة الإيمان ونقصانه»[6]، مبيناً بذلك أن كل ما كان دليلاً على الزيادة فهو دليل على النقص.

---

(١٧٧).

(١) شرح مسلم (٢٢/١ من الجزء الثاني).

(٢) انظر: الإيمان الكبير ص (٣٣٤).

(٣) البقرة:٢٨٦.

(٤) انظر: زيادة الإيمان للبدر ص (١٠٥).

(٥) الاستقامة (٢ / ٢٢١).

(٦) الصحيح ص (١٠).

قال ابن حجر: " ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرَّحة بالزيادة، وبثبوتها يثبت المقابل؛ فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة "[1].

وكلام أهل في بيان هذا كثير، قال الإمام أحمد: " إن كان قبل زيادته تاماً، فكيف يزيد التام، فكما يزيد كذا ينقص "[2].

- **أقوال السلف وإجماعهم على هذه المسألة:**

أهل السنة والجماعة مجمعون كما تقدم على أن الإيمان يزيد وينقص، وأقوالهم في تقرير هذا متوافرة، فمنها:

- قال ابن عباس: "إن الرجل إذا زنى نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء ردَّه، وإن شاء تركه "[3].
- قال عمر بن عبد العزيز: " إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان "[4].
- قال إسحاق بن راهويه: " الإيمان قول وعمل يزيد وينقص لا شك أن ذلك كما وصفنا، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة والآثار العامة المحكمة؛ وآحاد أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين وهلم جرا على ذلك، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالعراق، ومالك بن أنس بالحجاز، ومعمر باليمن، على ما فسرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص "[5].
- قال ابن بطة: "اعلموا رحمكم الله أن الله ﷻ تفضل بالإيمان على من سبقت له الرحمه في كتابه..ثم جعل المؤمنين متفاضلين ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ثم جعله فيهم

---

(١) الفتح (١ / ٤٧).

(٢) السنة للخلال (٣ / ٥٨٨).

(٣) رواه الآجري في الشريعة (٢/٥٩٥).

(٤) رواه البخاري تعليقاً، كتاب: الإيمان، باب "قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس.."، ووصله ابن حجر وقال: إسناد صحيح ورجاله ثقات. تغليق التعليق (٢ / ٢٠).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧ / ٣٠٨).

يزيد وقوى بالمعرفة والطاعة، وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية، وبهذا نزل الكتاب، ومضت السنة، وعليه أجمع العقلاء من أئمة الأمة "[١].

- قال أبو الحسن الأشعري:" وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"[٢].
- قال ابن عبد البر: " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية "[٣].
- قال ابن بطال: " مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها، أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص "[٤].

فهذه بعض الآثار التي وردت عن السلف رحمهم الله تعالى في تقرير هذه العقيدة.

وقد ذكر شيخ الإسلام الأوجه الدالة على زيادة الإيمان، من أوامر الله ﷻ، ومما يكون من عباده المؤمنين[٥]:

الأول: الإجمال والتفصيل فيما أمروا به، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل عبد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول، ما يجب على من بلغه غيره، فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها، لزمه من الإيمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره، ولو آمن الرجل باللّه وبالرسول باطناً وظاهراً، ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين، مات مؤمناً بما وجب عليه من الإيمان، وليس ما وجب عليه ولا ما وقع عنه مثل إيمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها.

الثاني: الإجمال والتفصيل فيما وقع منهم، فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقاً فلم يكذبه قط، لكن أعرض عن معرفة أمره، ونهيه، وخبره، وطلب العلم الواجب عليه؛ فلم يعلم الواجب عليه، ولم يعمله، بل اتبع هواه، وآخر طلب علم ما أمر به فعمل به، وآخر طلب علمه،

---

(١) الإبانة (٨٣٢/٢).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٧٢).

(٣) التمهيد (٩ / ٢٣٨).

(٤) شرح صحيح البخارى (١ / ٥٦).

(٥) الإيمان ص (١٨٥-١٨٧).

فعلمه، وآمن به ولم يعمل به وإن اشتركوا في الوجوب، لكن من طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل به، فهؤلاء ممن عرف ما يجب عليه والتزمه، وأقر به، لكنه لم يعمل بذلك كله، وهذا المقر بما جاء به الرسول، المعترف بذنبه الخائف من عقوبة ربه على ترك العمل، أكمل إيماناً ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك، ولا هو خائف أن يعاقب، بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، مع أنه مقر بنبوته باطناً وظاهراً . فكلما علم القلب ما أخبر به الرسول فصدقه، وما أمر به فالتزمه، كان ذلك زيادة في إيمانه على من لم يحصل له ذلك، وإن كان معه التزام عام وإقرار عام .

الثالث: أن العلم والتصديق نفسه، يكون بعضه أقوى من بعض، وأثبت وأبعد عن الشك والرِّيب، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه، والمعاني التي يُؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه، يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها .

الرابع: أن التصديق المستلزم لعمل القلب، أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، وإذا كان شخصان يعلمان أن اللّه حق، ورسوله حق، والجنة حق، والنار حق، وهذا علمه أوجب له محبة اللّه، وخشيته، والرغبة في الجنة، والهرب من النار والآخر علمه لم يوجب ذلك، فعلم الأول أكمل؛ فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه، والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم.

الخامس: أن أعمال القلوب، مثل محبة اللّه ورسوله، وخشية اللّه تعالى ورجائه، ونحو ذلك، هي كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً.

السادس: أن الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها.

السابع: ذكر الإنسان بقلبه ما أمره اللّه به واستحضاره لذلك، بحيث لا يكون غافلاً عنه، أكمل ممن صدق به وغفل عنه، فإن الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر، والاستحضار

يكمل العلم واليقين؛ ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابة: "إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضَيَّعْنا فتلك نقصانه "[1].

الثامن: أن الإنسان قد يكون مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها، وأمر بها، ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر، بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق، ثم يسمع الآية أو الحديث، أو يتدبر ذلك، أو يفسر له معناه، أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه، فيصدق بما كان مكذبًا به، ويعرف ما كان منكراً، وهذا تصديق جديد، وإيمان جديد ازداد به إيمانه، ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً، وهذا وإن أشبه المجمل والمفصل لكون قلبه سليما عن تكذيب وتصديق لشيء من التفاصيل، وعن معرفة وإنكار لشيء من ذلك، فيأتيه التفصيل بعد الإجمال على قلب ساذج، وأما كثير من الناس، بل من أهل العلوم والعبادات، فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون أنها تخالف، فإذا عرفوا رجعوا، وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه، أو عمل عملاً أخطأ فيه، وهو مؤمن بالرسول، أو عرف ما قاله وآمن به، لم يعدل عنه، هو من هذا الباب، وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب، فمن علم ما جاء به الرسول، وعمل به، أكمل ممن أخطأ ذلك، ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به، فهو أكمل ممن لم يكن كذلك.

وبهذا العرض والتقرير لمعتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة يتبين بطلان وفساد قول المخالفين لهم فيها، والذين تقدمت الإشارة إليهم في المبحث السابق، وهم في الجملة طائفتان:

الأولى: الخوارج والمعتزلة الذين يرون كما تقدم أن الإيمان كل لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله[2].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١ / ٣٣٠).

(٢) فالمعتزلة يخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان على رأيهم: أن الإيمان كل لا يتجزأ، إذا ذهب بعض كله، ولا يشكل على هذا ما ذكره بعض أئمة المعتزلة من أن الإيمان يزيد وينقص، كما قرر ذلك منظّر المعتزلة القاضي عبد الجبار عند قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢] قال: "ومنها أنه يدل على أن الإيمان يزيد وينقص على ما نقوله؛ لأنه إذا كان عبارة عن هذه الأمور التي يختلف التعبد فيها على المكلفين، فيكون اللازم لبعضهم أكثر مما يلزم الغير، فتجب صحة الزيادة والنقصان ". انظر: متشابه القرآن ص (٣١٢-٣١٣)، وقال أيضا :"فإن قال: أفتقولون في الإيمان إنه يزيد وينقص؟ قيل له: نعم؛ لأن الإيمان كل واجب يلزم المكلف القيام به، والواجب على بعض المكلفين أكثر من الواجب على غيره، فهو يزيد وينقص من هذا الوجه..". انظر: المختصر في

وجماع شبهتهم كما يقول شيخ الإسلام:" وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة، فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة؛ وكذلك الأجسام المركبة كالسكنجبين[١] إذا زال أحد جزأيه خرج عن كونه سكنجبينا، قالوا: فإذا كان الإيمان مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها، وهذا قول الخوارج والمعتزلة قالوا: ولأنه يلزم أن يكون الرجل مؤمناً بما فيه من الإيمان، كافراً بما فيه من الكفر، فيقوم به كفر وإيمان، وادعوا أن هذا خلاف الإجماع "[٢].

وأشير إلى شيء من الرد على شبهتم هذه، فهي مردودة بالشرع كما تقدم، فقد جاء في الحديث أن الإيمان درجات ورُتب، كما قال النبي ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون شعبة ".

وأيضاً فإن العقل يدرك أنه لا يلزم من زوال جزء الشيء زواله بالكلية، فإن العشرة مثلاً إذا زال واحد منها لا يلزم من ذلك زوال التسعة الباقية[٣].

الثانية: المرجئة الذين يرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص[٤]؛ ولهم شُبَهٌ في ذلك يطول ذكرها، ولكن من أشهرها: أن الإيمان عندهم كما تقدم هو التصديق القلبي، والتصديق لا يتفاوت

أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/٢٧٦).

فتبين بهذا النقل مفارقتهم لأهل السنة في هذه المسألة؛ وذلك أنهم يرون أن الزيادة والنقصان من ناحية التكاليف، ومثال ذلك: أن الغني الذي تجب عليه الزكاة هو أزيد إيماناً ممن لا تجب عليه الزكاة فهو أنقص من الغني.

وهذا وإن كان من أوجه الزيادة والنقصان، كما تقدم بينانه في أوجه زيادة الإيمان ونقصانه، ولكن هناك ممن هو أقل من ناحية التكاليف من غيره ولكن إيمانه أكمل ممن هو أكثر في التكاليف، فقد تجد من الفقراء ممن ليس لديه ما يزكيه من هو أكمل إيمان من بعض الأغنياء الذين يزكون أموالهم، وقل مثل في النساء أيضاً، فقد تجد منهن من هي أكمل في الإيمان من بعض الرجال؛ لأن الزيادة والنقصان عند أهل السنة ليست محصورة في زيادة التكاليف فقط، بل فعل الطاعة يزيد الإيمان، وارتكاب المعصية ينقصه.

وقد ذكر الدكتور أحمد عطية الغامدي في كتابه "الإيمان بين السلف والمتكلمين" ثلاثة فروق بين قول المعتزلة وقول أهل السنة في الزيادة والنقصان. انظرها: ص (١٣٠-١٣١).

(١) (السكنجبين): شراب مركب من حامض وحلو (معرب) فارسيته سركا انكبين. المعجم الوسيط (١ / ٤٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٥١١).

(٣) وللاستزادة في الرد على هذه الشبهة ينظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه للبدر ص (٣٥٤ ومابعدها).

(٤) وقد خالف بعض متأخري الأشاعرة هذا القول، وقالوا بالزيادة والنقصان للتصديق القلبي، وذلك من وجهين:

١- أن التصديق القلبي يقبل الزيادة والنقصان من جهة ذاته وهو التصديق نفسه، وذلك من حيث وضوح الأدلة والبراهين

بالأعمال زادت أو نقصت، أي أن تصديقاً لا يفضل تصديقاً[1]، فرجع قولهم إلى قول المعتزلة والخوارج وهو أن الإيمان كلٌ لا يتجزأ.

إلا أن الفرق بينهم: أن الخوارج والمعتزلة: يرون أن فعل الواجبات وترك المحرمات من الإيمان، فإذا ذهب بعض ذلك ذهب الإيمان كله، فلا يكون مع الفاسق إيمان أصلا بحال.

وأما المرجئة: وافقوا أهل السنة على أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان؛ لاعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض فقالوا: كل فاسق فهو كامل الإيمان وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل وإنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمال[2].

وقد تقدم أن حقيقة الإيمان تتألف من التصديق والقول والعمل، فإذا زاد العمل بالطاعة زاد الإيمان وكذا العكس.

عليه؛ ولهذا كان إيمان الأنبياء أقوى من إيمان غيرهم، واستدلوا عليه بقول الله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٢- أنه يزيد وينقص من جهة متعلقه، وهو التصديق التفصيلي لأفراد ما علم مجيئه من الشرائع. والقابل للزيادة قابل للنقص. انظر: المواقف للإيجي وشرحه للجرجاني (٣/٥٤٢-٥٤٤)، الإيمان لأبي يعلى ص (٣٢٢-٣٢٣).

ولكنهم مع ذلك يخالفون قول السلف في هذه المسألة فهم لا يرون الأعمال داخلة في زيادة الإيمان ونقصانه، تبعاً لرأيهم في حقيقة الإيمان.

(١) انظر: التمهيد للباقلاني ص (٣٤٩)، العقيدة النظامية للجويني ص (٨٩)، شرح معالم أصول الدين لابن التلمساني ص (٧١٠)، شرح العمدة للنسفي ص (٣٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨ / ٢٧٠-٢٧١).

المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.

١- قال البيهقي: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، أنبأ أبو العباس محمد بن الحسن الخشاب، حدثني أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير، ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله المحرم، ثنا أبو بكر محمد بن محمد المؤذن، ثنا الحسن بن علي بن محمد القزاز، قال سمعت أحمد بن أبي الحواري، يقول: سمعت أبا سليمان الداراني، يقول: حدثني شيخ بساحل دمشق يقال له علقمة بن يزيد بن سويد قال أبو سليمان وكان من المريدين قال حدثني سويد بن الحارث قال: وفدت على النبي ﷺ سابع سبعة من رفقائي، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه من سمتنا وزينا، فقال: "ما أنتم؟" قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال: "لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟" قال سويد: قلنا: خمسة عشر خصلة: خمس منها أمرَتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية ونحن على ذلك إلا أن تكره منها شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: "ما الخمس الخصال التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟" قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: "فما الخمس التي أمركم رسلي أن تعملوا بهن؟" قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت، فنحن على ذلك، قال: "وما الخمس الخصال التي تخلقتم بها في الجاهلية؟" قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق عند اللقاء، ومناجزة الأعداء، وفي رواية غيره وترك الشماتة بالمصيبة إذا حلت الأعداء، والرضا بالقضاء، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: "أدباء فقهاء عقلاء حلماء كادوا أن يكونوا أنبياء، من خصال ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها، ثم قال رسول الله ﷺ: أوصيكم بخمس خصال لتكمل عشرون خصلة، قلنا: أوصنا يا رسول الله، قال: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء غداً عنه تزولون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون"، قال أبو سليمان: قال: فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وقد حفظوا وصيته، وعملوا بها، ولا والله يا أبا سليمان ما بقي من أولئك النفر ولا من أبنائهم غيري، ثم قال: اللهم اقبضني

إليك غير مبدل ولا مغير، قال أبو سليمان: فمات والله بعد أيام قلائل "[١].

٢ – قال ابن المبارك: أخبرنا معمر[٢] عن صالح بن مسمار[٣] أن رسول الله ﷺ قال لحارث بن مالك: " كيف أنت أو ما أنت يا حارث؟" قال: مؤمن يا رسول الله، قال: " مؤمن حقاً؟" قال: مؤمن حقاً، قال: " فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة ذلك؟" قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي عز وجل، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أسمع عواء أهل النار، فقال رسول الله ﷺ: " مؤمن، نوّر الله قلبه"[٤].

وعند البيهقي أيضاً بلفظ: فقال لي: " كيف أنت يا حارث؟ "فقلت: رجلاً من المؤمنين. فقال: " أنظر ماذا تقول "، قال: قلت: نعم، رجل من المسلمين حقاً.. "[٥].

(١) رواه البيهقي في الزهد ص (٢٨٢)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٩ / ٢٧٩)، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤ / ٢٣٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١ / ١٩٨)، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/٥٩٣)، والقزويني في أخبار قزوين (٢ / ٧٤).

(٢) معمر بن راشد، ثقة ثبت، تقدم.

(٣) صالح بن مسمار، بصري، سكن الجزيرة، مقبول، قديم من السابعة، تمييز. التقريب (٢٩٠٥).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد.ط. الأعظمي (١ / ١٠٦) ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١١ / ١٢٩)، وابن الأعرابي في معجمه (١/١٣٠)، والبيهقي في الشعب، وقال: هذا منقطع (١٣ / ١٦٠)، وابن أبي شيبة في الإيمان، وضعفه الألباني في تعليقه عليه ص (٤٣).

(٥) رواه البيهقي في الزهد ص (٢٨٣)، وفي إسناده أبو فروة زيد بن سنان الرهاوي، ضعفه أحمد وعلي والدارقطني ،وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث. انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣ / ٢٠٩).

❖ مسألة: الاستثناء في الإيمان.

والمقصود بمسألة الاستثناء في الإيمان: أي عدم الجزم والقطع بالإيمان، وهي الإجابة التي تكون ممن سُأل عن إيمانه، كأن يقال لأحدهم: أمؤمن أنت؟ فتكون إجابته بأي صيغة تشعر بعدم القطع بالإيمان، كأن يقول: مؤمن إن شاء الله، أو أرجو أن أكون مؤمناً، أو آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.. ونحو ذلك.

وقول أهل السنة في هذه المسألة مبني على قولهم في المسألتين السابقتين، فقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى جواز الاستثناء في الإيمان، وهذا الجواز مشروط بعدم شك المؤمن في دينه، فإن كان الاستثناء على وجه الشك في الدين والإيمان فلا يجوز عندهم بحال، وإنما جوّزوا الاستثناء في الإيمان لعدة أسباب، مرجعها إلى سببين:

١- الخوف من تزكية النفس، والبعد عن ذلك.

٢- أن القطع بكمال الإيمان، والثبات عليه لا يعلمه إلا الله ﷻ، فالمؤمن لا يقطع بأنه عَمِل كل ما طلب منه، ولا يقطع بقبول عمله، ولا يعلم بما يختم له[1].

وقد نص على هذا القول أئمة أهل السنة والجماعة، بل هو المأثور عن أصحاب رسول الله ﷺ فقد روي أن رجلاً قال عند ابن مسعود ﷺ: أنا مؤمن، فقال ابن مسعود: « أفأنت من أهل الجنة ؟ »، فقال: أرجو، فقال ابن مسعود: « أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى؟ »[2].

قال الأوزاعي: " من قال: أنا مؤمن، فحسن، ومن قال: أنا مؤمن، إن شاء الله فحسن؛ لقول الله ﷻ: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]، وقد علم أنهم داخلون "[4].

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (٦٥٦/٢)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧ /٤٢٩،٤٤٦، ٦٦٨)، تفسير السعدي (٦٧/١).

(٢) رواه القاسم بن سلام في الإيمان ص (٣٥)، والآجري في الشريعة (٦٥٧/٢)، والطبري تهذيب الآثار (٣ / ٦٧١).

(٣) الفتح:٢٧.

(٤) رواه القاسم بن سلام في الإيمان ص (٣٨).

ولعل الأوزاعي قَصَد بمن قال: أنا مؤمن. أي أنا من أهل هذا الدين، لا من الآخرين؛ وإلا فإن الأوزاعي أعلم بالله، وأتقى له من أن يريد بذلك تزكية النفس، والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1].[2].

قال الإمام أحمد: " إذا قال أنا مؤمن إن شاء الله، فليس هو بشاك، قيل له إن شاء الله، أليس هو شكاً ؟ فقال: معاذ الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]، وفي علمه أنهم يدخلون "[4].

وقال الآجري: " من صفة أهل الحق، ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك، نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟... هذا وطريق الصحابة ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، عندهم أن الاستثناء في الأعمال، لا يكون في القول، والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان "[5].

وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد من الأئمة، قال يحيى بن سعيد القطان[6]: " السنة ما أدركت أحدا من أصحابنا لا ابن عون ولا غيره إلا وهم يستثنون في الإيمان "[7].

---

(١) النجم:٣٢.

(٢) انظر: الإيمان لابن سلّام ص (٣٩).

(٣) الفتح:٢٧.

(٤) رواه الآجري في الشريعة (٢ / ٦٦٠).

(٥) الشريعة (٢ / ٦٥٦).

(٦) الحافظ الإمام الكبير يحيى بن سعيد بن فروخ القطان، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، أمير المؤمنين في الحديث، عني بهذا الشأن أتم عناية، ورحل فيه، وساد الأقران، وانتهى إليه الحفظ، وتكلم في العلل والرجال، وتخرج به الحفاظ، وكان ثقة مأمونا رفيعا حجة، مات سنة ١٩٨هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٢٩٣)، السير للذهبي (٩ / ١٧٥).

(٧) رواه الخلال في السنة (٣ / ٥٩٥)، والآجري في الشريعة (٢/٦٦٠).

وقال ابن تيمية: " وأما مذهب سلف أصحاب الحديث: كابن مسعود، وأصحابه والثوري، وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان "[1].

وقال أيضاً: " والمأثور عن الصحابة، وأئمة التابعين، وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأنه يجوز الاستثناء فيه "[2].

فمما تقدم من نقول عن السلف يتبين أنهم يستحبون الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك، ويجوزون تركه، وأن الاستثناء عندهم يكون في الأعمال، ولا يدخل في التصديق والقول.

- **من أدلة أهل السنة في هذه المسألة:**

١- قول الله ﷻ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]، والله ﷻ يعلم أنهم داخلون، داخلون، ومع ذلك استثنى.

٢- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾[4].

قال ابن كثير: " أي: يعطون العطاء، وهم خائفون، ألا يتقبل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق، والاحتياط "[5].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: " السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.."[6]. والموت لا شك فيه واقع لا محالة، ومع ذلك استثنى فيه النبي ﷺ.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٤٣٨).

(٢) المصدر السابق (٧ / ٥٠٥).

(٣) الفتح:٢٧.

(٤) المؤمنون:٦٠.

(٥) تفسير ابن كثير (٥ / ٤٨٠).

(٦) رواه مسلم، كتاب: الطهارة، باب "استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء"، برقم (٥٨٤).

٤- حديث عائشة رضي الله عنها وفيه أن النبي ﷺ قال: " والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقى "[(١)].

فهذه الأدلة تبين صحة مذهب أهل السنة والجماعة في الاستثناء، سلك الله بنا سبيلهم.

وقد خالفت المرجئةُ أهلَ السنة في الاستثناء، وهم قسمان:

- قسم ذهبوا إلى أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان التصديق، والاستثناء في التصديق شك، وسَمَّوا من يستثني في الإيمان «الشكاكة»، وأشهر القائلين بهذا مرجئة الفقهاء والماتريدية [(٢)].

- والقسم الآخر ذهبوا إلى وجوب الاستثناء في الإيمان، ولكن ليس في ذلك موافقة منهم لمذهب السلف؛ لأنهم أوجبوا الاستثناء باعتبار الموافاة، وأشهر القائلين بهذا الأشاعرة والكلابية، ووافقهم عليه الكرامية والمعتزلة[(٣)]، ومذهب السلف رحمهم الله الاستثناء أيضا في الأعمال الصالحة[(٤)].

وما تقدم من بيان لمذهب أهل السنة وأدلتهم ظاهر في الرد على كلا الطائفتين.

ومما يحسن ذكره هنا مسألة مهمة متعلقة بمبحث الاستثناء وهي: **حكم السؤال عن الإيمان.**

هذه المسألة مما تكلم عنها السلف قديماً، وبيَّنوا المراد منها، وحكمها، حيث إن هذا السؤال يعتبر من بدع المرجئة التي ابتدعوها؛ وذلك لما أثاروا مسألة الاستثناء ليحتجوا بها لقولهم في الإيمان، فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر، بل يجد قلبه مصدقاً بما جاء به الرسول ﷺ فيقول: أنا مؤمن. فيثبت أن الإيمان هو التصديق؛ لأنك تجزم بأنك مؤمن ولا تجزم؛ بأنك فعلت كل ما أُمرت به.

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الصيام، باب "صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب"، برقم (٢٥٩٣).

(٢) انظر: التبصرة لأبي المعين النسفي (١٠٩٣/٢)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧ / ٤٢٩،٦٦٦).

(٣) انظر: الإرشاد للجويني ص (٣٠٩)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧ / ٤٣٠،٤٤١)

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧ / ٤٣٢).

فلما علم السلف مقصد المرجئة من هذا السؤال، صاروا يكرهون الجواب، أو يفصّلون في الجواب(١)، ولذلك فإن أقوالهم في بيان موقفهم من هذا السؤال كثيرة، بل إن بعض الأئمة ممن صنف في الاعتقاد أفرد لهذه المسألة باباً مستقلاً بيّن فيه كراهة السلف لهذا السؤال، وتبديع سائله(٢).

ومن هؤلاء الأئمة الآجري حيث يقول: " بابٌ: فيمن كَرِه من العلماء أن يسأل غيره، فيقول له: أنت مؤمنٌ؟ هذا عندهم مُبتَدعٌ، جُلُ سُوء"(٣).

وكذلك ابن بطة حيث يقول: "بابٌ: سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت وكيف الجواب له وكراهية العلماء هذا السؤال وتبديع السائل "(٤).

ثم ساقا رحمهما الله تعالى نصوص السلف في ذلك، وإليك طرفاً مما جاء عنهم.

---

(١) انظر: المصدر السابق (٧ / ٤٤٨).

(٢) وهنا ينبغي التنبه لأمر مهم ألا وهو أن هذه المسألة تختلف عن مسألة أخرى قريبة منها، وهي مسألة: امتحان السني للبدعي، أو امتحان العالِم لمن يُجهل حاله إذا احتيج إلى ذلك.

فهذه المسألة تختلف عن مسألتنا، إذ أنه قد جاءت الأدلة وآثار السلف بتقرير هذه الامتحان، وقد سُميت سورة كاملة في القرآن بـ«الممتحنة» يقول الله تعالى فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ...﴾ [الممتحنة:١٠]، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله ". تفسير الطبري (٢٣ / ٣٢٦)، وثبتت أيضا هذه المسألة في السنة كما في حديث معاوية بن الحكم السُّلمي ﷺ وفيه امتحان النبي ﷺ للجارية في اعتقادها، حيث قال لها: " أين الله؟ ". قالت: في السماء. قال: " من أنا؟ ". قالت: أنت رسول الله. قال: " أعتقها فإنها مؤمنة ".رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب "تحريم الكلام في الصلاة.."، برقم (١١٩٩).

وآثار السلف في هذا كثيرة، قال الذهبي: قال مهدي بن هلال: « أتيت سليمان التيمي فوجدت عنده حماد بن زيد، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل وأصحابنا البصريين، فكان لا يحدث أحداً حتى يمتحنه، فيقول له: الزنى بقدر؟ فإن قال: نعم، استحلفه أن هذا دينك الذي تدين الله به؟ فإن حلف حدثه خمسة أحاديث ». تذكرة الحفاظ (١/١١٤)، السير (٦ / ٢٠٠). بل إن بعض أهل العلم ألف في ذلك كتاباً مستقلاً، كما صنع أبو الفرج عبد الواحد الشيرازي فألف (جزءاً فيه امتحان السني من البدعي).

(٣) الشريعة (٢/٦٦٧).

(٤) الإبانة (٢/٨٧٧) من الكتاب الأول.

قيل لسفيان بن عيينة: الرجل يقول: مؤمن أنت ؟ فقال: فقل: " ما أشك في إيماني، وسؤالك إياي بدعة، وقال: ما أدري أنا عند الله ﷻ، شقي أم سعيد، أمقبول العمل أو لا؟ "[(١)].

وقال إبراهيم النخعي: " سؤال الرجلِ الرجلَ: أمؤمن أنت؟ بدعة "[(٢)].

وما أجمل ما قاله الأوزاعي في الرجل إذا سئل أمؤمن أنت؟ قال: " إن المسألة عما سئل بدعة، والشهادة به تعمَّق لم نُكلفه في ديننا، ولم يشرعه نبينا، ليس لمن يسأل عن ذلك فيه إمام، القول به جدل، والمنازعة فيه حدث، ولعَمري ما شهادتك لنفسك بالتي توجب لك تلك الحقيقة إن لم تكن كذلك، ولا تركك الشهادة لنفسك بها بالتي تخرجك من الإيمان إن كنت كذلك، وإن الذي سألك عن إيمانك ليس يشك في ذلك منك، ولكنه يريد أن ينازع الله ﷻ علمه في ذلك، حين يزعم أن علمه وعلم الله ﷻ في ذلك سواء، فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم "[(٣)].

وقد لخَّص لك الآجري رحمه القول الفصل في هذه المسألة، إذا يقول: " إذا قال لك رجل: أنت مؤمن؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والموت والبعث من بعد الموت والجنة والنار، وإن أحببت أن لا تجيبه، تقول له: سؤالك إياي بدعة، فلا أجيبك، وإن أجبته، فقلت: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى على النعت الذي ذكرناه فلا بأس به، واحذر مناظرة مثل هذا، فإن هذا عند العلماء مذموم، واتبع من مضى من أئمة المسلمين تسلم إن شاء الله تعالى "[(٤)].

فرحم الله أئمتنا أئمة السنة السائرين على نهج النبوة؛ إذ بينوا لنا الطريق المستقيم، والنهج القويم، المبني على فهم نصوص الوحي، في مسائل الدين دقيقها وكبيرها، ونسأله سبحانه أن يسلك بنا هذا الطريق، إنه سميع قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه عبد الله في السنة (١ / ٣١٠)، والخلال في السنة (٣ / ٦٠٢)، والآجري في الشريعة (٢ / ٦٦٧).

(٢) رواه عبد الله في السنة (١ / ٣٢١) الآجري في الشريعة (٢ / ٦٧١)، وابن بطة في الإبانة (٢/٨٨٠).

(٣) رواه الآجري في الشريعة (٢ / ٦٧٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/٨٨٢).

(٤) الشريعة (٢ / ٦٦٧).

الخاتمة

أحمد الله ﷻ أولاً وآخراً أن يسر لي إتمام هذا البحث، فهو المعين سبحانه على كل أمر، والمستحق للحمد على كل حال، فأسأله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله حجة لي لا حجة علي.

ومن خلال مسيرتي في هذا البحث الماتع خلُصت إلى عدة نتائج وتوصيات، مجملها فيما يلي:

النتائج:

١- اختلاف الزهد الحقيقي عن التصوف.

٢- أن الزهد الذي جاءت به الشريعة ليس فيه نبذ لدنيا بالكلية، وإنما هي لصاحبها كالزاد يتزود منها بما يحتاج إليه.

٣- ظهور خطأ من جعل التصوف من نهج النبي ﷺ وصحبه الكرام.

٤- ظهور خطأ من ظن أن العلم الشرعي معارض للزهد والتفرغ للعبادة، فإن أهل العلم من السلف كانوا هم أزهد الناس؛ وقد تقدم في الأثر أن من كان بالله أعرف منه أخوف.

٥- اهتمام السلف رحمهم الله تعالى بجانب الزهد، وما هذه المصنفات إلا دليل على عنايتهم واهتماهم به.

٦- الارتباط الوثيق بين أصول الإيمان وبين جانب الزهد والورع، وذلك أن أزهد الناس وأورعهم هو من حقق هذه الأصول على الوجه المأمور به شرعاً دون إفراط أو تفريط.

فهذه مجمل نتائج هذا البحث، وإلا فإن تفصيلها يطول.

التوصيات:

١- العناية أشد العناية بكتب الزهد والورع، سواء المسند منها أو غير المسند، وذلك بتنقيحها وتحقيقها وإخراجها للناس على أكمل وجه، وهذا يحتاج إلى دراسات حديثية وعقدية تطرق هذا الجانب.

٢- دراسة المسائل المتعلقة بأصول الإيمان ومسائله في كتب الزهد غير المسندة، وإخراجها في رسالة علمية.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾	.824	211
﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	.873	211
﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾	.72	272-278
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	.222	273
﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	.72	722
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	.26	772
﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾	.267	772
﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	.883	773
﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	.73	742
﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ..﴾	.222	-726 778-721
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	22	716
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾	.227	716

﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ...﴾	.37	477
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ ..﴾	.846	477
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	.13	286
﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ ﴾	.876	387-227
﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ...﴾	.72	278
﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن ﴾	.227	276
﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾	.7-8	241
﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾	.272	247
﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾	.٧٣	626
﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾	.٢٥٩	626
﴿قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ﴾	.٢٦٠	623
﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾	282	667
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾	72	637

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ﴾	228	678
﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾	287	322
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾	847	322
آل عمران		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	١٠٢	8
﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾	.١٦٩	87
﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	817.	822
﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾	71	882
﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾	.811	864-868
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾	.837	813 - 722
﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾	.47	217
﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾	28	214

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾	.818	211
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى﴾	.864	223-776
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾	.21	-761 732-767
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾	.812	761
﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾	.24	482
﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾	.824	471
﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ﴾	.22	417
﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾	.7	222-414
﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ ..﴾	38	477
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم ..﴾	.31	477
﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾	.١٣٣	642
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾	١٣١	642

621	877	﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾
633	26	﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾.
322	14	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾
326	87	﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾
326	12	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾
327	837	﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾
		النساء
8	١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾
72	.33	﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾
-831-34 -818 -812 -872 283-872	41	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾
837	41	﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾
-871 224-227	.842	﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	.48	783
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	.8	787
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	21	737
﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾	.821	718
﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾	.866	772
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	.864	221-486
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ .. ﴾	.876	-428 437-241
﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾	.867	273-414
﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ .. ﴾	.46	472
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	.862	223
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ ... ﴾	-822 .828	227

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾	١٥٩	261
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾	882	672
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	876	322
لمائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	11-13	48-42
﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ... ﴾	32	-812 -817 872-813
﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾	.48	211
﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾	22	277
﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ﴾	.47	722
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	.881	724-722
﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	.١١٧	787-781
﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾	.886	-762 732-761

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾	7	326
الأنعام		
﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾	.876	67
﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا﴾	.877	847
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ ...﴾	12	837
﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾	11	872-812
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	.862	283-286
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾	37	221
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾	.27	272
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾	.73	273
﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾	.884	728

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	.822	727
﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾	.877	727
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾	.24	-761-76 767
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾	.81	712
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾	.62	713
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾	.822	487
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ..﴾	.7	446
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ...﴾	.68	434-437
﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	824	276
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ﴾	.١٥٨	234
﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾	.٧٣	622
﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	71	634
﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	822	637

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾	841	614-617
﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	77	674
الأعراف		
﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴿٥٤﴾﴾	24	-712-77 772
﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾	832	822
﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾	.30-٢٩	-887 882
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾	.24	-227 247-274
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾	.812	-224 -222 -221 234-263
﴿لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾	.74	742
﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾	.822	742

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾	.226	712
﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	.22	422
﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾	.77	488-482
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾	.847	486
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾	.226	472
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا﴾	.42	212-462
﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً ...﴾	.842	417
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾	.74	287
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾	.821	242
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾	١٠٣	627
﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾	.٢٥	627
﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	.٦	623
﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾	.٨-٩	677

﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾	.42	426
﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾	.6	486
﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾	.81	247
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾	882	673
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ﴾	824	327
يونس		
﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾	22-24	43
﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	. 78	62
﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	78.	822
﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾	.81	816
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾	.2	742
﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾	.26	462
﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ﴾	.٥٣	621

إبراهيم		
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	82	824-827
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	48	722
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ ..﴾	.23	213-434
﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾	.٢١	681
﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	.٥١	622
الحجر		
﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	.2	38
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	-47 .22	282-721
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	.7	478-416
﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾	28	٦٦٢
النحل		
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾	.76	72

438	.822	﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾
227	.72	﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾
614	72	﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾
671	73	﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾
677	822	﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾
387	826	﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾
		الإسراء
62	.822	﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾
72	27	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾
742	-22 .28	﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾
476	.44	﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾
437	.31	﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾
276-414	.22	﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾

242	37	﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾
673	82	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾
		الكهف
-827 873-827	.882	﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾
868	.3	﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾
276	.27	﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾
218-222	.882	﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾
268	827	﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾
687-742	.٩٨	﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾
412	8	﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾
261	.٩٤	﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي﴾
267	.٩٩	﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾	.٩٩	622
﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾	.٤٨	681
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾	.١٠٥	678-627
مريم		
﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾	.62	64
﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾	.41	816
﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾	.72	277
﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾	.83	446-426
﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾	.٧٢-٧١	682
﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾	.٣٩	628
﴿وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾	28	٦٦٩
طه		
﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾	.882	63

﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	.22	822
﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	.76	834
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	.٨	237
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾	.882	722
﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾	.48	732-761
﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾	.77	737
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾	.2	776
﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ...﴾	.828	278
﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾	.٥٥	627
﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾	32	667
﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	22	676
الأنبياء		
﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾	.26	748-42

261	٩٦-٩٧.	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن ﴾
622	١٠٤.	﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾
622	٤٧.	﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾
677	٤٧.	﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ﴾
612	27	﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾
		الحج
724	.31	﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾
472	.81	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾
212-462	.78	﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾
283-287	.22	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾
267	2	﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ﴾
626	٥.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا ﴾
622	٣٦.	﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾	32	634
المؤمنون		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾	.28	-217-73 731
﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾	.828	277
﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾	.38	422
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾	.44	286
﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	.١٠٠	217
﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾	١٠٠	272
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾	.١٠١	622
﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ﴾	.١٦-١٥	624
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾	6	347
النور		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى﴾	.47	241

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾		
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	.48	476
الفرقان		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾	.2	212 – - 727 - 667
﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾	.27	782
﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ..﴾	22	422-771
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	.8	242-412
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ﴾	72	228
الشعراء		
﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	.27	62
﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	71-73	831
﴿مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١﴾	-822 828	812
﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾	27	816

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ﴾	-877 874	228-438
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	.822	227
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	827	227
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	.848	227
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	.862	227
النمل		
﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾	42	82
﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	. 84	62
﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾	62	222
﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	.62	274-278
﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾	.67	271
﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	.27	747
﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا	.22	488

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾	.7	247
﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	.٨٢	236
﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن﴾	.٨٧	628
القصص		
﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	.3	67
﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾	.82	222-224
﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾	11	726-728
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ...﴾	.86	274
﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾	26	671
﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾	26	322
العنكبوت		
﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	62	827
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾	68	827

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ ﴾	٢.	227
﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	2-7	328
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	82	328
الروم		
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ﴾	.72	-826 -823 -821 887
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾	42	821
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾	.41	241
﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ .	.23	726
﴿ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾	.١٩	622
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾	72	677
لقمان		
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾	.87	-831 224-837

مَٰلِكُونَ ﴾		
﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾	٧٩.	626
﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾	82	632
﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	12	636
لطصافات		
﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	.812	727
﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ .... سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	-822 .827	748
﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾	.864	467
﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾.	٢٤.	682
﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾	-868 867	636
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾	76	637
﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾	27-22	328

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾	-824 822	327
ص		
﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾	.2	62
﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾	.27	724
﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴾	.7	786
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	.27	224-477
الزمر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	.2	-827 862
﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	62	817
﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾	.76	813
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	63	722-271
﴿ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾	.46	728
﴿ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾	.2	727

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾	-86 .83	- 788 782
﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾	-76 .73	717
﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾	3	436-476
﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ﴾	.74	281
﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ...﴾	٤٥-٤٦.	272
﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ﴾	.٥٧	622
فصلت		
﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾	. 27	-827 872
﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾	43	772
﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	.71	472
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا﴾	.٣٩	622
﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾	82	٦٦٨
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾	46	671

الشورى		
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	.88	-213-66 -724 774
﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾	.28	718
﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾	.27	717
﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾	.2	436-476
﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	22	673
﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	22	322
الزخرف		
﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾	7	67
﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾	.١٩	67
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾	. 13	62
﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾	٤٥	218-66
﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾	.87	747

النجم		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾	.23	742
﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾	-76 .73	414
﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾	.٣١	623
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	٣٢	342
القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	47	212
﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾	.22	728-217
﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾	.83	227
﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾	.8	221-224
﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	47	٦٦٣
﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	47-41	617
﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾	47-43	678

الآية	رقمها	الصفحة
الرحمن		
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾	4-8	872
﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	.31	771
﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾	.٥	627
الواقعة		
﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾	.12	247
﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	.23	738
﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾	.٣٠	622
الحديد		
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾	22	2
﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾	.7	-767 764
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾	.4	-424 -422 423-426

8	2-8	﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾
868	.22	﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾
778-784	.84	﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾
		الحاقة
877	72	﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾
467	.83	﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ ...﴾
277	.١٣	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾
681	.١٨	﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾
		المعارج
712	.4	﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾
		نوح
222	-88 .82	﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾
		الجن
241	.86	﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾	.26	772
المدثر		
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾	.23	432
﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾	.72	432
﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾	78	674
القيامة		
﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾	٣٦	623
الإنسان		
﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾	4	877
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	7	633
المرسلات		
﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفًا﴾	.2	461
النبأ		
﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾	.٣٨	622
النازعات		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾	.2	463
﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾	.4	461
التكوير		
﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾	22	422
الانفطار		
﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	.6	777
الانشقاق		
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾	.87	886
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا﴾	٧-٨.	626-622
البروج		
﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾	-82 .86	- 844 747
الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾	-82 .86	482
الأعلى		

721	.87	﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾
		الليل
637	3-2	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾
		القدر
411	.8	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾
		البينة
827	.2	﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾
868	.2	﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾
		الزلزلة
621	٨-٧	﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾
		الماعون
871-823	.2-4	﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾
871-876	.6	﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾
		الكوثر
286	.2	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الفرق

فهرس الغريب

فهرس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

– أ –

– الإبانة الكبرى لابن بطة. المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية – الرياض –.

– إبطال التأويلات لأخبار الصفات. المؤلف: أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بن حمد النجدي، دار إيلاف – الكويت –.

– إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. المؤلف:الحافظ أبو بكر أحمد بن إسماعيل البوصيري (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩هـ.

– الاتقان في علوم القرآن. المؤلف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية. دار الناشر: مجمع الملك فهد، الطبعة: الأولى.

– إثبات صفة العلو. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: بدر عبد الله البدر، الدار السلفية – الكويت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

– إثبات عذاب القبر. المؤلف: : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨)، تحقيق: د.شرف محمود القضاة، دار الفرقان – عمان – الأردن،الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، دار البيان - دمشق – الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

- إجماع السلف في الاعتقاد. حكاه في مسائله: حرب بن إسماعيل الكرماني (ت٢٨٠هـ)، تحقيق وإخراج: أسعد الزعتري، دار الإمام أحمد – مصر – الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

الأحاديث الطوال. المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني(ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت

- إحياء علوم الدين وبهامشه تخريج أحاديث الإحياء للعراقي. المؤلف : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الشعب.

- الإخلاص حقيقته ونواقضه. المؤلف: عبد الله بن عيسى الأحمدي، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى.

- الإخلاص والنية. المؤلف: أبي بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: إياد خالد الطبّاع، دار البشائر، الطبعة الأولى.

- أخلاق أهل القرآن. المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد عمر بن عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ

- أخلاق النبي وآدابه. المؤلف: عبد الله بن محمد الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم - الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٨ – ١٩٩٨م.

– الإخنائية (أو الرد على الإخنائي). المؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز – جدة – الطبعة الأولى١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

–الأدب المفرد. المؤلف: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تخريجات وتعليقات: محمد بن ناصر الدين الألباني، دار الصديق – الجبيل – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

– أدلة صفات الله ووجوه دلالاتها وأحكامها. المؤلف: أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

– آراء ابن حجر الاعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف. المؤلف: د. محمد بن عبد العزيز الشايع، طبعة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ

– الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. المؤلف: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية –القاهرة–، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

– الاستقامة. المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

– أسد الغابة في معرفة الصحابة. المؤلف: أبو الحسن علي بن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العليمة – بيروت – لبنان.٢٠٠٣م.

– الأسماء الحسنى تصنيفاً ومعنى. المؤلف:ماجد بن عبد الله آل عبد الجبار، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

- أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة. المؤلف: ماهر مقدم الكويتي، دار الآل والصحب – المدينة المنورة – الطبعة العشرون ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة. المؤلف: د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس – عمَّان – الأردن، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١ هـ)، تحقيق: الشيخ عرفان بن سليم الدمشقي، المكتبة العصرية – بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١ هـ)، تحقيق: محمد حسن جبل وطارق أحمد محمد، دار الصحابة للتراث – طنطا- الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

- الأسماء والصفات. المؤلف: أبو بكر أحمد الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تعليق : محمد زاهد الكوثري ، الناشر : دار إحياء التراث الإسلامي-بيروت .

- الأسماء والصفات. المؤلف: أبو بكر أحمد الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي ، قدم له : الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة السوادي .

- الإشاعة لأشراط الساعة. المؤلف: محمد بن عبد الرسول الحسيني الرزنجي (ت١٠١٣هـ)، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار النمير – دمشق - الطبعة الثانية ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

- اشتقاق أسماء الله. المؤلف: أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

– أشراط الساعة. المؤلف: يوسف بن عبد الله الوبل، دار ابن الجوزي – الدمام – الطبعة الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ.

– أشراط الساعة. المؤلف: د. عبد الله بن سليمان الغفيلي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – الرياض – ١٤٢١هـ.

– الإصابة في تمييز الصحابة. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

– أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. تأليف: نخبة من العلماء، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف – المدينة – ١٤٢١هـ.

– الأصول الثلاثة. المؤلف: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مع شرحها للشيخ ابن عثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان، الناشر دار الثريا، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

– الأصول الخمسة. المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: د. فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

– شرح الأصول الخمسة. المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

– أصول السنة. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)، تحقيق وتخريج: د. عبد الله بن عبد الرحيم البخاري، مكتبة الغرباء – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. المؤلف: العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، طبع بإشراف الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للمليباري. المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت١٣١٠هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م.

- الاعتقاد. المؤلف: أبو الحسين محمد ابن القاضي أبي يعلى (٥٢٦)، تحقيق: د. محمد الخميس، دار أطلس الخضراء — الرياض — الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.

- اعتقاد أئمة الحديث. المؤلف: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (ت٣٧١هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. المؤلف: أبو بكر أحمد الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد بن إبراهيم أبو العينين، دار الفضيلة — الرياض — الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.

- الأعلام. المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

- أعلام السنة المنشورة. المؤلف: حافظ بن أحمد حكمي (ت١٣٧٧هـ)، تحقيق: حازم القاضي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية. المؤلف: الحافظ عمر بن علي البزار، اعتنى به: د.يحيى مراد، دار الكتب العلمية —بيروت — الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

– إعلام المسلمين بعصمة النبيين. المؤلف: إسحاق بن عقيل المكي (ت١٤١٥هـ)، دار ابن حزم – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

– إعلام الموقعين عن رب العالمين. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

– إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

– أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات. المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

– الاقتصاد في الاعتقاد. المؤلف: أبو محمد عبد الغني ين عبد الواحد المقدسي(ت٦٠٠هـ)، تحقيق: د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

– اقتضاء العلم للعمل. المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

– اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب - الرياض – الطبعة السابعة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

- الإقناع في مسائل الإجماع. المؤلف: أبو الحسن علي بن القطان الفاسي (ت٦٢٨هـ)، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار القلم – دمشق – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- إكمال المعلم بفوائد مسلم. المؤلف: ا القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء – المنصورة – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

-الأم. المؤلف: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء – المنصورة – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- إنباء الغمر بأبناء العمر. المؤلف: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- الأنساب. المؤلف: أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله البارودي، دار الجنان – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

-الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي (ت ٨٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

- الأنواء في مواسم العرب. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد – الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ.

- الأنوار في شمائل النبي المختار. المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، دار المكتبي - دمشق – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

– الأهوال. المؤلف: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: د. رضاء الله محمد المباركفوري، الدار السلفية، الهند – بومباي – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

– أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور. المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: خالد عبد اللطيف العَلمي، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

– إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. المؤلف: إسماعيل باشا البغدادي، اعتنى به: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث – بيروت – لبنان.

– الإيمان. المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

– الإيمان. المؤلف: محمد بن إسحاق بن منده (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د. علي ناصر الفقيهي مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

– الإيمان. المؤلف: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: د. سعود الخلف، دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

– الإيمان بين السلف والمتكلمين. المؤلف: د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

– الإيمان بالقضاء والقدر. المؤلف: د. محمد بن إبراهيم الحمد، دار الوطن – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

- الإيمان بالكتب بين إثبات السلف وتعطيل أهل الكلام. المؤلف: أحمد بن محمد النجار، دار النصيحة - المدينة المنورة - ١٤٣٢هـ.

- الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته. المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- الإيمان الكبير. المؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ب -

- البحر الزخّار (المعروف بمسند البزار). المؤلف: الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو البزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- البحور الزاخرة في علوم الآخرة. المؤلف: محمد بن أحمد السفاريني (ت١١٨٨هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم شومان،غراس للنشر والتوزيع - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧م.

- بدائع الفوائد. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

- بداية السول في تفضيل الرسول. المؤلف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي.

- البداية والنهاية. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. المؤلف: العلامة محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، دمشق- بيروت.

- بذل المجهود في حل سنن أبي داود. المؤلف: المحدث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري . عناية وتعليق د. تقي الدين الندوي ، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- برنامج المجاري. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد المجاري الأندلسي (ت ٨٦٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٢م.

- البعث والنشور. المؤلف: أبو بكر أحمد الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة خاصة لوزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، بإشراف دار النوادر – الكويت – طبعة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

-البدور السافرة في أمور الآخرة . للحافظ: جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أحمد إبراهيم أحمد، رسالة ماجستير من كلية أصول الدين (قسم الحديث) بجامعة الأزهر.

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

- ت -

- تاج العروس من جواهر القاموس. المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب لبنان –بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- تاريخ بغداد . المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، ت(٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

- تاريخ التراث العربي المؤلف :الدكتور فؤاد سبزكين ،إدارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، على نفقة الأمير سلمان بن عبد العزيز ،١٤١١هـ-١٩٩١م.

- تاريخ جرجان. المؤلف: حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، عالم الكتب – بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

- التاريخ الكبير للبخاري. المؤلف: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. المؤلف: الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر(ت ٥٧١هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت –لبنان- ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- تأويل مختلف الحديث. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل - بيروت - طبعة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٢م.

- تأويل مشكل القرآن. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد الصقر، دار التراث – القاهر – الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

- التبصرة. المؤلف: أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د.مصطفى عبد الواحد، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني - مصر – لبنان - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- التبيان في أيمان القرآن. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد – مكة – الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

- تجرير التوحيد المفيد . المؤلف: العلامة أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، اعتنى به: علي بن محمد العمران، طبعة عالم الفوائد، الطبعة الثانية١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.-

- التحبير في المعجم الكبير ، المؤلف أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني(ت٥٦٢) ، تحقيق منيره تاجي اسلام رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد- الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

- التحرير والتنوير. المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٢٩٦هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧م.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة – بيروت- لبنان .

- تحفة الذاكرين بعِدَّة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ﷺ. المؤلف: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، موسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة . المؤلف : أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند ، طبعة ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م .

- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار. المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، دار المؤيد –دمشق- الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م.

- الترغيب والترهيب . المؤلف : الإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ) ، اعتنى به :مشهور بن حسن آل سلمان . مكتبة المعارف للنشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .

- التدمرية. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، دار المنهاج – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

- التدوين في أخبار قزوين. المؤلف: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت٦٢٣هـ)، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، طبعة ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

- التذكرة بأمور الموتى وأحوال الآخرة. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١ هـ)، تحقيق: د. صادق بن محمد إبراهيم، دار المنهاج - الرياض — الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

- تذكرة الحفاظ. المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

- تذكرة الموضوعات. المؤلف: العلامة محمد بن طاهر الهندي الفتني (ت٩٨٦هـ)، أشرف على الطبع إدارة الطباعة المنيرية - مصر — الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل. المؤلف: أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.

- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد. المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٣هـ)، مطبعة المنار — مصر — الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

-تفسير أسماء الله الحسنى. المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدَّقاق، دار المأمون للتراث — دمشق — الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.

- تفسير القرآن. المؤلف: الإمام عبد الرزاق بن همَّام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد — الرياض — الطيعة الأولى ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م.

- تفسير القرآن. المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض –، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- تفسير القرآن العزيز. المؤلف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)،تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة – القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول ﷺ والصحابة والتابعين. المؤلف الإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

- تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعةالثانية١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

- تفسير سورة النساء. المؤلف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي – الدمام- الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

- تقريب التهذيب. المؤلف: أحمد بن علي حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد الباكستاني، دار العاصمة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ

- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة. المؤلف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

-تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن ١محمد بن حجر العسقلاني تحقيق: د.عاصم بن عبد الله القريوني، مكتبة المنار – الأردن – الطبعة الأولى.

- التعريفات الاعتقادية. المؤلف: سعد بن محمد آل عبد اللطيف، مدار الوطن، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م

- التعريفات للجرجاني. المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٣١هـ .

- تعظيم قدر الصلاة. المؤلف : أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ)، تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

-شرح كتاب التوحيد. المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحقيق وتخريج: محمد العلاوي، دار الضياء للنشر والتوزيع – طنطا – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- التعليق على التنبهات المنيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي. تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، نسخة مصورة.

- تغليق التعليق على صحيح البخاري . المؤلف :أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، المحقق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي الناشر : المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان – الأردن الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥ .

- تلبيس إبليس. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)،

دار الفكر – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. المؤلف: أحمد بن علي حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.

- تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري. المؤلف: شيخ الإسلام بن تيمية (هذا الموجود على النسخة التي رجعت إليها ولكن لعل المحقق وهم فإن التلخيص للحافظ بن كثير كما حقق ذلك الدكتور عبد الله بن دجين محقق الكتاب الأصل)، مكتبة الغرباء الأثرية.

- التمهيد. المؤلف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)،اعتنى به: رتشرد يوسف، المكتبة الثقافية - بيروت - طبعة ١٩٥٧م.

- التمهيد لشرح كتاب التوحيد. المؤلف: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي، و محمد عبد الكبير البكري، دار مؤسسة قرطبة.

- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية. المؤلف: الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد، دار الرشيد – الرياض – الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة. المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت –، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار. المؤلف: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني - مصر -.

- تهذيب الأسماء واللغات. المؤلف: محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر - في دار الفكر - الطبعة الأولى ١٩٩٦هـ.

- تهذيب التهذيب. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المؤلف: الحافظ أبي الحجاج يوسف المزّي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة — دمشق — الطبعة الثانية ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م.

- تهذيب اللغة. المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت - الطبعة : الأولى ٢٠٠١م.

- التوحيد. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د. محمد الوهيبي ود. موسى الغصن، دار الفضيلة — الرياض — الطبعة الثانية ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م. -

- التوحيد وإثبات صفات الرب. المؤلف : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، طبعة دار الرشد، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- التوقيف على مهمات التعاريف. المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت — دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان. المؤلف: مرعي بن يوسف الحنبلي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق: مركز البحث العلمي بمكتبة إمام الدعوة العلمية، مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م.

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم. المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩هـ)، تحقيق : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق – الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد. المؤلف: سليمان بن عبد الله التميمي (ت١٢٣٣هـ)، تحقيق: أبو بكر عبد الكريم حامد، دار إحياء التراث — لبنان — الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- ج -

- جامع بيان العلم وفضله. المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان – دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن . المؤلف : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

- جامع الترمذي . المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة ، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

- جامع الترمذي . المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة ، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) طبعة دار السلام بإشراف : الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م .

- جامع الرسائل. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء — الرياض– الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- جامع الرسائل. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء — الرياض– الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- جامع العلوم والحكم. المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة دار الملك عبد العزيز – الرياض الطبعة التاسعة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

- الجامع لأحكام القرآن. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصاري القرطبي (ت٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣ هـ–٢٠٠٣ م.

- الجرح والتعديل. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، دار إحياء التراث

العربي – بيروت - الطبعة الأولى ١٢٧١هـ – ١٩٥٢م.

- جزء فيه طرق حديث "إن لله تسعة وتسعين اسماً". المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن سلمان، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة – طبعة الأولى ١٤١٣هـ.

- جزء في الكلام على البلاغات الأربع التي لم يصلها ابن عبد البر في تمهيده. المؤلف: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: خالد بن محمد السباعي،دار الحديث الكتانية، المغرب – طنجة – الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

- جزء فيه امتحان السني من البدعي . المؤلف : أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي (ت٤٨٦) تحقيق : د. فهد المقرن ، دار الامام مالك ، أبو ظبي ، الامارات .

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق:زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

- جمهرة اللغة. المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت -، الطبعة الأولى١٩٨٧م.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد الحمدان، دار العاصمة - الرياض - الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية. المؤلف: أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م.

- ح -

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة — الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع. المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (ت ١٣٩٢هـ)، الطبعة الحادية عشر ١٤٢٨هـ.

- حاشية العقيدة الطحاوية. المؤلف: محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت١٣٨٥هـ)، وهو ضمن مجموعة شروح للعقيدة الطحاوية، إعداد مركز العروة الوثقى للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار ابن حزم - القاهرة — الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م.

- حاشية كتاب التوحيد. المؤلف: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي (ت ١٣٩٢هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

- الحبائك في أخبار الملائك. المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

- الحجة في بيان المحجة. المؤلف: أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي ومحمد بن محمود، دار الراية - الرياض — ١٤١٩هـ — ١٩٩٩م.

- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طُبع مع المجموعة الكاملة للشيخ، مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

- الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: "بعثت بالسيف بين يدي الساعة". عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)،تحقيق: زهير الشاويش،المكتب الإسلامي – بيروت – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، المعروف بـ(الأذكار). المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، بعناية: بسام الجابي،دار ابن الجوزي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .

- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن. المؤلف: الإمام عبد العزيز بن يحيى الكِناني (ت٢٤٠هـ)، صححه وعلق عليه: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، دار الصميعي – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

- خ -

- خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة. المؤلف: د. صادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ.

- خلْق الملائكة عليهم السلام. المؤلف: أ.د. محمد بن عبد الرحمن الجهني، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

– د–

– الداء والدواء. المؤلف: الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق وتخريج: محمد بن أجمل الإصلاحي و زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

– درء تعارض العقل والنقل. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨)، تحقيق: د.محمد بن رشاد سالم، طبع على نفقة الملك فهد رحمه الله، الطبعة الثانية ١٤١١هـ-١٩٩١م.

– الدرر السنية في الأجوبة النجدية. جمع : عبد الرحمن بن محمد القاسم،(ت١٣٩٢هـ)، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الجيل –بيروت- ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

– الدر المنثور في التفسير بالمأثور . المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية . الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

– الدر المنظم في الاسم الأعظم. المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ). (مخطوط).

–الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد. المؤلف: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، شرح وتعليق: مدحت بن الحسن آل فراج، دار التدمرية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

- الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد. المؤلف: الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

- الدرة فيما يجب اعتقاده. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: أحمد الحمد، سعيد القزقي، مطبعة المدني — القاهرة — الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

-كتاب الدعاء . المؤلف : الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، ت(٣٦٠هـ) ، تحقيق : د. محمد سعيد البخاري ، طبعة دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

- الدعاء لابن فضيل. المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد بن فضيل الضبي (ت١٦٩هـ)، تحقيق د. عبد العزيز بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد — الرياض — الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث - بيروت + القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. المؤلف: محمد علي علان الصديقي الشافعي (ت١٠٥٧هـ)، تحقيق: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: حمدوطماس، دار المعرفة بيروت — لبنان — الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م.

- ديوان عنترة بن شداد العبسي، مطبعة الآداب لصاحبها أمين الخوري — بيروت — ١٨٩٣م.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي (ت٧٩٩هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدي، دار التراث- القاهره -.

- الدين الخالص. المؤلف: محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري (ت١٢٥٣هـ)، تحقق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- ذ -

- ذخيرة الحفاظ. المؤلف: محمد بن ظاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ذم الرياء في الأعمال والشهرة في اللباس والأحوال وكراهية الصفق والزفن عند سماع الذكر. المؤلف: أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب (ت٣٩١)، تحقيق: د. محمد باكريم، دار البخاري -المدينة- الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

- ذم الكلام وأهله. المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي الأنصاري (ت٤٨١هـ)، تحقيق: أبو جابر عبد الله الأنصاري، مكتبة الغرباء - المدينة -.

- ذم الهوى. المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- ذيل طبقات الحنابله. المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٦٩٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

- ر -

- الرد على الجهمية. المؤلف: عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) ، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليها: بدر البدر، دار ابن الأثير - الكويت - الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- الرد على الزنادقة والجهمية. المؤلف: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار القبس - الرياض – الطبعة ١٤٣١هـ.

-الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية سيخ الإسلام كافر. المؤلف: ابن ناصر الدين محمد بن عبد الله الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، اعتنى به: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- الرد على المنطقيين. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، طبعة إدارة ترجمان السنة – باكستان – ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه. المؤلف: الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر، دار عالم الفوائد - مكة –

- رسالة إلى أهل الثغر. المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة – الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

- رسالة الشرك ومظاهره. المؤلف: مبارك محمد الميلي (ت١٣٥٧هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

- الرسل والرسالات. المؤلف: عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس – عمان – الأردن، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب. المؤلف: أبو النصر عبد الوهاب بن علي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق : علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار عالم الكتب – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – .١٩٩٩م.

- الرقة والبكاء. المؤلف: أبي بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

- الروح. المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن القيم (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – طبعة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المؤلف: محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث – بيروت – لبنان.

- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء. المؤلف: الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: د. بسام علي العموش، دار ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٦م.

- الروض المعطار في خبر الأقطار. المؤلف: محمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

- ز -

- زاد المسير في علم التفسير. المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

- زاد المعاد في هدي خير العباد. الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ–٢٠٠٥م .

- الزهد . المؤلف أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٢هـ)، تحقيق عبد العلي حامد . دار الريان – القاهره- الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

- الزهد. المؤلف: أبو داود سليمان بن الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية – بومبائي – الهند، الطبعة الأولى ١٤١٣ –١٩٩٣م.

- الزهد. المؤلف: أبو داود سليمان بن الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم محمد – غنيم بن عباس غنيم، قدم له: الشيخ محمد بن عمرو عبد اللطيف، دار المشكاة - حلوان – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- الزهد. المؤلف: منسوب لعبد الله بن محمد أبو بكر ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، دار ابن كثير – دمشق – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- الزهد. المؤلف. الحافظ أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٢٧٧هـ)، تحقيق: د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- الزهد. المؤلف: الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

- الزهد . المؤلف : الإمام وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ) ،تحقيق : د. عبد الر حمن عبد الجبار الفريوائي ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ-١٩٩٤م ، دار الصميعي .

- الزهد. المؤلف: هناد بن السري الكوفي (ت ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

- الزهد الكبير المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق نبيل بن صلاح سليم ، دار البصيرة – الاسكندرية .

- الزهد لأسد السنة . المؤلف : أسد بن موسى ، عناية : بسام عبد الوهاب الجابي ، طبعة دار ابن حزم – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

- الزهد والرقائق . المؤلف : عبد الله بن المبارك المروزي ، تحقيق : أحمد فريد ، طبعة دار العقيدة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- الزهد والرقائق مع زيادات نعيم بن حماد. المؤلف: عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .

- الزهد والورع دراسة عقدية . للباحث إبراهيم محمد السياري ، رسالة دكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

- الزهد وصفة الزاهدين. المؤلف: أبو سعيد أحمد بن محمد بن بشر بن الأعرابي (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث - طنطا - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه. المؤلف: د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، كنوز إشبيليا - الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

- س -

- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام. المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت١١١٩هـ)، تعليق وتصحيح: محمد عبد العزيز الخُوْلي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — القاهرة — ١٣٩٨هـ.

- السلسلة الضعيفة. المؤلف: الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبدالرحمن الراشد - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م.

-السنة . المؤلف : الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ) ، معه ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ،طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

- السنة. المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد الخلال (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م.

- سنن الدارمي. المؤلف: الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- سنن أبي داود. المؤلف:أبو داود سليمان بن الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، طبعة دار السلام بإشراف: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.

- سنن ابن ماجه. المؤلف: الحافظ: أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت٢٧٣هـ)، طبعة دار السلام بإشراف : الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.

- سنن سعيد بن منصور. المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور الخراساني الجوزجاني (ت٢٢٧هـ)، تحقيق:د. سعد بن عبد الله آل حميد، دار العصيمي - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م.

- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي. المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨)، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، نشر مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند - حيدر آباد - الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

-السنن الكبرى. المؤلف: أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة — بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م.

- سنن النسائي الصغرى. المؤلف: الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، طبعة دار السلام بإشراف : الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.

- سؤالات ابن الجنيد لابن معين. المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله ابن الجنيد (ت٢٦٠هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار — المدينة المنورة — الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

- سير أعلام النبلاء . المؤلف : شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، (ت٧٤٨هـ) ،أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الثالثة١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

– ش –

– شأن الدعاء. المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية – دمشق – الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب . المؤلف : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ابن العماد (ت١٠٨٩هـ) ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، ومحمود الأرناؤوط ، طبعة دار بن كثير ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م .

– شرح الأربعين النووية. المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا – عنيزة – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة – الرياض – الطبعة التاسعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

– شرح الأصول الثلاثة. المؤلف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م. –

– شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى. المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ)، تحقيق: جمال عزون، مكتبة العمرين العلمية – الشارقة –الإماراتالطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

– شرح رياض الصالحين. المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن – الرياض – طبعة عام ١٤٢٦هـ.

- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية — بيروت — ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

- شرح السنة للبغوي. المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- شرح السنة. المؤلف: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت٢٦٤هـ)، تحقيق: جمال عزون، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة - طبعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- شرح السنة. المؤلف: أبو محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم - الدمام - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- شرح العقيدة الأصبهانية. المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة المنهاج — الرياض — الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

-شرح العمدة. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة — الرياض — الطبعة الأولى ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م.

- شرح العمدة المسمى (الاعتماد في الاعتقاد). المؤلف: أبو البركات النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله محمد إسماعيل، المكتبة الأزهرية — القاهرة — الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ — ٢٠١٢م.

-شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. المؤلف: صدر الدين محمد بن عليّ بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤١٨هـ.

- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. المؤلف: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- شرح مختصر الروضة. المؤلف: أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي (ت٧١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

- شرح مشكل الآثار. المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م.

- شرح معاني الآثار. المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: محمد النجار ومحمد جاد الحق، واعتنى بترقيمه: د. يوسف المرعشلي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

- الشرح والإبانة (الإبانة الصغرى). المؤلف: عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: عادل الحمدان، دار الأمر الأول – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

- الشرك في القديم والحديث. المؤلف: أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠١م.

- الشريعة. المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن - الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- شعب الإيمان المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه : مختار أحمد الندوي ، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م .

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: د.أحمد بن صالح الصمعاني، ود.علي بن عبد الله العجلان، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق : محمد النعساني، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. المؤلف: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني (ت٨٧٣هـ)، دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان.

- الشكر لله ﷻ. المؤلف: عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد السيد زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية — بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م.

- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية. المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سيد عباس الجليمي، المكتبة التجارية — مكة — الطبعة الأولى ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م.

- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة. المؤلف: د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- ص -

- الصحاح. المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين- بيروت- ،الطبعة الرابعة١٩٩٠م.

- الصارم المنكي في الرد على السُّبْكي. المؤلف: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (ت٧٤٤هـ)، تحقيق: عقيل بن محمد المقطري اليماني، قدم له: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مؤسسة الريان - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- صحيح الأدب المفرد. المؤلف: محمد بن ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، مكتبة الدليل – الجبيل – الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت -الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

- صحيح ابن خزيمة. المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت - طبعة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . دار السلام – الطبعة الثانية – المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية .

-صحيح الترغيب والترهيب . المؤلف : محمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

- صحيح الجامع الصغير وزياداته. المؤلف: محمد بن ناصر الدين الألباني(ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- صحيح سنن ابن ماجه. المؤلف: محمد بن ناصر الدين الألباني، دار المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

- صحيح سنن الترمذي. المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني(ت١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

- صحيح سنن النسائي. المؤلف: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) مرقمة ترقيما مسلسلا مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار السلام – الطبعة الثانية – المملكة العربية السعودية .

- صحيح وضعيف سنن أبي داود. المؤلف: محمد بن ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، دار المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

- صريح السنة. المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: بدر المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه. المؤلف: د. محمد أمان الجامي (ت ١٤١٦هـ)، مكتبة الفرقان – عجمان – الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

- صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة. المؤلف: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- صفة الجنة. المؤلف: أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: علي رضا، دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة الثانية ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- صفة الصفوة. المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت –، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- الصفدية. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨)، تحقيق: د.محمد بن رشاد سالم، دار الهدي النبوي – مصر –، ودار الفضيلة – الرياض –.

- الصلاة وحكم تاركها. المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن القيم (٧٥١هـ)، تحقيق: بسام الجابي، دار ابن حزم – قبرص – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

الصوفية معتقدا وسلكا . المؤلف الدكتور صابر طعمية ، طبعة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان. المؤلف: العلامة محمد بشير السهسواني الهندي (ت ١٣٢٦هـ)، صححه: محمد رشيد رضا، مكتبة ابن تيمية – القاهرة –.

- صيانة صحيح مسلم. المؤلف: أبو عمرو عثمان ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي - بيروت - طبعة ١٤٠٨هـ.

- ض -

- الضعفاء. المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار الثقافة - الدار البيضاء - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

-الضعفاء الكبير. المؤلف: الحافظ محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى –بيروت–.

- الضعفاء والمتروكين. المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.

- ضعيف الترغيب والترهيب. المؤلف: محمد بن ناصر الدين الألباني، دار المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

- ضعيف سنن ابن ماجه. المؤلف: محمد بن ناصر الدين الألباني، بإشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

- ط -

- الطبقات ، خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري ،توفي : ٢٤٠، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، الناشر دار طيبة ،سنة النشر ١٤٠٢ — ١٩٨٢، مكان النشر الرياض

- طبقات الحنابلة. المؤلف: أبو الحسين القاضي محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت -.

– طبقات الشافعية . المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٠٧ هـ.

– طبقات الشافعية الكبرى . المؤلف : الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ود.عبد الفتاح محمد الحلو، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

– طبقات الصوفية. المؤلف: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

– طبقات الفقهاء. المؤلف : أبو إسحاق الشيرازي، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق : إحسان عباس، دار الرائد العربي، طبعة ١٩٧٠م.

– الطبقات الكبرى. المؤلف: أبو عبدالله محمد بن سعد البصري الزهري(ت٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

– طبقات المفسرين. المؤلف: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: د. سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

– طبقات المفسرين. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

– طبقات المفسرين. المؤلف: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: د. سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

– طبقات المفسرين. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

- الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها واثارها . المؤلف الدكتور عبد الله دجين السهلي ، دار كنوز اشبيليا – الرياض- الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ٢٠١٠م.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين. المؤلف: الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق وتخريج: محمد بن أجمل الإصلاحي و زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

- ع -

- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي. المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

- عالم الملائكة الأبرار. المؤلف: د. عمر بن سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، - الكويت – الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- العبر في خبر من غبر. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن سعيد بسيوني، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. المؤلف: الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عالم الفوائد.

- العرش وما روي فيه. المؤلف: أبو جعفر محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي (ت٢٩٧هـ)، تحقيق : محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

-كتاب العظمة. المؤلف: أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (٣٦٩هـ)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي. المؤلف: عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية. المؤلف: إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية طبعة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام بن تيمية. المؤلف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت٧٤٤هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: الأستاذ إرشاد الحق الأثري، دار نشر الكتب الإسلامية – لاهور -، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- العلو للعلي العظيم. المؤلف: شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن صالح البراك، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية – الرياض – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. المؤلف: بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمود عمر، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

– عمل اليوم والليلة . المؤلف : أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق : فاروق حماده ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية .

– عمل اليوم والليلة . المؤلف: أحمد بن محمد الدينوري الشافعي المعروف بابن السني (ت٣٦٤هـ)، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية.

– عون الباري ببيان ما تضمنه شرح السنة للبربهاري. المؤلف: د. ربيع بن هادي المدخلي، دار المحسن للنشر – الجزائر – الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

– عون الباري ببيان ما تضمنه شرح السنة للبربهاري. المؤلف: د. ربيع بن هادي المدخلي، دار المحسن للنشر – الجزائر – الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

– غ –

– غاية السول في خصائص الرسول ﷺ. المؤلف: أبو حفص عمر بن علي الشهير بابن الملقن، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

– غاية النهاية في طبقات القراء. المؤلف: أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: ج. برجستراسرا، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

– غريب الحديث. المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي (ت٢٢٤هـ)طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الدكن – الهند: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

- غريب الحديث. المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة — الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.

- غريب الحديث. المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

- غريب الحديث. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد - الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م.

- ف -

- الفائق في غريب الحديث. المؤلف: محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان.

- الفتاوى الكبرى. للإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية —بيروت-، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٧م.

- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية الإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبعة مؤسسة الأميرة العنود، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.

- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة — مكة المكرمة — الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، أشرف على تحقيقه وعلّق عليه: الشيخ عبد العزيز بن باز، وخرّج أحاديثة: محب الدين الخطيب، ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي.دار المعرفة – بيروت – لبنان.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري. المؤلف: الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي – الدمام – الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

– فتح رب البرية بتلخيص الحموية. المؤلف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي – الدمام – طبعة ١٤٣٠هـ.

– فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن. المؤلف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي – الدمام – الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

– فتح القدير للشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: د: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الوفاء بمصر، الطبعة: السابعة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

–فتح المجيد شرح كتاب التوحيد . المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، (ت ١٢٨٥هـ)، طبعة دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

– الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. المؤلف: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٦هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق، طبعة دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش). المؤلف: أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- كتاب الفروع، ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين المرداوي (ت٨٨٥هـ)، وحاشية ابن قندس لتقي الدين البعلي (٨٦١هـ). المؤلف: أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت٧٦٣هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر – د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

- فضائل القرآن. المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق وتعليق: مروان عطية ومحسن خرابة وفاء تقي الدين، دار ابن كثير – بيروت – لبنان.

- فضائل القرآن. المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١هـ)، تحقيق: يوسف بن عثمان جبريل، مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

- فضل علم السلف على علم الخلف. المؤلف: الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

- فقه الأدعية والأذكار. المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- فقه الأسماء الحسنى. المؤلف: د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار التوحيد – الرياض- الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

- الفقه الأكبر مع شرحه منح الروض الأزهر لملا قاري والتعليق عليه لوهبي غاوْجي. المؤلف: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (ت١٥٠هـ)، دار البشائر – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

الفهرست . المؤلف محمد بن اسحاق بن النديم (٤٣٨) ، دار المعرفة – بيروت- ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

- فهرسة ابن خليل الاشبيلي .المؤلف أبو بكر محمد بن خير بن خليفة الأموي (ت ٥٧٥) ، وضع حواشيه : محمد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ -١٩٩٨.

- الفوائد. المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف الشيخ: بكر أبو زيد، دار علم الفوائد.

- الفوائد والزهد والرقائق والمراثي. المؤلف: جعفر بن محمد الخلدي البغدادي (ت٣٤٨هـ)، تحقيق: محمد فتحي السيد، دار الصحابة – طنطا – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. المؤلف: أحمد بن غنيم النفراوي (ت١١٢٦هـ)، دار الفكر - بيروت – ١٤١٥هـ.

- فيض القدير. المؤلف: العلامة محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- ق -

- قاعدة في المحبة. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس. المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري ابن العربي (ت ٤٥٣هـ)، تحقيق: محمد عبد الله ولدكريم، دار الغرب الإسلامي لبنان – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

- القاموس المحيط ج١/ص٣٦٥ مؤسسة الرسالة – بيروت.

- القاموس المحيط. المؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، رتبه وثقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة – بيروت -، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

- قرة عيون الموحدين. المؤلف: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ)، تحقيق: المجلس العلمي بدار المغني، دار المغني – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

- القضاء والقدر. المؤلف: أبو بكر أحمد الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: صلاح الدين شكر، مكتبة الرشد - الرياض – الطبعة الولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- القضاء والقدر عند السلف. المؤلف: أبو عبد الرحمن علي بن السيد الوصيفي، دار الإيمان - الإسكندرية -.

- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه. المؤلف: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن - الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- قواطع الأدلة في الأصول. المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ)،

تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م

- قواعد الأحكام في مصالح الأنام. المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف بيروت — لبنان.

- القواعد الصغرى. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: إياد بن خالد الطبّاع، دار الفكر — دمشق — الطبعة الأولى ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م.

- القواعد الطيبات في الأسماء والصفات. المؤلف: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م.

- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف. المؤلف: د. إبراهيم بن محمد البريكان، دار ابن القيم — الرياض -، ودرا ابن عفان - القاهرة -، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، طبعة عام ١٤٢٣هـ.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي(ت٣٨٦هـ)، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة الثانية١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

- القول الجلي في ترجمة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحنبلي. المؤلف: أبو الفضل صفي الدين محمد بن أحمد البخاري (ت١٢٠٠هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد. المؤلف: الدكتور. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية / دار ابن عفان، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- القول في علم النجوم. أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، ت(٤٦٣هـ)، تحقيق: د. يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- القول المفيد على كتاب التوحيد. المؤلف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين،دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية١٤٢٤هـ.

– ك –

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) قابله وقدم له وعلق عليه وخرج نصوصه: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن جدة - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

-الكامل في اختصار الشامل في أصول الدين. المؤلف: أبو الفتح موسى بن أمير الحاج بن محمد التبريزي (ت٧٣٦هـ)، تحقيق: جمال عبد الناصر عبد المنعم، دار السلام – القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

-الكامل في ضعفاء الرجال. المؤلف: الإمام أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر – بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

- الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها. المؤلف: أبو القاسم يوسف بن علي الهُذَلي اليشكري المغربي (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- كتاب التوحيد. المؤلف: أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. بكر طوبال، ود. محمد آروشي، دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية ٢٠١٠م.

- كتاب الثقات. المؤلف: الحافظ محمد بن حبان البستي (ت٣٤٥هـ)، طبع تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف الثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ -١٩٧٣م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. المؤلف: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، عناية: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث – بيروت – لبنان.

- كشف المشكل من حديث الصحيحين. المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. علي بن حسين البوَّاب، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- كتاب العين. المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي - د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- كتاب القدر. المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١هـ)، تحقيق: عبد الله المنصور، أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

- كتاب الكليات . موافق للمطبوع المؤلف : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة. المؤلف: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، – بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

كرامات أولياء الله عز وجل. المؤلف: هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت —لبنان–، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

- كرامات أولياء الله عز وجل. المؤلف: هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد الحمدان، دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م.

- كرامات الأولياء. المؤلف: أبو الفداء عبد الرقيب بن علي بن حسن الإبّي، دار الآثار — صنعاء — اليمن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.

- كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب أو (الخصائص الكبرى). المؤلف: جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. محمد خليل الهراس، دار الكتب الحديثية.

- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية. المؤلف: عبد العزيز بن محمد السلمان، طبعة دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشر ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.

-الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية. المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ)، دار الكتب العلمية —بيروت — الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها. المؤلف: الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي(ت٧٩٥)، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المؤلف : علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى : ٩٧٥هـ) المحقق : بكري حياني - صفوة السقا الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الطبعة الخامسة ،١٤٠١هـ/١٩٨١م

- الكنى والأسماء. المؤلف: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم — بيروت — لبنان، ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م.

- ل -

- اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية. شرح: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، تحقيق: عادل محمد رفاعي، دار الإمام أحمد - القاهرة — الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ — ٢٠١١م.

- لباب التأويل في معاني التنزيل. المؤلف: علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٤١هـ)، دار الفكر - بيروت — لبنان، طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- اللباب في تهذيب الأنساب. المؤلف: أبو الحسن علي محمد الجزري (ت٦٣٠هـ)، مكتبة المثنى - بغداد -.

- اللباب في علوم الكتاب. المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل عبد والموجود، علي معوض، د. محمد سعد رمضان، د. محمد المتولي، دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- لسان العرب. المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق : عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

- لسان الميزان. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: ياسين محمد السّواس، دار ابن كثير - بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- اللمع . المؤلف : أبو نصر عبد الله علي الطوسي (ت ٣٧٨) ، تحقيق د. عبد الحليم محمود طه عبد الباقي ، دار الكتب الحديثة - مصر- .

- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، بشرح الشيخ محمد العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، دار طبرية - الرياض - الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، بشرح الشيخ صالح الفوزان، اعتنى به: عبد السلام بن عبد الله السليمان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق - الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- م -

- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان. المؤلف:محمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، طبعة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

– متشابه القرآن. المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: د. عدنان زرزور، مكتبة دار التراث، القاهرة.

– متن العقيدة الطحاوية. المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، دار ابن حزم – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

–متن القصيدة النونية. المؤلف: محمد بن أبي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية– القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

– مجاز القرآن. المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنَّى (ت٢١٠هـ)، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة –.

– المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. المؤلف: الحافظ محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة – بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . المؤلف : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) ، تحقيق : عبد الله بن محمد الدرويش ، طبعة دار الفكر ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

– المجموع شرح المهذب للشيرازي. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد – جدة – المملكة العربية السعودية

– مجموع الفتاوى. المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، جمع وترتيب: عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (ت١٤٢٠هـ)،أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، ودار الثريا، طبعة ١٤١٣هـ.

- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. مطبعة المنار – مصر-

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

- المحلى. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار الفكر .

- مختار الصحاح. المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- مختار الصحاح. المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

– مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم. المؤلف: محمد بن الموصلي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

– مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية. المؤلف: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي البعلي (ت٧٧٧هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، بإشراف: عبد المجيد سليم السلفي، دار ابن القيم – الدمام – السعودية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

– المختصر في عقيدة أهل السنة في القدر. المؤلف: د. إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار الإمام أحمد – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

– مختصر قيام الليل. المؤلف: محمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ)، اختصار: أحمد المقريزي (ت٨٤٥هـ)، اهتم بطبعه: عبد الحميد حبيب الله، نشر حديث أكادمي – فيصل أباد – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

– مختصر كتاب الإيمان الكبير لابن تيمية. المؤلف: الإمام شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨)، تحقيق: حسين بن عكاشة، دار المودة – المنصورة – الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

– مختصر النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى. المؤلف: محمد الحمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي – الكويت – الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية.

– مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت –.

- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة. جمع وتحقيق: عبد الإله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ — ١٩٩١م.

- المستدرك على الصحيحين . المؤلف : الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري . طبعة متضمنة انتقادات الذهبي ، وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عنها الذهبي لمقبل بن هادي الوادعي ، طبعة دار الحرمين الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

- المسند. المؤلف: الحافظ عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب — بيروت -.

- مسند أبي يعلى الموصلي. المؤلف: الإمام الحافظ أحمد بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق وتخريج: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث — دمشق -، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

- مسند الشهاب. المؤلف: القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق: حمد عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة — بيروت — سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م.

- مسند أبي داود الطيالسي. المؤلف: سليمان بن داود بن الجارود (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر

المسودة في أصول الفقه لآل تيمية. تحقيق: د. أحمد بن إبراهيم الذروي، دار الفضيلة — الرياض — الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.

- مشكاة المصابيح. المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت –، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

- المصادرالعامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا . المؤلف : الدكتور صادق سليم صادق ، مكتبه الرشد – الرياض– الطبعة الاولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

- المصباح المنير. المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.

- مُصنف ابن أبي شيبة. المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق : محمد عوامة، دار قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

الطبعة الأولى١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

- مصنف عبد الرزاق. المؤلف: الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى. المؤلف: مصطفى السيوطي الرحيباني (ت١٢٤٣هـ)، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني، طبع المكتب الإسلامي بدمشق.

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: أحمد بن محمد بن حميد، بتنسيق: د. سعد الشثري، دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد. المؤلف: العلامة حافظ بن أحمد الحكمي، ت(١٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد صبحي حلاق، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ.

- شرح معالم أصول الدين. المؤلف: أبو محمد عبد الله المعروف بابن التلمساني (ت٦٤٤هـ)، تحقيق: عواد محمود سالم، المكتبة الأزهرية - القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

- معالم التنزيل. المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق : محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- معالم السنن. المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ، في مطبعته بحلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

- معاني القرآن. المؤلف: الإمام أبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، طبعة جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- معاني القرآن وإعرابه. المؤلف. أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- المعجم الأوسط . المؤلف : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠هـ-٣٦٠هـ) ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر : دار الحرمين سنة النشر ١٤١٥ ،مكان النشر القاهرة .

معجم اصطلاحات الصوفية . المؤلف : عبد الرزاق الكاشاني (ت ٧٣٠هـ) ، تحقيق : د. عبد العال شاهين ، دار المنار – القاهرة – الطبعة الاولى (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)

معجم ألفاظ الصوفية . الدكتور حسن الشرقاوي ، مؤسسة مختار – القاهرة – الطبعة الاولى١٩٨٧م

– معجم البلدان. المؤلف: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر – بيروت – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

– معجم ابن الأعرابي. المؤلف: أبو سعيد أحمد بن محمد بن بشر بن الأعرابي (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: عبد المحسن الحسيني، دار ابن الجوزي.

– معجم الصوفية . المؤلف ممدوح الزوبي ، دار الجيل – بيروت – الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

–المعجم الكبير . المؤلف : الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهره ، ١٤٠٤هـ .

– معجم الكتب ،يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن عبد الهادي الدمشقي

توفي ٦/١/٩٠٩هـ . وأتمه عبد الله بن داود الزبيري الحنبلي (١٢٢٥هـ)

تحقيق : يسرى عبد الغني البشري ، الناشر مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع

سنة النشر ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

– معجم المصنفين. المؤلف: محمود حسن التونكي، مطبعة زونكو غراف طبَّارة – بيروت – سوريا، تم إعادة للطبعة الهندية عام ١٣٤٤هـ.

المعجم المفهرس . المؤلف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : محمد المياديني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت طبعة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م

- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. المؤلف : أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

- معجم المناهي اللفظية. المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م

- المعجم الوسيط . المؤلف: إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

- معجم المؤلفين. المؤلف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الاولى

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. المؤلف: أبوعبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد حسن الشافعي، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

- المعرفة والتاريخ. المؤلف: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٣٤٧هـ)

تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

- معنى لا إله إلا الله. المؤلف: محمد بن عبدالله بن بهادر أبو عبدالله بدر الدين الزركشي، تحقيق : علي محي الدين علي القره داغي، طبعة دار الإعتصام – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

- المعين في طبقات المحدثين. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د.همام سعيد، دار الفرقان – عَمان – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. المؤلف: الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، اعتنى به: أشرف بن عبد المقصود، دار طبرية – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت–، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

- مفاتيح الغيب. المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

- المفردات في غريب القرآن. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت – لبنان.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محي الدين ديب، يوسف بديوي، أحمد السيد، محمود بزّال، دار ابن كثير – دمشق – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. المؤلف: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

- مقاصد الرعاية لحقوق الله ﷻ. المؤلف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

- مقاييس اللغة. المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

- مقدمة ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار القلم، الطبعة الخامسة – بيروت – لبنان.

- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها. المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)، د. عبد الله بن بجاش الحميري، مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

- الملائكة والجن دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث (اليهودية – النصرانية - الإسلام). المؤلف: مي بنت حسن الدهون، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى.

- الملل والنحل. المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: أمير علي مهنا – علي حسن فاعور، دار المعرفة - بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- المنار المنيف في الصحيح والضعيف. المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن القيم (٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب – الطبعة الأولى ١٣٩٠ – ١٩٧٩م.

- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق. المؤلف: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغداي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. عامر حسن صبري، دار البشائر، - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

- المنتظم في تاريخ الأمم تاريخ الملوك والأمم. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

- المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي. المؤلف: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد بالرياض

- منحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد. المؤلف: خالد بن عبد الله الدبيخي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

- المنقذ من الضلال. المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية - بيروت – لبنان.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار عالم الكتب، الطبعةالأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي

الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨)، تحقيق: د.محمد بن رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية – القاهرة –، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

- المنهاج في شعب الإيمان. المؤلف: أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: حِلْمِي محمد فودة، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية). المؤلف: أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، دار صادر – بيروت – .

- الموافقات. المؤلف: إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان – الخبر – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

- المواقف. المؤلف: أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت –، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.- –
المواهب الربانية من الآيات القرآنية. المؤلف: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، رمادي للنشر، الطبعة الثانية ١٣١٧هـ – ١٩٩٦م.

- موقف ابن تيمية من الأشاعرة. المؤلف: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد – الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- موسوعة الإجماع في الفقه السلامي. المؤلف: سعدي أبو جيب، دار المختار للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة.

- الموسوعة الفقهية. الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، طباعة ذات السلاسل – الكويت- الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي . المؤلف : رفيق العجم ، مكتبة لبنان – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

- موضح أوهام الجمع والتفريق. المؤلف: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- الموضوعات في الأحاديث المرفوعات. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. نور الدين بن شكري جيلار، أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- الموطأ. المؤلف: الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، الإمارات – أبو ظبي – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. المؤلف: شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة – بيروت – لبنان.

– ن –

- النبوات. المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق:عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. المؤلف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغريبردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ١٩٩٢م.- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. المؤلف : الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، طبعة دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية / ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٢م .

- نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر. المؤلف: الشيخ عبد القار بن أحمد بن بدران (ت١٣٤٦هـ)، تحقيق: د. سعد الشثري، مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام. المؤلف : الدكتور علي بن سامي النشار ، دار السلام للطباعة والنشر ،القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨م .

- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . المؤلف : الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح ، دار الجيل – بيروت الطبعة الاولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣.

- نقض الدارمي على بشر المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد. المؤلف: الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، تحقيق: د. رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشيد - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

- النكت والعيون. المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.

- النهاية في غريب الحديث والأثر. المؤلف: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، لبنان – بيروت -.

- النهاية في الفتن والملاحم. المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث – مصر.

– هـ –

- الهداية إلى بلوغ النهاية. المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: عدة باحثين في رسائل علمية، طبعة كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة – الطبعة الأولى ١٤٢٩ – ٢٠٠٨م.

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. المؤلف: محمد بن أبي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد - مكة — الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

-هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين: المؤلف: اسماعيل باشا البغداد (ت١٩٥٥م)، الناشر دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان

- هذه مفاهيمنا. المؤلف: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، نسخة من توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

- الهم والحزن. المؤلف: عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار السلام — القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

- و -

- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب. المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد — مكة المكرمة - الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

- الوافي بالوفيات. المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث — بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م.

- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام. المؤلف: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق: د. بشاء عواد، د. أحمد الخطيمي، عصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة — بيروت - سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- الورع. المؤلف: عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية - الكويت — الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر — بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الفصل الأول :

الإيمان بالله :وفيه أربعة مباحث :

المبحث الثاني:

توحيد الربوبية وفيه تمهيد، وأربعة مطالب:

المبحث الثالث:

توحيد الألوهية ، وفيه مطلبان :

المبحث الرابع :

توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان :

الفصل الثاني :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الثاني :

الإيمان بالكتب: وفيه تمهيد، ومطلبان :

المبحث الثالث :

الإيمان بالرسل: وفيه تمهيد، ومطلبان :

الفصل الثالث :

الإيمان باليوم الآخر ، وفيه ثلاثة مباحث:

الفصل الرابع :

الإيمان بالقضاء والقدر: وفيه تمهيد، خمسة مباحث :

الفصل الخامس :

الإسلام والإيمان: وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث :